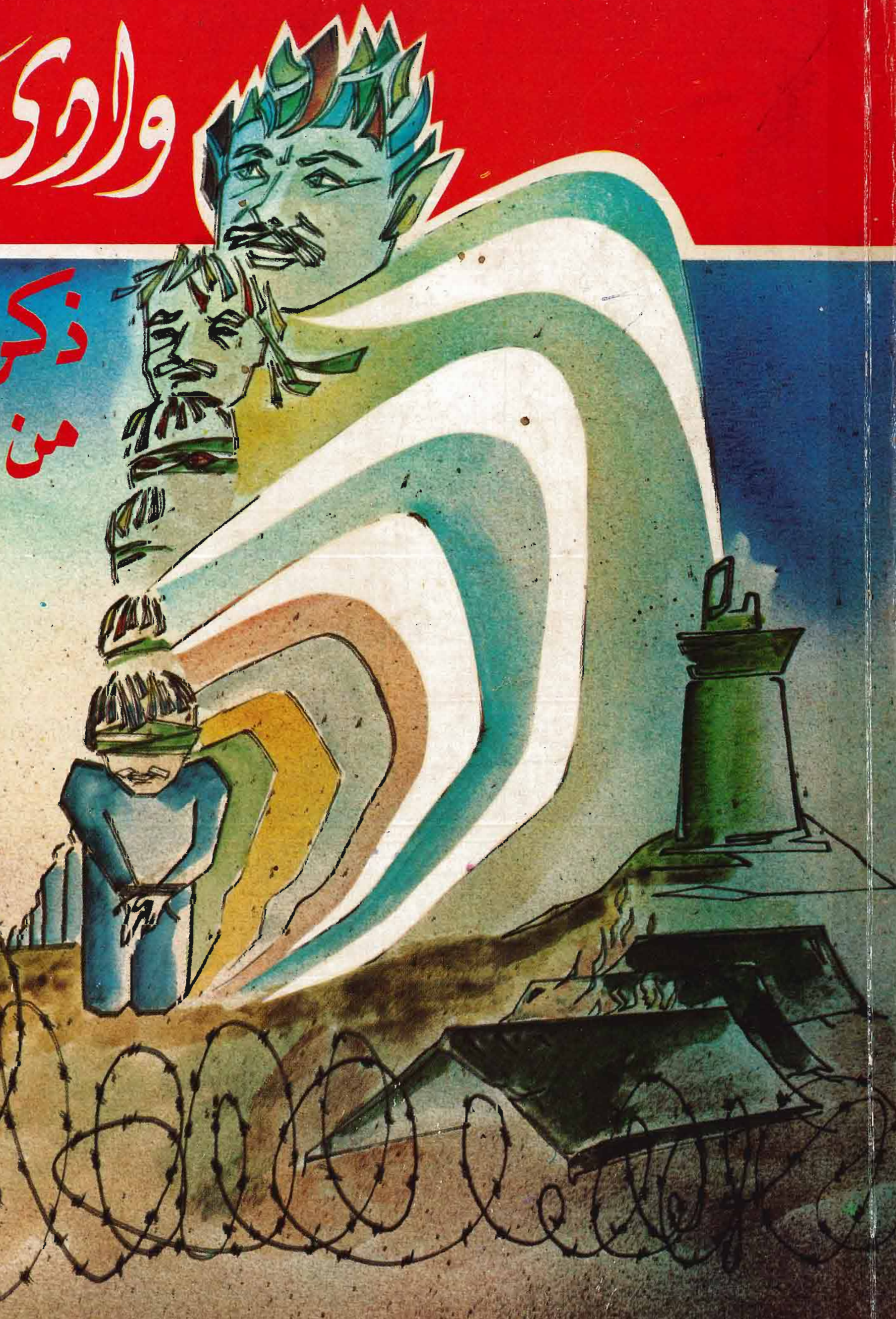
المحامي نعمة جمعة

وادي جهنم

ذكريات من أنصار



المحامي نعمة جمعة
وادي جهنم ذكريات من أنصار

« معتقل انصار » ذلك المعتقل الذي انطبع في ذاكرة الشعبين اللبناني والفلسطيني بعد الاجتياح الصهيوني للاراضي اللبنانية في حزيران من عام ١٩٨٢ كان بدعة صهيونية يتهرب فيها العدو أمام الراي العام العالمي من مسؤولياته الانسانية والقانونية تجاه اسرى الحرب والتي نصت عليها اتفاقية جنيف .

ان هذا المعتقل يمكن ان يكون مجرد مكان لتجميع أسرى من الجنود النظاميين للدولةالتي احتلت اراضيها ويمر عبر ذاكرة التاريخ مرور الكرام ، لولا الخصائص والميزات التي طبعت حقيقة الصراع بين الصهيونية والامة العربية ، واول هذه الخصائص واهمها ان شعبا يقاوم باللحم الحي اخر مبتكرات التكنولوجيا الحربية في القرن العشرين .

ان حقيقة هذا الصراع الذي اقلق ـ والى زمن طويل ـ بال الامبريالية الاميركية وربيبتها الصهيونية دفع بهما الى احتلال جزء كبير من الاراضي اللبنانية ، وكانت اجهزة مخابراته تلاحق في كل مكان المناضلين من ابناء شعبينا اللبناني والفلسطيني وتعريضهم الى ابشع انواع الارهاب الجسدي والنفسي ثم حشرهم في نهاية المطاف في « معتقل انصار » في محاولة لاطفاء جذوة المقاومة ضد قواته .

ان هذا المعتقل كما يصوره الكاتب كان يمثل تجربة نضالية فريدة لآلاف المناضلين الذين اختاروا طريق الصراع مع الصهيونية بمحض وعيهم وارادتهم وان تميز هذه التجربة يعود الى تنوع هويات المعتقلين القطرية ، اذ هم يمثلون (لبنان ، فلسطين ، سوريا ، العراق ، اليمن ، مصر ، الجزائر ، ليبيا ...) ، والى جانب ذلك يمثلون كافة التيارات السياسية والفكرية ، فاذا بهذا المعتقل يمثل انموذجا لوحدة الاعتقال الوطني والقومي ، وبالتالي لوحدة النضال الوطني والقومي .

وادي جهنّم

ذكريات من أنصار

المحامي
نعمة جمعة

الطبعة الأولى ١٩٨٦

مقدمة

عرفت المحامي الاستاذ نعمة جمعة رئيسا للمحكمة الشعبيـــة في صور ، في غياب القضاء الشرعي ، بسبب الحرب الاهلية اللبنانية ٠ ونظرا لكونـــه كان يعالج القضايا المعروضة له بروح الحكمة والمحبة والعـــدل ، أطلقت عليه لقب « القاضي العادل » ٠

ثم التقينا في « اللجنة العليا للمساعدات القوميـــة لحزب البعـث العربي ألاشتراكي » التي كان من أهدافها المحافظة على أرضنا في الجنـــوب والبقـاع الغربي وعلى عروبتها ٠ وكنا شركاء في حمل هموم الجنوبيين من « سنديانـة كفرشوبا » الى « كنيسة راشيا » مرورا بتبغ الجنوب وظل اليتامى والارامـل والمعاقين نتيجة الاحتلال الصهيوني والحرب الاهلية اللبنانية ٠

وافتقدته في غزو عام ١٩٨٢ ليطل برأسه في « انصار » مساهما في قيـــادة الاسرى المناضلين والذين زجهم العـــدو الصهيوني في أتون تطوقه الاســلاك الشائكة ٠ أولئك البواسل الذين حولوا التعاسة الى سعادة والقهر والعـــذاب الى بطولـة ٠

وما أن عرفت مكان وجوده حتى هدأت مخاوفي عليه وأيقنت أنـــه يحتل موقعه الطبيعي في « لجنة الدفاع عن حقوق الاسرى والمعتقلين » و « قيـــادة الاسرى المشتركة » لمعرفتي أن فيه جذور الاصالة التي نهلت من ينابيع «العروبة الوثقى» تلك العروة التي فجرت نهضتنا القومية الحديثـــة وروت أرضنـــا بجداولها الصافية ٠

بالاضافة الى كل ذلك ، هو زميلي في الهجرة لان مرجعيون وبنت جبيـل تتشاكيان اللوعة والالم في المحنة المأساة ٠٠٠

انطلاقا من هذه القواعد رسم المؤلف صورة الاسر في « انصار » مضفيا عليها من روحه الطيبة وأخلاقه الكريمة وتضلعه في القانون والسياســة وعلم النفس والاجتماع طعما ونكهة جديدين فجاء كتابه «وادي جهنم ـ ذكريات من انصار»

تحفة أدبية وتاريخا صادقا لمرحلة من تاريخ أبطالنا اتسمت بالفخر والاعتزاز ، حيث تحول المعتقل الى مدرسة انصهرت فيها كل النعرات الإقليمية والمذهبية ومختلف أشكال الشرذمة والتفسخ وارتفع فوق خيمة المعتقل شعار واحد هو : « الدين لله والوطن للجميع » .

ان الوقائع المسجلة في هذا الكتاب تثبت أن الاسر والاعتقال وكل أشكال التعذيب لن تستطيع النيل من جذورنا الاصيلة بفعل صلابة مناضلينا أمثال المؤلف .

فعسى أن يبعث هذا الكتاب في الاجيال الطالعة روح التمرد والتصميم على الانتقام والاخذ بالثأر من العدو العاتي الذي ارتكب هذه الفظائع وأن يدفعها الى رد كيده الى نحره وطرده من جميع الاراضي العربية ومن فلسطين .

المطران بولس الخوري

صيدا في ١٩٨٦/١/٧

الاهـــداء

الى امي وكل ام قضت نحبها مفجوعة من اعتقال عزيز على قلبها
الى أسرتي وكل اسرة دفعت الثمن ومن بينها ولدي وضاح ، الـــذي ادى الجزية في انصار الثانية مع اخوة ورفاق له ٠
الى شهداء انصار ، الذين كانوا طلائع المقاومة الوطنية اللبنانية في معركة تحرير الارض

الى مناضلينا معتقلي سجون الداخل المحتل ، ان في الخيام وتوابعها أو في عتليت أو ما شابهها ، والى كل المحررين من انصار الثانية أو ممن كانوا رهن الاعتقال في سجن عتليت وقد سبق لهم وشاركونا هذه التجربة واسهموا بصنع مسيرة انصار الاولى ومجدها الوطني والقومي

الى كل الشهداء والمناضلين في معاركنا القومية من اجـــل تحرير كامـــل ترابنا العربي

الى المؤسسات الدولية والحقوقية اينما وانى كانت والتي يفترض بهـــــا حماية حقوق الانسان قولا وعملا

اليهم جميعـــا
اهدي سيرة انصار الاولى وخلاصة التجربة ٠

المؤلف

تمهيـــــد

انصار حائط مبكى ؟! أم صخرة جديدة مقدسة ومشرقة ؟!

انصار موقع لغسل الادمغة البشرية لصالح المشروع الصهيوني ؟! أم مدرسة البطولة الجماعية في منحى نضالي ؟!

قيل الكثير عن معتقلات انصار في الاونة الاخيرة ، وكتب ما كتب في هـذا الشان ، عدا ما أشيع وأذيع في وسائل الاعلام الصوتية منها والمرئية وما تناقلته الذاكرة الشعبية ٠

وجل ما قيل حتى الان ، بقي في اطار الجزئيـات دون الدخول في صلب الموضوع وتفاصيله ، هذه الجزئيات ، التي يفترض أن تتمحور مع بعضهـا في اطار كلي وموضوعي لا تعرف الانفصال أو الانفصام ، مع التقدير لكافـة الجهود المبذولة ٠ بتعبير اخر أن الفرد كان جزءاً مـن الفئة والمجموع ، هو حصيلة وخلاصة كل الفئات المحكومة بمسار معين ، مثلما الحادثة جزء مـن تجربة نضالية مريرة ، بدأت وتواصلت ونمت واكتملت في ظرف زمني معـين وحققت غايات معينة ايجابيا ، مثلما أفشلت غايات أخرى معاكسة سلبيا ٠

انصار هذه ، يقال عنها الكثير والكثير من حيث كونها مدرسة نضالية ذات منحى توحيدي ، في زمن التفرقة والانقسامية والشللية المغلقة على الذات ، في مختلف ساحاتنا الوطنية والقومية ، فكيف تحولت انصار الى مدرسة نضالية توحيدية وما هي المفاهيم التي حكمتها وتحكمت بها ؟٠٠٠

انصار هذه كانت مفخرة وطنية وقومية في ظـل حالات الهزائم والارتداد والتراجعات ، وكان مفترضا أن تكون مسرحا للمتساقطـين والمتخاذلـين والمتعاملين مع العدو ٠ فما هي الوسائل والسبل التي ابتدعت في انصـار ، في ظل المفاهيم والافكار المحددة ، حتى أفشـلت الغايـات السلبيـة وحققت ايجابياتها وتحولت الى موقع عز وكرامة ؟٠٠٠

انصار هذه بأشياكها وأبراجها ونيرانها وزنازينها وخيمهـا ، بطنـاجر مطابخها وحكايات حماماتها وبطاين خيمها وأحجـار أرضهـا ٠٠٠ ، تطرح الكثير الكثير من الاسئلة والتساؤلات ، التي تحتاج لاجابات وتبقى مادة خصبة للكتابة لكن بمقاييس ومعايير جديدة ، تعطيهـا حقهـا الموضوعي وتعكس صورتها الحقيقية ، بعيدا عن كلام التهييج العاطفي ، لتتحول هذه المدرسـة الى مثال نقتدي به في مسيرة نضالنا وتصبح حقيقة حية من تراثنا فاعلة فيـه ومتفاعلة معه ٠

أكثر من ذلك ، اعتاد فكرنا واعلامنا التعاطي مع موضوع كانصار وكأنـه حائط مبكى أو موقع لغسل الادمغة ، وهذا الجانب محق دون شك ، بسبـب

العسف الصهيوني والاضطهاد ، ومختلف أسباب وأساليب ونتائج الممارسة الصهيونية التي اعتادت أن تحقق غايات وأغراض ، ولطالما أسهمنا من حيث لا ندري بتحقيق نتائج كهذه باعتمادنا فقط على أسلوب البكاء والنواح من وحي حكايا الاطلال والتباكي عليها والاكتفاء فقط بجلد الصهيونية ، وكأن الجلد لوحده يحقق غاياتنا ٠

ان انصار ، وهذا بيت القصيد ، هي موقع نضالي اجتازت وتجاوزت حائط المبكى والطلل والاثر والموقع المهين ، لتكون صخرة مقدسة جديدة ، لتكون مشروعا كاملا في آفاقه الوحدوية واستراتيجيته الابداعية التي حتمتها ظروف الزمان والمكان ، ببساطة متناهية، انصار شيء جديد في عالمنا الممزق٠

كان بالامكان في معرض هذه السيرة التاريخية لانصار ، أن أتحدث فقط عن الطلل الذي جسدته الاسلاك والعصي والدم والجراح والمجاعات ، انسجاما مع ما تعودنا عليه ، لكن انصار التجربة تتطلب كتابات من نوع جديد ، كتابات تضيف الى التراث تراثا نضاليا بدلا من تراث الاحزان ، والى حالات التشتت وحدانية تعتبر أساسا لدحر الهزيمة ، هذه الوحدانية التي تجلت بتفجير كل الطاقات الكامنة والاستفادة من قدرات الاسرى وعطائهم كنموذج ومقياس لتفجير طاقات شعبنا وعطائه كمجموع مع ما لهول حجم الصورة ودرجة تأثيرها على الاوضاع في منحى تغيري يحقق الطموح العام ٠

لقد آن الاوان لان نحاكم انصار ، ونكتب عنها كسيرة نضالية في اطار تاريخي سياسي قانوني ، وكحدث متميز في تاريخ صراعنا مع العدو الصهيوني ، مع التهيب الكلي للموقف ، حرصا مني على نقاوة وطهارة التجربة ، التي كان لي شرف الاسهام في قيادتها من خلال وجودي في عضوية لجنة الدفاع عن حقوق الاسرى والمعتقلين ، آملا أن يكون كتاب « وادي جهنم !٠٠٠ ذكريات من انصار !٠٠٠ » بمقدوره الاجابة بحدود معينة على التساؤلات المطروحة ، لقناعتي أن تجربة أسهم بها مجموع الاسرى ، لا يمكن لأي كاتب مهما كان موقعه منها ، أن يكون قادرا لوحده على ايفائها حقها ٠

وكلي أمل بالتوفيق ٠

المؤلف

القســـم الاول

١ ـ احاسيس ما قبــل الغــزو
٢ ـ بدايات الاجتياح للجنــوب ٠
٣ ـ تجميــع المواطنين وحملة الاعتقالات ٠
٤ ـ في الطريــق الى المشيرفــة ٠
٥ ـ في الطريــق الى الجلمــى
٦ ـ مأوانا الجديد ٠ سجن « مجــدو » ٠
٧ ـ الانتقال الى معسكرات « عتليــت »

احاسيس ما قبـل الغزو الصهيونـي

الطقس ربيع ، وربيع صور منعش ، ومع ذلك تتلبد الاجواء في مختلف الاتجاهات ، اجواء المناخات السياسية وتكتئب الصورة .

حدود الدولة ، دولة صور ، تتراجع واتراجع معها في حركتي اليومية ، وتنحصر ضمن ابعاد حواجز البازورية ، عين بعال ، العباسية ، القاسميـة وجنوبا مفرق رأس العين . التقي مرة « محمد » ويسألني :

ـ من أيـن آت ؟

تفقدت حدود الدولة ، التي تضيق يوما بعد يوم ، اجيبه ممازحا ، ومـع انحسارها اشعر بالضيق النفسي والسياسي ، لقد تجولت عبر الابعاد الامنة ..

صحيح ، اني كنت اسجل بعض الاختراق الى ما بعد الحواجز ، في هـذه الزاوية أو تلك ، لكن الاختراق ذاتيا ، وغير مرغوب به من الاخرين الا مـع الرفقة والاعـوان .

المأزق رهيب والصورة قاتمة ، لا بد من بذل الجهود وتظافرها ، لا بـد من الاستفادة من كل الطاقات الفاعلة وكسر الطوق وتصحيح الخلل الحاصـل في ميزان المزاج الشعبي ، ودائما قناعتي في الحركة بركة وانا في دوران ، دائم في هذا المحور أو ذاك ، اغوص عمقا حتى الشريط انسج علاقة مع هذه الفعالية او تلك ، مستفيدا من اعمال الصندوق الوطنـــي ، فيكـون مشروع « تجمـع فعاليات جبل عامل » . اخر اطار واجهي يولد ، في اعقـــاب اجتماعات عدة ، في مجدل سلم وكفردونين واجتماع اخير في صور ..

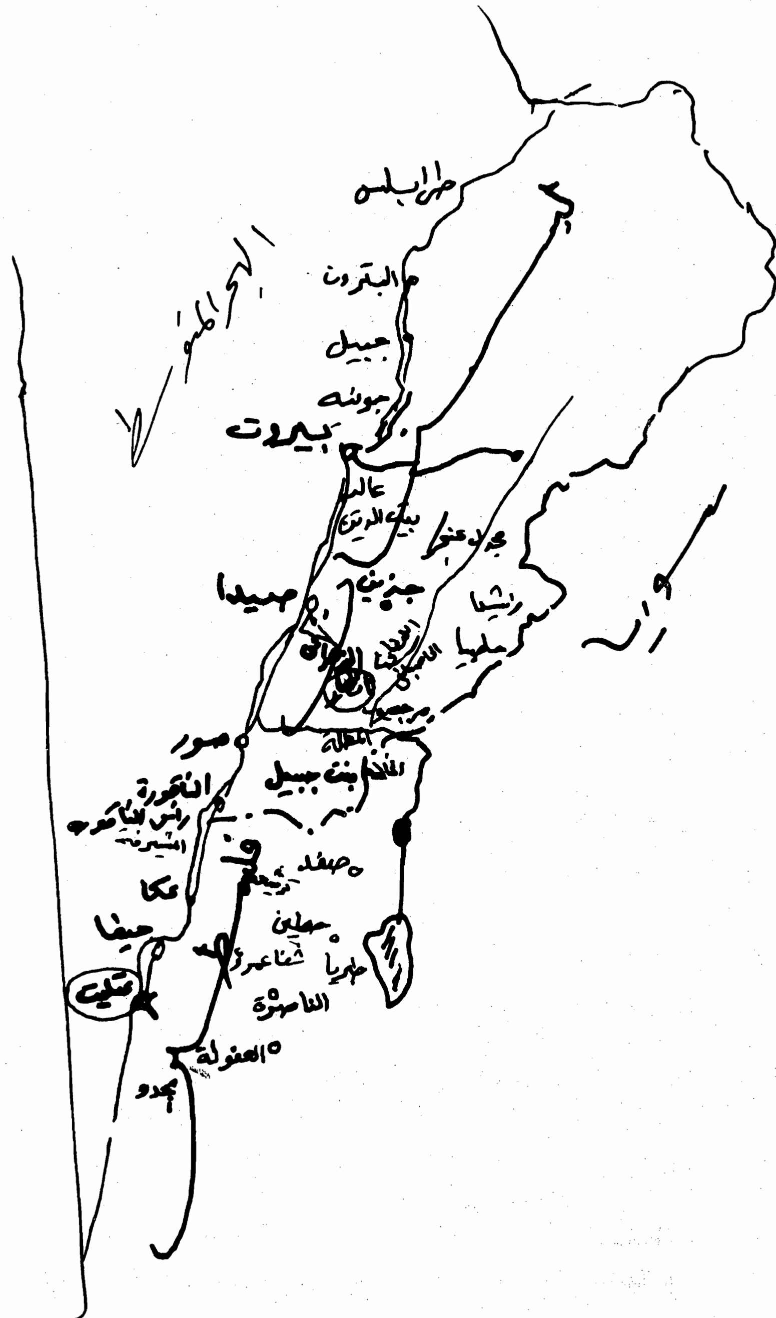
آه لقد خرجنا على العرف السائد ، الذي يحكم الجماهير ، أطلقنا عقالها في في اجتماع الفعاليات الضخم في صور ، وهناك من كل المستويات من يتخوف من تحرك كهـذا .

أكتب الان وأحس أن كتابتي مطلق عقالها أيضا ، وخارج دائرة الحالة السائدة يومها ، ولكن لن أكتب لأصحاب الحالة أم للجماهير ، وحتى نصدق للاخيرة ، علينا أعـــرف انني خرجت عـــلى مـــا هو سائد ، والسيد الجليـــل رفيـــق

التجربة ، وواجهتها ، يحس بوطأة الحشر ويذهل متسائلا : لما هذه الذاتية المغرقة عند الاخرين ؟ وهل يعني خروجنا على ذاتيتهم ، وضعنا فـــي موضع الريبة والشـك ؟

البصرة ستخرب ، والدولة ستضرب ، وبعد القذائف المتساقطة على رؤوس العباد ، في انصار ، قذائف في عدلون ، ومذابح في حناوية ومجزرة فـــي صديقيـــن .

لا يهمني الان من القاتل ومن المقتول ؟ انما احس بأن شعبي يتقاتل .. واحس صورتي على وجه القاتل والضحية واحس اننا نلعب بالنار والـدم ،



١ ـ خارطة قسم من لبنان وشمال فلسطين جرى فيها تحديد بعض المواقع الوارد ذكرها في الكتاب

ومشاركتي ، عفوا ، سياسية لانني لا اجيد لعبة النار والدم ، خاصة بالجماهير ويساورني الشعور بالعجز والعجز في هذه الحالة ليس بمذلة أو جبن ..

لفتة الى الوضع الذاتي ، لا بد من اعادة ترتيب الاوراق الشخصية ، بالعودة للمكتب ، يجب ان يعاد فتحه ليشكل نقطة انطلاق على مستويات جديدة عدة .. فقد ضقت ذرعا في ظل اجواء العجز ، بالتنقل بين حسبة ابي علي وصبحية هذا المصرف او ذاك مع استراحة اجبارية في المجلس السياسي .

ومسائي ليس باحسن حال ، اذا لم يحصل اختراق الحواجز ، فالتحرك محدد ضمن الابعاد المعروفة .

بيروت باتت مقفلة في وجهي ، بعد انذار وجه لي بالتصفية الجسدية ، ولم يبق امامي سوى خيار واحد ان تتداعى صور على الرأس والغازي أيا كان ..

« درويش » الصغير ، بخفة دمه وسرعة حركته ، يتابع اليوميات ، يخاطبني بعبارة « معلمي » وقد استعار العبارة مني ، على قصر مدة تجربته استوعب الامور ، التقي به صباحا لينقلني ، الى مواقعي المحددة ، داخل المدينة وقد باتت بحكم المعروفة ، وبرنامج عمله بالمتابعة يقدره بنفسه ، من خلال برامج الايام السابقة ويسألني عادة عن المستجدات فأخبره بها .

ونخرج سويا في الصباح ويستفسر مني قائلا :

ـ اليوم الجمعة معلمي ، سأذهب الى الدير لاحضار الاولاد اليس كذلك ؟

نعم ، والمكتب سنتابع العمل به ، انزلني في المصرف المعهود وتفقد لي محمود ، صاحب محل مواد النجارة ، عسى ان يفتح ويكون بامكاننا المتابعة .

ونفترق ، ليعود لي ، وليخبرني عن عملية فدائية في لندن استهدفت السفير الصهيوني « شلومو ارغوف » بتاريخ ٤ـ٦ـ١٩٨٢

وفجأة ، يسود الشوارع حالة من الارباك ، في حركة السير والمحلات وتقفل المدينة ، التي اعتادت ان يكون لها في كل عرس سياسي قرص وتستمر اجهزة الراديو على اذاعة العدو ، للاستماع الى ردات الفعل ، التي ظهرت فورا مهددة متوعدة بالغزو للاراضي اللبنانية .

وكالات الانباء العالمية تتابع مجريات الامور ، وتتسلط الاضواء الدولية على منطقة الشرق الاوسط بشكل عام وساح لبنان بشكل خاص ، ويسيطر الرعب والخوف وينتابان نفوس الجميع .

تكتئب الصورة في عيني ، واحس بالاقتراب من مرحلة جديدة ، مرحلة مرة وبائسة ، واتطلع الى « درويش » الواقف الى جانبي قائلا :

ـ كنا في سباق مع الاحداث ويظهر بأنها كانت اسبق منا ، كل الامــور باتت معطلة ، حتى اشعار اخر ، حتى تتوضح صورة الوضع السياسي وقــد اعفيتك من الذهاب الى الدير اليوم ، من الافضل ابقاء الاولاد في مدارسهم بحكم كونها موقع امن ، آمل الا يأتي الكبار منهم ...

واتحرك بسيارتي في مختلف شوارع صور ، مستطلعا فالمــح علامــات التساؤل على مختلف الوجوه ، ممزوجة بعلامات الحيرة .

ماذا سيحصل ؟ هل سندفع الثمن من جديد ؟ هل المطلوب منا حماية اي صهيوني اينما واين كان مكان تواجده ؟

اسئلة تبحث عن اجابات ، والاجابات تأتي على لسان اذاعة العدو والسنة وكالات الانباء المتكهنة بالاحتمالات المرتقبة وكل الاحتمالات تنذر بوقوع الشر .. وسط الاجواء المشحونة بالارباك والترقب والحذر والمحاذير تطل ، مع منتصف النهار ، بوادر انفجار الازمة ، مؤشر ردات الفعل ، بدايات التنفيذ للانذار الصهيوني ، دوي قذائف مدفعية تصم الاذان بدأت تسمع على المخيمات وجوار المدينة ، مصدرها الشريط الحدودي ومدفعية الداخل المحتل ، قذائف بدأت تلف « صور الحزينة » .

ولصور والحزن وحكاياته حكايا وروايات توجت بحكاية إغنية « صــور الحزينة » ، هذه الاغنية ، التي ترددت اصداؤها فيما مضى على لســان مطرب صوري ناشىء ، ترددت اصداؤها بين جنبات المنازل وفي زوايــــا الشوارع وعلى امتداد الوطن . اغنية نقلت حزن صور وانتشرت كانتشـــار الشظايا مع الهدير ودوي الانفجارات .

« صور » الحزينة هذه على موعد جديد مع الحزن والدمار والقنابل ، التي بدأت تلفها من اتجاهات عدة ، لتلبس السواد والحداد ، كما لبسته سابقا ، عندما تناثرت قطع اللحم البشري مع قطع الجدران والابواب وتقطعت الاوردة والشرايين لاجساد بشرية وتواصلت مع الاشرطة النحاسية لخطوط الهاتـف والكهرباء ، ومثلما التصقت الاعمدة الفقرية لاطفال وكهول ونسوة حبالى ، باعمدة البنايات والمتاجر المهدمة . في يوم ما أمطرت صور بوابل من القنابل العشوائية ، فكانت المجزرة وكانت الاغنية اغنية « صور الحزينة » من وحي الذكرى تتردد ، في كل مكان ، تعبيرا على حيوية شعب أكبر من المـــوت لالتصاقه بالحيــاة ..

شهدت « صور » الحزينة ، الموعودة ، مجددا مع الحزن ، في نيسان ١٩٧٩ يوم الجحيم العشوائي ، عندما اقتلعت قذيفة شقة مجاورة لمكتبي وانا بداخله ، يوم انشق الحائط وأويت نسوة واطفالا تحت طاولة رخامية .

وها أنذا من جديد على موعد مـــع « صور » الحزينة ، قدري قدرهـــا ،

ومصيري مصيرهـا ٠

ومع المساء يأخذ الوطن بكامله صورة « صور » ويرتديها ، وتأبى القيادات الصهيونية الا أن تعمم المآسي وتصب الجحيم دفعة واحدة وعلى امتداد الوطن المنكوب ، من المدينة الرياضية شمالا في قلب العاصمة وجوارها وعلى طول الخط الساحلي جنوبا والعدو يكثف من طلعات طيرانه التي تصب الحمم ومن تحركات زوارقه التي لها دورها بمحاذاة الشاطيء ٠

وليس حظ الجنوب مختلفا عن حظ الخط الساحلي ، حصته وافية ووافرة ولو كانت المعركة في بداياتها ، كثرة النيران تنضج الطبخة السياسية ، وها هوذا فيليب حبيب يجمع حقائبه سريعا ، ويتوجه قبل موعده الى المنطقة ، لصب الطبخة الجاهزة التي تحتاج لمزيد من النيران ٠

غرفة عملياتي المنزل وعدة العمل متابعة التطورات عبر مختلف الاذاعات ، ابرة الراديو تتحرك من محطة لاخرى لمعرفة ما استجـــد علـــى الارض واستشفاف رائحة الطبخة السياسية وحجمها العملياتي واحس بازدياد العبء والمسؤولية عصرا مع عودة اولادي الكبار من المدرسة ٠٠٠ لقد اتوا في ساعة الحشر ، وزوجتي ، مع عودة الاولاد الذين كنا نتوقع قدومهم ، تهيب بـي الخروج من صور ولكن الى اين ؟ طريق الساحل معرضة في كل لحظة لغارات الطيران وقذائف الزوارق ، لقد وقعت الواقعة وضاق العالم لينحسر بحجـم المنزل في صور ، وننام على دوي الانفجارات وهدير الطائرات وأشباح الرعب وافق الغد الموعود بالموت والغزو الصهيوني ٠

بدايات الاجتياح للجنوب اللبناني

مع الصباح استفيق باكرا هاجسي ابرة الراديو ، لقد اعتدت على ظلمة الليل ، مثلما اعتدت على الاستماع لاصوات ادوات الحرب ، المشكلة فقط مع الاعصاب واعصابي ، بالرغم من اعتيادها ، باتت متعبة ٠

اليوم يوم سبت عطلة الاسبوع لدى الصهاينة وكيف لهم ان يعرفوا الاجازات؟ مجلس وزرائهم دعي لعقد جلسة طارئة والات حربهم شغالة ، وهم وحدهم يقررون الموقف والتحكم بمجريات الامور ، ومتى كان لمجلس الامن سلطة ، ومتى كانت قراراته محترمة ؟ ولرفع العتب فقط أصدر قرارا بوقف اطلاق النار ، ومن أين للنار أن تتوقف ؟ ومن يوقفها ؟ فيليب حبيب القادم ! ومجلس الوزراء الصهيوني قرر القيام بعملية عسكرية اسماها « عملية سلام الجليل » مسرحها الميداني المعلن ساح الجنوب حتى الزهراني ، وغير المعلن كل ساح لبنان ٠٠ وباشر بتنفيذ الخطة ابتداء من المدينة الرياضية في بيروت، منذ بدايات نهار الخامس من حزيران ومع تقدم الشمس ببطء في السماء وقبل انفضاض مجلس الوزراء الصهيوني تبدو كل الاجواء محمومة ، العملياتية منها والسياسية ، ومع حمى الاجواء يتواصل الهاب الارض وقذف النيران ، الطيران عاد بطلعاته مستهدفا كل مكان منذ الفجر ، والراجمات تتحدث عن نفسها مظهرة بطولاتها ومعتدة بها وغرفة عملياتي منذ الصباح شغالة بدورها في استماع الراديو وآخر الاخبار ومعها ركوة القهوة وعلب الجيتان غذاء الاعصاب الشافي او القاتل ،سيان ، وصور الحزينة تنتظر موعدها مع لحظة البدء ، لحظة الصفر لحظة القذائف والرعب المتوقعة

ويسود في الخارج الصمت وشل الحركة ٠ صور الشاهدة على التخاذل العربي، مرشحة لان تدفع الثمن باهض التكاليف كعادتها مع بقية اجزاء هذا الوطن الصغير برقعته ، الكبير باعبائه وتحدياته وثقل همومه دفاعا عن قومية المعركة٠

اجهزة الاعلام العربية ، ومسؤولوها ليسوا بمستوى الحدث وتطوراته ، كعادتها ، بعضها ما زال ينتابها الصمت ويتحدث عن المعركة القادمة وكأنها ستحصل في بلاد الماو الماو ، لا بل بالاحرى عملية بريطانيا في جزر « الفوكلند » تستوقفهم اكثر ٠٠٠ وبعضهم يتحدث بعهر بزاري ، ليس من شأن عهره ان يرد طلقة بندقية عنا ٠ لست بوارد ادعاء البطولة الكاذبة لحظة بدء العمل العسكري ، لان السطوة للمدافع والصولة والجولة للمقاتلين ، لحظة يسود فيها منطق البارود ، وتخرس الكلمات الا في مجالاتها ، وتضيق دائرة المجال والمحيط الذاتي ليس فقط جغرافيا وانما بشريا ونفسيا ٠

« أسعد » خرج لتوه ، يحمل جهازه بيده والمعلومات المتوفرة لديه تنبيء عن بطء تقدم القوات الغازية ، اذ ان القوات الدولية في منطقة عملياتها ، ما

زالت تحول دون ذلك بوسائلها ، والحشود المعادية ما زالت في منطقة الشريط الحدودي ، اذن الترجمة العملية للبدء بالاجتياح لم تأخذ طريقها لبدء التنفيذ .
ما زلت في المنزل وما زال الطيران يكثف طلعاته الجوية فوق المنطقة ويقذف حممه وجحيم قذائفه فوق مخيمات البص والرشيدية والبرج الشمالي ، اصوات المضادات تغزر وتتكثف بدورها وتنطلق مانعة الطائرات المغيرة من تحقيق اهداف مباشرة .
اجواء ، عصيبة ملحوظة ، تلف المدينة من كافة الاتجاهات وقذائف مدفعية « الشريط الحدودي » بدأت تركز قذائفها عليها ، وتعرف من صوت اطلاقها قبل الانفجار وكذلك مدفعية الداخل المحتل يرافق الاطلاق مع تصفير ملحوظ للقذيفة كلما اقترب مكان « الانفجار » . الشظايا تزرع الارض في الخارج والقذائف باصواتها تصم الاذان ، وبين الحين والحين ، زجاج في المنزل يصاب فيتساقط .



٢ ـ « سيروب » شرقي صيدا ، نيران ودمار

رعب اين منه رعب وتكتمل ملامحه عندما تقترن الصورة في الذهن بخطر الاجتياح ، الصهاينة سيكونوا هنا يحتلون ارضنا ، سنقع تحت الاحتلال وفي ظله ونكون عرضة للارهاب ، انها صورة مروعة ، لكنني اخترت البقاء ، اخترت المطب الصعب ، لا اريد ان التجيء ، لتكن النتائج مهما تكن ...
عقد العائلة اكتمل ، جميعهم في الملجأ ولم يبق سواي في المنزل ، بالنسبة لي بعض من راحة البال لتجمعهم ، وما دام صاحبنا وفق معلوماته ان الاجتياح لم يبدأ ، واذا انفرجت اكثر وكانت الغارات مؤقتة ومحدودة ، قد نتمكن من استئناف حياتنا العادية . صحيح ! نحن على موعد مع عرس قروي لابن مختار احدى الضيع اليوم ، فكرة في البال ،لكنها غير قابلة للتحقيق نتيجة تواصل القصف وطلعات الطيران وانفجارات قذائفه .



٣ - صاروخ « اف ـ ١٥ » يلهب منطقة المدينة الرياضية



٣ ـ بيروت المستباحة ،

اليوم يوم احد ، في السادس من حزيران ها قد مر على محنتنا يومـان ، والطيران خرق حتى عاداتنا ، فعطل استراحة الاسبوع ، في هذه الضيعة او تلك ، في خيزران ، على ضفاف القاسمية ، وارشف ما تبقى من قهوة فـي « الركـوة » ....

يرتفع خارج المنزل صوت يقول (وصلوا الى البص قطعوا الدوار !..) اقفز الى الفرندا الشمالية ، فتوضح السيدة القائلة (اليهود علـى البص) . اتطلع باتجاه مكتب الحزب فاجد احمد واقفا اصرخ عليه لاستفسـر منه ، فيبلغني ان الخبر غير مؤكد . اطلب منه مزيدا من الاستيضاح وابلاغي لاحقا. ينطلق صوت قذيفة فاعود للزوايا الامنة داخل المنزل ، ويأتني وضاح لاحقا ليخبرني .. فاستفسر منه عن اخوته واشعر بالراحة مجددا لوجودهم فـي الملجـأ ....

ويسألنـي :

ـ ماذا ستفعـل يا بابـا ؟!

أجيبه بصوت مكسور وحزين :

ـ لا شيء لقد وقعنا في المطب الصعـب ...

ويتواصل ازيز الطيران والهدير ، حتى انك لا تقدر ان تميز بين الاصوات ... الجو تكتنفه سحب الغبار والدخان وتملأه ، ورائحة البارود تزكم الانف ويختلط الهدير مع الدوران حول الذات ، حول المجهول والمستقبل القـاتم وينعدم التمييز بين دوران الرأس ودوران الطيران .. شيء مـن الاسبـرو و « الترانكسن » المهدىء للاعصاب ، ومزيد من الجيتان .

ويتواصل الهدير مع اصوات القذائف والانفجارات وتتعالى صيحات النساء بين القذيفة والاخرى ، اصوات كلها رعب وخوف وتوجس ، تضرع للخالق ، ومع سقوط قذيفة هنا او هناك ، لا بد من احتراق منزل او متجر ومقتل وجرح صاحبه او احد افراد العائلة ، وبين الاصوات المرعوبة ام تبحث عن خبـز لاطفالها او ماء ، وتتسابق في حركتها مع تواصل القصف واستمرارية تساقـط القذائـف ..

مسكين شعبي ، يحرق ، يقتل ، يستنزف . فتيانه يقاومون بكفاءة عالية مع شعورهم بعدم توازن المعادلة العسكرية ، وتصل المقاومة ، مع البعض ، الى حدود الانتحار الذاتي ببطولة وبسالـة .

حتى الان تتمحور المقاومة حول الرد على الطائرة بالمضاد وعلى القصف بالقصف ويغير الطيران بكثافة على هذا المربض ، او ذاك لاسكاته . وتأكـل صـور نصيبهـا .

تصرخ زوجتي ، بعد احدى الغارات الجوية بصوت كله توجس وريبة قائلة : انزل الـى الملجـأ ! ..

واقفز من الفرندا الشمالية المجاورة للملجأ فأشعر بفك في رجلي وادخـل « الملكـوت الامن » ! ·· وهل يمكن ان يكون آمنا من القذائف ؟·· والتـي تبلغ الاطنان المتفجرة والحاملة لجحيم الموت والدمار ··· هل من « ملكوت آمن » على احفاد « يشوع » ؟ ·· والذي قال : ابقروا بطون الحبالى واقتلوا الاطفال ولا تعفوا الا عن الزانية ··· » اي ملكوت آمن من عدو شرس ورث

عن نازية هتلر بحقه ، نازية متطورة ، وامتلك الى جانب الحقد التاريخـي على البشرية جمعاء كل وسائل الدمار وفهم معالجـة شتاته التاريخـي بتشتيت غـيره ؟!··



٤ ـ صيدا ، عاصمة الجنوب ونصيبها من القصف





٥ ـ الغزو حو ل بلدنا لارض محروقة

أخذت في « الملكوت الامن » زاوية احدى درجاته في المدخل الجنوبي الضجيج وصراخ الاطفال يتعالى ويحجب اصوات هدير الطيران الباقي مدو في أذنـــاي ، وكأنه اثقل الطبلات ، لكن الازيز يتوالى والانفجارات تعنف وعلى مقربة من « الملكوت الامن » ....

مصدرنا الوحيد للمعلومات بعض الاخوة المقاتلين ، الذين ارتدوا ثيابهم المدنية . لقد بات في حكم المؤكد وصول الصهاينة الى منطقة البص وبـــات دواره حذرا وقد حصدت الــ « ب. سفنات » عددا من دبابات العدو عند مفرق البرج الشمالي وتم اسر عدد من جنوده رغم كثافة نيرانه وتغطيته الجوية .

المكاتب في المدينة والمخيمات باتت خالية من المقاتلين ، بسبب الانتشار العام ومصدرنا الاخر للمعلومات اجهزة الراديو ووكالات الانباء التي تتناقل اخبار الغزو للجنوب اللبناني . والعدو يكثف عملياته العسكرية على امتداد الساحل اللبناني والاتصالات ، مع قيادة الجنوب ، باتت شبه مقطوعة .

وكالات الانباء وأجهزة الاعلام المحلية والعربية والدولية بات لديها موضوعا جاهزا للحديث عنه ، مادة خصبة من المواد التي تفتـــح شهيـــة العـــالم ! الضوء يسلط مجددا على الساحة اللبنانية والملف الشرق أوسطي بكل ملابساته وتعقيداتـــه .

الام الحنون فرنسا ، لها حظها الوافي من النداءات والتصريحـــات ، تعرب عن حرصها واهتمامها بالسيادة والكيان والسلطة الشرعية والى ما لا نهاية من مسلسل التعابير السياسية والتي باتت مألوفة ولا تغيب عن الذهن أو الذاكرة..

وبريطانيا مشغولة ولها عذرها في جزر « فوكلند » .

مجلس الامن يشاور ويتشاور ويأخذ إستعداداته مجددا لعقد جلسة طارئة وأمين عام الامم المتحدة تعنيه الطبخة الجديدة ، من مؤشر عودة فيليب حبيب الـــى المنطقة ، والذي كان في سباق مع بدء التوقيت وهو الحريص عـلـى أن تبقى اللعبة وفق خطة مسؤوليه المرسومة ، وفي دائرة الملعب المحدد لها ويكتمل العقد بصرخات محلية وعربية تطلق من هنا ومن هناك .

المهم الان جحيمنا الذي نحن فيه ، قذائف الطائرات تقترب شيئا فشيئا منا ، وتتواصل الطلعات والمدينة تقصف ، واحدة أصابت بناية عزمي ، أخرى أصابت تمثال جنبلاط ... ويستمر مع ذلك دوران الرأس نتيجة كثرة الروائح المنبعثة من الملجأ .

ومع المساء ، يشتد القصف ويعنف ، وتنقل الاذاعات نبأ تقدم القوات الغازية والمغيرة من محاور عدة ، والقذائف تزرع الرعب تزرع الموت ، تزرع الدمار في كل مكان في المدينة ، دون أن يعرف الوضع متسعا للراحة ولو للململة الاشـــلاء والضحايـــا .

الملجأ « ملكوتنا الآمن » يغص بروداه ومرتاديه ، من مختلف الاعمار • والمضادات تسترخي الى الصمت ، بعد أن ضرب الواحد تلو الاخر ، ويتساءل الكثيرون : لما قصف المدينة بالطيران وقذائف المدفعية ما دامت المقاومة قد انشلت وسائل دفاعها ؟ لما هذا المسلسل الرهيب من العنف الذي لا مبرر له ؟ ومن أين الجواب ؟ وتتضرع النسوة والشيوخ والاطفال وينتظرون لحظة الفرج ، لحظة توقف القصف ومن أين للقصف أن يتوقف ؟

ومع المغيب • مغيب الشمس تزداد الامور حدة وضراوة • لا يقدر أحد أن يخرج ولا يستطيع أي كان أن يأتي الينا ، والظلمة تخيم على الملجأ والنفوس المأوية فيه ، الكهرباء انقطعت منذ مساء الجمعة وكذلك المياه ، أزمة نور وأزمة تموين ، وأزمة ماء ، ويتعاون الجميع مع بعضهم البعض لتلبية حاجات الاطفال والصغار ويضاء الملجأ بالمصابيح العاملة على الغاز والبطاريات وتبقى الاذاعات شغالة والابرة تتنقل بعصبية محركها من محطة لاخرى •

ليلا قذيفة مدفعية تدوي ، نحس انها اخترقت « ملكوتنا الآمن » انها أصابت البناء المجاور غربا على بعد أمتار قليلة ، اخترقت الطابق الارضي ، وعند منتصف الليل قذيفة أخرى ، تصيب بناء مجاورا اخر ، انها سقطت على سطح البناء الذي أسكن فيه • وتكاد تحس أن قذائف المدفعية توزع بالعدل والقسطاس على مختلف أبنية المدينة ليلا ، مثلما توزعت قذائف الطيران نهارا •

من حين لاخر يستطلع بعض الموجودين مكان تساقط القذائف وينقلون أماكن توزعها عبر مراقبتهم من باب الملجأ ، سقطت واحدة في شقة زيد وأخرى في شقة عمرو •••

ومع الفجر تخف حدة القصف ويتسلل بعض الناس الى بيوتهم لتفقدها أو تفقد عزيز عليهم واصطياد ما تيسر من التموين والماء ليعود كل واحد منهم حزينا ينقل خبرا مشؤوما : مات فلان ، وجرح فلان ، وأصيبت شقة فلان •••

هذا هو حديث الساعة وعما يكون الحديث غير ذلك ؟ ، اليهود على أبواب المدينة ينتظرون ساعة الصفر ، ساعة الدخول •••

أخرج وأحس بألم في رجلي فادخل الى المنزل لاعود بعدها ، كي أتوقف ، أمام مدخل البناية ، بين جمع من الناس وهم ينظرون الى رهط من دبابات العدو جانب الاستراحة ، وقد امتد كأسنان المشط ••• ويأتي الينا بعض القادمين ، طالبين من الناس التوجه للاستراحة (١) قائلين بنتيجة المفاوضات بين المطران حداد والصهاينة بواسطة الصليب الاحمر الدولي ، تم الاتفاق على وقف قصف المدينة ودخول قواتهم اليها بدون مقاومة •••

أتطلع حولي ، فأجد بعض المسؤولين في تنظيمات فلسطينية ولبنانية ،

ـ الاستراحة : فندق سياحي على شاطىء صور



٦ ـ مقر المجلس السياسي لمدينة صور بعد قصفه بالطيران

مغلوب على أمرهم ، يرتدون ثيابهم المدنية وتسيطر عليهم مشاعر الحيرة والنكبة ، لا يستطيع أحد منهم أن يحدد موقفا ويأخذه على عاتقة ٠٠٠ واذا بصور المكتظة بشريا تزحف كالسيل باتجاه الاستراحة ٠٠

جمعت أسرتي وتوجهت في سيارتي مع المتوجهين ، واذا بي أشاهد عن كثب حجم الخسائر في صور الحزينة ٠٠٠ ، والتي أشهد حزنها مرة أخرى بعد توقف القصف البري والجوي والبحري وقد باتت المدينة ساقطة عسكريا ٠

« صور » الحزينة دنست رمالها مع مطلع الفجر بأرتال الدبابات البرمائية المنتشرة ، مدافعها خوازيق منصوبة لغير شعبنا الحي المناضل الصابر ، خوازيق لحكام متخاذلين ، لان شعبنا يجعلها ترتجف رعبا وهلعا من ارادة قاذف « ب سفن » قد يكون متربصا هنا أو هناك ، واذا غزرت نيرانها فمرد ذلك لهلعها وخوفها ٠

شمس الصباح تطل مكسورة الخاطر ، منهكة من سحب الدخان وحرارة الانفجارات ، أشعتها تبدو ملوثة بلهيب الحرب ، تطل وتشرق شاهدة على رتل الدبابات البرمائية ، شرقي الاستراحة ، وعلى امتداد مساحات ، النظرة الى



٧ ـ بوابة صور وساحتها الرئيسية بعد وقف اطلاق النار

هذا الرتل تبعث الرعب ، ولاول مرة في حياتي أقف مقابل اليهود وجها لوجه ، وأشعر أنني وقعت في الفخ الذي نجوت منه في اجتياح ١٩٧٢ عندما كنت في بنت جبيل ، حقيقة كان لدي فرصة للخروج ، أما الان فكل المعابر مغلقة في وجهي ورجلي تزيد « الطين بلة » بوجعها .

الحرائق ما زالت تلتهم شقفا قصفت في صور ، وسحب الدخان ترتفع من بنايات المدينة الحزينة . قذائف الطيران والمدفعية لم توفر زاوية الا وزرعت فيها الدمار ، والسيل البشري ، الذي انهمر ، نحو الاستراحة ، ما زال يتدفق وكيف لا والمدينة تضم في حجمها الصغير الممتد داخل البحر ما لا يقل عن مئة ألف نسمة ؟ ...

في مدى النظر ، في البعيد خلف البص ، المقاومة لم تنته . في البرج الشمالي وعلى امتداد البساتين ،طائرات تغير وقذائف تتساقط ، لا شك أن صاحبنا « بلال » (١) لن يستسلم ، حتى يفرغ ما في جعبته ، لاخر طلقة والناس تتحدث عن عملية البص، التي قام بها « سرحان »(١) ومجموعته . المقاومة مستمرة لكن أين وكيف ؟ ، لقد توزع الشمل . وسقطت المدينة ، لم يبق الا تمشيطها ..

أتحرك محاذرا أن أبقى بعيدا عن مرأى العملاء والجيش الغازي ، الذي تحميه قوته وكثافة نيرانه ، أتحرك لألتقي بالمعارف والاصدقاء والتباحث معهم في الوضع واذ بي ألتقي أعضاء من مجلس صور السياسي وعددا من الوجوه الوطنية ...

أحدهم ، قال نحن على عتبة مرحلة جديدة ، سنناضل مثل نضال الضفة والقطاع واخر تكلم عن تأثير العصر الاسرائيلي على الساحة العربية ...

أدخل باحة الاستراحة ، فاذا بالجيش الغازي يطلب تجميع الناس في الخارج على الرمل والمسير باتجاه الرشيدية ...

ونكتشف أن الرشيدية لم تسقط ، ويريدون دخولها محتمين بالمواطنين ، مواطني صور . واذا بعدد من الناس يتجمع في الخارج ... انها لورطة ما بعدها ورطة ... هل يعقل أن أسهم في اسقاط الرشيدية ؟ وهل أذهب بهذا الشكل المهين ؟ لا وألف لا ، ان اصابتي في رجلي تشكل لي عذرا ، سأحتمي في الصليب الاحمر ومع المرضى ، وألتقي أحد الاطباء فيقترح تلوين رجلي بالدواء الاحمر وأقترح عليه لفها بالشاش ، وكان ذلك . وما كدت أفرغ من محاولتي ، حتى أطلقت قذيفة « ب سفن » باتجاه الجمع من منطقة البص وانفجرت فتفرق الجمع وعاد الى الاستراحة ...

حفلات العناق والتهنئة بالسلامة تتواصل ، كلما التقت الوجوه والحذر هو المنطق السائد . وها هوذا أحد العملاء من الناقورة قد بكّر بالمجيء وشاهد

بلال : ضابط في المقاومة تصدى للغزو وقيل أنه استشهد
سرحان : ضابط في الجبهة العربية

عددا من أولاد بلدته ، مثلما حضر عملاء من القطاع الاوسط من رميش ودبل٠٠ وأبقى بعيدا ، صحيح أنني أتمشى على البحر لكن بمنأى عن العملاء حاليا ، وضمن دائرة المعارف والاصدقاء ٠ وها هوذا صديقنا ، السيد هاشـم معروف ، يجلس مع شلة من رجال دين ومدنيـــــين وألتحق بهم لأقضي بعض الوقت ، وصاحبنا من حين لاخر يدغدغني ممازحا ومعربا عن امتعاضه من الاحتــلال وشاكيا من ارهابهم وقسوتهم ٠

الطريق كما يقال « الشط الشط » سالكة باتجاه المدينة وتراني أتقدم باتجـاه منزلي وأعود أدراجي لشعوري ان وجودي بين المواطنين ، يشـــكل ضمانـــة وحماية لي وها هم بائعو المواد الغذائية قد أحضروا بضاعتهم الى الشـــاطىء وبدأوا بالبيع ٠ بالكاد تستطيع أن تجد بعض البسكويت ، أما الخبز والمعلبات بشكل عام لا داعي لان تسأل ٠ لقد نفد كل شيء والناس كالجراد ٠

حجم الكارثة كبير بشريا وماديا ، وصباح هـــذا اليوم ، تم دفن مواطن في جنينة الاستراحة ، ويتحدث الناس عن جرحى ماتوا تحت الانقاض ، لان أحدا في لحظتها لا يستطيع مساعدتهم وعائلات بكاملها قد قضت ، لا حول ولا مكان للرحمة أو الشفقة في الحرب ، ومن ذا الذي يشفق ؟ خاصـــة اذا كان الغـزاة صهاينـــة ؟

حدد الغزاة موعدا لدخول المدينة وتمشيطها الساعة الثالثة بعد الظهر ، وها هي آلياتهم وقواتهم الجوية والبحرية والبرية ، نشاهدها بأم العـين ، تأخـــذ استعداداتها للدخول ، وتنتصب مدافع الدبابات وتوجه غزارة نيرانها باتجـاه الابنية المقابلة وتلتهم النيران شققا جديدة وفرّها القصف السابق ٠٠٠



٨ ـ مئذنة جامع المدرسة الدينية في صور أيضا مستهدفة !٠٠٠

ما أمرُ هذا المنظر وما أقساه .. مواطنون يرون منازلهم تحترق بأم أعينهم، يشاهدونها كأنهم يشاهدون فيلما تلفزيونيا . ما أمرّ هذا المشهد ، ما أقساه ، وتسمع صراخ نسوة ، لما هذا العمل ؟ بيتنا جنى عمرنا يحترق، ونتفرج عليه، هل يعقل ذلك ؟ وفي أية شريعة ؟ ونبدأ بتحريض النسوة ، أما السيد فتنتفض أعصابه وشعرات لحيته تنتصب ، يثور متسائلا بدوره . وتقوم الصيحة بين الجمع ، لكن مع من تتحدث ؟ من تكلم ؟ لا أحد ، والغاية دفع الجميع نحو الاستنكار واظهار صورة المعتدي ، الذي يتحدث عن نفسه بنفسه .

وتتقدم الدبابات آخذة في دربها كل سيارة تصادفها ، تقفز فوقها ، فتحولها الى أنقاض ، ركام ملتصق بالارض . والنيران شغالة لا يهدأ لها حال ، وتنطلق رصاصات مقاومة ، والجمع يراقب بأسى ، ويقال « سرحان » مختبىء في احدى البنايات ، وتنهال القذائف على بناية الثانوية وبناية « شيخ الضيعة » وكل البنايات المجاورة ، ويحتجب بعد الثانوية رتل الدبابات ، لم نعد نرى وجهة سيره انما كنا نتحسسه من القذائف المتواصلة والدخان المتصاعد ، واذ بالقذائف تصوب نحو مئذنة جامع « المدرسة الدينية » ، ليس عندهم محرمات وتثور ثائرة السيد وأذكّره بقول «يشوع» المنسوب للتوراة والذي خلاصته أن الحرمات تجوز على الزانية « رحاب » فقط لدى دخول أريحا !... (١)

والمزمار الجديد هو النوم في الاستراحة ، نعم في الاستراحة ، مئة ألف بشري يجب ، ويفرض عليهم ، أن يناموا حفاة عراة جياعا على شاطىء البحر . تتلملم أسرتي مع الاسر الباقية ، أمي تحتضن طفلة ، وزوجتي تحتضن الثانية، أما الكبار من أولادي فيتدبرون أمرهم ... والنوم مفروض بحجة عدم الانتهاء من تمشيط المدينة .. هذا كذب لانه ليس بمقدورهم الدخول الى كل بيت ، جبنهم يحول بينهم وبين الدخول ، ويعتمدون فقط كعادتهم على كثافة نيرانهم المصوبة ، لتدمير مالم ينل نصيبه من التدمير ، فكيف لو تراءى لهم شبح من بعيد ؟ لو كانت بين أيديهم قنابلهم الذرية لقذفوه بها ...

النية واضحة وجلية لديهم ، عندما عاد رتل الدبابات مع المغيب ، أجهز على اكتساح سيارات جديدة ، لم يدمرها في لحظة انطلاقه ، وتنام صور مدينة اشباح خاوية من أهلها ، ربما لاول مرة في تاريخها وتاريخ الغزو الذي تعرضت له على مر التاريخ ، وأهلها مرميون على شاطىء البحر ، مغلوبون على أمرهم .

لمن تشتكي صور أمرها ؟؟ لمجلس الامن ؟ معاذ الله .. للجامعة العربية ؟ أستغفر الله ، لمنظمة الاونيسكو الدولية ؟ التي يفترض بها حماية الامكنة التاريخية ؟ ومن أولى من صور بالحماية وهي أم الدنيا ومدينة التاريخ ... معاذ الله أن تحمى من الحاقدين على التاريخ ومرضاه . من سفلة التاريخ وحثالة البشرية ...

يشوع : راجع سفر يشوع ـ التوراة ـ الاصحاح السادس عشر

تنتابني مشاعر غريبة أبرزها الحقد ، وأحس أن حقدي مشروع ، مثل حقد شعبي ، مثل أبناء المدينة المحروقة المظلمة المدمرة التي ما زال بين ركامهـا جرحى يئنون ألما وينتظرون المخلص أو الموت ، المدينـة ، التي أحسسـت بحبها مثل حبي لمسقط رأسي ، ولما لا أو لم تشكل مسقط رأس الغديد من أحبتي ومكان ولادتهم ؟

صور الحزينة تشتكي أمرها فقط لابنائها ، الذين سيأخذون بثأرها في يـوم من الايام ، ويحولون الحقد المشروع الى بطولات وتضحيات . سـوف ينتفض هذا الذل في يوم ما كبرياء وكرامة ، وسوف يدفـع الحاقـد الغـازي ثمن حقده وغزوه ...

امرأة جاءها المخاض في عيادة الصليب الاحمر الدولي ، ويتصـل المعنيون بالجيش الغازي ، الذي يحاول عبثا اظهار مشاعر انسانية فينقلونهـا بطائرة هليكوبتر عسكرية الى مستشفياتهم ...

الطيران ، حتى ليلا ، له الصولة والجولة ، ومن حين لاخر تتحرك جيـوب المقاومة بين البساتين لتلتهب المعركة من جديد ، ويضـاء الليـل بالحرائق والقنابل المضيئة .

لا شك أنهم جبابرة هؤلاء الذين يواصلون المقاومة ، كان عـلي أن أجيد استعمال السلاح ، نشأت في وسط البارود ولم أتمكن من اجادة اللعبة ، كان علي أن ألعبها ، وأشعر بالندم وبعقدة الذنب .

وتتوالى الساعات تلو الساعات ، والتساؤلات تطرح نفسهـا الى متى سنبقى هنا ؟ متى تبدأ حملة التوقيف والاعتقالات في هذا الجمع الغفير من الناس ؟؟ تعهدوا للمطران أن يدخلوا صور سلما . ما مدى صحة تعهداتهم ؟ لقـد قصفوا المدينة بدون مبرر وهي خاوية من السكان ، ولم يسـلم مـن أيديهم حتـى مئذنة الجامع ...

وتعهدوا له بعدم اعتقال أحد بحجة أن ما مضى قد مضى .. وهل يعقـل ذلك ؟ التساؤلات تطرح نفسها ، وصاحبنا المطران لو كان موجودا لحظة تمشيط المدينة لانفجر غضب الناس في وجهه ...

وتمر ساعات الصباح رتيبة مملة ، لم يعـد أحـد يهتم بالاخبار ومتابعـة التطورات ، ولما المتابعة ؟ المدينة سقطت ، وها هم سكانها بكاملهم محتجزون كرهائن ، كأسرى ، يدركون حجم الكارثة على مستوى المدينة والوطن الجريح المستباح ، وتبقى الطريق عبر الشاطىء سـالكة نحو المدينة الخاويـة حتى من الغزاة ...

عصر يوم الثلاثاء ، في ٨ـ٦ـ٨٢ ، أشاهد بعض أفراد قوى الامـن الداخلي الذين ارتدوا ملابسهم العسكرية والى جانبهم مسدساتهم ، ما هذا ؟ وما الـذي حصل وسيحصل ؟ منذ أمد طويل لم يظهروا بهـذا الزي .. ويلتفت أحدهم نحوي ويقول لي : ماذا تفعل هنا ؟ أو لم تشاهد العملاء يتلقفون في الصباح من

هم دون وضعك بكثير ، حاول أن تهرب .
لم أجبه لاني قررت البقاء وتحمل النتائج ..

شاحنات بدأت تتجمع على رمال الاستراحة ، وطوق عسكري حول الجميع ، ستبدأ حملة الاعتقالات ، وفجأة يطل المطران مع الضابط الصهيوني ويبدأ فرز المواطنين ، فيرتفع صراخ النسوة .. لقد جاء دور رجالنا وأولادنا بعد أن دمرت البيوت ، « يا لخراب البيوت » . لن نسمح بذلك وسنكون معهم هنا . ويرتفع الصراخ ، ويحس كل واحد أنه مستهدف ، ويتدخل المطران وتتوقف الحملة ويسمح لمن يشاء بالذهاب الى منزله على مسؤوليته ، ضمن طوارىء ومحاذير أمنية ويفك الطوق ويسير الاهالي نحو المدينة للملمة الجراح من جديد ، لا يختلف مشهد أبنائها وهم سائرون عن مشهد السبي بكثير ، وأعود بسيارتي التي نجت من جنازير الدبابات ومجزرة السيارات حاملا أسرتي حزينا كئيبا الى المنزل ، محاولا استطلاع حجم الدمار اللاحق بالمدينة ..

صورة لا تصدق ، السوق التجاري والمدينة القديمة كلها ركام وأنقاض ، مدمرة شبه تدمير نهائي ، الطرقات في غالبيتها مقطوعة بسبب الركام والاسلاك المتدلية حيثما توجهت ، وأهرب من المشهد مجددا نحو المنزل ، لا أريد أن أرى أرضي بهذا الشكل فلتأتي منظمة الاونيسكو ، كي ترى ، وليأتي كذلك حكامنا العرب ...

كان قد سبقني الى المنزل صباحا ، أولادي وزوجتي عبر خط الشاطىء ، وقاموا بتجميع زجاج الابواب والشبابيك المكسرة ، في المنزل لا يوجد كهرباء ، والماء متوفر لان الخزان مملوء سابقا ، والاسر التي تسكن البناية قلة لا تذكر . أدخل المنزل مع مغيب الشمس والصمت يخيم على الجميع ، حتى الان نجونا من الموت لكن الاتي أعظم ، ونترقب الاتي القريب وجيش الغزاة بدأ بدورياته المؤللة داخل المدينة ، والظلمة تلفها والخراب يفرض نفسه في كل مكان .


٩ ـ جيل يشكو لجيل !.. ومع ذلك سنبقى ونتواصل


١٠ ـ موت ودمار .. لكن الجذور صلبة ولن نقتلع

عملاء العدو بدورهم بدأوا يسرحون ويمرحون ، وحديث الجميع عن الموت والدمار . مكاتب تداهم وتخرج منها الاسلحة في شاحنات ، كـــل الامور باتت جاهزة للعملاء ، كأسيادهم ، ليس عندهم موانع وحرمات ، حثالة البشـــر ، تسرح وتمرج ، تتحكم بشرائع بأنظمة وأعراف شكلت في يوم من الايام خلاصـة التطور البشري ، أين شرعة الامم المتحدة ؟؟ أين شرعــة جنيف ؟؟ أين ... أين ، أين ، قدس الاقداس ؟ من يحمي ، من ينقذ ؟؟ من يرعى ...

عدو شرس بسط سلطته على الارض ، احتل بلدي ببساطة . عدو تتلمذ على يد النازية فجاء يطبق ما عانى منها ، يطبق خلاصة الحقد البشري واستخـدام العملاء السفلة الحثالة ، كجزء من هذه الخلاصة ، مرة أخرى وببساطة متناهية نحن أمام واقع مرير ، أرضنا محتلة ويختلف المحتل الحالي عن أي محتل اخر في تاريخ البشرية . كان المحتلون الاوائل ، وبشكل عـــام ، وحتى المستعمرين منهم يدّعون ، وبغض النظر عن صحة أو عدم صحة ذلك يدُعون أن لهم وجها حضاريا ، أما المحتل الخالي فلا يملك سوى الحقد البشري ، ويباهي بحضارة يدُعيها كانت قبل التاريخ ، حضارة تحدث عنها في توراته وتحدثت عنها كتب متباهية بأنها حضارة قوم لوط ويوشاع القاتل السفاح ، ببساطة ، العداوة ليست في جوهر ومضمون تصرفاته فقط وانما في شكله الفاضح .



١١ ـ تكميلية صيدا وملجاها الذي حوّله الطيران لمقبرة جماعية ..



١٢ ـ العرس الذي تحول الى ماتم !...



١٣ ـ الطفولة لها شكواها ، باسم أية شريعة يجوز قتلها !؟...

تجميع المواطنين وحملة الاعتقالات :

صور التاريخ يعبث بها سفلة التاريخ وحثالة متعاملة مع حثالة وسفلة البشر ، وتلتحم مسيرة شذاذ الافاق مع الشذاذ الجدد الخارجين على منطق التاريـــخ ومســـاره ....

صور الحزينة تلفها الظلمة والاسى ، وللمجاعة وفقد التموين أيضا مكان في خارطة العذاب ، أسر وعائلات تفتش عن أمكنة تأوي اليها بعـــد أن دمـرت منازلها ، وتفتش عما تقتات به بما تيسر من مواد وحاجات ، مثل تفتيشهـــا عن الماء بالاضافة للبحث بين الركام وأنقاض الابنية المنهارة عما تبقى من الامتعة أو جثث الاحبة والاقارب .

ويمر الليل بكامله وسط الظلام مذعورا خائفا بالتوجس والريبة من كل حركة في الخارج ، ويقطع صمته المرعب حركة العدو بين الحين والحين ويطل الصباح مع فجر حزين جديد .

بما توفر من الماء حمام ساخن ، ثم فطور صباحي واستراحـة في الصالون ، بأعصاب مشدودة ومستنفرة جاهزة لكل التوقعات المرة والصعبة .

قافلة مؤللة من جنود الغزاة تطوق بناية مواجهة وتدخلها ، ربما أخطـــأوا المكان . وبعد حين شيء من الانفراج ، بانسحاب القوة لتعود وتأخذ موقعها في مدخل البناية التي أسكنها . أنتظر المفاجأة المرتقبة ، مفاجـــأة الدخول الى المنزل والاعتقال في حالة حذر وترقب ، والانظار مشدودة كالاعصاب باتجـــاه منزلي ، أنظار من تجمع من المواطنين في زوايا الشارع .

صمت مطبق لاطفالي ، والحزن والاسى باد عـــلى ملامحهم ، وفي العيون حسرة ممتزجة بالبراءة .

وتذهب القوة من حيث أتت ، ليتها تذهب الى غير رجعة ...؟ حسرة ملء الجوارح تخنق الانفاس ومع ذهاب القوة المعادية يرتفع الكابوس عن الصدر ، صدر الجميع ، كابوس ممتزج بالرعب من هدير الدبابات المعادية ووجوه جنود العدو الذين أسكرهم الاحتلال ، والشعور بالقوة مع الحقد ونظرات العـــدو والجبن البادي على ملامحهم .

ومع ذهاب الدورية المعادية تنطلق سيارات العمـــلاء بأسلحتهم في مختلف الاتجاهات ، انهم زاحفون من الشريط الحدودي ، همهـــم الغزو والمكاسب وعيونهم على المكاتب والشقق ، للسلب والنهب ولمكتب الحزب ، المجاور لمنزلنا حظه ونصيبه .



١٤ ـ صور وحشر المواطنين مقدمة لاعتقالهم

الساعة تجاوزت الحادية عشرة صباحا والاسى والوجوم يلفان المدينة ،زوجتي عادت لتوها ، بعد التزود ببعض الحاجيات المنزلية ، بمـــا تيســـر ، بأبهظ الاسعار وعلى طرفي شفتيها ضحكة حذرة وخبرية ، خلاصتها أن المطران استقبل بعض ضباط الغزو ، حيث التقوا عنده بحشد من المواطنين بينهم بعض كوادر الاحزاب الوطنية والوجوه المعروفة وجرى تجديد الوعد له ، بعـــدم حصول اعتقالات أو التعرض لاحد . واستطردت بأنه جرى الاستفسار عني ...

صيحة تنطلق في الخارج ، صيحة نسوة وأطفال ، تعلن عـــن قنبلة غـــير متفجرة قد غرزت في الارض وبان صاعقها فقط ... يجري تحذير المارة مـــن ذلك ويطلب الاستعانة بقوات الاحتلال لتفجيرها ...

صور الحزينة الثكلى المدمرة تفارق عهدا قضى ، لتلتقي بعهد جديد مفروض عليها هو عهد الاحتلال الصهيوني ، لا شك أن كابوسا ثقيلا ورهيبا يجثم فوق صدر المدينة من جديد ، المدينة التي كانت لها خبرة تاريخية مع الغزو وعلى مر التاريخ .

أنباء انتشار القوات الصهيونية تتناقلها أجهزة الاعلام في مختلف اتجاهـــات الجنوب وأنباء المعارك المعيقة لهذا الانتشار والعالم ضالع وغارق الى مـــا فوق أذنيه في متاهات الجريمة الجديدة ، ان لم يكن فعلا فصمتا بمثابة رضى ضمني .

بعض الزوار المحدودين يتسللون خفية الى منزلي ، للاستفسار عني ، دون أن أدري ، بأنني ألقاهم للمرة الاخيرة ، مثلما أتناول غذائي الاخير في المدينـــة المذكورة وزوجتي بعد جوع الايام الفائتة حضّرت لي أكلي المحبب .. ومن أين لي أن آكل واللقمة باتت مغمسة بالقهر والاحتلال الخانق ...

تطوف سيارة معادية عليها مكبر للصوت ، يعلن ، بالعربيه لكن بلكنة عبرية دعوة المواطنين ، الذين هم بين سن الخامسة عشرة والخمسين للتجمـــع مجددا على البحر مقابل « بيت الخليل » في الساعة الرابعة بعد الظهر ... مهـــددا ومتوعدا كل من يتخلف ...

التفت الى زوجتي وخاطبتها ، أن اليهود معروفون بنقضهم لـكل العهود ، انهم مكرة فجرة بطولتهم مبعثها الخوف والجبن ، وهم قوم لا يكنون ســوى العداء والحقد التاريخي ، وها أنذا قد صممت أن أبقى ضمن الاحتلال وسـوف أتحمل مسؤولية قراري ، لن أهرب ، لن أتخفى ، مهما حصـــل لي ، يبقى أفضل من وطأة التهجير وترك الارض ، سأذهب الـــى التجمع وليكن مـــا سوف يكون ...

ويطل علي في هذه اللحظة مزايد مماحك ، يلوك الكلمات ويعهّرها ، يـا رب انه زائر ثقيل ، بالامس كان يتخيل نفسه في صلب وقمة العمـــل الوطني المعادي للصهيونية ، ويصور ذاته على هذا الشكل وغدا سيلتحق ويستظل بظل قريبه المتعامل ، وأغلق أبواب المماحكة في وجهه عبثا وبدون جدوى ...

وأخرج أخيرا من المنزل برفقة قريب وألتقي مع الثنائي أبا ابراهيم والكعور ، وأبلغهم أنني قررت الذهاب للتجمع ، فيودع أحدهمـــا سيارته أمـام منزلـي ونذهب سويا ...

زوجتي تلاحقني وأولادي يطلبون مرافقتي فأرفض ، باستثناء وضاح وعلي ، يغضب مازن وتدمع عيناه .. وتودعني زوجتي بقبلات ممزوجة بالدمع وأعطيها ما في جيبي من أوراق غير شخصية ، وأرفض أن توصلني بالسيارة .

حشود من المواطنين يسيرون باتجاه واحد ، اتجاه التجمـــع ، أقطـع خط الاستراحة شرقا وأتذكر صديقي وجاري « العلامة السيد » أمام منزله .. وأحسم الامر ، ولماذا ؟؟ لن أتخفى ، وقد اعتدت أن أكون خفيف الظل عـلى معارفي وأصدقائي ، وبعد حين تمر سيارة أحد زبائن مكتبي ... ، وأجيب نفسي لن أخرج من صور ، أو ليس لدى الصهاينة قوائم أسماء ؟؟ ماذا أفعـــل بوجهي المعروف وباسمي المتداول ؟؟ وأنا ابن الشريط الحدودي ، ومن دون شـــك عملاء الشريط مزروعون على كافة المفترقات والحواجز الصهيونية ...

هكذا كان التصور ، وهكذا كانت أجهزة اعلامنا تغرس في نفوسنا وأذهاننـا بأن المخابرات الصهيونية على دراية بكل شاردة وواردة وتعرف كل التفاصيل ودقائق الامور ...

لا شك أنني واقع تحت تأثير حالة من الاستسلام للعـــدو ، لكن المعطيـــات والمؤشرات كلها تدلل على عدم قدرتي لمقاومة الامر الواقع المفروض .

ونطل ، ونحن نتجاذب الحديث بمرارة علـى حشد بشري هائل فـي « التجمع » وندخل ضمن الطوق المحاط بجنود العدو وفي الجهة المقابلة شـارع البص وعليه عند مدخل المخيم الشمالي رتل كبـــير من الدبابـــات والاليـات والجنـــود ..

داخل الطوق لا يقل عن عشرة الاف من البشر ، الخوف هاجس الجميـــع والكآبة بين تجاعيد جبهات وجوههم ، وتنطلق من حين لاخر صرخات يجابهها

أحد الجنود بمكبر للصوت قائلا : « شاكت » (١) « أقعد على طيزك » والجميع على الارض الرملية قاعدون ···

رمال صور وحرارة حزيران ورائحة الاحتلال كلها مجتمعة تزيد من حالـة الخناق المفروض ومن حرارة الجو ···

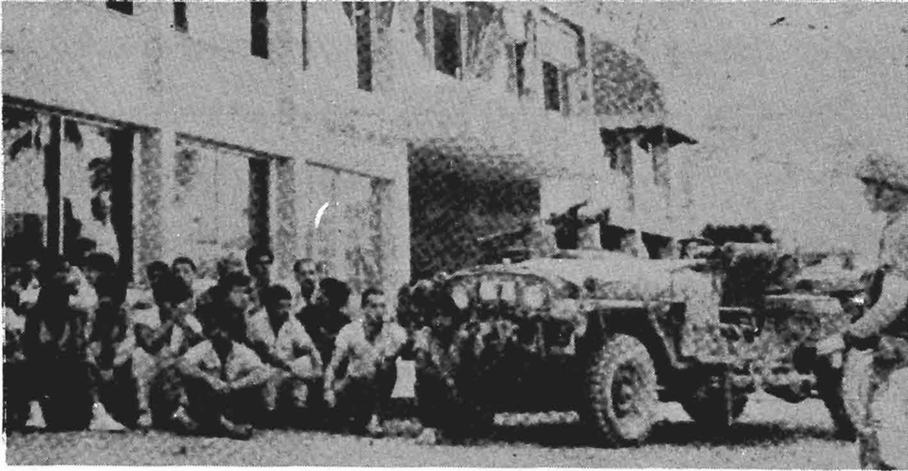
لا أحد يقدر أن يفلت أو يتفلت من الطوق ، لقد حاول الدكتور البيطري ان يمر الى داخل الطوق عبر غير الممر المحدد ·· فاستنفر عليه جنود الاحتـلال بأسلحتهم ···

الدخول الى المركز الصهيوني عشرة ، عشرة ··· وأحيانا يجري الاستدعاء ببطء · ظروف تسلط مفهومة ، قوات لديها نشوة الاحتلال والغطرسـة ··· ويتدافع المواطنون باتجاه العبور الى المركز بعد أن أوشـكت الشمس أن تغيب وما زالت جموع هائلة على رمال الطوق تنتظر ، ومع التدافع ووقوف البعض ينطلق صوت حامل مكبر الصوت بعبارتيه الشهيرتين ويطلق جنود اخرون النار من بنادقهم ···

شاكت : اسكت بالعربية



١٥ ــ الرشيدية والاعتقالات ، وعقدة الكاتيوشا !···



١٦ ـ صيدا ، قمع واعتقالات !٠٠٠



١٧ ـ صيدا مرة أخرى ، ومصادرة حريات !٠٠٠

صديقي الدكتور المثقف ألقاه مجددا يتحـــدث عن « العهـــد الاسرائيلي » الجديد ۰۰۰ ويحاول التنظير للمستقبل القادم بصيغـــة الاستســـلام العربـــي لهذا العهـــد ۰

مكبر الصوت يزعق مجددا معلنا عن حصول معارك مع الطيران الســـوري فوق الجبل وضرب قواعد الصواريخ في صنين واسقاط عشرات الطائرات السورية ويطلب منا التصفيق ، وكلما صفق واحد أحس أنه صفعني على وجهي ۰۰۰

كل الوجوه الواقفة ضمن الطوق معروفة ۰۰ صور بكاملها بشريا ۰۰۰ كـــل من وقع ضمن الاحتلال ما عدا القلة القليلة المعروفة وعددهم محدود ، بـــين الحاضرين من حصل على العهد الموعود والمقطوع ۰۰۰

وتنطلق بين الحاضرين أصوات ، تنبىء عن عمليات احتجاز للبعض ، تتم ضمن المركز الصهيوني ، مركز العبور ۰

ويسترخي الزمن بطيئا متثاقلا حتى أصل الى مدخـــل المركز والى جانبي ولداي وبعض معارفي وتبدأ الرحلة المضنية تشق طريقها ۰۰۰

على المدخل مجموعة مسلحة من قوات العدو والمركز محاط بأشجار حديقـــة أول ملكة جمال للبنان ، تغنى بها الاخطل الصغير ۰۰۰

خلف الاشجار آليات العدو وقواته الضاربة وبعدها بوابة العبور ۰ مجموعة من السيارات التي تضيء احداها أنوار مصابيحها بوجهك ، وأمامها جندي ، وفي داخلها مقنع يؤشر على كل من يحلو له التأشير عليه لتتم عملية الفرز ۰

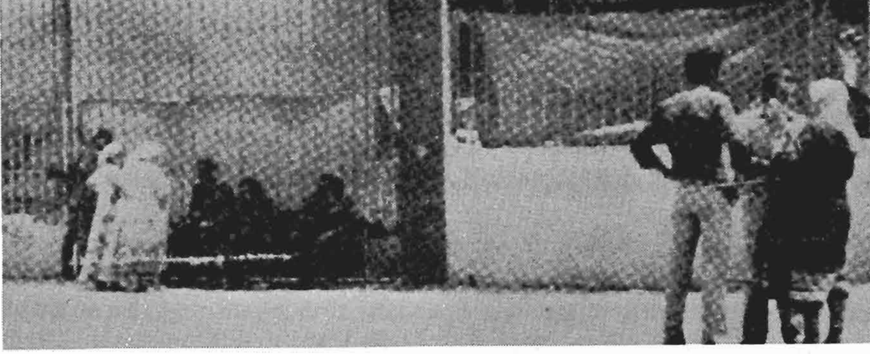
دخلنا حوش المراقبة ، بل مغارة المقنع أمام السيارة ، أربعة ، أنا وولداي وصديق كان يسير أمامي حيث تلقفه الجندي بكتفه مباشرة واقتاده لزميله الجاهز لتلقفه ، ومن ثم جرى التأشير علي ۰ قلت لولداي : الوضـــع صعب ، تدبروا أمركم الحياتي ، وأجابني وضاح مودعا : « شد حالك يا بابا لا تخف علينا ۰۰ » وتلقفني بدوري شخص يرتدي ثيابا مدنية ، بلهجة تدلل على تعرفـــه علي ، وكأنه كان ينتظر هذه اللحظة منذ أمد طويل بقوله : أهلا أستـــاذ تفضـــل ۰۰ ودفعني باتجاه تجمع المؤشر عليهم ، والمحاطين بدبابات تسلط أضواءها نحوهم وهم جالسون أرضا ۰

في المقدمة ، المواجهة للتجمع ، ضابط صهيوني يجلس على كرسي ، ضخم الجثة ، يتكلم العربية من غير طلاقة وبلكنة عبرية وعلي أن أمر عليـــه » فاذا به يسألني :

ـ هل أنت بـــ « فتح » ۰ وأجبته بالنفي وبأنني محام لبنـــاني ۰

رد علي بعبثية زائدة وملحوظة : لا تخف اقعد هناك ۰۰۰

التحقت بركب الجالسين أرضـــا وتطلعت حولي فاذا بي أرى كـــل الوجوه المعروفة مني ، تبادلنا الابتسام ، لانه محظر علينا الكلام ، ومن حين لاخر ، يزداد عددنا واذا بين الملحقين بنا ، صديقنا الاديب ، الذي وقف ممتعضـــا وناشد « الكابتن » وقد باتت عبارة مخاطبة الصهيوني محددة ومتداولة بهـــا ،



١٨ - معمل صفا ، المعتقل الفوري الكبير شقيق معتقل الراهبات في صيدا ...

ناشده معرفة سبب توقيفه ، معلنا عن احتجاجه على هـــــذا الامر ، متصورا صاحبنا بأن الحديث الديمقراطي والحوار والجدل له مكان ومتسع مع العسكر ، وبأن ذلك يشكل ردا على منطق الاعتقال ، الذي ولّده الاحتلال وأفرزه ، واذا بالكابتن يصيح بغطرسة ، مبديا عدم تفهمه لما قاله صاحبنا الاديب وموجزا رده بالقول « شاكت » « أقعد على طيزك » .

ويعاود صاحبنا الكرة بعد حين في التساؤل والاستفهام ، وأحس نفسي وكأننا في فيلم روائي ويطالب بمسؤول لمناقشته ومحاورته والكابتن يزجره ويطلب منه فقط تنفيذ أوامره التي لا تخرق ...

الحصي بدأت تأكل من جنبات أجسادنا والسيكارة باتت عملة صعبـــة ... علبتي انتهت ومع مجاوري بعض سجائر « الكانت » التي لا تروي الصـــدر ، والاضواء مسلطة كالسيف في عيوننا طوال الليل .

من الجهة المجاورة أنين رجل يعاني التعذيب ، ويصرخ أحيانا : أعيدوا لـــي الذهب المسروق من منزلي ...

الصبر له طعم جديد ، مر المذاق لا بل ممزوجا بالحصي والليل الطويـــل وجلسات العز السابقة في هذا المكان مع صاحبه وزوجته الملكة ...

لا شك ان صور ازدادت كآبتها كآبة مع الظلام الدامس ، والرعب ومنـــع التجو لوالاعتقالات ، التي شملت المئات ! كثير من العائلات افتقدت هـــذه الليلة اعزاء عليها من اباء وابناء اختطفوا من بين احضانهم ، بعد ان وفرهم الموت . كيف ينامون وهل تغمض عيون الاطفال والنسوة والامهات ؟؟ لا شك ان اجفانهم ستبقى غاصة بالدمع ، مسمرة على صورة المعتقل في المخيلة التي يلفها ظلام الرعب ! ..

غدا سيطلع الفجر واي فجر كئيب ، سيكون كل فرد في حالة تيـــه مـــع الذات ، والمجتمع كله يعاني من دوران في حلقة مفرغة ومستمرة .

ومع طلوع الفجر وبدايات الشروق ، تتسلل امرأة اخترقت كل الحواجـــر

النفسية لتسأل عن زوجها ٠ ومع رؤيته من بعيد تبكي وتنتحب ويتهدل شعرها الاسود الطويل المبعثر على وجنتيها ويوشيهما الحزن العاملي ، وتشعر الزوجة للوهلة الاولى بالمسافة الفاصلة بينهما ، وعلى قربها منه تحس بسد منيع فرق رغما عن ارادة الخالق ، التي لم تفرق ٠ وتنتهي المقابلة المسموح بها بعد بضع ثوان ، وهي تطل عليه من خلف ملالة لطخت ظل شجرة جنوبية ٠٠

العملة الصعبة باتت نادرة التداول في ايدي تجمع المعتقلين ، السيكارة اضحت « قطع نادر » وفطور الصباح اضحى بدوره جاهزا ، كابتن صغير يلقي ببعض اكياس الخبز المقطع قطعا صغيرة مع حبيبات البندورة على التجمع ، بالكاد يلحق الواحد منا قطعة مع حبيبة بندورة ، يقذفها الى من سماهم معلمه « زيزان الحمامات » وقد تكون معاملتنا قد باتت كمعاملة الزيزان ومعاملة الكلاب ٠

مجموعة « الكابتن » مستنفرة حول التجمع ، يد كل واحد منهم على زناده ترتجف ، رعبا وهلعا ، لقد صورتنا له قيادته اننا وحوش مفترسة ! فلما لا يعاملنا معاملة الكلاب المفترسة ؟ والعينة الوحيدة ، حتى الان ، صاحبنا الذي يئن خلف التجمع ويصرخ !٠٠ ونرى كل واحد منهم يتطلع بهلع ورعب والتساؤلات تدور في خلد كل منا ، ماذا سيحصل ؟! ماذا سيفعله بنا الصهاينة ؟ احتمالات كثيرة ابسطها اننا في يد « الشميت » -١- وبتصرف العملاء !!٠٠٠٠

ومع بدايات التحرك البطيء ليومنا ، تبدأ عملية شحن الصفقة الرابحة !٠٠ نستدعي الواحد تلو الاخر ، في صف منتظم ومتحرك الى خلف احدى الملالات، ولنصل الى مقربة من شاحنة لبنانية ، نوضب بها كما توضب الصناديق ، بل نحشر في صناديق الشاحنات المصادرة وبيننا اصحابها ! كما تحشر الحيوانات ويلحق بي الدور ٠



١٩ ـ النبطية ، جارة قلعة الشقيف

وشكل من أشكال المداهمات !٠٠٠

في الطريق الى المشيرفة (١)

من صنـــدوق الشـــاحنة ألقي طرفة عين على الجوار ، آليات عسكرية تملأ المدى المحيط في ملعب البص ٠ وعلى الشاطىء المجاور لمدخل صور٠، نسـوة يتجمعن في حشد كثيف عند تقاطع مدخل المدينة مع تقاطع سكة الحديد

رتل كبير من الباصات على الرصيف الممتد على طول الشارع وتتحـرك مجموعة الشاحنات جنوبا ٠ الصراخ يتعالى من النسوة وفي محلة البص ، الصيحات الصادرة من الاعماق أحسها مفجوعة وتكاد تلحق بمداها عنـــان السماء وامرأة تحاول القاء نفسها على احدى الشاحنات فيمنعها رتل «الاحفاد» (١) المرافق ويقال لي انها زوجتك ٠ ٠ ٠

ويسير الموكب جنوبا وعلى مفرق برج الشمالي ، رتل من ملالات العـــدو المحروقة والدمار المحيط في كل صوب واتجاه من الابنية ، حتى المزروعات والاشجار ، وعلى امتداد الشارع من رأس العين حتى القليلة أشـــجار الليمون المثمرة متدلية على الجنبات ومقتلعة من الجذور تشكو لربها فعل الصهاينة ٠ ٠ ٠

الامور تتعدى الاشجار من دون شك اقول لنفسي ، تتعداها الينا كبشر ، لانهم يريدون اقتلاعنا من جذورنا حتى التاريخية ، لان لدبهم احساسا بأن هذه الجذور هي نقيضا لهم وبديلا عنهم ، حتى القرآن في نيتهـــم نسخـه أو مسحه لانه بعرفهم نقيض توراتهم (٠٠٠) أو لم يحاولوا في زمانهم مسح المسيح بصلبه ؟ لا مكان الان للحديث مع الذات وتقييم التاريخ ، اننا في « العصر الاسرائيلي » كما قال صديقنا المثقف الدكتور وفي زمن الانحطاط العربي ، لا شك أن «٠٠٠» يترنح الان جذلا بين نسوته وامائه بعد ليلة حمراء وهو ليس بوارد التفكير بزيزان الحمامات دون ان يدري انه واحد منهم بعرف الصهاينة شاء ام ابى ، ولكن سيبقى هو وامثاله كالكابوس فوق رؤوسنا الى ان يقيض للشعب امرا كان مفعـولا ٠

وعلى مدخل القليلة ومع تباطيء حركة الشاحنة ، يطل أحد ابناء البلدة من بيننا صارخا على صاحب دكان ، ليبلغ الاخير بدوره ذويه بوضعه ٠٠ وكلما تباطأت الحركة المفاجئة للشاحنة اترنح في الصندوق مع الباقين يسارا ويمينا وامسك بالخشبة اكثر فاكثـر ٠

ونتجه جنوبا ، اقول نتجه وكأن الامور بمشيئتنا وارادتنا ، لا بل بالاحرى

المشيرفه : أول موقع في فلسطين المحتلة بعد الناقورة وبها سجن انكليزي قديم

الاحفاد: عبارة استعملها المؤلف للتدليل على سلالة الصهاينة

يتجه رتل الشاحنات المحروس بالملالات جنوبا ، مجتازا منطقة البياضة ومبتدئا بالشريط الحدودي ٠

البحر يطل علينا بزرقته مشفقا ، وكذلك الساحل والجبل ، كنا نريد لارضنا العزة والكرامة ، فاذا بنا نساق سوق العبيد ونسبى ، ومن قبلنا تم سبي الكثير من الشعوب عبر مراحل الى روما مثلا ومن القدس الى بابل ٠٠

لا شك ان الاحفاد يتذكرون سبيهم التاريخي وهذا زمن انتقامهم ، وتطل علينا صخور الارض موشحة بالحزن والذل ، قد بتنا على مشارف الناقورة وبوابتها الشهيرة التي باتت مفتوحة ، بفعل « الفتح الصهيوني » في عصر « الذل العربي » ، لا بالاحرى بفعل الغزو في نهايات القرن العشرين !! البوابة التي باتت سالكة ، نجتازها معتقلين لا فاتحين ، مثلما نجتاز املاك « هنري صفير » ، الذي قدر يوما ما بعقل تجاري هذه اللحظات واشترى المساحات الشاسعة من الارض الحدودية ٠

حتى الشمس باتت علينا، تلدغنا بحرارتها وتتصارع مع البحر ، الذي يبعث الينا بنسائمه من حين لاخر ونتجاوز ما كنا نسمع عنه بوابة الناقورة « الانكليزية » في فلسطين المحتلة ٠

يتجول النظر مستطلعا في الوسط المحيط وعلى امتداد الشارع المتعرج وفق المنحدرات ويعلق في الذهن صورة الشاطيء ببعض مسابحه ومطاعمه ومقاهيه التي ارتادها بعض الرواد ٠

كل شيء يحيط بنا ، هو عبري بعبري ، يلطخ وجه عروبة فلسطين المحتلة، ونظرات رواد المقاهي الينا منتشية بالغزو والنصر ، عباراتهم ، تنم عن شتائم موجهة الينا ، وانضم الى قاموس ذهني بعض العبارات البذيئة ، انهم لا يعرفون من العربية الا بذاءتها ،من دون شك هم قوم شارع بلغة العصر وقوم لوط بلغة التاريخ ٠٠



٢٠ ـ بالشاحنات يتم نقل الاسرى من صور

من حين لآخر ، تتوقف سيارة مدنية أو مار ، مثلما ينتصب قابع أو قابعة في مقهى ، لاخذ الصور للسبايا الجدد او للحيوانات الموضبة !! بالشاحنات ، دون ان يخلو الامر من انتفاضة احد منا لكبريائه ، رادا على الشتيمة بالشتيمة احيانا ، واذا لم يكن ذلك بلسانه الجريح فباطراف شفتيه او بقلبه المكسور على الاقل .

الاعياء بدأ يأخذ مني اي مأخذ ، وبدأت احس بالتورم في ركبتاي ، ليلة مضت من دون نوم أو أكل ، وصباح اليوم بكامله يمر في صندوق شاحنة توقفت اخيرا على طرف ساحة مغروسة باشجار الكينا الضخمة والباسقة ، ونفهم من الجميع اننا في « المشيرفة » وعلى مقربة من سجن انكليزي سابق وعند ظهيرة

١٠-٦-١٩٨٢

سجن ؟؟!! وهل من الممكن ان نكون متوجهين لغير السجن ؟؟ .. حسنا لقد تخلصنا من رحلة العذاب ...

يغمرنا الكابتن بنعمته ويسمح لنا باطفاء الظمأ بقليل من الماء من «مطرة» نتناولها مداورة ، ويبدأ العمل بانزال من في الشاحنات وتفريغ الحمولة الى الارض ، الواحد تلو الاخر ، وعلى مرأى من الصهاينة المحتشدين ، من المارة ، وكاميرات التصوير في ايديهم ، يخامرهم شعور بالزهو والاعتزاز .. مثلما تنتابنا مشاعر المذلة والكآبة .

كابتن صغير يستقبل كل واحد منا يوثق يديه بكلبشة بلاستيكية ويعصب عينيه بربطة قماش وينزل كيسا في رأسه . كلما حضر مع زملائه زمرة من حمولة الشاحنة اوقفوهم خلف بعض ، اليدان المكبلتان ممسكتين بثوب رفيق من الخلف والاول ممسك بعصا كابتن يهتدي بها الى طريقه ، وتساق الزمرة بمذلة يتبعها من الخلف جندي صهيوني حاقد ينهر على كل من فلتت يداه من السلسلة وينهمر عليه بضربات موجعة من عصاه اينما واين اتت الضربة ، ليتعدى الامر هذا النطاق وينال بضرباته كل من يحلو له ايضا ، وتلحق بالزمرة السائرة زمرة اخرى وهكذا دواليك .

او لسنا سبايا ؟ او لسنا عبيد ؟!! يجوز بحقنا كل هذا ، كل ما هو غير جائز ؟؟ واتذكر مضمون توراتهم وتعاليمهم ، تعاليم « يشوع » ووصاياه بشكل خاص ...

الزمر بوضعها الراهن تدور وتسير تارة يمنة وطورا يسرة ، تدخل كل مجموعة من باب لترى مجموعة اخرى خارجة من باب اخرّ .

ما هذا ؟ هل نحن في محراب ؟ نعم انه محراب « الشمبت » ومغارة صهيون ، ويلحقني الدور والتحق بركب المذلة ، الربطة والكيس والكلبشة ، العصا والضربات والكلمات البذيئة ، والدوران لي نصيب منه اسوة بسواي .

كلنا كاسنان المشط كلنا في « العصر الاسرائيلي » وفي زمن القهر العربي ، ندفع فاتورة الانتماء القومي والفكري ندفعها عن كل العرب .

بالامس كان نصيب الفلسطينيين وبالامس القريب كان نصيب ، الضفة

والقطاع وسيناء والجولان ، امور كلها عشناها وشاهدناها في جيلنا ، واليوم نصيب الجنوبيين ، وغدا وبعد غد سيكون هذا القطر العربي او ذاك مع موعد ، وستفاجىء العواصم مداورة بالمواعيد وتتسلسل الى ان يدرك العرب كل العرب عبء الوباء الجديد وخطره عليهـم .

ادخل حلقة لدوران في محراب « الشمبت » منهكا ومضافا الى اعيائـي بعض الضربات والركلات بالارجل من الحفيد التوراتي ، ادخل الحلقة رغم المعاناة بأعصاب حدها الادنى مشدودة ، ليزج بي في محراب « صهيون » بركب الذل والمذلـــة .

العصبة تطبق على عيناي والكيس يخنق الانفاس والكلبشة احسها تلتصق بلحـم يداي ، ومع الدوران يمنة ويسرة مسلسل الضربات والركلات وثقافة لوط في تواصل . نصعد درجا لننزل في درج اخر ، يا رب ما هذا التيه ؟؟!! ماذا يحصل ؟ شر البلية ما يضحـك .

ينعدم الزمان ويبقى للمكان وقعه وتأثيره على الذاكرة والافكار وعلـــى المعطيات .

دوران ، دوران ، فيلم مسرحي او سينمائي ، شر البلية ما يضحك ، فاتورة العبارات البذيئة المستوحاة من ثقافة لوط ، معزوفة دائمة لا تتوقف وفاتورة العصي والارجل ليس لها حدود ، ويضاف الى ذلك عبارات الاتهام بلسان هذا الكابتن أو ذاك : قتلة، وحوش، مجرمون ...!؟؟ أصواتهم تتعالى شبيهـة في الذاكرة ، باصوات « سياس الخيل » يا اكلة لحوم اليهود !! يا قتلة الاطفال في معالوت وكريات شمونة .. يـا يـا ..

وتنطلق اصوات مهددة متوعدة قائلة « انتم تقاومون اسرائيل ، نحن شعب الله المختار سنقتلكم يا حشرات سنقتل كل رؤسائكم ونستعبد شعبكم وطوائفكم سنحرق قرآنكم ونمحوا اي اثر لكـم » ..

ومع السيـل الغزير للشتائم او للعنات والضرب والركلات ، وفي حالـة الدوران المتواصـل في الحلقة المفرغة ، ترتفع اصوات غريبة تبعث صدى فـي الاجواء وينالنا نصيبنا منها انه الضرب بخراطيم المياه !..

لقد اصابتهم حمى ، يا رب هل من نهاية لهذا المشهد الكئيب ؟! وتنفصـم الذات عن المعاناة ، وأحس مرة أخرى أنني كمشاهد لفيلم على شاشة ، ومـع الانفصام ترتفع وتيرة الاعصاب المشدودة ، واعود من جديد للمضحك المبكي ، واحس بالترفع عن الام الجسد لاسمو بالروح زهوا وكبرا مع الكبار الذين لاقوا العذاب في حياتهم ، ويختلط زهوي بحقدي على كل مسؤول عن نكبتنا متمنيا له الالتحاق بركب عذابنا لكن ليس على يد الصهاينة الاعداء ارتفاعا بمستوى الحقد وانما على ايدي ابنائنا ثأرا لكرامتنا الجريحة ولمذلة شعبنا .

ويستمر الدوران ويتواصل ، عرفنا بداياته دون ان نبلغ النهايات ، نزولا



٢١ـ المزيد من الارهاب بمزيد من الطقوس المخابراتية !٠٠٠

وصعودا على الدرج ، في الممرات ليستقر بنا المطاف بعد ساعات ٠٠ اننا في زنزانة نوضب فيها من جديد بالعشرات ٠ الحمى مستمرة وحرارتها تعنف مع عنف اصوات الخراطيم ، التي تأكل من الاجساد والاصوات الغليظة ، اصوات « سياس الخيل » تتواصل دون كلل مؤكدة مجددا ، ان الزمن انعدم وتراجع لصالح المكان والوضع المحيط لصالح الحمى المستشرية به ، لصالح التعبير عن الحقد التاريخي ٠

يلوح في الذهن أفكار وأفكار ، عن ممارسات النازية وبحق اليهود تحديدا ، وعن الاساليب التي اعتمدت ٠ يلوح في الذهن صور للمعتقلات في بولندة زمن الحرب العالمية الثانية ومعتقل ، « أوشغتز » وتتواصل في الذهن الصور عن ممارسات «الغستابو» التي يطبقها «الشمبت» (١) الان بشكل متطور ونحن بصدد البدايات وتختلط الصور الذهنية مع أصوات الخراطيم وضيق المكان والانين المنبعث من هذا الرفيق أو ذاك ٠

الاصوات المنكرة كلها تتعالى ثملة بحمى المكان ، كابوس أم حلم مزعج يتراءى لي انني أكره الكوابيس والاحلام المزعجة ، لكن ما يحصل حقيقة وواقعا انني أمام فيلم سينمائي حي « سياس الخيل » الجدد وكأنهم مصارعو ثيران ٠ أتذكر أفلام « جيمس بوند » والعنتريات على قلة مشاهدتي لهذا النوع ، وأحس ان الوضع شبيه جدا والفارق بينهما انني ضمن اللعبة من حيث لا ادري ، نعم أنا طرف مشارك بالرغم عني ، « مكره أخاك لا بطل » ،

الشمبت : جهاز من أجهزة المخابرات الصهيونية والمعني بشؤون المساجين والتنظيمات العربية والدولية ، وهو غير جهاز الموساد

وما دام الامر كذلك فليكن المزيد من الانسجام مع الدور ، بمزيد من الصلابة على الاقل ، وتجنب التأوهات والانين لان ذلك لن يجدي ، بل يؤدي الـــى الانحدار نحو سلم التساقط والانهيار .

هذا ما صدرته لنا حضارة الغرب ، حرصا منهـــا على دفعنـــا في عجلـة الترقي والخلاص من التخلف والانحطاط بمفهومها . ومتى كان الغـــرب يمتلك بضاعة غير ذلك ، في كل مراحل استعماره واحتلالاته ، بضاعته ذاتها في المشرق والمغرب ، في الهند الصينية وافريقيا ، في معاملة مستوطنيه للهنـــود الحمـــر ...

لا وقت للمراجعة والمحاكمة ، محاكمة الامور بمنطق تاريخي وسياسي .

أنت الان قابع على الارض في زاوية من زوايا حجز الحرية ، لا بل دمك مباح، واذا شئت قل موضب مع زمرة من المعتقلين كما توضب النفايات والمهملات في غرف القاذورات بل قل كائننا في خم دجاج ، والاصح اننـــا في محـــراب « صهيون » فعد الى هذا الواقع وتصلـب .

وسط هذا الجو المشحون المفعم بالتأثر والتأثير ، والذي ينعدم فيه الزمـان وتنعدم الاحتياجات الذاتية ويتحول الانسان الى رقم مهمل لا قيمة له ، بـل لا قيمة لاية شرعة دولية اقرت الحد الادنى للحق الطبيعي ، بما في ذلك الحق ببساطة ، بارواء الظمأ وتناول بعض الماء اذا لم نقل الحق بالذهاب الـــى المرحـــاض ....

الاوامر صدرت بالوقوف ولا يمكن الخروج على ارادة الامر الناهي ، لا بأس « حاكمك طيعه » ونعود الى اداء طقس الدوران على الدرج من جديد صعودا فنزولا والى الممرات من ثم ، والعدة جاهزة طبعا ، عدة الحمى مع العصبـة والكيس والكلبشة والعصي والخراطيم وثقافة لوط في اجواء باحة « سياس الخيل » مصارعي الثيران بلغة التمثيل ، وخريجي الغستابو و « الشمبت » وما انتجه العقل المخابراتي وحضارتـه .

المشهد يتواصل ليستقر بنا المطاف في خم جديد نوضب فيـــه ، ويتراءى بالاحساس انه اكثر اتساعا من الخم السابق ، وضمن زمرة منا سبقتنا الـــى التوضيب .اوامر الصهيوني بالجلوس ارضا واجد نفسي محشورا بين رفيقين مع متسع فقط لتحريك رجلي . لا بأس هذه غرفة بـــل خـم احسن حالا مـــن السابق ، لكن اللعين القى بي ارضا بعنف مع ركلة قدم وبعض العصي علـــى ظهري ، مثلما فعل زميله في الخم السابق . ويهمس في اذني رفيق مجاور .

ـ من أبـــو وضـــاح ؟

ـ نعـــــم .

ـ شو هالحالـــة ؟

ـ شـــد حالــــك !..

وينطلق صوت انين في زوايا المكان ، مميز عن انين سواه ، ليهمس رفيقي المجـــاور مجـددا .

ـ هل عرفتـه ... انه الكاتب العدل لقد عذبوه كثيرا ، وبدأوا بتعذيبه ، مذ كنا في تجمع بيت الخليل ، انهم يريدون معلومات منه عن فتح ، عـن « أبي العبد » (١) ..

ـ كان اللـه بعونـه ...

لا مفر من التعذيب ، ربما استعملوا كل الاساليب والوسائل غير المشروعة والمحرمة دوليا ، الكهرباء، التنويم .. كل الامور واردة ، انني ألمح من خلف العصبة والكيس اضواء خافتة ، قد تكون اضواء التعذيب الكهربائي !! وعلي ان احضر نفسي لحفلة من هذا النوع ، قد يكون الطقس المخابراتي القادم ...

تواصلت في حديث مع النفس واحاسيسي متوثبة جاهزة لكل التوقعات ، اعيش الجو بتفاصيله ودقائقه واتابع كافة المستجدات الطارئة والملحوظـة ، اتواصل باستمرار الحال الغير قابل للتقدير ، ولفقدان القياسات والمعايـــير المتعارفة ، حتى قياس الزمن ، لا ادري هل نحن في ليل ام نهار ، وكم مـن الوقت مضـى ؟ والى متى سنستمـر ؟

من همس الجوار الخافت احس بمعرفتي لبعض أصوات المغلوب على امرهم ، ومن حين لحين ، وبشكل متقطع يدخل احد الصهاينة لاخذ هـذا المغلوب على امـره او ذاك ، واعادة البعض ، والانين يتواصل في اجواء الغرفة مع تعالي صرخات الاحفاد وشتائمهم يجد احدنا لنفسه متسعا للتعبير عن الالـــم ..

ماذا يحصل في الخارج ؟ ربما بدأ التحقيق ؟ وقد أواجه بارشيف شخصي جمع لي لدى المخابرات خاصة وانا ابن الشريط الحدودي ..

الصورة تبدو مرعبة ورهيبة عن قدرة « الشمبت » على جمع المعلومات كمـا صورتها لنـا الوقائع واجهزة الاعلام ، اذن سأواجه بكل شيء في حياتي، وكل شـيء عندي مكشوف ومعروف !!

لا تسترسل مع هذه الافكار .. « شد حالك » احدث نفسي بنفسي ، وتصرف على ضوء مـا ستواجـه بـه !

وبين اخذ ورد مع الذات والانين المنبعث من هنا وهناك اسمع وقع خطـى جندي يقترب مني ويصرخ بي قائلا : قف . ومع ركلة يقودني ممسكا بقميصي من الخلف واتبعه متعثر الخطى بسبب العصبة والكيس وقد افلتت من قدمي فردة حذائي ، ويعاود ضربي لدى محاولتي تلمس مكان وقوعها ، ويرفض ان افتش عليها واسير بفردة حذاء واحدة ...

يستقر بي المشوار في مكان جديد واقفا والكلبشة في يداي لم تفارقهما منذ خروجي من صندوق الشاحنة ، يتركني ليتقدم مني جندي اخر مستفسرا عما

أبي العبد : عزمي الصغير ، ضابط في المقاومة

في حوزتـــي ؟ فاجبته اوراقي الشخصية ٠٠
تمتد يده الى جيبي لتخرج تذكرة هويتي ومبلغ الفي ليرة لبنانية كنـت احتفـظ بــه ، لتعيد هذه اليد الى جيب قميصي كما احسست التذكرة دون المبلـــغ ٠
ورد في ذهني مسألة السرقة لكنني لا املك حق الاعتراض ، او ليس دمي مباح ؟! واذا صدر عني اي احتجاج فان الخراطيم والعصي والركلات سوف تأكل من جسدي ٠ ليست سرقة مبلغ بامر ذي شأن ، تجاوزه يا رجل !!٠٠
قفزت التساؤلات الان من جديد الى ذهني ، وصورة الملف الذي قد يكـون محضرا لي مع تقدم جندي جديد سائلا عن اسمي ؟! وعندما اجبته بادرني في القول بعربية طليقــة ٠
ـ انت في الديمقراطيـــة ٠
وبحركـة لا شعورية امتدت يداي المكبلتان نحو العصبة والكيس محاولا رفعهما واذا بي امام رجل في الثلاثينات مربوع القامة ، وضمن باحة مضاءة وفي الطرف المواجه لي افراد مثلي ، مكبلي الايدي ومعصوبي الاعين ، واذ بكف المحقق معي تمتد الى وجهي بصفعة عنيفة صارخا : اغمض عينيك ٠
اعترضت علي ضربي والتحقيق معي بهذا الشكل واستطردت مجيبا علــى عنوان اتهامـــي قائـلا :
ـ انا لبناني ولست فلسطينيا لاكون في الديمقراطية ، وتابعت بنبرة فيها ثقة زائدة في النفس ، معلوماتك خاطئة كليا ، وعليك قبل البـدء بالتحقيق التأكد من صحة المعلومات واسترسلت بالقول : ربما اكون منظما في تنظيـم لبناني لكنني لست في الديمقراطية قطعا ٠



٢٢ ـ نازية ام صهيونية !؟٠٠٠

يتركني مكاني ويذهب لاستنتج من الضوء الكهربائي اننا في الليــــل والصفعة على وجهي كانت للحيلولة دون رؤيتي لبعض العملاء في الباحة أو الوسط المحيط .

يعود الصهيوني مجددا ،بعد برهة قصيرة ليؤكد اقواله بانتمائي الى تنظيم الدديمقراطية ومعقبا ان « كلمتي مسموعةفي القيادة والقاعدة » .

ربما بدأ بوضع يده على الجرح ، وان أحد العملاء قد قال له « العربية » والتبس الامرعليه ، فقال الديمقراطية ، مع ذلك فانا لست منتميا « للعربية » أو « الديمقراطية » ومع استمرار الحديث مع النفس ، اجبته في الوقــت ذاته مؤكدا ومصرا على عدم انتمائي للديمقراطية ومسترسلا بالقول اذا كـان لا بد من الصاقي بتنظيم معين ، فعليكم تحديد تنظيم ينسجم مع تركيبتــي الشخصية والفكرية ، والديمقراطية هي التنظيم الفلسطيني الوحيد الذي ليس لي فيه معارف وعلاقات على مستوى القاعدة والقيادة ايضا ..

واتابع الحديث مع نفسي ، حتى الان جيد ، اذا كان التحقيق بهذا الشكل !! لا شك ان ارباكا قد اصاب الصهاينة وهم لا يعرفون شيئا !! لكن الخوف مصدره العملاء والجواسيس .

يتقدم صهيوني مني ويقودني الى غرفة « الانين » ويجلسني في مكـان جديد واحس بوطأة فقدان فردة حذائي ، اكثر مما احس بثقل الكلبشـــة والعصبة والكيس ، اما آلام الجسد فقد تجانست معها والفتها مثلما الفـــت المشاهد وتكيفت اكثر مع الاجواء مراقبا ما سيحصل ومـا سيستجد .

وسط انين بعض من في الغرفة ، التي تحيط بجدرانها ربما « مجالي » مياه قد تكون مطبخا او معالف للخيل ، وقد كانت زريبة للدواب كما علمت لاحقا ، وسط ذلك ومع انخفاض صوت الخراطيم والعصي « وسياس الخيل »، الذين خفت حرارة الحمى التي انتابتهم وقد يكون التعب قد اعياهم من كثرة الضرب ، وسط ذلك ، اسمع تهامس بعض الرفاق من حين لاخر « ابو وضاح معنـــا ... » .

ويتواصل الزمن في حالة انعدامه بدون الاحساس به ، قد يكون الضيــق والمعاناة من العوامل التي تفقد الانسان هذا الاحساس ، مثلما يكون ، قادرا على افراز ردات فعله الذاتية بشكل تلقائي .

لا داعي للتذمر والضجر ، أو لم أقل أن الانين يؤدي الى مزيد من الانـــين والشكوى تنحدر بصاحبها الى مزالق الانهيار . لا بد من التصلب ، لا بد مـــن ذلك ، مهما كانت النتائج .

هذه مرحلة من مراحل الشدة والظرف الصعب ، وفي الشدائد تختبر قدرات الرجال على التحمل ، ثم ماذا سيحصل ؟ موت ، لا بأس ...

عندما اخترت طريق النضال منذ بدايات تفتحي على الحيـــاة ، وضعت في

ذهني تحمل المخاطر ، وها أنذا في صلب المخاطر التي هيـــأت نفسي لهـــا ولتحملها ٠ لقد وضعت نفسي في موقع المعادي للصهيونية ، وها هي قد تلقفتني الان ، وأنا اخترت الموقع بارادتي ٠

فترات مراجعة واسترسال مع الذات ، مع النفس البشرية ، تشهدها كل ذات في لحظات الشدة ، انها لحظات المحاكمة والمراجعة وتتراوح مشاعر الـــذات دائما بين خيارات الجحيم والنعيم ، بين الندم وراحة الضمير ٠٠ ويعيدني من خلوتي ، جندي يمسك بي ويقودني ٠٠

الى أين ؟ لا أدري ، الى التحقيـــق ٠٠؟ ربمـــا ٠ ويخطر في بالي قول المتنبـــي :

وانى شئت يا طرقي فكوني أذاة أو نجـــاه أم هلاكـــا



٢٣ ـ عودة جديدة للغستابو لكن على يد الصهاينة !٠٠٠

في الطريق الى الجلمي * (١)

ينزع صهيوني الكيس عن رأسي ويبقى الطقس المخابراتي ساري المفعول بالعصبة والكلبشة ، أسير متعثر الخطى رغم بعض النور من خلف العصبة ، لكن بفردة حذاء واحدة ، انها باتت تشكل عبئا علي وكأنها جزء من الطقس المخابراتي ، لاتخلص منها ما دام بمقدوري ، وأصبح حافي القدمين ، ذلك أفضل لي ، وكان ذلك بدون ملاحظة الجندي الممسك بكتفي يدفعني أمامه ٠
لقد بات بامكاني تلمس طبيعة الارض التي أسير عليها ، انها من الاسفلت ٠ الى أين يقودني ؟ لا أدري !٠٠٠ وما زال حضور المتنبي في ذهني : « وانى شئت يا طرقي فكوني ٠٠ » ويوقفني على المدخل الخلفي لباص متوقف ، أدخل منه وأستقر في أحد المقاعد الخلفية ٠
العصافير تزقزق في الخارج ، لا تدري بما يحصل وشمس الصباح تطل بدورها كعادتها مع كل صباح في هذا الكون ، وفي الباص أصوات محيطة أتعرف عليها بسهولة ، هذا صوت قاسم ، ذاك صوت باسل ، انه صوت « الكاتب » أمامي وخلفي صوت محمد ،٠ كل الاصوات تبعث شيئا من الاطمئنان في النفس ، ويقلع الباص متحركا ضمن وجهة سير مجهولة ٠٠٠
الاجواء في الباص أقل رهبة من السابق ، بالرغم من صيحات وصرخات صهيوني يتحدث الينا بلهجة المؤنب على ما فعلته أيدينا في « كريات شمونة » في « معالوت » في « مسكاف عام » والجليل في « أورشليم » ويعقب مدعيا « أن العرب لا يفهمون السلام الا بالقوة » فبعد هزيمة عبدالناصر اضطر السادات للاعتراف بالواقع وحضر الى توقيع « كامب ديفيد » ٠ وأضاف: « ان الملك حسين جاهز للالتحاق بالسادات مع شعب الاردن عندما تكسر اسرائيل رأس الاسد وعرفات وكل الحكام العرب ، الذين سيكون مصيرهم رغما عنهم ، الالتحاق بركب السادات وحسين » ٠
ويلتفت الينا بعدها قائلا : « ان اسرائيل كسّرت رأس عبدالناصر وشعب مصر ٠ فمن أنتم حتى تقاومون دولة اسرائيل ؟ القادرة أن تمد يدها الى أي مكان في العالم وتعاقب كل معاد لها » مشبها الرؤساء العرب بالحشرات ، ومتسائلا : « أين أنتم وموقعكم من هذه الحشرات ؟٠٠ » ليعود مجددا لتذكيرنا بقتل أطفال « اسرائيل » هذا الشعب المميز عن كل الشعوب وقدرته الفائقة على اعادة بناء دولته بعد أربعة الاف سنة من اندثارها ٠٠

---

* الجلمي : سجن صهيوني كبير ومركز تحقيق

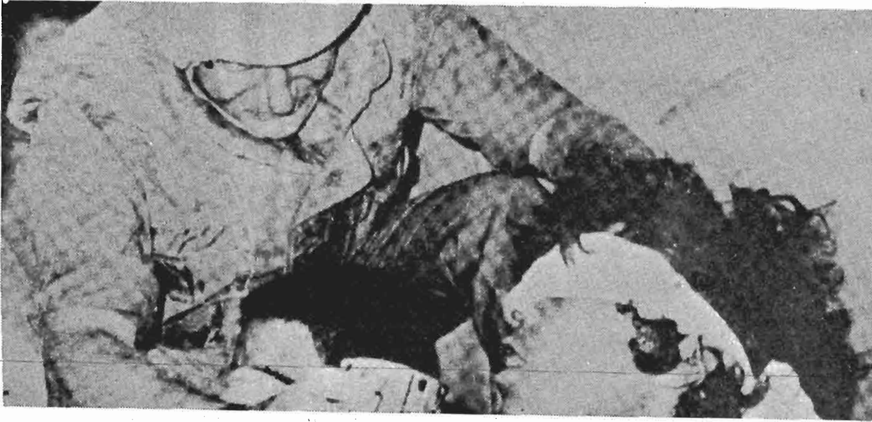
رغما عن هذه المحاضرة ، كان الجو أقل رهبة وفيه بعض المجال لتبـــادل الحديث موضحين ، بأننا لسنا « قتلة أطفال » وانه اذا كان لدى يهود العـــالم مشكلة ، فانها تسببت لحلها بخلق مشكلة شعب اخر هو شعب فلسطين ، الذي ترفض « اسرائيل » ليس فقط حل مشكلته وانما مبدأ الاعتراف بوجود المشكلة ووجود هذا الشعب .

تبادلنا الحديث بشكل متقطع ، وتمنينا أن يكون الحوار وسيلة للنقـــاش ، بدلا من العصي والخراطيم والتعذيب وقد وصل الامر بنا الى حد الايضـــاح بأننا لسنا حشرات على الاقل ، نحن الموجودون في الباص ، ولكل واحد منا اوضاعه الاجتماعية المعروفة وتركيبته ، واننا اذا كنا بعرفهم نشكل عقبة في طريق مشروعهم في الشرق الاوسط وفي لبنان تحديدا ، فها هم قد دخلوا لبنـــان وعليهم أن يروا مصير المشروع ، لنستطرد بالقول اننا نحن لسنا العقبة بقدر ما نحن جزء بسيط من شعب ، والقول انه لا يفهم الا بالقوة ، قول تنقصه الصحة والدقة بدليل أن التجربة أكبر برهان ، بوجودهم في موقـــع القوة الان ، واذا كان بمقدورهم فليفرضوا ما يشاؤون ...؟؟

الطريق تبدو منبسطة ومن دون شك ، نسير في الطريق الســـاحلي . حب الاستطلاع مع انخفاض حرارة الرهبة يدفعني لان أخفض رأسي قليلا وأحرك العصبة ، بعض الشيء ، عن عيني . حسنا انها فرصة لرؤية فلسطين ومعالمها.

أجهزة الاعلام صورت لنا أن فلسطين باتت قطعة من أوروبا ، بمعالمهــــا ومظاهرها . هذا هو الوهم الشائع ، والصورة للوهلة الاولى توضح لي أن مـــا أراه ، ليس بأجمل من الساحل اللبناني . أرفع العصبة أكثر وأتطلـــع واذا بصفعة قوية أتلقفها على وجهي من جنـــدي صرخ بأعلى صوتـــه : « اغمض عينيك » . لا شك أنهم فاشست أغبياء ، لا مكان عندهم للحوار وغرورهم أعمى أبصارهم ، يمسك العصبة بيديه ويشدها أكثر وأحس أن النور قد انطفأ وانعدم، ويتأكد من ربطة الكلبشةفيقصرهاويوثقها اكثر في يداي واشعر كأنها انغرست في اللحم . ويسود الصمت المطبق في الباص ، لا احساس الا بحركته وهديره .

سبق وتهامست مع رفيق الرحلة في المقعد الخلفي « الكاتب » ، وتوقعنا أن نكون ذاهبين الى السجن ، وان أمر اتهامنا من قبل الصهاينة قد حســـم ،. حسنا الى السجن ، ليكن ... ذلك أفضل لنا من « خمم » التحقيق ، وخلاص من الخراطيم وعصي الصهاينة وركلات الارجل وصفعات الاكف وثقافة لوط ، على الاقل نرى بعضنا كمساجين ونتحادث مع بعض ، وربمـــا بمقدورنا أن نطمئن ذوينا الى أننا ما زلنا على قيد الحياة ، أو لم يتصوروا أن الغزاة صبوا حقدهم التاريخي علينا وانتقموا لسبيهم الى بابل ، انتقموا لمجـــازر هتلر والنازية وأفرانها ،انتقموا منا فطبقوا بحقنا تعاليم«يشوع»عندما دخلواأريحا في الزمن الغابر فبقروا بطونَ الحبالى ولم يعفوا الا عن زانية المدينة ، أو كمـــا فعلوا في كفرقاسم ودير ياسين وصلحة وحولا وبحر البقر ..



٢٤ ـ ممارسة حضارية !٠٠٠ بالاذن من شرعة حقوق الانسان !٠٠٠

يا رب ما هؤلاء القوم ، الذين ليس لديهم سوى هواية القتل والجزر ، لقد تعلقوا بأنبياء نسبوا لهم أحاديث عن الزنى واللواط ٠ انني لا أتجنى عليك يا «يشوع» ولا أتجنى على « لوط » أيضا ، وعلى٠٠٠ وعلى٠٠ « ساره » وحكايتها الشهيرة مع فرعون مصر ، أو ليس التوراة ينضح بهذه التعاليم والحكايات ويغص بها ؟!٠٠٠ (١)

أتواصل مع الذات محدثا ومهونا الامر ، بالرغم من المصير المجهول ، سارحا في ذهني باتجاه التحقيق المهزلة في المشيرفة ، واهتزاز صورة درايتهم بكل الامور وقدرتهم على جمع المعلومات ، بقدر اهتزاز صورة اعلامنا الجاهل المضلل ٠

وطورا باتجاه انعدام الضمانات القانونية لنا ، واستهتار الصهاينة بشرعة الانسان والحق الطبيعي ، مما يدفعني الى الاستنتاج أنهم قوم مغرقون في سلفيتهم فكرا ، وتعصبهم سلوكا وممارسة ، بدليل استنادهم ، كل استنادهم ، الى بدعة حقهم التاريخي ٠

مساكين نحن العرب ، مساكين ٠٠٠ جعلنا من الحبة قبة ٠٠ وأسهمنا بتعظيم قدرة الصهاينة وهما ، وانطلقنا مع مركب الوهم حتى صدقنا الاوهام ٠ صحيح اننا ضعفاء ومتخلفون ، انما الصهاينة ليسوا بهذه القدرة من العظمة التي تصورناها ٠ لا شك أن أولي الامر والنهي فينا لهم مصلحة في تكبير حجم الامور وتعظيمها ليوهمونا أن « اسرائيل » كتلة نارية تحرق يد كل من يحاول الامتداد اليها ، ان أولي الامر هؤلاء حقيقة ضعفاء وأقزام أمام عدوهم ، ومن هنا يحاولون تقزيم قدرات شعبنا العملاقة ٠

لوط ٠٠٠ ساره : راجع التوراة في سفر التكوين الاصحاح الثاني عشر والاصحاح التاسع عشر ، ولمزيد من التفاصيل يرجى مراجعة سفر صموئيل الاصحاح الحادي عشر بشأن داوود وزوجة أوريا الحثي

الواضح أن « الشمبت » ليست بالقدر الـــذي صوره لنـــا الاعـــلام ، وان مقدرتهم العسكرية المعتمدة على كثافة النيران ليست بالفائقة ، الا بقدر فرارنـا من وجهها . أو لم يتحدى الاخ «بلال» في ضواحي برج الشمالي هذه المقدرة الفائقة ، وصمد يقاتل لأيام ، واعتقلنا وما زال يقاوم بجيوب محدودة كل هذه النيران المنصبة عليه كالجحيم من مختلف أسلحة البر والبحر والجو والقـادرة على المشاركة مع بعضها بانتظام وخلال دقائق معدودة . أو لم يوقف شبل مع مجموعته أرتال القوات البرية لساعات عند مدخل البازورية وبقي متخفيـا في البساتين المجاورة بعد أن نجوا جميعا من حمم الطيران ايضا . ان ارادة هذا الشبل بمواصلة القتال أعظم وأكبر من قوة العدو وأعظم وأكبر مـــن أي قرار سياسي ، رفض تنفيذه ، لانه يدعوه لعدم القتال .

ببساطة أقول لنفسي أن مقدرة العدو الفائقة وكثافة نيرانه يحطمهـــا قرار سياسي بقتاله ، والقرار السياسي يدعو حتى الان لعدم القتال .

ببساطة أكثر ، حتى الان في كل حروبنا لم نقاتل ، أبدا لم نقاتل ، واذا كان بعضنا قد قاتل وبشكل محدود وضيق ، فان قتالنا كان بمستوى قتال الشبل في البازورية أو بلال في البرج . ويطل من خلف ذاكرتي أبو علي حلاوي ومعركته في كفركلا والاخضر العربي ومصارعته للطيران الحربي الصهيوني في العرقوب. وأستمر في الحديث مع النفس .

ننظـّر كثيرا لحرب العصابات ، وتنظيراتنا ساقتنا في مختلف الاتجاهات ، اتجاه قريب ، تجربة صادق الحمزة (١) وأدهم خنجر (١) واتجـــاه أقرب ، تجربة عبدالقادر الحسيني (١) ، دون أن يحول ذلك من المزايدة بتجــــارب غيفارة وكاسترو وماو وهو و.. و.. وللتجربة الجزائرية مكانها أيضا ، ومـع التنظير والانقياد طولا وعرضا عمقا وأجواء ، بقي التنظير تنظيرا ، نزايد بـه على مستوى الشارع ونصنف بعضنا بعضا . ما كان يميزنا ليست التضحيــة ، القدرة على التضحية ، بقدر ما هي القدرة على المزايدة في التنظير . من دون شك ان تضحية من ضحوا تبقى أكبر من كل القرارات غير الفاعلة والنظريـات المحكية في سوق وبزار الاستهلاك السياسي .

ويلوح في الذهن سؤال يحتاج لاجابة ، هل كان علي أن أقاتل حتى أموت ؟ ولما لا ؟.. لكن لم يسبق لي أن استعملت السلاح ؟ ليس بعذر ؟ وأين كان حملة السلاح ؟ الاجابة في العمق توجز التجربة وتختصرها ،كان من المفروض تسييس العسكر واذا بالواقع يتم بعسكرة المسيسين ، عســكرتهم بتخلف لا علاقة لـه بالنظريات الحديثة ، ثغرة كان يجب ردمها ، أسهمت بدورهـــا في خلق هوة حتى مع الجماهير ...

صادق الحمزة : أحد قادة الثورة في جنوب لبنان سنة ١٩١٨ وكان من مؤيدي الدولـــة العربية في دمشق ومعاد للانتداب الفرنسي

أدهم خنجر : أحد رفاق صادق الحمزة قتله الفرنسيون في جبل العرب وتسبب بالثـورة التي قادها سلطان باشا الاطرش

عبدالقادر الحسيني : أحد قادة الثورة الفلسطينية ضد الانتداب البريطاني والاستيطـــان الصهيونــــي

الان كله كلام بكلام ٠٠ لا مجال للتنظير والتقييم ٠٠ نحن على عتبة مرحلة جديدة ، ويجب أن يستفاد من تجربة الماضي ، اذا بقينا أحياء ، عسى ولعل ، لكن نحن بين يدي العدو ٠٠٠
ساعات تتوالى متتابعة والصمت مطبق في الباص وكل واحد متواصل مع نفسه وذاته ولكل واحد همومه وشجونه مثل همومي وشجوني مع أولادي المفجوعين مثلا بفقدي واقتلاعي من بينهم ، في لحظات هم في أمس الحاجةالي٠
ويتوقف الباص ٠ أين ؟ لا أدري ولا أحد منا يدري ، كلنا مشلول الارادة فاقد الرغبات ٠ يتوقف الباص ويتوقف محركه عن الدوران لتدور العجلة بشكل اخر وجديد ٠ يدخل جندي من الباب الامامي ليقول لاحدنا : « تفضل يا أبا محمد ، جبل لجبل ما التقى ، انسان لانسان بدو يلتقي ٠٠٠ » وينهال عليه ضربا ويخرجه معصوبا ومكبلا من الباص ٠
ها قد عدنا للتعذيب وبدأت مرحلة جديدة ، حمى من نوع اخر ، ماذا سيحصل ؟ كل الامور واردة من التحقيق الى الموت ٠ ونخرج الواحد تلو الاخر مع تعالي أصوات ضربات العصي والركلات ، ويلحقني الدور مثل سواي ، حصتي وافية ٠
لدى الخروج من السيارة يعود الكيس مرة أخرى الى الرأس وطقس جديد ، كلبشة حديدية في القدمين ، ويتم سوقي الى جانب حائط ، رافعا يداي المكبلتين الى الاعلى ٠

اللعين شد الكلبشة كثيرا ، لكن لا مكان للاحساس بالوضع والتعب أو الارهاق ، وسبت هذا اليوم ، الثاني عشر من حزيران ، شارف على الظهيرة ٠ الساعة في يدي ، وكيف لي أن أرى التوقيت ؟ وما اهميته ؟ حفلات التعذيب ستتواصل حتى اشعار اخر ٠ ومواعيدنا معها بدون تواقيت ٠
الى جانبي في الاتجاهين رفاق يئنون ويستغيثون ، والعصي تتنقل من جسد لاخر مرورا بي ٠ كلما صرخ أو استغاث أحد منا نال مزيدا من الضرب وحصتي محفوظة ، أتلقاها بدون أنين أو استغاثات ٠ اصمد يا رجل واياك وكلمة آه ٠ أقول لنفسي ، حتى لا تجني على ذاتك وسواك !٠ يمر الوقت والحال على هذا المنوال ، الايدي مرفوعة لا مجال لانزالها أو تحريكها لان العصي لها بالمرصاد من الخلف ٠
في الوسط المحيط أصوات « طقطقة » ناجمة عن سحب أقسام أسلحة و « تكتكة » فلاشات كاميرات التصوير ، أصوات ملء الاذان ٠ وتنطلق أصوات بالعربية قائلة : « حظر كاميرات الفيديو » أين نحن ؟ لا أدري ! ماذا سيفعلون بنا ؟ سيقتلوننا ؟ ولما لا وكل الاجواء المحيطة توحي بذلك ، وحتى أحاديثهم السياسية معنا كلها بذاءات من وحي حضارة لوط وثقافته ٠ ارهاب ! أين منه ارهاب في الدنيا ؟! النازية هم خريجوها وتلامذتها !٠٠٠

من حين لاخر يصرخ أحدنا:«كابتن لم أعد أقدر ٠٠٠ يداي» ٠ عقابه وعقابنا الضرب وبعد حين يعود اخر ويقول « أريد أن أشرب » ذات القصاص ويتكرر المشهد مع قائل : « كابتن أريد أن أذهب الى الحمام » وفي كل مرة لا يلبي أي طلب ٠

وذكرتني المشاهد برغباتي الذاتية ، عطشان وأريد أن أبول ٠ وأقول لنفسي وفر على نفسك وغيرك الجزاء ، لا تطلب شيئا ٠ اصمد !٠٠٠

يقترب صهيوني مني ويسألني :

ـ هل معك فلوس ؟ وأجيبه : لا ، أخذوهم مني في المشيرفة ٠ وأحدث نفسي ٠ ليت معي فلوسا لكنت قد رشيته ! ان الذي يسلب وينهب من دون شك يرتشي !٠٠٠

يتعاظم الارهاب بأشكاله التي باتت مألوفة ، ولا يأخذ الاعياء مني أي مأخذ٠ لا أحد ، أستطيع أن أتحدث اليه والحديث مع النفس دائما ٠

القصة كبيرة جدا ، قصة موت ! وما دمنا قاب قوسين أو أدنى منه ، فما من داع للاحساس بالجوع أو العطش أو الاعياء ٠ اصمد يا رجل وتمثل بالكبار !

ويطل علي صادق الحمزة وأدهم خنجر وأتذكر ظروف موتهما ٠ وأحس بهما يقولان لي : حسنا مت وأنت صلب ! وعندما تطلق رصاصة الرحمة عليك وانت تنتظرها ، تقبلها بشوق !٠٠٠

ـ أطفالي ، أولادي ، !٠٠٠

ـ لهم الله ٠ عزاؤهم أن والدهم قتله الصهاينة !٠٠ ولم تمت برصاصة طائشة أو غيلة على يد حقير ٠

ـ وزياد ، الذي لم يرني ٠ ما زال جنينا في بطن أمه ؟! ما ذنبه

ـ كثيرون أمثاله في هذه الدنيا

ولما الموت ؟ مما استنتجت ذلك ؟ من أسلوب التعذيب والارهاب في الاجواء المحيطة ، من اختيار المجموعة التي نقلت في الباص لتلقى ذات المصير ٠٠ أهكذا ببساطة يجري التحقيق ويصدر الحكم ؟! مهزلة ما بعدها مهزلة ! حتى شرعة الانسان وحقوقه أيضا مهزلة !٠٠

ـ أيتم احضار رجل دين ؟! ربما ، انما اليهود لا دين لهم !٠ لغتهم الحقد والقتل وقناعتهم أنهم شعب الله المختار ، بعرفهم الديني ، ان بشر هذا العالم، خدما لهم ، وهم آلهة البشر ٠ وما دمت على موعد مع الموت وتستعجل رصاصة الرحمة فما عليك الا أن تردد الصلاة الاخيرة !٠٠٠

وتتحرك بي النوازع الايمانية ، وأبدأ بترديد ما هو عالق في ذاكرتي من الادعية والصلوات ، لأعود فأخرج من صومعتي أو خلوتي الايمانية تحت تأثير ضربة عصا ، أو بذاءة حاقد ٠

عالمي بات محكوما بمناخ ايماني ، وشعوري أن الموت لحظة ويفارق الانسان

فيها الحياة ، لا يحس بالالم . لا شك أن الموت أفضل من البقاء تحت تأثير العذاب والارهاب . مشاعر غريبة تساور الانسان في لحظات معينة ، مشاعر تتراوح بين الذات المحلقة مع هذا المناخ الايماني والوسط المحيط الضيق ، الذي أحسه رقعة أمتار مربعة تحوي بالاضافة للمعذبين جلاديهم . وأتساءل أين بقية الرفاق ، الى أين اقتادوهم ؟ لا أدري لانه لا صوت لهم .

عاد الزمن مجددا يتراجع لصالح المكان ! سيان عندي اذا كان ليلا أم نهارا ، أحدا أم أثنين . وما قيمة الزمان في مكان كهذا ؟ هل لدي مواعيد ؟ ان ذاتي معدمة الان !!

أنا فرد مهمل في زاوية من الزوايا ، وربما لا أكون أمثل رقما .

مرة في السعودية انتفضت وثرت ، لانني تحولت الى رقم في مديرية الجوازات . أما الان فانني دون مستوى الرقم المعدود . ومرة أخرى لما المواعيد؟ انني على موعد فقط مع رصاصة الرحمة التي أترقبها بشغف . كرامتي تأبى المهانة والمذلة على أيدي قوم حقيرين ، ثرت في السعودية لانني تحولت الى رقم وعلى من أثور الان ؟ انني لا أملك أي حق انساني سوى حقي بالتصلب !...

وفجأة تمتد يد الى كتفي قائلة : قم ! ويقودني الجندي وأنا حافي القدمين المكبلتين بالاصفاد ، ويدفعني من الخلف سائرا على غير هدى . ومع تعثري في خطواتي ، تأكل الاصفاد من كاحلي ليوصلني الى زاوية جديدة ، طالبا مني مجددا الوقوف ، وجهي الى الحائط ويداي الى الاعلى .

ما أن بادرت بأخذ الوضعية الجديدة حتى فاجأني بضربة عصا قوية على ظهري شعرت معها بألم شديد . ودون أن أتمالك نفسي صرخت في وجهه : لما تضربني بهذه القسوة ؟ أهذه حضارتكم حضارة العصي والارهاب ؟ فاذا به بشكل تلقائي ينهال علي بسيل من الضربات والركلات على مختلف أنحاء جسمي . واصلت صراخي بوجهه قائلا : أين الشفقة والرحمة ؟ انها معدومة في قاموسكم . أين ديمقراطيتكم التي تدعونها ؟ انكم نازيون وفاشيست، تدعون أنكم حضاريون واننا أوغاد ، أين حضارتكم ؟...

يواصل اللعين ضرباته لي وأنا لا أملك الا الصرخة والاحتجاج في وجهه وعصيه الناضحة حقدا تنهال علي وتصيب أماكن حساسة من جسدي . تمنيت في لحظتها أن يغمى علي عله يكف عن ضربي ، وأجد أفضل حماية لي قعودي أرضا .

بعد أن انتهى من ضربي طلب مني أن أقف فلم أتمكن جسديا وطلبت مساعدته فاذا به يحاول ايقافي بشكل مائل الى الحائط فاتح القدمين بقدر طول الكلبشة التي تكبلهما ، وقدرت عندها أن في نيته أن يلحق الاذى بظهري ، علما بأنني لم أتمكن من الوقوف بهذا الشكل . ألقيت نفسي أرضا من جديد وصرخت في وجهه بأنني غير قادر ، ولو كنت قادرا فلن أقف ، وعليه أن يفعل بي ما يشاء ، ورددت بأعلى صوتي : « أقتلني ، أطلق علي رصاصة الرحمة كفى

تعذيبا ، عصاك في يدك » ، فاستمر بضربي الى أن تظاهرت بالاغماء وحبست أنفاسي ، فتركني وشأني لأشعر بعد فترة بمياه يرشها على وجهي · وعندما قدر أنني استيقظت طلب مني أن أقف على رجلي ، تظاهرت بعدم قدرتي ، فتركني مستلقيا أرضا ·

أحسست أنني كسبت جولة بعد معركة كلفتني الكثير من الالم ، كسبتها لانه بات بمقدوري أن أرتاح أرضا بعد أن أعياني الوقوف · لا أدري ، المدة التي قضيتها واقفا هل هي ساعات أم أيام ؟ المهم الان أنني كسبت جولة وعلي أن أرتاح بعض الوقت ، سأرفض الوقوف مهما كلف الثمن ·

جسدي أثقلته الضربات وأحس بتشنج عضلي في كل نواحي جسمي ، لكن لا مكان للالم وعلي الاستعداد للمواجهات القادمة وقد تكون أعنف وأدهى · حسنا كل ذلك يبقى دون مستوى الموت ، وأنا هيأت نفسي حتى للموت ·

اللعين أخرجني من صومعتي الايمانية ، ولا بد من العودة اليها مجددا ، مزيدا من ترديد ما في الذاكرة من آيات قرآنية وأدعية ، وأحس بالضرورة للعودة والرغبة الجامحة · سبحانك يا رب ، لقد تحولت الى ناسك ، غير آبه بعذابات الجسد ومتناسيا كل ما هو خارج دائرة المعاناة ·

كيف يصبح الانسان هكذا ؟ لا شك أنه في لحظة الشدة أمام حدين ، الانهيار أو الصمود · واذا اختارالحد الاول استحق الشفقة وانتهى ، أما اذا اختار الحد الثاني فان ردات الفعل تصبح تلقائية ونابعة من موقفه الصامد ·

ـ ماذا بي ؟ بدأت بالتحليل البسيكولوجي ودخلت رحاب علم النفس !

ـ ولم لا ؟!··

ـ عد أيها الناسك الجديد الى خلوتك وتحصن بها !···

ـ انك بذلك تظهر ضعفك بتحرك نوازعك الايمانية في لحظات الشدة !···

ـ نعم أنا ضعيف الان بل مستضعف من قبل الجلاد والايمان يزودني بشحنات قوة وأنا بحاجة لهذه الشحنات · ثم أو لم تكن الخلفية الايمانية سابقة لهذه المرحلة ؟ أو لم تحصل جلسات نقاش وصفاء مع الصديق العلامة « الجار » ؟! آه ، صديقنا مشغول البال علي الان ! ويطل علي السيد المتبتل كأبي ذر الغفاري في مجموعة من المشاهد التي استمطرتها المخيلة في تلك اللحظة ·

صومعتي في مكانها الجغرافي مريحة ، ليتهم يتركونني فيها ، في هذا الموقع ، وأشعر ببعض الرطوبة تمتد الى جسدي ، ربما وضعني في مكان تسيل فيه مياه · ليس لدي حاسة للشم لأتعرف ، علىَ طبيعة المياه ، اذا كانت نظيفة أم آسنة · ولما التعرف ؟ هل سكان الصوامع يأبهون للرطوبة والمياه القذرة ؟·

مهما كان نوعها فانها توفر لي بعض الانتعاش · ولماذا أحسست بالانتعاش وبرودة الارض ؟ علما بأنني لم أشعر بحرارة الطقس · ومن لا يتحسس الالم غير قادر على تحسس الحر ، غير أنني ألفت هذه الرطوبة لانها من مستلزمات الصومعة ·

أحاول مد يدي وتحريك أطرافي بحذر واذا بي أجد بالقرب مني برميلا من

عن نفايات بشرية • حسنا ان ذلك من متممات الصومعة ويذكرني موقعي بقضاء حاجتي من البول ، لا داعي لمناداة اللعين ، افعلها في مكانك ولا داعي للتخوف من نظافة أو عدم نظافة الثياب والجسد • وهل هناك قواعد للنظافة في لحظات الموعد مع الموت المنتظر !•••

يتقدم حاقد مني متلمسا طرف قميصي ومستفسرا :

ـ ماذا تعمل في بلدك ؟ فأجيبه :

ـ هل معك فلوس ؟ لا

ـ تريد أن تشرب ؟ نعم

ويقدم لي كأسا حارا من الماء !؟••

استحضر مجددا الى صومعتي صادق وأدهم والاخضر وواصف وموسى وعبدالامير لأجدهم عاتبين علي ، لانني تأخرت عن ركبهم كثيرا وتقديرهم انني سألتحق بهم قبل هذا الوقت !••

صهيوني اخر يقطع علي الخلوة قائلا : قف !! أجيبه : الى أين ؟ لن أقف • لا أقدر ! قم الى التحقيق •

يقودني متحسسا حرارة الارض تارة حامية وطورا باردة ، انني في أماكن الظل ، ولأستقر أخيرا في مكان • يده امتدت فينزع العصبة والكيس فينزعها عن رأسي ومن ثم يقطع الكلبشة من معصمي والاصفاد من كاحلي فاذا بي ضمن ممر يؤدي لغرفة مجاورة • الكلبشة سببت لي جراحا في معصمي وكاحلي وضرب اللعين لي أدى الى جراح في جبهتي ، وبنطلوني الموشى ببقع الاوساخ وعلى ركبتيه ظهرت عدة ثقوب من اثر احتكاكه بالحصي الصغيرة •

في الغرفة محقق عسكري الى جانبه كاتب وأمامه طاولة وفي زاويتها «دوش» ماء والمحقق أشقر اللون ومربوع القامة يرتدي بزة عسكرية •

التفت الي قائلا :

ـ اخلع ثيابك • وخلعتها باستثناء لباسي الداخلي •

ـ اخلعه أيضا • حاولت أن أستفسر عن السبب والخجل مسيطر علي بفعل التكوين الشرقي وموضحا ذلك • وأصر على خلعه • فأجبته : ـ حاضر « حاكمك طيعه » •

بعد أن ألقى نظراته على مختلف أقسام جسدي وتفحصها طلب مني أن أتوجه للدوش لاخذ حمام •

تساءلت في نفسي : هل هذا هو الحمام الاخير ؟ وهل لديهم ايمان بمسألة موت الانسان في حالة الطهر أو النجاسة ؟ ربما ، لكن لا دين لهم !•••

شفتاي ناشفتان ، منذ مدة طويلة لم أتكلم مع أحد ، باستثناء الصرخات ، التي صدرت عني بينما كان الجلاد يضربني • لدى احساس بالعطش لدى رؤية الماء ، ومنذ وصولي الى المشيرفة لم أعرف لها طعما ما عدا الماء الحار الذي وضعه في فمي ذلك الخبيث •

المحقق بيده سيكارة وأنا كنت مدخنا من الطراز الاول ، ونسيت السيـكارة والتدخين ٠ الرغبة الان لدي معدومة ٠ السيكارة فقط ذكرتني بأنني كنت مدمنا على التدخين ٠

قلت للمحقق مع اقترابي من الدوش :

ـ أريد أن أشرب ٠ وأجاب :

ـ اسمح فقط بنصف كوب من الماء

ـ حسنا سأشرب من الحنفية

تقدمت منها بنهم وفتحتها في فمي وشربت حتى أطفأت ظمـأي وشعرت أن معدتي الخاوية امتلأت ماء وتذكرت أنني لم أتناول الطعام منذ تاريخ خروجي من البيت باستثناء قطعة الخبز الصغيرة التي قضمتها في « تجمع بيت الخليل »

بعد أن تحممت عدت لأجد ثيابا مرقطة أعدت لي وأسأل :

ـ ما هذا ؟

ـ البس !! علقت قائلا :

ـ قد تعتقد بأنني أتهرب أو إكذب والحقيقة أقولها لك الان ، صـــدق أو لا تصدق ، هذه الثياب لم البسها في حياتي ٠ وهذه هي المرة الاولى التي أرتدي فيها ثيابا من هذا النوع ، صدق أو لا تصدق ، انما هذه هي الحقيقة ٠

ـ ألبس ! وأجيبـــه :

ـ أوامرك مطاعة وهل بامكاني أن أخرج عليها ٠

ثيابي الداخلية فقدت لونها الطبيعي وباتت في حالة مزريـــة من الوســـخ وارتديت الثياب المرقطة بدونها ٠ طلب مني أن أجلس على المقعد المواجه له ٠ فجلست وبدأ مقدمة سياسية متحدثـــا عن « جبروت اسرائيل » ومقدرتهـــا العسكرية وتفوقها على كل « الانظمة العربية مجتمعة » وعلى من يساند هذه الانظمة لينذرها بالتهديد والوعيد وعلى رأسها « الاتحاد السوفياتي » ، الـــذي خصه بالذكر وبالهزيمة المنتظرة له على يد « اسرائيل » ٠

تابع المحقق حديثه مسترسلا بعد المقدمـــة المبنية عـــلى الغرور والوهم ، الذي عززه ضعفنـــا العربي دون أن يخلو حديثـه من أسئلة استيضاحيـــــة مـــن حـــين لاخـــر وكلمـــا راق لـــه عـــن اسمي وكامـــــل هويتـــــي الشخصية والعائلية وطبيعة عملي ليختتم عرضه الفولكلوري بتوجيه الاتهـــام الصهيوني لـــ « فتح » ومنظمات « التخريب » وناسبا لي « الانتماء » لفتـــح ومسؤوليتي عما فعلته فتح والمنظمات وحركة التحرر العربي والعالمي أيضـــا ضد الصهيونية !٠٠٠

أبديت عجبي واستغرابي من المقدمة والاتهام ٠ والامر بالنسبة لي فعـــلا بمنتهى الغرابة والعجب ، وادركت أن خلاصة كلامه باللغة الدارجة « بوش »، لا يعبر عن شيء اكثر مما يعبر عن غروره وغطرسته النابعة من غرور وغطرسة الكيان المصطنع الذي يمثله ، والذي وضعه في هذا الموقع ، وشعرت أنه ما من

مغرور في هذه الدنيا الا وسقط على رأسه ، أين عنجهية هتلر والنازية ؟ لقد باتت في خبر كان ! في ذمة التاريخ !...

كنت مع نفسي مدفوعا بالاستعجال للاجابة عليه ، لان ما سيقوله سياسيا معروف لدي ، وما أن أنهى أطروحته حتى وجدتني مجيبا :

ببساطة ماذا يعنيني هذا الكلام الذي قدمته ؟ وأين موقعي من السياسة العربية والدولية ، لقد عرجت على الاتحاد السوفياتي وهددته وتوعدته ، فمن أكون أنا من لعبة الامم والكبار ؟؟ وقد فاتك أن تشركني بلعبة العرق البشري السامية أو اللاسامية مع التذكير بأنني سامي ، قد أبدو أمامك متفلسفا لكن أذكرك أنني محام من حقي الدفاع عن نفسي ، ومن هذا الموقع بالذات أقول : أنا بين يديك اعتقلني « جيش الدفاع » لماذا ؟. الاجابة ليست عندي ولا أريد أن أدخل في نقاش سياسي ، وأطلب حصر النقاش في الاطار القانوني لتقديري أن أي نقاش اخر غير مجد في واقعنا ، اذا كنت بتصورك لنفسك أنك غالب وأنا مغلوب ، فما قيمة النقاش السياسي بين غالب ومغلوب . وفي النطاق القانوني أطلب توجيه اتهام محدد لي ليكون بامكاني الرد عليه. هكذا تكون اللعبة وهذه أبسط أصولها . أما اذا كان عندكم حكم مسبق على كل الامور عملا بمفهوم الغالب فلا داعي حتى للنقاش القانوني ، اذ بامكانك توجيه التهمة واصدار الحكم وقضى الله أمرا كان مفعولا .

ـ قلت انك من بنت جبيل وكان سعد حداد يبحث عنك طوال اليوم ويطالب بتسلمك فما رأيك بتسليمك لسعد حداد ؟!

ـ لست مجرم حرب ولا أنا « ايخمن » . قلت لك انك الحاكم وصاحب القرار . بامكانك أن تفعل بي ما تشاء ، تقرر اعدامي ، تقرر تسليمي لسعد حداد .. أنا بين يديك مشلول الارادة ولست بصاحب قرار آملا أن تتقبل تعابيري أحيانا لانني أذكرك مجددا بكوني محام .

ـ نريد منك أن نتناقش سياسيا وتتعاون معنا فنطلق سراحك لتعود الى أطفالك وأسرتك على أن تجري مقابلة تلفزيونية تتحدث فيها الى الجنوبيين بضرورة التعاون مع « جيش الدفاع » ضد « المخربين » ...

ـ مجددا أكرر أنني لست بوارد النقاش السياسي سواء في الجلسة أم على شاشة التلفزيون كما وأنني لست بوارد التعامل . قبل قليل هددتني بسعد حداد والان تقدم لي اغراء لا يؤثر علي مهما كانت ظروفي صعبة . أنا فقط محام في بلدي أريد نقاشا قانونيا لان كل ما هو معروف عني أنني أشارك في الحقل الاجتماعي . هذا العمل مسموح به حتى في الضفة والقطاع لست مدانا بأي عمل حتى أدفع الادانة بالحديث على التلفزيون . وماذا تراني أتحدث ؟! عن المرقط الذي لبسته للمرة الاولى في حياتي حتى اذا شاهدني الجنوبيون قابلوا حديثي بسخرية بسبب مظهري الغريب ! أم أتحدث عن العصي التي أكلت من جسدي ؟ وكيف أطل على الشاشة والكدمات ظاهرة على وجهي ؟ أريد منك

أن تجيبني أنت هل تركتم مجالا للحديث ؟ ومن يسمع في صور أم في الجنوب؟ لقد أخطأتم حتى بحق أنفسكم بما أقدمتم عليه من تدمير واعتقالات · قد لا يعجبك كلامي ، ولن أسترسل ، لأقول أنني مصمم على عدم الحديث مهما كانت النتائج التي تراني جاهزا لتقبلها حتى ولو كان حكم الموت ·

لم يسفر الجدل الدائر بيننا عن أي جديد بامكانه أن يحصل عليه مني ، وقد كانت بداية الجلسة تشبه لعبة شد الحبل فيما بيننا · ليس بين يديه أية معطيات يناقشني بها ، سوى معطى الترغيب والترهيب ، أو أية زلة من زلات لساني · أما أنا فشعوري أنني أملك مقدرتي الذاتية على توجيه أي نقاش لصالحي ، بدون أن أستفزه أو أمكنه من التقاط أي موقع من نقاط الضعف ، بدليل أنه وجه لي أخيرا تهمة الانتماء لمنظمة فتح ، معلنا من حيث لا يدري افلاس التحقيق ووصوله المحتوم الى الطريق المسدود ·

وأحدث نفسي : فعلا أمرهم غريب ! ما دام سعد حداد يطالب باستلامي ، فمن المفترض أن يكونوا قد تعرفوا علي على الاقل ، اذا لم يجمعوا أرشيفي الصحفي ·

وتطل من مخيلتي في أرشيف الذاكرة ، امرأة مسكينة قصدت ، يوما عبر البوابة المجاورة لبلدة رميش (١) مستوصفا «اسرائيليا» في عام ١٩٧٦ ، وعندما سألها يوما ضابط المخابرات عن اسمها ، فعرفته بنفسها ، واذا به يصرخ في وجهها قائلا : أنت من عائلة فلان · اذهبي ليعالجك في مستوصفاته · يومها كنت في الهيئة التنفيذية لمؤتمر دعم الجنوب وأتواجد غالبا في مستوصف بنت جبيل ·

هل يعقل أن المحقق لا يعرف انتمائي ؟ أين ملفي ؟! أين الارشيف الصحفي؟ من المؤتمر الوطني لدعم الجنوب الى المكتب التأسيسي للجان العمل الشعبي في الجنوب ، ومن رئاسة مجلس بنت جبيل السياسي الى اللجنة العليا للمساعدات القومية لحزب البعث العربي الاشتراكي ، ومن اللجنة المشتركة للمساعدات القومية (حزب البعث ، فتح) الى الصندوق الوطني لدعم صمود الجنوب ولجنة قضاء بنت جبيل ، ومن هيئة القضايا في مجلس صور السياسي الى أمانة سر مهجري الشريط الحدودي ، الى تجمع فعاليات جبل عامل ، الى ·· الى ·· الى صفحات الصحف اليومية : النهار ، السفير ، بيروت ، النداء ، اللواء ، الوطن ، جماهير لبنان ··· الى ما لا نهاية من تجارب سنوات الحرب ·

انطبع في ذاكرتي ، لحظة تحديد الاتهام ، فيلم وثائقي كامل عن نشاطاتي السياسية وتجارب عملي السابقة وهويتي التنظيمية المعروفة والمحددة · انطبع الفيلم الوثائقي في الذاكرة وأنا في معرض الرد ، وليدور الحوار التالي :

ـ أمركم غريب ، غريب وعجيب ، في المشيرفة نظمتموني مع الديمقراطية

مستوصف قرب رميش : هو مستوصف على بوابة « دفيف »

والان مع فتح . ألديكم قوالب جاهزة ؟! واذا كان الثوب مفصلا فلما الجـــدل ولما الاجابة ؟!...

أنا لست في فتح ولا في الديمقراطية وليس لي انتماء لاي تنظيم فلسطيني ، وأنا كمحام لبناني لي علاقاتي ومعارفي في بلدي من خلال علاقاتي المهنيـــة التي عمرها ستة عشرة سنة . هذه العلاقات تفرض اذا كان لا بد مـــن ذلك ، الانتماء لتنظيم لبناني . من تنظيمات الحركة الوطنية اللبنانية وليس الانتماء لتنظيم فلسطيني .

ـ حاتم قال انك في فتح واعترف عن نفسه !...

ـ سامحه الله اذا كان قد قال ذلك . أنا لست في فتح وحاتم لا يقول ذلك أما اعترافه عن فسه فهذا أمر يخصه .

ـ طبعا تعرف حاتم؟!ولكن ما هو السبب الذي جعله يعطينا معلومات عنك؟

ـ نعم أنا أعرفه ولكن لن يعطي معلومات عني لاني لست في فتح .

ويدور نقاش مطول حول حاتم وانتمائه ورتبته العسكريـــة والمافيـــا التي يشكلها موجزا معلوماتي ، قائلا :

ـ انني أعرفه ككاتب عدل أنظم وكالاتي عنده وعنـــد سواه ، وفق ارادة الزبون أو عميل مكتبي ، لا أعرف عن انتمائه شيئا ، أكثر من وجيه في المنطقة له علاقاته مع كل الناس .وحتى أتعرف عليه اذا كان منتميـــا أم لا يجب أن أكون أنا منتميا لذات التنظيم المنسوب له . وقد قلت لك أنني لست منظما وفي فتح تحديدا ولا أعرف عن حاتم أكثر من أنه كاتب عدل ووجيه . ولست مـــن «مافيا» حاتم كما تتهمونه ،أو حتىأعرف شيئا عن«المافيا». اما بشأن علاقته مع « ابي العبد » ، كنت آشاهده في مكتبه مثلما كان يزورني في مكتبي ويزور كل الناس ، هذا شأن طبيعي وكنت أحيانا أشاركهما في تناول القهوة ونتحدث في العموميات ولا أعرف ما طبيعة العلاقة التي تربطه « بأبي العبد » أكثر من ذلك لانني لست طرفا في العلاقة .

ومن الحديث عن حاتم ينتقل التحقيق للحـــديث عن « عزمي أبو العبد » وتتراكم الاسئلة ، لأجيب : انني أعرفه أيضا وأعرف السيـــد العلامة الجـــار والمطران والمتروبوليت والنائب السابق والحالي في صور وغير صور ، كما أعرف أبا عمار وكامل الاسعد وشفيق الوزان والبطرك والمفتي والامام لان المنطق يقول بمعرفتي لهؤلاء الناس بحكم موقعي الاجتماعي والمهني .

ـ من هو نائب عزمي ؟

ـ لا أعرف

ـ هل تعرف زكي ؟

ـ لست معنيا بمعرفة الجزئيات أو التفاصيل ، أعرف العناوين كمعلومـــات عامـــة .

ـ اسماعيل نائب عزمي ؟

ـ من هو اسماعيل ؟ لا أعرفه

ـ الحاج اسماعيل
ـ (أتستغبيني) ؟! الصحف اليومية كانت تقول أن الحاج اسماعيل قائـــد القوات المشتركة في الجنوب .
ـ منذ متى التقيت بأبي العبد ؟
ليس بيني وبينه أية مواعيد محددة واذا حصل أي لقاء يكون في المناسبـات العامة أو بفعل الصدفة .
وبسبب ادراكي لبعد السؤال لكونه يشكل مدخلا لنقاش طبيعة العلاقـة ، استطردت مدللا على صدق ما اقول باحالته على مناسبتين .
ـ واخر لقائين حصلا ، الاول قبل شهر من الاجتياح لدى افتتاح مختبرات الجامعة والثاني قبل اسبوعين في مطعم نجده حيث كنت مع مختار احدى الضيع ، فدخل المقهى والقى علينا التحية عن بعد ، وبادلناه التحية وجلس على طاولـة بعيـدة .
ـ مـع مـن كـــان ؟
ـ مـع مرافقيـــه .
ـ ما اسـم مرافقيــه ؟
لا ادري ، وقلت لك انني لست معنيا بمعرفة التفاصيــل ...
ومن عزمي ينتقل الجدل الى ابراهيم شيخ الضيعة ومدى معرفتي له ؟ وهل لديه مافيـا ؟ وهل هو منظم في فتـح ؟ وما هي رتبته العسكرية ؟ والى مـا هنالك من الاسئلـــة ....
واجيب معرفتي بشيخ الضيعة لا تتعدى تبادل التحية من بعيد لبعيد ، لـم التــق بــه ولـم يلتق بي في اي يوم من الايام ، كما لا اعرف احدا من اخوته وانني اعلم انه يشتغل بالتجارة على المرفأ ومعرفتي لا تتعدى اكثر من ذلك ولست على علـم بانتمائه التنظيمـي .
ساعات مطولـة استغرقها التحقيق ، وكل ما دار حوله خارج الصحـن ، ولا علاقة لـه مـن بعيد او قريب بدائرة انتمائي السياسي ، ولم يلامس موقعا من مواقعي الاجتماعية والتنظيمية .
فعلا امرهم طريــف ! ولا يعرفون شيئا ولم يتوفر لهم اي مدخل للنقاش او الجدل من شأنه الدخول في عالمي السياسي ! لقد بقيت الدائرة مغلقة وبقيت في اطار العموميات من القول ، الذي لا يغني ولا يسمن من جوع ، وشكلت مهنتي اطارا للتلطي والتحصن بها وحتى الان انا في حصن حصين اذا لم يتوفر لهم الملـــف .
من دون شــك اذا تواصلت الاحوال على هذا المنوال ، ستكون النتيجـة رابحة . ولن يحقق العدو اهدافه مني وينال مبتغاه لان المحصلة حتى الان عدم تعرف مخابراته علي ، بالرغم من هويتي الشخصية الواضحة وهويتي السياسية المعروفة ونشاطاتي السابقة ، التي كانت معروفة بدورهـــا على صفحـات الجرائـــد .

وحتى لو استمر التحقيق وطال امده ، بدون معطيات ومعلومات جديدة تتوفر لـه ، سيصل حتما الى الطريق المسدود . لقد سقطت الهالة الضخمة التي كانت عالقة في ذهني وانهار معها جدار الوهم الكبير ، وانا بت بعرفهم مواطنا عاديا ، ما هو متوفر لهم لا يشكل مبررا لاعتقالي .

وما دام الامر كذلك ، بنتيجة الحسابات الذاتية مع النفس ، لما لا اتحدث اكثر واواجه بصلابة اشد ؟! واجد نفسي مدفوعا للقول :

ـ حضرة المحقق بعد ان استغرق التحقيق معي المدة ، التي استغرقها ، وبعد ان عانيت مما عانيت من تعذيب جسدي ونفسي وقاسيت من وطأة العصي والخراطيم والكلبشات والاكياس والعصبات والجوع والعطش .. ومن الوسائل والاساليب التي لا مجال لتعدادها . بعد كل ذلك هل لي من ابداء ملاحظات ولو عابرة على التحقيق ؟ وهل من مجال للاستماع اليها ؟

ـ قـل ملاحظاتـك ؟

ـ انـا محام كما نوهـت وغدا سأشارك في مؤتمرات حقوقية وقانونية ، فماذا تتصور مني ان اتكلـم ؟ اتراني اتحدث عن ديمقراطيتكم وحسن المعاملة واحترام حقوق الانسان ؟! لو قلت لك ذلك ، عليك الا تصدقني !.. لانني لن اتكلم الا عن المعاناة مـن وطأة العصـي .

الملاحظة الثانية خلاصتها ، لو سلمنا جدلا انني في حزب لبناني من احزاب الحركة الوطنية اللبنانية اي حزب كان . لان الاحزاب اللبنانية تحمل تراخيص رسمية من السلطة الشرعية اللبنانية ، فبأي صفة تعتقلني دولتكم وتحاسبني على انتمائي السياسـي ؟ وانا لسـت من رعاياها . الدولة اللبنانية نفسها ليس لها حق محاسبتي على هذا الانتماء ! . من جهة اخرى ، دولتكم لـم تعلن الحرب على لبنان وانما على منظمة التحرير ، وبالتالي ليس من حقكم قانونيا اعتقال اي لبناني ومحاسبته مهما كان انتماؤه السياسي . فما هـو مبـرر اعتقالـي ؟

الملاحظة الثالثة كونكم اقدمتم على احتلال اراض من بلدي وافهم القانون الدولي الذي ينظم العلاقة مع المحتل . وفق فهمي القانوني من حقكم ان تحافظوا على احتلالكم وتؤمنوا حمايتكم ، وفق نصوص شرعة جنيف ، هذه الشرعة التي اعطت بدورها لنا الحق بمقاومة الاحتلال . لكن الملاحظ حتى الان اننا لم نمـارس هذا الحق المشروع ، لان احتلالكم ما زال حديث العهد . ومـا دمت لـم اقاوم هذا الاحتلال فلما اقدمتم على اعتقالي ؟

مـا ان اختتمـت حديثي حتى ابدى اشارة بتجبر وتكبر قائـلا :

ـ خـذوه !..

اقتادني جندي بحلتي الجديدة المرقطة الى مكان مجاور . فتح بابا حديديا ووجدت نفسي في زنزانة على ارضها فرشة اسفنج . اغلق الباب للتو وتركني وحيدا وسط ظلمة المكـان .

حسنا فعل !! هذه فرشة ، انني بحاجة للنوم وجوانبي بحاجة للراحة ، بعد طول معاناة لايام عدة لا قدرة لي على حسابها . كل الايام كانت صعبة ومرة واجمل ما في الامر الان ، الفرشة بعد نظافة الجسد بالاذن من المرقط والعصي.

مفاجأة العمر كانت فعلا ارتداء المرقط !! نعم ارتديته للمرة الاولى في حياتي امام المحقق الصهيوني ، وللمناسبة اخذ لي صورة تذكارية بعد ان حملني خشبة عليها رقم معين . والصورة التذكارية لم تؤخذ بالمرقط فقط بل اخذت وانا عاري الجسد بعد الحمام !!..

ولما الهرب من المرقط ؟ احدث نفسي قائلا : شئت ام ابيت لك انتماء سياسي . نعم وانا في الحقيقة منتم سياسيا وستزداد صلابة انتمائي اكثر . ما حصل لن يزيدني الا ايمانا وقناعة . سأرتدي المرقط واقاتل الصهاينة ، اذا بقي لي فسحة من العمر .

واعود للفرشة . انها مكسب وانجاز رائع ، تفتح الشهية للنوم ويترافق التعب مع ظلمة الزنزانة واستسلم بسرعة وخلال دقائق معدودة ، اجفاني اطبقت بدون بذل اية محاولة واستلقيت مع نوم عميق .

لا ادري اذا الزمن طال او قصر وانا مستلق ، كل ما شعرت به ، مع طرق الباب بقوة من حذاء وعصا جندي عبارة ايقظتني . قف !.. وفتح الباب .. صارخا من جديد ... قف ! ..

شعرت انني بحاجة لان انام اكثر مع محاولتي تحريك جسدي باتجاه الوقوف ، عيناي ما زال متحكما بهما الذبول وفي مخيلتي صور اولادي.الاحبة بحالة من الحيرة والفجيعة !. واحلام مزعجة مرت في ذاكرتي ..

تقدم نحوي قائلا :

ـ بدل ثيابك . حسنا انها ثيابي المدنية ، بنطلوني وقميصي . لقد تخلصت من المرقط . غيرت ثيابي ومعها كان لي عودة جديدة للطقوس المخابراتية . العصبة والكيس والكلبشة . مهما كانت الظروف صعبة فانها افضل مما مضى ، نوم قليل، اراح جسدي وزودني بقدرة جديدة . والخلاص من ارتداء المرقط مسألة ايجابية ...

اقتادني بعصاه الى مكان قريب وطلب مني رفع يدي ، تظاهرت انني غير قادر ، فأصر مهددا بالضرب .

رفعت يدي لحظة وشعرت باعياء ، فألقيت نفسي ارضا قائلا : لا اقدر على الوقوف . اقتلني افعل بي ما شئت ، لن اقف ، دعني اقابل مسؤولك . ويسألني .

ـ هل عندك شيئا تقوله له ؟

ـ نعم عندي الكثير !!!

تركني ارضا وولى . وشعرت انني كسبت جولة جديدة بحالتي الراهنة ويتقدم من حين لاخر جندي جديد صارخا : « قف ، ارفع يديك » واجيبه

ادارتك سمحت لي ان ابقى هكذا راجع ادارتك ... بعد مدة حضر جندي واقتادني الى غرفة ورفع الكيس والعصبة عن عيني ، فاذا بي مجددا امام المحقق الــذي قــال :

ـ ماذا تريد ؟ ابلغني الجندي ان عندك اشياء ، تريد ان تقولها لي :

ـ نعم اريد ان اقول لك ماذا تريد انت مني ؟ !! لقد حققت معي . وكل ما عندي قلتــه لــك ، حتى معرفتي بابي عمار من دون ان تسألني عنه . وما عندي ليس بذي اهمية تذكر ، ولا امتلك اية معلومات ، كما لن اتجنى على احد ايا كــان . وحتى معرفتي بأبي عمار ليست جريمة !. فماذا تريد انت مني ؟ لما اعيد توقيفي على الحائط مرفوع اليدين ؟ وانا لست بقادر جسديا على الوقوف . لما التهديد بضربي بالعصي ؟ لقد شاهدت جسدي ولســت استدر عطفك او شفقتــك . اذا كنت « ايخمن » بعرفك اقتلني وانــا لست « بايخمن » وأنــت تملك حق قتلي ..

التفت نحو الجندي قائلا : « خــذه » .

اعاد الجندي الكيس والعصبة الى سابق عهدهما وامسكني بكتفي وســار بي . الارض تحت قدمي مصبوبة بالاسمنت . يفتح بابا حديديا ويدخلني منه ويعيد اقفاله . انها تبدو غرفة جديدة . وبشكل تلقائي ، بعد اطمئنانـــي لذهابه وجدت نفسي ارفع الكيس والعصبة واذا بي في زنزانة جديدة بدون فرشة وامامي معتقل معصوب ومكبل ، يرتدي ثيابا مدنية متسخة وعلــى ظهر قميصه علامة (★) باللون الاحمر ومع « رقم » .

يــا رب مــا هذا ؟ هل عدنا للتشطيب ؟ للموت ؟ هل قميصي ممهـــور كذلك ؟ تقدمت من رفيق الزنزانة وخاطبته :

ـ يا أخي انا معتقــل مثلك . ارفع الكيس والعصبة عن عينيك . لا يوجد احد سوانا هنا . ويجيبني بعبارات كلها معاناة :

ـ حل عن ظهـــري .

ـ يــا أخ لا تخف انا مثلك . اريد ان ترى ماذا كتـــــب على ظهري ؟!

أرجوك لا تخــف .

ـ قلت لــك حل عن ظهري ولا تحدثنـــي .

ربما يكون متوجسا وخائفا دعه وشأنه . لن يتكلم ، أبقــــى وشأنك .

ايجابية وجودي الى جانــب رفيق جديد تجعلنا نتحدث سويا لاحقا ، اذا بقينا مع بعض . سيتغير بعد حين ، دعه ولا تستعجل الامور . يتتابع الزمن وصاحبنا لا يتغير ولا يتبدل . صامتا كصمت ابي الهول . وابقى حذرا من عودة اي جندي مسرعا ، لان المشكلة تعدت العصبة والكيس الى الكلبشة ، التي تفلتت من يداي وعلي في اللحظة المناسبة تضبيط الوضع الطقسي بسرعة.

يمر الزمن ، عيناي متنقلة بين الرفيق الساكن وعدة الطقس المخابراتــي وذهني المترقب لعودة الجندي متأهبا ، واذا بالباب يقرع من جديد .

فورا اتممت كل الواجبات واقتادني الجندي الى صنـــدوق سيـــــارة « ستايشن » . امسكني بعنف ورماني ارضا واذا بي موضب ومحشور مــع مجموعة مــن المعتقلين امثالــي !...

اضلاعي احسها تكسرت والانين يصدر عن الجميع والعصي تنهال علينـا الواحد تلــو اخر .

يا رب ما هذا ؟ وما الذي يحصــل ؟ هل عدنا للمضحك المبكي ؟ كأننـا في لعبة الصغار : « انا اعمى ما بشوف » وتنهال العصي !..

مع حركة سير السيارة وتسارعها يعود السائق ليوقفها فجأة ، يضغـــط فرامله بعنف ، مــع ذلــك يشعر كل واحد منا ، بانه قفز من مكانه ليقـــع على رفيقه وتتعالى الاصوات مع ثبات كل منا في موقعه لحسن التوضيب . وترتفع الصيحات انينا واستغاثة للخالق ، ومع تعاليها تتعالى ايضا مسبات الصهاينة لنا وبذاءتهم المستوحاة من الحضارة اللوطية .

ويكرر السائق اللعبة من حين لاخر ومع تكرارها تدور الدائرة كل مــرة علينا وتسير السيارة الى اين يقتادوننا ؟ لا ندرك . وتستقر السيارة اخيرا بعد زمن قدرنــاه بالساعات .

مأوانا الجديد سجن مجدو

استقرت السيارة وتوقف محركها عن الحركة لتبدأ حركة الجنود بنا وتدور المكنة المخابراتية . هذا هو التصور ؟؟...

نخرج من صندوق السيارة الواحد تلو الاخر ، العنف هو الطابع الغالب على كل شيء ، في طريقة اخراجنا واقتيادنا وضربنا .

ها نحن في ممر داخلي وجندي ، ينزع عدة المخابرات وطقسها ، الكلبشة والكيس والعصبة ، للواحد تلو الاخر ويوقفنا على مدخل باب حديدي لغرفة تجاورها في الممر غرف عديدة ونحس اننا في سجن ، رغم الصمت الكلي .

عددنا ثمانية لا اعرف منهم احدا ، من بينهم رفيق الزنزانة المهور على ظهره كما يبدو لي من شكل جسده .

جندي يفتح الباب ويدخلنا جميعا الى الغرفة ، ونقف في زاويتها ، ننظر لبعضنا البعض بعيون فيها حشرية التعرف .

يتطلع رفيق الزنزانة نحوي ، ويدور بيننا الحوار التالي :

- انت فلان .
- نعم ، من اين تعرفني ؟!
- من صور ومن ابن خالك في صيدا انه صديقي !...
- من انت لا اتذكرك ؟
- انا سكران . سبق لاسرائيل واعتقلتني مدة ثلاثة عشر عاما واطلق سراحي في عملية النيروز التي اجرتها القيادة العامة . لي تجربة في السجن .
- ليست لدي تجربة . هذه اول مرة ازور فيها السجن في حياتي . لم اكن اتوقع ان اكون سجينا في يوم من الايام !.. اولست انت الذي حدثتك في الزنزانة وطلبت منك ان ترفع الكيس والعصبة عن عينيك فرفضت ؟..
- بلى . انني لم اتعرف عليك . ورفضت بحكم تجربتي السابقة خوفا ممن تدسهم المخابرات فيما بيننا . انني اعرفك جيدا من ابن خالك مثلما اعرفك من صور ...
- هل تعرف محمد ابن خالي جيدا ؟
- نعم انه صديقي ...
- ماذا حصل له ؟ هل هو بخير ؟
- اعتقد انه بخير ، لانه غير معروف عنه شيئا في مكان اقامته .
- واين اعتقلت ؟
- في صيدا ...
- اذن لقد تجاوز الاجتياح الزهراني . وهل سقطت صيدا ؟

ـ نعـم ٠ وتم تجميع الناس على البحر ٠ مآسي هناك !! ٠٠ امضوا اياما بلياليها ، وبدأت حملة الاعتقالات الواسعة ٠ هناك حشود هائلة من المعتقلين ينقلون اولا الى الصفا والراهبات ، حيث يتـم تعذيبهم في امكنة التجميع وبعدها ينقلون الـى الداخـل ٠٠ كثيرون ماتوا اثناء التعذيب ، مثلما قصف الطيران ملجأ وسقط على من فيـه ٠ في صيدا مآسي كوارث !٠٠٠

ـ في الزنزانة سألتـك عن العلامة ، التي على ظهرك ٠٠ ما هي ؟ وهل يوجد علامة على ظهري ؟

ـ في الجورة يعطون للمعتقل رقما ٠ هذا رقمي ٠ اما انت فلا يوجد شيء!

يدخل على خط الحديث المباشر شخص اخر ، طويل القامة ، خمسيني العمر ، ويسلم علي ويجيبني : انه يعرفني من صور ومقيم في بناية مجاورة لمنزلي ٠ استوضح سبب اعتقاله فيجيبني مجددا : « بعدين نتحدث » ٠ بقية المجموعة ، غالبيتهم جنود سوريون اعتقلوا في منطقة جزين وهناك فتـى في مقتبـل العمـر من صـور ٠

في الممر الخارجي نسمع وقع اقدام جندي ينظر ويقول : « ثمانية فـي الزنزانة ، لا احد يتحرك من مكانه ابقوا واقفين ٠٠٠ » ٠

بضع دقائق تمر في حالتنا الراهنة ، واقفين نترقب الخطوة التالية ولدينا الاحساس بشيء من الراحة بعد الخلاص من طقس « الستايشن » ٠ ومع ذلك ما زلنـا نشعر ان اضلاعنا مضغوطة ومطبقة على بعضها ٠ عدة المخابرات التي فارقتنا من كيس وعصبة وكلبشة جعلتنا غير آسفين لفقدها ، علما بأن آثارها ما زالت حاضرة جسديا ونفسيا ٠

يقرع الباب من جديد بعصاه ويفتحه مستدعيا اربعة من المجموعة ويخرج بهم ، مقفلا الباب الحديدي ٠

آه لقد خسرت سكران وبقي الشاب الصوري وابو ماجد الخمسيني وجندي سوري نظامي ٠ ذهب سكران وانا بحاجة اليه لاحساسي بدفء العلاقة معه ، من حديثنا ، الذي اقتصر على بضع كلمات ٠ انني بحاجة لتجربته الاعتقالية ، لكنه ذهب وامـري للـــه ٠

في الخارج اصوات عصافير تزقزق ، لقد اشتقنا لهذه الاصوات ؟ اين نحن ؟ لا ادري ٠٠ كل ما في الامر اننا في زنزانة بناؤها قديم ولها باب حديـــدي سميك ، يحدث صدى في الممرات لدى طرقـه ٠

الزنزانة حدود عالمنا تؤدي الى الممر ، الذي يشكل نهايات العالم المعلوم وما بعده ، مجهول كليـا ٠

في داخل عالمنا حمام ٠ لا بأس نقضي حاجتنا بعيدا عن تدخل الجنـــود وركلاتهم ٠ واستطلع مصدر خرير المياه ، قد تكون حنفية منزوعة ، واذا بها تسيل بغزارة فـي « المقعدة » ٠

حسنا سأنظف الوسخ العالق بجسدي بواسطة كيلة بلاستيكية صغيرة فـي الزاوية ٠ واعود من جولة الاستطلاع على الحمام ، لاقبع الى جانب الرفاق

الثلاثة الباقين في القسم الخلفي من الزنزانة ، وعلى مدخل الحمام .
المياه تستمر في الخرير وتفتح شهيتي على النظافة ، التي افتقدتها منذ اسبوع . واتذكر انني مررت في فترة « تدريب » سابقة ، اذ تدربت على تحمل الوسخ والجوع وعدم الاهتمام بالمظهر في فترة تساقط القذائف والحمم على صور ، وبعدها اثناء الحجز الجماعي في الاستراحة . لا شك انها كانت فترة تدريب جيدة ، مقدمة لوضعي الراهن . ثيابي المدلسة كثيرا فقدت لونها ، وباتت بحاجة ولو لغسلها كيفما كان .
في الزوايا الاربعة للزنزانة وتحت السقف اشكال اجهزة لاقطة للصوت والصورة . هل وصلت الامور الى هذا الحد ؟ مراقبتنا في هذا العالم الضيق . تطلعت سابقا في زنازين زرتها لكنني لم انتبه الى اجهزة من هذا النوع .. وادرك باختصار ان كل الامور واردة ولا بد من الحيطة والحذر ...
في مدخل الزنزانة سريران من الاسمنت وعلى طبقتين وغرفة نومنا خاوية كليا ، الا من الاجهزة وكباية البلاستيك وأتذكر الفرشة التي وجدتها في زنزانة مرة سابقة ونمت عليها ، باتت حلما بل أمنية الان !..
في الخارج وقع خطوات جندي قادم ، فتح بوابة الممر وها هو في الطريق .. يضربه بعنف ويفتحه بقدمه ، في يديه قطع من الخبز وحبات بندورة . نتناول ما في يديه ونتقاسم ، ما منّ به الصهاينة علينا ، انها وجبة فطور لا بل الوجبة الاولى للطعامبعد أسبوع من اقامتنا في ضيافتهم . فترة مرة ، حقيقة نسيت الاكل فيها ولم أشعر بالجوع أبدا .
اوضاعنا باتت جيدة !.. لدينا حمام وماء وخبز وبندورة .. ما زالت الدنيا بألف خير وما زال بها طعام !..
نتبادل أطراف الحديث مع بعضنا ، ثلاثتنا اعتقلنا في صور سويا ، من هذا الرابع الذي معنا ؟ ولما تم وضعه في مجموعتنا ؟ في مطلق الحالات لا شأن لنا به ، ولا داعي لكشف أية أمور أمامه وأمام سواه .
« علي الصوري » لا أعرفه سابقا وهو يدعي بأنه لا يعرفني . أمره يدعو للريبة ، أيعقل أن يكون ابن صور ومنظم ولا يعرفني ؟
في معرض الحديث ومحاولة اكتشاف تركيبته ، قلت له : انني من بلدة حناوية ، ممازحا ، لكنه عاد وعلم بصفتي المهنية من الحديث وسألني قائلا : لما تضحك علي ؟ وعلى وجهه بدت علامات البساطة والصدق . مزيد من الحديث اللاحق معه ، كاف لتحديد وضعه ...
« أبو ماجد الخمسيني » كشف لي أوراقه ... وكشف لي معرفته بي « حلا ونسبا » كمايقال .
لا داعي للتحفظ معه ، كل ما عندي معروف لديه ، لا بل عرفني عن وضعه المجهول مني ...
مسكين انه يشتكي من أضلاعه فيها كسور ، وشكواه تنطلق من حين لاخر ،

كلما حرك صدره ...
رابعنا الجندي تظهر عليه علامات عدم الاهتمام ، يضحك ويمزح . وأقدّر بنفسي ، أنه ربما كان نظاميا وفي حساباته أن الاسر قد حصل ، لن يطول شأنه وسيخرج بنتيجة عملية تبادل خلال أيام حسب قوله ... انه يعرف بعض الجوانب القانونية عن أسرى الحرب وها هوذا يلمح اليها . معرفته بدون شك مصدرها ثقافته العسكرية كجندي .
ننهّي وجبة فطورنا وأقف لأتفقد مكان نومي في الطابق الاول من السرير . مأساة القدر بل مهزلته . انني الان أمام غرفة نومي الجديدة، بديلا عن غرفتي السابقة المكيفة ذات الوثار الدافىء !.. وأعود للحديث بهزء مع الذات .
ولما أنت جاحد وتنكر فضل الصهاينة عليك ؟! لم يسبق لك وتناولت فطورا في حياتك الا نادرا وهم حريصون على تقديم وجبة شهية لك الان ، قدموا لك البندورة مع الخبز ، هذا هو طعام (المغلوب على أمرهم) من الناس وأنت بنفسك اخترت هذه الطريق .
أبقى حذرا من « علي الصوري » ومتخوفا منه . لهجته تدلل على أنه ابن المدينة ، لكن ليس لي معرفة سابقة به ، وبذويه الاقربين ، وأشعر أنه مقتلع من عائلته الصورية المعروفة . أمره فعلا يدعو للشبهة ، لا داعي للتعاطي معه ، ربما يكون يعرفني جيدا وينكر . حسنا فلتترك الامور لتتضح أكثر .
خرير الماء يتواصل ، شهيتي تزداد على البدء بغسل ثيابي الملطخة كثيرا . لكن من أين لي ملابس داخلية ، لا شك أنه لاحظ مقدار اتساخها ، فقرف من أن يمسك بها ، لم يعدها لي الجندي مع ثيابي المدنية ، ففقدتها مثلما فقدت حذائيَ . لا بد من الحمام أولا ولو بدون صابون ، ولأبدأ بغسل قميصي لانه ينشف بسرعة تاركا بنطلوني الى الليل ، « فأتمنطق » بالقميص .
حركة الجنود في الممر الخارجي تكاد تكون معدومة . صمت يلف المكان ليقطعه ، من حين لاخر ، صوت حركة بعيدة .
أستطلع الحمام من جديد وأتخوف من عودة أحدهم فجأة . أتفقد المياه فأجدها نقية وتزول محاذيري من الشك في كونها مياه مجارير . كباية البلاستيك هي الابريق الجديد اذا لم نقل «الرشاش» أليست هي وحدها مفروشات المنزل ؟! أخلع قميصي وبنطلوني . وأبدأ بصب المياه على جسدي وأنجز مهمة غسل القميص ، فلون ماء غسيله قاتم لا يختلف عن لون ممسحة الارض ...
فترة نقاهة هذا اليوم في زنزانة مع ثلاثة اخرين . لا بأس انها بديل عن استراحة « نجده » ! و « عروسة خيزران » (١) ! وخرير الماء في الحمام مع جلبة الجنود معزوفة اليوم ، اخر المبتكرات السمفونية ، لا بل سمفونية المقهورين ، « ومازته » البندورة والخبز وما سيستجد من كرم المضيف ، مآكل شهية من ذات النوع وبركة السباحة القسطل المكسور !...

استراحة نجدة : مطعم سياحي في صور
عروسة خيزران : مطعم سياحي في خيزران

فترة نقاهة اليوم ، بدون عدة المخابرات الكيس وتوابعه ، وفي غرفة صغيرة مغلقة . ومع النقاهة تبقى الاعصاب متوثبة ، ننظر لبعض نظرات الحسـرة والحذر ، نظرات مساجين . لحانا جميعاً كثيفة وطويلة مضى على عدم حلاقتها أسبوع وشعر رؤوسنا أشعث ومتسخ ، حتى رأسي الذي غسلته بالماء البـارد قبل حـين .

فترة نقاهة ، وعصافير ما زالت تزقزق في الخارج غير عابئة الا بفرحهـا وعابئة حتى بمأساتنا . وأصوات أنثوية تتعالى بعهر أحيانا من فوق الاسطح ، ربما كن من المجندات . نتبادل الاحاديث المختصرة مع بعض في مجال التعرف الشخصي ويسود الصمت أحيانا كثيرة ، كلما تذكرنا أجهزة الزوايـا ، وأحس أكثر بعلاقة الود مع « أبي ماجد الطويل الخمسيني » ، ربما بداعي تقـارب السن فيما بيننا بالاضافة لعوامل أخرى ...

ويطرق الباب جندي حاملا وجبة الغذاء ، مزيد من البندورة والخبـز . ويمنّنا بفضل بني اسرائيل علينا ، باطعامنا بعد أن سبق لهم وتلقفونا جياعـا عراة !.. حسب قوله .

مساكين نحن ! لقد بتنا نستحق الشفقة . شفقة من ؟ انها شفقة بني اسرائيل! طريف وغريب أمر هذه الدنيا . في الحقيقة ليست شفقة بقدر ما هي امتهـان واذلال لكرامتنا !...

النهار يمر متثاقلا ، نتجاذب ونتبادل أطراف الحـديث دون أن يفوت عن بالنا تذكر أهوال الاجتياح والثقل النفسي للقصف وغارات الطيران . نتبـادل الحديث بهمس وعيوننا ، على أجهزة الزوايا واذاننا تترقب حركات الجنـود في الممرات والخارج ، ويبقى الحذر هو القانون السائـد والمسيطر ، حتى في العلاقة مع بعضنا نحن الاربعة نزلاء الزنزانة المشتركة .

تساورني مع تثاقل الزمن مجددا النزعة الايمانية وأستعيد في ذاكرتي بعض العبارات والادعية ، وأتذكر أنني نسيت الصلاة . لا بد من تعبئة الوقت مجابهة للفراغ الرهيب . لقد نسيت الشعر ونسيت كل العبارات البليغة والامثال ، ربما صاحبنا « الطويل » بحكم سنه يكون متدينا وعلى الاقل حافظا للصلاة ، اذا لم يكن يؤديها ...

استفسر منه ، فيجيبني بالنفي وعدم المعرفة ، دون أن يفوتـه تذكـيري بتأوهاته من أضلاعه المكسّرة وآلام ظهره .

المصدر الوحيد بات الاعتماد على الذاكرة ، لا مفر من التنقيب في زواياهـا والبحث في أرشيفها المغلق ، وأبدأ بترداد العبارات بصمت مع قراءة سريعـة لكتيب يحمله صاحبنا « الطويل » يحتوي على آيات « التحصين » و « آيـة الكرسـي » .

يتثاقل النهار أكثر مع العشية وأرتاح لوجود كهرباء مـع رفاق الزنزانـة

وشريكنا فيها أيضا « الحيطة والحذر » ووجبة « البندوجزرية » (١) بعد أن عزز العشاء بمزيد من الجزر ٠

مع بدايات الليل تمر في ذهني صورة أحبتي ، ومرارة الحياة وحلوهـــا وحنين لسكران المجرب ، وسط وحشة السجن والاعتقال وأتناول قميصي المنشور على أرض سريري لأرتديه ، وأشعر أن لبنطلوني المدلّس حق أيضا ٠

أضعه بالماء ، دون أن أنسى أني حافي القدمين في غربتي بشكلها الجديد ، في هذه الدنيـا ٠

ما زالت ساعتي بيدي وتذكرة هويتي في جيبي ، وما زال بين يدي ما يدلل على ملامح شخصيتي ، بالاذن من قذارة بنطلوني وقدمي العاريتين ٠٠٠

ويغالبني أخيرا النوم ، مثلما يغلب الجميع في أجواء ترداد الادعية الدينية وصور المستقبل القاتمة المظلمة وفي البال ، نومي السابق على أنغام الموسيقى في غرفة مكيفة ضمن فراش ناعم ٠٠٠ أغفو وأستسلم للنوم ، يدي تحت رأسي على سرير من « الباطون » ، بدون أي فراش وبات للالم الجســـدي ، متســـع في أحاسيسي ٠٠٠

مع زقزقة العصافير ، في صبيحة اليوم التالي ، وعهر المجندات في البعيـــد وأصوات الجنود ، تعاودنا الهموم ٠ تتفتح الاجفان والمشاعر مع بعضها عـــلى أسئلة تطرح نفسها ، كيف سيكون يومنا ؟ ما هو المصير ؟٠٠٠

الوقت يتراخى قليلا والحديث الحذر مع بعضنا في بداياتــــه ٠٠٠ صهيوني بعصاه قارعا على الباب وصارخا بعد وقع قدميه ، تأهب ٠٠٠ قف !!٠٠

نقف جميعا ، كل منا في مكانه ، ويسوقنا الى زنزانة مجاورة بعد أن اقتــاد اليها قبلا ، جيراننا الاربعة من بينهم صديقي الجديد « سكران » ، الذي يوضح لي أنهم يقومون بتفتيش الزنازين !٠٠٠

وأتساءل مندهشا : ولما التفتيش ؟ وعما يفتشون ؟ وبحس قانوني ، أجـد الاجابة في نظام السجون ، وها أنذا قد بت سجينا !!٠٠

يمر الوقت سريعا ، كلنا واقفون ، دقائق معدودة ، ننظر الثمانية بعضنـــا لبعض ، قسم منا مندهش وعلامات الحزن والالم بادية عليه ، والقسم الاخر غير مبال ٠ يعاد توزيعنا ، كما كنا ، ويقفل الباب من جديد ٠

« علي الصوري » اتضحت بساطته ، من كلماته وحركاته وحتى قسمــات عينيـــه ٠

أنا بالنسبة له انسان مجهول ، لا يعرف سابقا حتى اسمي ، ولم يسمع به ٠ يسقط الحذر منه وأشعر بضرورة معاملته بعطف أبوي ، وبات « الطويــل » ، رفيق السجن والقريب للقلب ٠ انه يحدثني عن أيام زمان ، مثلما حدثني عـــن « الجورة » التي لم أزرها ، انما رأيتها عبر نافذة الباص ، وعن التحقيق فيها

البندوجزرية : عبارة مركبة من الجزر والبندورة

وأضلاعه المكسرة ، وعن المقنعين خلف الصناديق ٠٠٠
وأتذكر الجورة عندما توقف الباص في وسط الطريق بين المشيرفة والمكان الذي جرى فيه التحقيق معي ، في «الجلمي»، أتذكرها مساحات شاسعة من الارض، محاطة بالجنود المسلحين والشرطان ، أعداد بشرية كبيرة على مد العين والنظر وموزعة مجموعات مجموعات ، لُفتّ أجسادهم عند الصباح بحرامات رمادية في العراء ، كلهم جالسون على الارض في صفوف منتظمة كأنها مقابر جماعية ، صُبغت باللون الرمادي ، تحس بأنهم أحياء فقط من حركة الرؤوس ٠ أصفها لصاحبي « الطويل » فيخبرني أنها « الجورة » وأتذكر كف الحاقد ، التي صفعتني في المشيرفة لدى محاولتي رفع العصبة وأحس أنني تذكرت الصناديق الخشبية والمقنعين ٠ لا شك أن ما لمحته هناك واقفا ، مقنع تخوف الصهيوني من تعرفي عليه ٠٠٠ أخبرت « الطويل » بروايتي وكيف طلب المحقق في حينها، أن أمشي ، ليتثبت من أنني غير مصاب في رجلي وقائلا في الاستراحة قدمك كانت ملفوفة بالشاش وتعرج ! فنفيت !٠٠ واذا « بعلي الصوري » ينفجر متحدثا عن « الملك المتساقط » الذي وشى بالجميع ٠ لقد حفظت اسم أول متعامل ، لكنني لا أعرفه ٠ من دون شك ، هو أو سواه ، الذي أبلغ أن قدمي كانت مربوطة في الاستراحة ٠
يعاودني الشك والتساؤل عن « علي الصوري » لما لم يستبق مع جحافل المعتقلين في « الجورة » ؟! لما نقل معنا الى مركز المخابرات ؟! ماذا يمثل ؟!٠ واقدر أن اسم عائلته او حي لهم انه شيء ! قد يكون مهما قياسا على اسمين من ذات العائلة تم اختيارهما معنا وسلطت عليهما الاضواء !٠ وربما للاستفادة من معلوماته ، وأسأله عن الاسمين المذكورين مستفسرا ، تارة عن مدى القرابة ، وطورا عن مدى المعرفة وأستنتج أنه صادق بعدم المعرفة ويخبرني قائلا : « انهما من أغنياء العائلة وأنا وأهلي من فقرائها » ٠ ويتساءل « ما علاقة الفقراء بالاغنياء » هذه الخلاصة للبحث معه جعلت تقديري انه مقتلع ، قول صحيح٠٠
في الخارج حركة للجنود ، لم تقارب باب نزلنا ، حركة أحدهم في حل وترحال من حين لاخر ٠ ونحن في عالمنا نتجاذب أطراف الحديث ، ومع ذاتي أستذكر بعض الابيات الشعرية ، وفي مخيلتي أسرتي ، دون أن أسهى عن محاولاتي لتذكر الصلاة والادعية الدينية ٠
ساعتي ما زالت في يدي ، لكن لما تلزم الساعة ؟ ولما يلزم التوقيت ؟ هل من مواعيد بعد الان ؟ ومع من ؟ ليس لي من موعد سوى مع الفراغ القاتل والمصير المجهول !!٠٠
ليتني حملت قلما ، لكتبت ما يمكن كتابته من الخواطر !!٠٠ لكن على ماذا أكتب ؟! لا يوجد غير الحائط ٠٠٠ ليتني أمتلك كتابا الان، لأهرب نحو القراءة ٠٠ حتى القلم والكتاب باتا أمنية بالنسبة لي ٠ فكيف تكون أمنياتي مع متع الحياة وملذاتها !!٠٠
تذكرة هويتي ما زالت في جيبي ، لكن أخاف كثيرا من هويتي الشخصية ،

في هذا الموقع ٠ هويتي مصدر خطر علي ، بين الصهاينة ؟ وهل يمكن للانسان ان يهرب من هويته في لحظة من اللحظات ؟ وكيف يمكن له أن يهرب حتى من اسمه ؟ غريب تفكير الانسان والاغرب منزلقات هذا العمر ومطباته ٠ من دون شك أمر في أغرب وأكبر مطب عرفته في حياتي ، مع كثرة المطبات الصعبة،التي عانيت منها واجتزتها ٠ حسنا لتكن النتيجة ممها تكن ، ويعاودني على لـوح الذاكرة قول المتنبي :

واني شئت يـــا طرقي فكوني- اذاة « أو نجـاة » أم هلاكـــا

التحركات في الخارج بت أشعر أنها بعيدة عن باب غرفتنا ، فتوفر لي حـد أدنى من الاطمئنان ، الى أن طرق الباب واستدعي « الطويل » ٠

ساورتني الشكوك والمخاوف وطغى جو الرهبة من جديد وساد الصمت بعـد خروجه ٠ ماذا سيحصل ؟ هل عدنا للتحقيق ؟ لكن لا صوت لعصي وخراطيـم الصهاينة في الخارج٠٠هل سينقل الى مكان اخر ؟! كارثة اذا حصل ذلك !٠ بالاذن من شكواه من اضلاعه المكسرة ٠ لقد بت أرتاح لوجوده ، ويتواصـل الصمت والزمن الى أن يعود ، مثلما تتواصل معنا الشكوك والريبة والمخاوف٠ ويعود هامسا بكلمات غير واضحة ، متمتما عبارات غير مفهومة ، يستدل أنـه كان في التحقيق ٠٠ ويستدعيني الجندي بدوري ٠

أخرج من النزل حافي القدمين ، حاني الرأس ، أشعث الشـــعر وبنطلوني ممزق على ركبتي اليسرى ، أجتاز بابا حديديا ، بعد الممر ، الى باحة وسـط البناء ويدخلني الى غرفة التحقيق ٠

حسنا ، عدة الصهاينة لا وجود لها عدة التعذيب ، والطقس المخابراتــي غائب من العصبة وتوابعها ؟ والمحقق يرتدي ثيابا مدنية ٠ قد يكون قاضيـــا والحديث مع القضاة يسوده بعض المنطق في هذا الموقع ، ربما !٠٠٠

ويبدأ بالاستجواب بدون مقدمة : اسمك ٠٠ عمرك ٠٠ محــــل اقامتـك ، مهنتك ، حالتك العائلية ، انتماؤك السياسي !٠٠

فأجيبه مكررا كافة أقوالي السابقة ، مشددا على عدم الانتماء لأي تنظيـم ، مستظلا حول انتمائي المهني ٠٠٠

أمامه علبة تبغ والسيكارة مشتعلة ، يدخنها،وتذكرت التدخين للمرة الثانية، انني مدخن جيد ومدمن ، وها قد نسيت السيكارة وعلي أن أنسى التدخـــين ، حتى لو عرض علي ذلك ، يجب أن يكون موقفي الرفض ٠ هـــذا قرار ذاتي محسوم ، لكن ، لما لفتت علبة التبغ نظري ؟! من الصورة الاجماليـة الكلية ، وقبل أي شيء اخر ؟٠٠٠ والى جانبها استمارة تحقيق باللغة العبرية ، توحي هو يقوم بتنظيمها ، البدء بالارشفة واعداد ملف شخصي ، ذي طابع قضائي٠

الاسئلة موجزة والاجابات موجزة أيضا ٠ ليس لديه أدلـة أو مادة للنقاش ، غابت المقدمة السياسية كما ذكرت ، وانعدم أي بحث ذاتي ٠ استوقفته مسألــة انتمائي للعروبة ، ويريد مناقشتي في مسألة القومية ، وتراني ، مــا دام ليس

بين يديه أي مستمسك بحقي ، فعلي السير باتجاه اللافهم والهرب من الذات والهوية الشخصية ، ومجيبا : ما دام « انني واحد من هذا الجيل المنتمي للعروبة المعادية للصهيونية والمناقضة لها ، وفق قولك ، فانه لا يسعني الا أن أكون واحدا من هذا الجيل ، علما بأنني لست من واضعي أفكاره ولا من أصحاب قراراته السياسية ، اذ لا يمكن أن أتحمل لوحدي وزر جيل بكامله وبشكل شخصي وأدفع ثمن مفاهيم سائدة ، غير قادر على نقضها ، حتى ولو ارتديت عليها عليها ، لان صاحب الغلبة في النهاية هو التاريخ ولست أنا ، ومن أنا من التاريخ ؟! .. »

جيد ، لقد كتبت الغلبة لي مجددا ، وها أنذا أعود الى النزل ، يقتادني الجندي وشيء من الارتياح باد على وجهي ، ليستدعي من بعدي « علي الصوري » ، ولأجد نفسي محمولا على شد عزيمته بعبارة « لا تخف ، شد حالك تحقيق بسيط وستعود ... »

أجلس في زاويتي تارة ، وعلى حافة السرير « الباطوني » طورا ، موزعا بين المشاعر الدينية والخيارات الصعبة والحذر الممزوج ببعض الراحة ووجبات الطعام الشهي « البندوجزرية » وذكريات الماضي السعيد ، الذي كنت أحس حتى بمراراته أحيانا على شاطىء الليطاني أو « خيزران » وفي صالة الشموع ، أو « الموكانو » أو « اللنوماد » (١) .. ولدي الشعور أن قرفي في حينها كان سعادة .. ويبقى أمامي خيار وحيد ، انني أنتمي سياسيا في سجن صهيوني لا مفر منه ، وعلي أن أكون بمستوى الانتماء الموجه لي والذي لم يتكشف حتى الان ...

ويعود « علي الصوري » مع أمسية النهار ، ليذهب صاحبنا الجندي بدون أن يعود ونبقى ثلاثتنا في النزل عشية ذلك النهار نتجاذب الحديث حول الاسئلة والاجابات التي طرحت على كل واحد منا وكيف ناقشها ؟ .. حتى اغمض الليل عينيه على شمس المساء .

مع غيبة كل شعاع من أشعة الشمس ، غير المرئية ، يطل سؤال جديد يحمل معه حرارة الاجابة ، وتتكاثر الاسئلة المطروحة على الذات ، في محاكمة وجدانية يغلب عليها طابع المسؤولية تجاه الاسرة والعائلة .. ويغلب الليل أخيرا كل علامات الاستفهام والجفون المترقبة وأسترسل مع نوم عميق ، لا يخلو من أحلام مزعجة ، حتى الصباح .

وتشرق الشمس من جديد وتزقزق العصافير مرة أخرى . لكن لمن ؟ للمعذبين والمعتقلين . شمس لا تحمل أي بشر وعصافير تخلف عن ركبها الحمام الزاجل ولحق بها البوم ، شمس تطل ، لتحمل العذاب والقهر اليومي من جديد ، المقهورون الثلاثة ، في نزلهم المجهز بكباية بلاستيك ،

صالة الشموع ، الموكانو ، اللينوماد : صالات سياحية في العاصمة

يحلو لهم حديث الالم والمعاناة مع بعض ، ويقهرهم الكابتن بركلات قدميه قارعة على الباب ، مثلما يقهرهم المحقق مرة أخرى في اليوم الجديد وكأن الايام كلها باتت زنازين وصهاينة ووجبات « بندو جزرية » .

الصهيوني المحقق الجديد ، يبغي امتحاني اليوم ، في الشعر لا في القومية . وبعد ان سقطت في امتحان الحقوق عنده ، يريد التعرف على مدى ثقافتي !..

الحقيقة انني قانونيا رسبت ، اذ كان علي ان اجيب : بما نصت عليه المادة الاولى من قانون العقوبات اللبناني ..

كان السؤال مفاجئا لي ، والاجابة متعذرة . هل يعقل ان اتذكر نص مادة قانونية في معرض تحقيق شخصي في زنزانة ؟! أمر طريف والحقيقة ، ان اجابتي كانت موضوعية في معرض تبرير عدم المعرفة او التذكر . قلت :

« قانون العقوبات اللبناني معطل وموضوع على الرف منـذ سبع سنوات ، اي منذ بداية الحرب اللبنانية ولا يعقل تذكر نص محدد من نصوصه ! ولـو كان النقاش في اطار المبادىء العامة لناقشت ، انما معرفة نص محـدد بذاته ، غير متداول ، يشكل الان بالنسبة لي أمرا مستحيلا ، وانني لا أتذكره ». حتى انه ، لم يكن يخطر في البال طرح سؤال من هذا النوع مدركا ، في ذاتي ان السؤال قهر جديد لـي .

وانتقل المحقق من نص المادة الاولى من قانون العقوبات الـى الشعر ، فقاطعته عمدا فور تبين رغبته في الحديث عن الشعر قائلا :«انني نسيـت الاوزان ، مثلما نسيت الاعراب واعتمد في هذين المجالين على الاذن والسماع وامل الا احشر مرة اخرى في امتحان الذاكرة » .

ـ قال . هذا عجز بيت من الشعر اطلب تهجئته : « فقل صبرا اذا ضاق الصبـــر » وقبل أن يكمل تلاوة العجز كانت التهجيـة جاهزة وايجابيـة

المحقق الجديد كان خمسيني العمر ، يتكلم العربية بالفصحى الجافة ، التي لم تدغدغها عبارات الاعلام الحديث والسياسة السائدة وحركات التحديث .. واحسست بالحديث معه ، انني امام صهيوني خيبري اطل من رمـال الصحراء ومفتقدا اللكنة العبرية ...

واختتمت الجلسة باعادتي الى حيث بانتظاري رفيقا الزنزانة ، الـى المأوى الجديد في حياتـي !!

حتى الان ، تخلفت دائرة العنف الجسدي وتراجعت ، لصالح تحقيـق روتيني . بت اسرح وامرح في نطاقه العام واحس بسهولة اجتيازه والتعامل معه ببساطة ، في ظل غياب اية معلومات عني ، لقد باتت محصلة جولات التحقيق وصولاته بالنسبة لهم سلبية ، ومن يطلع على ملفي يحس اننـي لا شيء ! سوى هوية شخصية واضحة كاسم ومحام معروف ، اما على الصعيد السياسي لا شيء ! بـل لا شيء يضير ، بل قل لا شيء ! لم اصرح انني منتم ، ولا يوجد ما يدلل على انتماء تنظيمي لي ، ولو بشكل عام . فكيف يتيسر

لهم معرفة انتمائي المحدد ! اغبياء فعلا اغبياء ! واغبى منهم اعلامنا الذي تفنن في تصوير ذكائهم وضبطهم لكل شاردة وواردة !..

مع ميل الشمس قليلا نحو المساء ، والجنود في حركة متواصلة في الممرات، تعود الدورة الينا مجددا . يستدعى الواحد منا تلو الاخر ، لكن على عجل ، انها مرحلة تسليم الامانات وتحميل كل واحد بطاقة سجين !..

آه اية امانات ، ليس في حوزتي سوى تذكرة هويتي وساعتي ، واذا بي استبدلهما بايصال عبري واتسلم بطاقة زرقاء عبرية ايضا ، تحمل الرقم ٥٠٦٦٠ .

آه والف آه ، لقد بت الان رقما في بطاقة ، لا ادري كيف يتحول الانسان الى رقم ؟. تذكرت عندما كنت في السعودية ووصفت نفسي يومها بأنني رقم في مديرية الجوازات ، فانتفضت وقررت ان اعود الى لبنان !...

מכלאה | אוהל

אז | פח | 50660

מספר סידורי

מחנה | תאריך

השם

תמונה

٢٥ – بطاقة أسر المؤلف

תעודת פקדון - שבויי־אויב

מכלאה פיקודית מס׳:

מחנה שבויים מס׳:

№ 05687

3

מספר השבוי במכלאה

השבוי באותיות לטיניות (אותיות דפוס)

הננו מאשרים בזה קבלת הפקדונות הרשומים

א. כספים:

٢٦ – وصل أمانات المؤلف

اما الان فانا رقم بين الاسرى والمعتقلين ، قد اكون رقما منسيا ، رقما بالكم هذا هو تقدير من حملني الرقم ، وقد أكون واصبح رقما بالنـــــوع ! هـل سأنتفض ؟ وكيف لا اثور على الرقم واكون اكبر من احتوائه لي ؟! اسئلة في البال . اسئلـة في الخاطر . وانا اعتدت مع ذاتي ان اكـــون عفو البــــال والخاطـــــر !..

يدور الذهن في حالات معينة ، أسرع من دوران الارض ، لا بـل من دوران عجلات السيارة او الطائرة ، تكثر التساؤلات وتوشى بعلامات الاستفهام ... والحل هو الثورة حتى على الذات ، على الرقم الجديد .. على كل الغثيان الفكري ، ليتوفر الحل . وكيف يتوفر ؟.. بالعودة للذات المنتفضة ، لاساس الدائرة ورحاها ايضا ، ببساطة علي ان اكون رقما نوعيا ! ..

ويعيدني ، الى مركز الدائرة في التفكير بعد ساعات ، جندي ينـــــادي بالارقام ثم الاسماء :

٥٠٦٥٩ محمد ... « الطويل » ٥٠٦٦٠ نعمات علي جمعات ، ! حسنا ، اذا عرضوا ملفي علي اي عميل ، لن يتعرف على اسمي ، الذي حرفوه ... ويتابع ، و ٥٠٦٧٠ علي حسن ... « الصوري » .

يقودنا الجندي سائرين خلف بعضنا البعض ، من ممر لاخر في نطـــاق السجن الواحد ، ليستقر بنا المطاف امام بوابتين ، الاولى خارجية والثانية داخلية ، نحن على عتبة قاووش ، لمعتقلين اخرين .. ثيابهم كوكتيل ، من المرقط الى الازرق فالعادي ...

ما ان دخلت من الباب الثاني ، حتى ارتفع صوت وتعالى ، قائلا بعفوية « حبيبي ابو وضاح » وتلقفني بالاحضان ، ومرددا « نحن هنا رجالك » لا تخـف ! يصيبك ما يصيبنا ونفتديك !.. تعالى اجلس معنا ... واستمر يردد عبارات الثناء والتقدير ...

ابلغته ان معي « الطويل » وعلي الصوري فاستقبلهما مع رفاقه الاخرين وافادني انه يعرف الطويل ، وحللنا ضيوفا عليه وعلى زاويته في القاووش ..

حراماته التي زوده بها الصهاينة ، مع سواه ، في خدمتنا ، سيما واننـا بدون حرامات جيد ، بات بامكاننا بدلا من الجلوس على الارض الاستراحة فوقها ، لكن الامر صعب ، قد يكون هذا القاووش مصدرا لانتشار القمل . اجسادنا مهيأة لذلك ، لانها لم تعرف الصابون منذ الاعتقال ، وشعر رأسـي وذقني النامية احس فيهما التلوث ، بالرغم من صب الماء البــــارد يوميـــا والاغتســــال .

القاووش ، بصغر حجمه ، يضم ثلاثة وثلاثين معتقلا وبجواره نزل اخـر يضم ذات العدد .

بدأ الحديث مع مضيفنا « الجبلي » عن صور والرفاق واخيه علـــي ،

صديقي الذي افلت من الوضع بسبب السفر ، كما حدثني عن رفيقه الفتى ، الذي شاغل طيران العدو على البص بمضاد حتى قتل ، وعندما اسلم الروح ، سكت اخر المضـادات ...

القاووش مثل بيتنا واعز ، نقيم فيـه على الرحب والسعة ، وشاويشـه « علـي السوري » ، تعرفنا على بعض في اخر الايام الماضية ، قبل الاجتياح وفي معرض قضية قضائية ، انه بادر لاستقبالي بدوره .

مالت الشمس نحو المغيب في استراحتها اليومية ، دخل جندي يستدعي شاويش الغرفة برفقة اثنين ، لحمل الطناجر !..

واسأل اية طناجر ، ويجيبني الجبلي ، طناجر المطبخ . اذن وجبة الليلة غير كل الوجبات ، حسنا تخلصنا من « البند وجزرية » وتذكرت الزمن ، الذي كان فيـه عشائي نسيج وحده .. مثلما سرحت مع الزمن الذي كنت فيه لا اتناول الطبخ .. الان لا مفر من الاكل والوجبة ، مهما كانت ، اشهى من « البندو جزرية » .

يدخل علي ، يحمل خبز العشاء ورفيقاه يحملان طنجرة الطبخ ، ويبدأ التوزيع .. كل معتقل لديه صحنه ، الا نحن ثلاثتنا اعضاء الشلة ، ويتدخل « الجبلي » بحل الاشكال ، حصتي معه ، ورفيقي في صحني الاخرين .

العشاء بطاطا مع « مرقة البندورة » ، ويصر صاحبنا علي ، ان آكـل واشبع ، قائلا « حبيبي عذبوك كثير ، ضربوك كثير » .

ينجز شاويش القاووش التوزيع ، دون ان يخلو الامر من شكوى يرددها هذا أو ذاك لقلة الحصة العائدة لـه ، والمشكلة تعود فتأخذ طريقها نحـو الحل ، بتعديل نصيب الشاكي بمزيد من « المرقة » او قطعة خبز اضافية ، والخبز بدوره بات يوزع قطعا صغيرة ، بعد تقسيم الرغيف الى ثمانية او عشرة اجـــزاء .

الحياة باتت اكثر الفة وحيوية في هذا المكان باتساع دائرة المعارف الى اكثر من الشلة الثلاثية ، شاويش النزل يعرفني جيدا ، واحظى بضيافـة « الجبلي » وشلته الكبيرة ، التي بامكانها حمايتي من « التشبيحات » مهما كان نوعها او شكلها او مصدرها ، خاصة وان خبرتي في مجتمع السجون معدومة ولا تتعدى الامور النظرية .

واحس ان عالما جديدا اكتشفه واسبر اغواره ، لاول مرة في حياتـي ، واستأت كثيرا عندما سمعت شكايات البعض من قلة حصته من الطعام . لكن ليس بامكاني عمل اي شيء وانا ضيف في الغرفة منذ ساعات .

عالم جديد اسبر اغواره ، مدخله الجغرافي ، في مدخل الغرفة ، سطلا نفايات بشرية ، وكأنهما رقمان في القاووش اضيفا الـــى بقية الارقام ، لان لهما حصة في الاقامة والمكان ، بجوار المعتقلين . وعلى مدخل القاووش ومن حين لاخر ، يقف هذا المعتقل او ذاك قاذفا بوله في السطل او نفاياته الخلفية وتتعالى الصيحات مشتكية من الروائح الكريهة ، مثلما ترتفـــع اصـــوات

الممازحين ٠٠ انا ارقب واراقب واتفحص هذا الخليط البشري المحكوم على العيش في وسطه ، وليس لي من سابق عهد بالعيش في وسط كهذا ٠ ويأخذ سطلا النفايات حصتهما من الراحة والتفريغ ، عندما يفتح الجندي الباب في موعد زيارة دورة المياه ، وها هوذا يؤذن بالبدء في العملية الدورية ، بعد كل وجبة طعام ٠٠٠

لا شك ان وضعنا في الزنزانة الاخيرة كان افضل ، ونزلنا السابق كان فيه حماما يوفر لنا راحة دائمة ، بما في ذلك راحة الاستحمام ، لنبقى بعيدين عن هاجس القمل ٠

يطالعني ، في دورة المياه ، بعض الشباب وهم يقتنصون الوقت ليستحموا عراة ٠ فآخذ دوري سريعا واعود الى القاووش ٠

بعد حين يلتئم الشمل ويكتمل بوجود « الجبلي » و « الطويل » وتنعقد حلقة الحديث ، غالبا عليها طابع الذكريات ، ويتوزع الجمع في النزل حلقات حلقات ويتعالى احيانا الضحك والمزاح وتبقى لحلقتنا الطابع الجدي، وللجورة والتجمع في صور والمشيرفة والجملي والمحققين والمقنعين ، المكان الواسع من الحديث ، الذي لا يخلو من الاستنكار والاستهجان لمواقف بعض المتساقطين ٠ واستسلم للنوم اخيرا في ضيافة صديقنا ، الحافظ للجميل في صور وبنت جبيل ، وحرصه الشديد على راحتي ولو على حساب راحته الشخصية ٠٠ ليعود لنا النهار في يومه التالي وبعد فطور الصباح والذهاب لدورة المياه واستدعائنا لاحقا نحن الثلاثة اطراف الشلة طبعا بالارقام وسوقنا للقاووش المجاور ، مقابل استبدال ثلاثة من القاووش المذكور ٠

أمن النور الرحل نحن ؟ بل اقل ، النور لديهم خيم وامتعة وارادتهم هي التي تحدد محل اقامتهم اين وانى شاؤوا ، اما نحن ، فاننا بدون خيم وارادات ، نحن مسبيون ، في حالة تشبه السبي ، واحدث نفسي بنفسي مع اطلالة على عالم جديد ٠

اتفحص الاوجه بدءا بالشاويش ومرورا بالجميع ، فاجد نفسي غريبا فعلا واحس بصعوبة وضعي الذاتي ، اذ ليس لدي صحن لوضع طعامي ، او حرامات للنوم على الاقل ، فكيف سأتدبر أمري ؟!

يتعرف صاحبنا الطويل على احدهم ويستقبلنا الى جواره ، واجلس صامتا اغلب الوقت مسترسلا مع الذات ومتأبيا « العصفور الطويل » وشقاوته والذي لا يسلم احد من عبثه ، ان في يده او لسانه ، « ليس لديه كبير الا الجمل » ، كما يقال في الامثال الشعبية ، وانا جاره وها هو ليلا يضايقني بعد ان التجأت الى جوار يمني ٠

الحقيقة ان الغرفة التي تشبه في وصفها النزل السابق لا تتسع لنوم الجميع وقد كان لسطلي النفايات وحوشهما نصيبا منها ، وكثيرا ما كانت تتصادم الارجل المتحركة برؤوس البعض ويعلو الصراخ ليلا !٠٠٠

صاحبي اليمني لست فقط شريكه في الفراش ، وانما في صحنه لصب حصتي من الوجبات . واشعر ان للاعتقال اوجه غامضة ومخيفة تنكشف معالمها كلما سبرت اغواره . التحقيق والتعذيب هو الجانب المرئي والملحوظ ، في المستوى النظري ، انما هناك جوانب غير مرئية ، منها القضايا الحياتية بما في ذلك حاجات الانسان الاساسية في المأكل والنوم مثلا .

قد يحرمك سجانك الغذاء ، وتنسى الاكل والشرب ولا تحس بالجوع والعطش وقد يحرمك النوم وتنساه ايضا وهذا ما حصل ... اما ان يحرمك رفيقك الاسير من النوم ويزعجك ويضايقك فهذا شأن أمر وادهى ، فكيف اذا سطا هذا الرفيق على بعض من وجبتك ؟.. احسست بالمرارة ، التي لها اليوم طعم جديد واحسست بالضيق ، فكابرت وتعاليت ليس امام من يجهلونني ، وانما امام نفسي . جمعت ذاتي ولملمت جسدي الى جانب اليمنى ، الذي استضافني شاكرا في نفسي حسن وفادته وسعة صدره وقلبه ، ومع حذري الشديد الا اضايقه ، خوفي من القمل . واستلقيت في المساء نائما وفي ذهني ايضا صورة ما حدث اليوم ، عندما تقدم صهيوني يطلب اثنين للحديث عبر الاذاعة مع ذويهم .

بدأت ليلا في محاكمة الامور . ماذا ؟ حديث اذاعي مع الاهل ! وادرك انني بحاجة لحديث من هذا النوع ، لطمأنتهم وابلاغهم انني ما زلت حيا ، لكن الحديث له ثمن دون شك ! واتذكر لحظة ما في التحقيق ، عندما طلب مني المحقق توجيه حديث تلفزيوني فرفضت ، وقدرت ان حفلة الضرب كان لها علاقة بذلك ومن اجل تطويعي .

الان مطلوب حديث اذاعي ، حسنا ، احدث نفسي ، لم يطلبوا اسماء محددة ، وبلغة الاسر الجديدة ، ارقام محددة ، ربما كانوا قد تجنوا علي بطلبي ! عندها كانت ستحصل مجابهة شرسة وجديدة ، بيني وبينهم . على كل ، لم اطلب والرفض هو الاسلم في مطلق الحالات كموقف ، سيما وان المذيع سيتطرق دون شك لاستصراح صاحب الرسالة .

الغربة ، في هذا القاووش ، عنوان عالمي الجديد . لما لم استبق في الزنزانة ؟ ذلك كان افضل لي ، ولما لم استبق في قاووش الجبلي ؟ لما تم نقلي الى هذا القاووش التعيس ؟ فعلا أنا مسبي اخر زمان ! رحالة الاعتقال كتعبير حضاري . .. انه قاووش الغربة حقيقة ، قاووش « العصفور » البادي عليه انه « شبيح » (١) وخريج سجون ، ومع ذلك يدعي مجابهة الصهاينة في النبطية والشقيف . هل يعقل ذلك ؟ ولما هذا التباهي ؟ ! وضعهيثير التساؤل وعلامات الاستفهام !

يختلط حذري بغربتي في شكلها الجديد وتتعزز مشاعري ، ان قيمة الانسان بين معارفه . ويطل نهارنا الجديد علينا باستدعاء الشلة ثلاثتنا بعد فطور الصباح ، وسوقنا مجددا .

شبيح : عبارة شعبية بمعنى متسلط على حقوق الاخرين

الى اين يا رب ؟ مرة اخرى الى المجهول ! ليتهم يحملوننا الى الزنزانـة مجددا ، خلاصا من غربة هذا القاووش اللعين .. ليتهم يعيدوننا الى نزل « الجبلي » الدافــيء ..

ويقتادنا الجندي وفي كل مرة نساق سوق العبيد الى سوق النخاسة ، كأننا عبيد اذلاء ، لكن تفتقر مذلتنا الان الى الكلبشة وتوابعها مـا عدا العصا التي ورثها عن جده ، جاهزة بيده ، ويسير ليدخلنا في نهاية المطاف صحن السجن ذاته او باحته الكبرى وفي الداخل ترتفع اصوات حشـــود من المعتقلـــين وصيحاتهـــم .

يأمرنا ان نقعد ارضا واوامره مطاعة ، فنجلس مترقبين الوضع الجديد ، ليتقدم منا ضابــط صهيوني ، يتكلم العربية بلكنة عبرية ، متفقدا بطاقاتنا وبيده مفتاح وعلى البابين المطلين اطلت رؤوس ، بعضها محلـــوق كليا ، لتتعرف على شلة الوافدين الجدد . ويصرخ احدهم بصوت عال . ابو وضاح .. ابو وضاح حاف .. جاء ابو وضاح !.. انشاء الله يجيبوك لعندنا .. انا ابو ابراهيم ، الشباب كلهم هنا والكعور في القاووش المجاور مع فلان .. وفـــلان ..

ينظر ، الينا الضابــط ، نظرات غطرسة وازدراء ، قائلا ، بلهجة الحاقد المتهكم « انتم القتلة .. قتلتم اطفال كريات شمونة ومعالــــوت والجليل ، وتصورتم انكم ستقتلون « دولة اسرائيل » . ها نحن ضبطناكم لنتخلص من اذاكم ، وغدا سنأتي بابي عمار وسواه من قادة « الارهاب » لنجمعكم مع بعض ونخلص البشرية من بليتكـم . ان يد جيش الدفاع طويلة وقادرة على تكسير كل الرؤوس ... » ومع الكلمات الاخيرة كان الباب مفتوحا ، بعـد أن طلب ممن في الداخل الإبتعاد عنه ، وقد تجمهر عدد غفير منهم لاستقبالي والاحتفاء بعودتي الى سربي من المعتقلين ، بعد غياب دام عشرة أيـــام ....

ابتعدوا جميعا عن الباب ، ما عدا الشاويش ، وأبلغ أحدهم الكابتن الكبيز بفرح ان أبا وضاح القادم محام ، فيعلق قائلا متسائلا « صاحبكم مخرب كبير » ؟! وندخل الثلاثة ، شلة الايام العشرة ، في هذا الجمع الغفير مـن « الصوريـين» بغالبيتهم العظمى . منذ ان وطئت قدماي الحافيتان الباب اخذوني بالعناق والقبلات الحارة وصاحبنا « ابو ابراهيـــم » يرافقني ، ليعرفني الـــى من لم اتعرف عليــه .

هذا ابو السرحان ، ذاك ابو حاتم ، واخوه ابو شوقي ، وحتى عكاشة هنا ، وبين الحضور من يرتدي الثياب المرقطة ابرزهم ابو سليم الخطيب ...

يهمس أبو ابراهيم في أذني ضاحكا : « حارة الجلاجيق » (١) كلهـــا هنـــا وفي القاووش المجاور ايضا ، غالبية الشباب من الجبهة والحزب ، ويستطرد

حارة الجلاجيق : حي شعبي في صور

« لا شك انك سترتاح بيننا ونحن بحاجة لك لنجتاز هذه المحنة الصعبة »
واجبته مبتسما « انا جاهز » .
يطوف معي رفيقنا ، على من لم اسلم عليه ، ليعرفني على الجميع مبديا فرحته وابتهاجه بوجودي ، ومن حين لحين ، صارخا على الكعور في القاووش الاخر ليخبره بقدومي .
ابو السرحان يقف مقاطعا وقائلا « الان دبروا مكان ابي وضاح ، ليس لديه حرامات وانا جاهز لتقديم واحد مني .. » .
وأجبته شاكرا وقائلا : « أنا بخير ما دمت معكم والى جانبكم ، صحيح أنا سجين مثلكم ، لكن فرحي بعودتي الى بين صفوفكم كبير » ، ويخطر في بالي حكايتي مع قاووش الغربة .
ينظر الي أحدهم ضاحكا ومداعبا بقوله : « مسكين أبو وضاح » أين المارسيدس ؟ أين الهوندا ؟ أين الاناقة ؟... حافي القدمين « أشعث الشعر ، طويل الذقن وبنطلونه ممزق على ركبتيه وثيابه متسخة ... »
وأعلق قائلا : « الدهر يومان ، يوم لك ويوم عليك » ، وقد كان صديقنا سميح يعيّرنا بالفجلة (١) . من دون شك استقرت الفجلة في موقعها لكن لن يطول الزمن . سنعود جميعا الى أهلنا وأرضنا أحرارا لا عبيدا ، ونحن أحرار نرفض الذل ، مثلما نرفض التعامل ، ولو اخترنا طريق التعامل والتساقط ، لما كنا هنا . لسنا قطاع طرق ، وانما نحن مناضلون ننشد الحرية لارضنا ونطلب الكرامة ومهما طال الزمن ، سنكون على موعد مع حرية شعبنا وكرامة أرضنا ، التي لفظت كل محتل ودخيل .
يتدخل اخر ويقول : « ليذهب أبو وضاح ويتحمم . هناك ماء ساخن » ، واستفسر عن صحة وجود الماء الساخن ، فيؤكد أحدهم ذلك ، ويستطرد المجيب قائلا : « أنت في سجن وتخضع لنظام السجون وتعرف ذلك » ويعقب اخر قائلا: « دبروا له صابونة » .
جيد ، أحدث نفسي قائلا : أنا بحاجة لحمام بعد هذه المدة الطويلة . ويطل الضابط الخيبري على الباب وترتفع الاصوات بوجهة ، مطالبة بحرامات وثياب لي ولأفراد الشلة ، بعد أن عادت الى السرب الضائع .
احساسي بالراحة تواصل واستمر ، بين هذا الجمع الذي ضم ستين معتقلا ، رحبوا بي ، ونظموا أنفسهم في القاووش الطويل ، تاركين في وسطه ، ممرا للعبور نحو الحمام ، في طرفه الداخلي ، ولممارسة رياضة المشي تحريكا للعضلات .
الجميع ، اصطفوا مجموعات مجموعات ، يتحدثون ويتمازحون ، أما أنا

مثل الفجلة : مثل شعبي بذيء

فاستمريت في الانتقال من حلقة الى حلقة ، تارة مسلما ، وطورا متعرفا ومشددا من عزيمة الجميع ، مؤكدا على ضرورة تحملنا لأية متاعب أو مصاعب ويتعزز لدى الادراك أكثر ، ان الانسان في وسطه وضمن دائرة معارفه ، من الممكن أن يلعب دورا ويكون رقما نوعيا معبرا عن حقيقته وجوهره ، مثلما بامكانه تحويل سواه الى أرقام نوعية نتيجة الفعل والسلوكية ، التي تفرضها المرحلة بناء على الفهم الصحيح .

صور بكاملها حاضرة هنا ، برملها ، بخرابها ، ببحارتها وحتى « بجلاجيقها » (١)

عدا عن وجود اللهجة « الصورية » المميزة ، تدور مختلف الاحاديث حول الحاضر والغائب ، المعتقل وغير المعتقل ، ويحمل أبو السرحان معه أحاديث الميناء والبحر والمسمكة الى المساجين ، أما الكيف فله مكان أيضا ، عند هذا أو ذاك ، مثلما للعرق متسعه في الحديث ...

و « سرحان » بعمليته على البص وبطولة مرافقيه ، كان حاضرا أيضا، مثلما استحضر الامن الشعبي وأعضاء المجلس السياسي والكابتن الشيطان وبور شيخ الضيعة وعهد المطران ، الذي خدعه الصهاينة ، ليستطرد بعض الشباب مستحضرا الاب لوقا وأبونا ابراهيم والشيخ شور .

صور حاضرة بكل تفاصيلها ، وأحس بضرورة حرصي على هذه المجموعة وأبوتي السياسية لها ، وها هم قد أظهروا لي حبا كبيرا ووفاء وما علي سوى مبادلتهم ، حبا بحب ووفاء بوفاء ...

بعد الحديث عن لحظة الافتراق في المشيرفة ، يتضح لي أنه تم نقلهم جميعا الى الجورة وهناك كان ما كان من فرز على أساس تنظيمي .

ويقاطع رفيقنا أبو ابراهيم المتحدث ، ليخبرنا أن المحقق نسب اليه تهمة الانتماء لتنظيم اسمه « الامن الشعبي » وعندما أبلغه أن « الامن الشعبي » هو عبارة عن شرطة ، بقي المحقق على اصراره أن الامن تنظيم . أما الغالبية العظمى منهم ، فقد أخذت « بالكوم » (١) توزع الانتماءات عليهم على عجل « جبهة عربية ، فتح ، شعبية ، الخ .. » بدون نقاش ، والعصي والركلات لها حضورها ، مثل حضور المقنعين ...

وأطرف ما يحلو للجميع الحديث عنه ، التعرية من الثياب والرش بالـ « د.د.ت. » وتسمع ضحكات الجميع لدى ذكر الرواية أو التطرق اليها.

الكل يروي حكايته الواحد تلو الاخر ، وغالبا ما يقاطع أحدهم الاخر ويدخل على الخط ، ثالث مستطردا ومسترسلا ، ليطل رابع وخامس للجدل والنقاش أو تمرير نكتة ، يعقبها حديثا عن قضيته في الجورة ، ويبدو على وجوه الجميع

برملها ... بجلاجيقها : التسميات لاحياء صورية

بالكـــوم : بالجملـــة

عدم تهييهم لما حدث ، مثل عدم التخوف من السجن ، وتلمس عندهم الاصرار على الانتماءات ، مصدرها قناعات فكرية لدى قلة ، والغالبية بحكم عفوية بريئة أو رابط محلي . ويساور الجميع هاجس العودة السريعة لصور ، دون أن يخلو الحديث من ترديد بعض عبارات الصهاينة ذات اللكنة العربية أو سفالات لسانهم بأسلوب ساخر .

ويطل الصهيوني على الباب ، انه الضابط ماجد ، اليهودي العراقي الاصل ، يتكلم العربية ، وتحس في عباراته الحقد الخيبري ، لكنه لا يضرب ، كما قال لي عنه البعض ، ولا يسمح بالضرب ، بل يمازح كل واحد في القاووش ، بلؤم وخبث مبطن . أطل الخيبري واستدعاني طالبا « المحامي » ورفيقيه أعضاء الشلة . لقد عرف صفتي كما ذكرت لدى قدومي ، من أسرى النزل ، واهتمامهم بي وأدركت أنها لحظة اعطائي الامتعة الشخصية .

خرجنا ثلاثتنا من الباب وناولني منشفة ذات لون مميز وفاقع وبنطلونا وقميصا أزرقين ، من بقايا ثياب العمال الصهاينة ، لكن يبدوان جديدين ، بالاضافة لبوط جديد ، لكنه كبير قياس ٤٥ وثياب داخلية وكلسات شتوية وفرشاة أسنان ومعجون وصحن ألمنيوم وزود الاخرين بأمتعة مشابهة ، وبينما نحن نخلع ثيابنا لارتداء الزي الجديد عقب الضابط قائلا : « أتيتم عراة حفاة ! فجاء « بيغن » مشفقا عليكم وألبسكم ... »

فعلا مهزلة المهازل ! وحقيقة حقارة القدر وصدقا مرارة الايام !... « أتيتم حفاة عراة » ..

من قال له بأننا حفاة عراة ...؟ مظاهرنا ! كذب هذا القول ، بالاذن من بنطلوني المدلس والممزق على الركبتين . ومتى كان الصهيوني ، الذي يمثل بخل التاريخ وحقارة التاريخ وجبن التاريخ ومذلته ، يطعم المساكين ويكسوهم متى كان يجود بقرش لغير الصهيونية على وجه الكرة الارضية ؟! متى .. متى كانت لدى الصهيونية مشاعر انسانية ؟ وأتذكر قول « موليير » فيهم عندما يشبّه محتقرا أحد أبطال روايته بقوله : « مثل يهودي » (١)

وأجد نفسي ، فورا ، مدفوعا لأجيبه وقد تزاحمت الافكار في ذهني ، دون أن تختمر بقولي : « تشفق علينا ، وبيغن يشفق علينا !.. ألديه شفقة ؟ من قال ذلك ؟ اننا قوم لا نستحق الشفقة ولسنا بحاجة اليها منكم ! انني أقول لك ، بمنطق برجوازي وقد لا أكون برجوازيا ، حزام بنطلوني هذا ، الذي أخلعه مع ثيابي ، لوحده يعادل من حيث القيمة المادية أضعافا مضاعفة لقيمة ما قدمته لي ... »

خلعت ـ كما فعل الاخرون ـ سروالي وقميصي وتركتهم أرضا وارتديت « بدلة بيغن » الجديدة وحملت بقية الامتعة باتجاه الداخل ، بين يدي ، مبرزا

مثـل يهـودي : comme Le juif

صحن الطعام والبوط . تعالى في الداخل الضحك ليقول أحدهم : « **انظروا الى بوط أبي وضاح وصحنه ...** »

وأعقب قائلا وأنا أسير « زوادة الصهاينة وهديتهم لنا ، مدخل حضاري ... أنظروا زودوني بفرشاة أسنان وبوط وصحن ... سيسجل تاريخ حياتي أنني ارتديت بوطا في يوم من الايام في الاعتقال ، كل ما أحمله ، مداخل حضارية من فضل « بيغن » ، الذي تأبى عليه صهيونيته الا أن يكون معطاء وحضاريا. ومن هنا كان ثقل العيار لن أيضا ، بالضرب بعصي وخراطيم ورثوها ، أحفاد سليمان يردون الجميل لأحفاد حيرام ، والجميل لكم ، كان باهظا يا أبناء صور ، بتدمير صور وسلبها وسبيكم الى هنا . غدا سينبش الاحفاد قبر حيرام مرة أخرى ، مثلما نبشوه في غزو ١٩٧٨ للتفتيش عن نفائس ومجوهرات انتقاما منه ومن خشب أرزه المقدم لبناء الهيكل . »

وقبل أن يقفل الباب يصرخ أحدهم للضابط « كابتن ماجد بقي حرامات للشباب ؟ » ويجيبه : « سأحضر لهم حاجتهم ... »

أضع أمتعتي أمامي وأتفرج عليها ، ليحضرني في هذه اللحظة عبارة : « أولاد القحبة » التي لم تعد تفي بالغرض المطلوب والمعنى المنشود ، عبارة من العيار الخفيف ، بات الامر بحاجة لعبارات من وزن اثقل واعلى في قاموس السفالات العربية ، ان عليه أن يوسع دائرة معارفه ويغوص في أعماق موسوعته ، ليستخلص عبارات لها ثقلها النوعي ، لتفي بالغاية المطلوبة .

تحضرني كل الخوازيق العربية ، التي انتصبت لنا ولشعبنا ، سيما في الجنوب اللبناني على حساب نضالنا .

لا حول ولا قوة !.. ليكن ما سيكون !.. خوازيق ، خوازيق ، خوازيق . حرامات بيغن ! ، وصحن شارون ، وبوط وايزمن ، وفرشاة شامير !... ليكن ما سيكون !.. وانى شئت يا طرقي فكوني !.. وكل لعنات الحاضر والمستقبل على مسببي نكباتنا وخراب بيوتنا .

تسود الامور في عيني ، وتعتم الافكار مكونة طبقة كثيفة تحوم في مخيلتي ، كلها كآبة وحزن ، وأجد نفسي جاهزا لان أنتقم ، أصفع ، أصرع !.. لكن من؟ لا أقدر الان على فعل شيء الا بمقدرة هذا الجمع ، ببساطة علي تحويل الكم الى كيف ! والرقم الى نوع ، ليفعل ، ليتفاعل ، فعل الجبر واللوغارتيم ، فعل الكمبيوتر لا بل فعل الذرة ، فعل !.. سأعمل المستحيل في اللحظة المناسبة ثأرا لنفسي وكرامتي ، ثأرا لكرامة شعبي ، من كل من أساء لشعبي !.. ثورة غضبي بانت على وجهي ، وشعر ذقني الكثة انتصب من البصيلات ، التي احتقنت فازداد فيها الشيب أكثر !... ولمس بعضهم ذلك ، من كلمات مرة وقاسية صدرت عني ومن ملامح وجهي !..

أحدهم أطفأ الحمى ، بقوله : « أبو وضاح الحق حالك وتحمم قبل نفاذ الماء الساخن ... » حسنا بات لدي غيارات ومنشفة ، أما فرشاة شامير ، لن

أستعملها ، لانني لا أريد أن أتحضر على يد الصهاينة !٠٠
ويأتي اخر ويقول : « لقد حلقنا على الزيرو ٠٠٠ » ، هل تريد أن تحلق رأسك وذقنك مثلنا ؟ ولدينا آلة حلاقة ؟!
وأسأل : لماذا قصصتم شعركم بهذا الشكل ؟ ويجيبني أحدهم : « أنظف لنا » لأجد نفسي معلقا : « المسألة ليست مسألة نظافة ، بقدر ما هي اذلال يتمثـــل في تغيير معالم وشكل الانسان ، مقدمة لتغييرات أخرى تطرأ لاحقا ٠ ان اعطاء البوط واللون الازرق « بذلة بيغن » وحلق شعر الرأس كلها تغيــيرات ذاتية ، مقدمة لتغييرات نوعية تفرزها ظواهر المعتقلات ، لا لا لن أحلق رأسي وسأربي ذقني ، لاول مرة في حياتي » ٠ وأخذت طريقي نحو الحمام ٠٠٠
للمرة الاولى أجد الماء الساخن ، شعري قذر وجسدي متسخ ، وعـــــلي أن أستحم بشكل جيد ، لا أعرف ماذا سيستجد ، أنا اليوم هنا وربما غدا لن يكون كذلك ، هكذا جرتالعادة ، وتحولت الى جوال قواويش وزنازين ، لا يدري غير أصحاب القرار أين سأصبح ، وأعتقد أنني لم أبخل في زيارتي على أيـــة زنزانة أو نزل ، كل المغاور ، كل محراب لمخابراتهم كـــــان لي معه قصـــة وحكاية !٠٠
ما أغباهم ، لو كان الحوار منطقهم بدل الطقوس المخابراتية واطلاعنا عـــلى معالم مجتمعهم ، لكان ذلك أجدى لهم !٠٠ فعلا أغبياء ، يغرسون الحقــــد في نفس من لا حقد عنده ، ويعززونه في ذهن الحاقد عليهم ليزداد رسوخا !٠٠٠ أغبياء ٠٠ لا ، ليسوا بأغبياء ! انهم أعداء ويتصرفون بذهنية وعقلية أعداء ، وهم كذلك دون أدنى شك ٠
يلحقني أحدهم بقطعة صغيرة من الصابون ، مرت على جســـد الكثيرين ، ويقول : حصتنا اليومية أربع صابونات ، لكل خمسة عشر معتقلا صابونة !٠٠ وأتلقفها فاذا هي من أردأ الانواع ، تركيبها من البوطاس ، لـــكن في ظروف تواجدها أكثر من معقولة ! ولو كان الضابط الخيبري موجودا ، لقال : انهــــا نعمة ، انها نعمة من نعم بيغن وشارون علي ٠٠!
وبينما أنا خارج من الحمام والمنشفة على وسطي ، لأرتدي حلــة « بيغن » الجديدة ، حلة الاعتقال ، يصرخ أحدهم بصوت عال : « تعالوا أنظروا قفا أبي وضاح ، انه مثل الكبدةالسوداء » ٠ وأنظر الى طرف جسدي فألاحظ ذلـك ، وأنتبه لهذا المشهد ، مثلما تنبه له الكثيرون ، الذين انهالوا بالشتائم والمسبات على الصهاينة ٠ وأعلق ليس لديهم محرمات ، أجسادنا مباحــــة لهم للضرب ، كأننا حيوانات شرسة ومطلوب تطويعها وتطبيعها ٠ لا ، لسنا حيوانات ، بـــل هم الحيوانات بأسلوب تعاملهم معنا ٠ وأرتدي حلتي الجديدة لألتحم مع شلة من الشلل مشاركا في الحديث المطروح ، وسط احساسي ببعض الالم في جسدي بفعل آثار الضرب والركل التي أنزلها بي جلادو الصهاينة ٠
ويطل الضابط وبيده عدد من علب السجائر !٠٠ وأتساءل : هـــل يعطونكم

سجائر ؟ ويجيبني أحدهم : « لا ، هذا أول يوم احتفاء بقدومك » . ويدخل ما بيديه مع تعليماته لنا بطريقة التوزيع ، سيجارتان لكل معتقل يوميا ، يصرخ أحد الحاضرين معربا عن دهشته : « سيجارتان ؟! لا أريد أن أدخن ، سأترك التدخين » ، ويتبعه بذات القول اخر واخر واخر . أما أنا فلن أترك التدخين في ظروف كهذه ، ظروف السجن والاعتقال ، انني بحاجة لسجائر .

بعد التوزيع يتجمع لدي عشر سجائر . حسنا رقم معقول ، انه من نوع « ماروم » وسأحاول أن أكتفي بهذا العدد . دون شك من النوع الرديء ، لكن وجوده يغطي على نوعيته وأشعل السيجارة الاولى ، متذكرا قولا سابقا لي ، ان السيجارة واحدة من شريكات حياتي ، وها هي قد عادت لي على أمل عودة الشريكات الاخريات ! وأدخنها بمتعة فائقة بعد شوق ، أيام معاناتي أنستني اياها ، مثلما أنستني باقي الشريكات ، ومثلما نسيت ألمي وتحملته حتى تنبهت اليوم ، الى أن مؤخرة جسدي « كالكبدة السوداء » .

وبفرح أقدم على تأدية صلاة الظهر ، أضع منشفتي وأردد ما تم استذكاره ، من عبارات على أمل استكمال الصيغة الكاملة لاحقا . وبعد الصلاة أعقب على بعض التساؤلات داحضا دوافعها ومؤكدا على خلفيتي الايمانية السابقة ومعايشتي للعديد من العلماء ورجال الدين .

ويأت وقت الغداء ، كل الامور مسهلة ومسرحة من الجميع ، يتناولون صحني ويحملون الغداء لي لتناوله ؛ مع دعوة العديد من الشلل للجلوس مع هذه أو تلك ، كل واحد صحنه بيمينه ويساورني احساس بالتعرف الى أبي سليم .

بعد الغداء توجهت نحوه ، يجلس على حراماته والى جانبه شلة يتحدث اليها . رحب بي بعد تبادل التحية ورحبت به واستفهمت منه عن سبب ارتدائه الزي المرقط وظروف اعتقاله .

قال انه رائد في فتح واعترف بذلك ، وهددهم عندما حاولوا ضربه ، بأن لديه كلية واحدة ويعاني من المرض وبأنه ليس لديه أسرارا عسكرية ، بحكم مسؤوليته عن الآليات في الجنوب ،.واستطرد يحدثني عن المعاناة الصعبة للمواطنين في صيدا ، واصفا عملية تجميعهم على شاطىء البحر أولا قرب الاولي ، حيث تم اعتقال الالاف منهم ونقلوا الى « الراهبات » و « الصفا » ومورست عليهم أبشع أساليب التعذيب والارهاب الجسدي والنفسي ، والتي أدت الى مقتل العديد منهم ، متذكرا صائب بواب من صور الذي مات عطشا ، وأبا محمد عفيفي الذي تمرد على جندي صفعه فرد عليه بالمثل وتغالبا الى أن غلبه الجنود ، الذين تجمعوا عليه بوضع كلبشة البلاستيك في عنقه ومات اختناقا ، كما تحدث عن المقبرة الجماعية على مدخل عين الحلوة والملجأ الذي دمره الطيران على من فيه ، مثلما تحدث وتحدث عن حضارة أحفاد يشوع ولوط على أرض الجنوب اللبناني ومآثرهم المشينة !...

حديثه كان مذهلا لما تضمنه من وقائع جديدة ، فأطبقت صامتا ومستمعا اليه

ولم أجد ما أعلق به سوى وصفهم ، بأنهم تلامذة النازية وورثتها ونحن بالنسبة لهم حقل اختبار لتجربة كل ما جرب بحقهم ..

أترك أبا سليم ، لأتنقل بين شلل القاووش وقد أخذت مني فرحة اللقـــاء بالركب السائر في منحى المجهول ، أي مأخذ انساني . ويمر القسم الاكبر مـن النهار لأجد الحفيد مجددا على الباب ، مستدعيـــا أبا سليم ليســـوقه الى التحقيق من جديد .

تحقيق !... المسألة اذن لم تنته حتى الان !... ويوضح لي بعض الاخوة، أن العديد يجري طلبهم من حين لاخر للتحقيق ، وأتذكر أن ملفي الشخصي ما زال يفتقر لحد أدنى من المعلومات وقد يعاودني التحقيق مجددا ، اذن أنـــا على العهد والوعد مع الكلبشة والكيس والعصبة والعصـــا ... تحقيق ليكن ويذهب أبو سليم من غير عودة جديدة الى القاووش مثلما يذهب نهارنا كسواه، لكن بخطى سريعة في يومه الاول الى جانب الاخوة الاحبة ، الـــذين وفروا لي المناخ الخصب والطبيعي للشعور بالراحة في السجن ، دون أن يبخـــل عـلي الضابط بحراماته ، بحيث بات لدي أمتعة شخصية ، تثقل كاهلي في حـــال انتقالي الى أي مكان اخر ، ومهما كانت وطأة ثقلها علي ، فلن تكون أصعـب من وجودي ، كما حصل في الليلة الماضية ، وحاجتي للايواء الى جانب أي كان، حيث منّ علي اليمني بفضله المشكور ... وقبل أن أطبق جفوني تذكرت مـن جديد بؤس الليلة الفائتة .

وككل يوم موعدنا كان مع الصباح ، انما بشكل جديد ، تنظيم القاووش في طابور عسكري في الباحة الخارجية مقسمين الى عشرات في صفوف ستة منتظمة. يستعرضه الضابط الخيبري ، لندخل بعدها بانتظام ، صفا فصفا الى الداخل.

وأتذكر فترة التلمذة عندما كنت أهرب من دروس الرياضة وحتى في مرحلة التدريب العسكري ، أما الان فالامر مختلف ومفروض لا مناص منه .

كل ما يحصل معي جديد بجديد في حياتي ، أنا المعروف عني أنني اختبرت الدهر وخبرته . لم أعش أمورا في جزئياتها كهذه وستزداد التجربة خبـــرة ، سأخرج من السجن انسانا اخر .

مع الدخول الى القاووش تتكرر الوتائر التقليدية لايامنا ، طابور صباحي وفطور ، وغذاء ، فعشاء ، بعض يطلب للتحقيق ويعود بعد ساعات أو أيـــام والبعض بدون عودة كأبي سليم .

للصلاة مكانها في أوقاتها المحددة ويتقلص مع الايام عدد المتمنعـــين عن التدخين ، وبتقلصهم تنقص حصتي من التبغ ، لتبلغ احيانا الاربع أو الخمس سجائر ، ولا مفر أمامي من المشاركة في نظام التدخين الجماعي ، للسيجارة ، نظام السحبات أو تدخين السيجارة على عدة مراحل !..

تتوالى الايام والليالي على وتيرة تقليدية واحدة لا مجال لوسائل التسلية الا العودة للبدايات ، المشي في الممر الداخلي والطويل بين الحرامات والاحاديث

عن صور والتجمع وأخبار صيدا وتجمعها والضفا والراهبات والجورة والتحقيق والمقنعين والماضي ، بمشاكل تنظيماته ومنظميها ، دون أن يخلو الامر من محاولات لاستشفاف تقييم التجربة ونقدها ، بعيدا عن أي ذهن ارتدادي ٠

تتوالى الايام والليالي ويوما بعد يوم وليلة بعد ليلة ، أتعرف الى من لم أكن أعرفه ، مثلما أتعرف الى مشاكل الجميع وقضاياهم ، وانتماءاتهم التنظيمية فرادى وجماعات ، وكان يطلب رأيي في كل قضية تطرح أو مشكلة عالقة تنتظر حلها خارج السجن ٠ ومع مرور الزمن المحدود ، تشتد الروابط وأصبح مشدودا الى الجميع ، وعضوي الشلة السابقين ، لديهم وافر النصيب أيضا من الراحة اذ أن «علي الصوري» وسط مناخاته و « الطويل » له من الحظوة والاحترام



الانتقال الى معسكرات « عتليت » : (١)

أيام خمسة تمر متسارعة لا مجال سوى للفرح الاعتقالي، ذي النكهة المعاناتية في اطار المجموع ، بعد أن تدرج في اطاري الشلة ثانيا والذات أولا ٠

أيام خمسة تمر كانت بمثابة استراحة المحارب في القاووش الكبير ، الـذي مثّل بالنسبة لي بركة الماء الواسعة ، والتي تلقفتني للسباحة ، واذا بالخيبري ماجد ، عصر اليوم الخامس ، يقف على الباب طالبا من الجميع الاستعــداد للرحيل ٠ الى أين ؟ لا يجيب ٠ وتنطلق بعض الاصوات بعفوية من الحناجر وببساطة متناهية قائلة : الى البيت ٠٠! كيف وهل يعقل ذلـك ؟ لا يجيب ! ونحاكم الامور عسى أن نستشف الاجابة على السؤال الى أين ؟ لا جواب أيضا ! لكن المعقول ليس الى البيت ، وانما الى مكان اخر ، وأنا الذي اعتـدت أن أكون « رحالة » لن يفلت مكان مني ٠٠٠!

ويعطي الضابـط تعليماته التي قابلها غالبية الجمـع بفـرح ٠ الطابور في الساحة وفق الارقام المتسلسلة عشرات عشرات والامتعة في اليدين ٠٠٠

أطرف ما في المشهد حذائي ، الذي يفلت من رجلي ، ولا يتناسب مع حجمي وكأنني في زي كاريكاتوري ٠ وتتجمل الصورة بصحن الاكـل والحرامـات الموضبة الى صدري والمنشفة على كتفي و « الطويـل » أمامي في الطابـور العشري ، مثلما الصوري خلفي ٠ في الباحة سمح لنا بالجلوس أرضا ، انتظارا لدورنا في الرحيل نحو المجهول ٠٠٠!

اركان السجن ، مستنفرة بعصيها ، تتلقف على الباب الاسير تلو الاخـر حاملا بطاقة ذلـه ليتسلمه في ممر ضيق وصغير « كلبشاتي ومعصباتي » عودة للطقوس المخابراتية ، بالكاد يمكنك ان تبصر اكثر من اثنين لدى وصولك ، بعد اتمام المراسم لا بد من لبطة على القفا أو ضربة عصا ٠٠ ها قد عدنا لمراسم احفاد لوط ، وهل يشكل ذلك عود على بدء ؟ من يدري ؟!

مسكين صاحبنا « الطويل » حظه وافر بالضربات والركلات ! جسده يغري الجنود ويفتح شهيتهم ، لانتصاب قامته وطولها واتساع منكبيه ، اما جسدي القصير النحيل فلا يغني او يسمن من جوع ، سيما وان لحيتي الكثة قد بانت موشحة بالبياض ، ومظهري يوحي انني فيعمر اكبر من عمري بعشر سنوات اذا لم يكـن اكثـر ٠

بعد انجاز المراسم في الهيكل الصهيوني ، يقود كلا منا جندي الى الخارج لنوضع في سيارة مقفلة ، عودة للتوضيب وكأننا معلبات او صناديق نفايات ٠ يزيد من وطأة الوقوف مع العصبة والكلبشة ، حمل الامتعة الشخصية وسط هزء جنود العدو واستهزائهم وركلاتهم ٠٠٠

عتليت : موقع قرب مجدو ، شرقي حيفا ، اكتسب شهرته كمركز تحقيق ومعســكرات لاسرى حروب أعوام ٩٥٦ ، ٩٦٧ و ٩٧٣ بالاضافة لشهرته في الحرب اللبنانية وضمنـه سجن تم احتجاز شباب القيادة العامة فيه حتى التبادل الذي حصل في صيف ١٩٨٥

اللعين السائق يترنح بالسيارة في طرق متعرجة ، تارة شمالا وطورا يمينا ، مع ضغط فراملة كلما حلا له ذلك ، لنترنح بدورنا صارخين ضارعين وكأن ما يحصل جزء من الفلوكلور المخابراتي ، بل جزء من الطقوس او المراسم ٠ لكن حظنا أن المسافة قصيرة وقصيرة جدا ، بضع دقائق ونحس بان الحمى ضربتهم مرة اخرى والهبت حقدهم ، الذي ليس له اغوار او حدود ، لا بل قل عساكر صهاينة ، بغطرستهم المعروفة وتجبرهم ، يتعطشون للثأر من الالمان ونحن بالنسبة لهم المان الزمن الراهن ٠

« الطويل » يتم سحبه اولا ويلقى نصيبه واتبعه انا ولي نصيبي ايضا ، لكن ما في يدي يقع ارضا وكانت المنشفة قد سقطت على مسافة بعيدة من مكان استقراري ٠

تفك العصبة والكلبشة واحمل امتعتي ، كيفما تسنى ، محاولا الهرب بجلدي من قراصنة الحضارة ، لنوضب من جديد ارضا وعلى البحص في فسحة مسيجة بالشريط الشائك ومحاطة بالجنود من كل الجهات وبنادقهم وعصيهم جاهزة رهن الطلب ، وكلنا رواد القاووش في الفسحة ويكتمل العدد ستون معتقلا ، بالتسلسل في مستطيل لا يتجاوز الثمانية بعشرة أمتار ٠

الى جانبنا فسحات اخرى حشر بها اخرون ٠ واقول حشر لاننا في يوم يشبه يوم الحشر جسديا ونفسيا ٠ وامامنا معسكر كله خيم ، بعضها منصوب والبعض الاخر ينتظر الدور ، ونحن في زاوية من زواياه ، كل جهاته محاطة بالشرطان ويطل عبر بوابته على مخفر للجنود ٠

فوقنا معسكر اخر يزدحم بالمعتقلين الذين حذر عليهم الاقتراب من « الشيك » (١) نسمع أصواتهم ولا نراهم لانه محظر علينا الوقوف، وكذلك في ذات معسكرنا بعض المعتقلين ربما كانوا قد سبقونا اليه ٠

في الفسحات المحشورة بعض الوجوه المعروفة ، لكن نسبتهم « الصورية » قليلة جدا وأتساءل : أين معتقلوا صور الاخرين ؟ ربما في المعسكر المجاور

كان بتقديري ان انباء الاعتقالات في صور قدتفشت وهرب من هرب ٠ فمن اين اتوا بهؤلاء ؟ اعداد غفيرة كما تراءى لي من النظرة السريعة للجورة سابقا ، وكما يتراءى لي الان ! وهل يعقل تجميع الناس بهذا الشكل ؟ اسئلة تطرح نفسها ٠٠

عود على بدء ، جندي يصيح من حين لاخر « شاكت » « اقعد على طيزك » ٠ وطبعا في محراب الشمبت ومن ضمن الكورس بل الطقوس كل المزامير اللوطية ، كل بذاءات العربية وسفالاتها التي حفظها احفاد لوط ، كل العبارات المستوحاة من ثقافة لوط وحضارته ٠

الشيك : حائط المعسكر من الشرطان الشائكة

بعد الحاح العديد في مختلف الفسحات على تناول الماء ، اذ برجل كهل يتكلم العبرية ، وينادونه « ابو علي » يحمل « كردلا » للماء ويلف على الفسحات لاطفاء ظمأ المعتقلين . واي ظمأ اتحدث عنه ؟ واي ماء يقدر على ارواء الغليل غير ماء الحقد ؟! مشاهد تنشف الدم وليس الريق لوحده . من هذا ابو علي ؟ ربما يكون عربيا من عمال السجون ، ويجيب بنفسه على التساؤل بصوت عال : « أنا منكم .. أنا جندي في جيش التحرير الفلسطيني لا تخافوا بعد يوم او يومين يأتي الصليب الاحمر الدولي ويتسلمكم . لا تخافوا احبابي ، اشربوا وبلوا ريقكم ، الله ينشف ريق كل الحكام العرب . انا عندي تجارب اعتقال سابقة في حرب ٥٦ وحرب ٦٧ وحرب ٧٣ . انا من غزة لا تخافوا أحبابي ... »

يردد ابو علي هذه العبارات بشكل تلقائي وبصورة متواصلة ، وكأنها شريط مسجل ، ويتنقل بهمة عالية من مكان لاخر ومن فسحة لفسحة واسمه يتردد نداء على شفاه الجميع . يتكلم تارة مع الاسرى وطورا بالعبرية مع الجنود ، منفذا تعليماتهم ومترجما مطالبهم التي تتلخص بالجلوس ارضا وانعدام الحركة ....

في زوايا كل فسحة تستريح ايضا كرادل النفايات البشرية ولكل فسحة شاويشها ، الذي اختاره جندي من بين الجمع ويجب ان يكون مهيوبا وصاحب جثة ، ومن المفضل ان يتكلم الانكليزية اذا لم تكن العبرية .

لسان الشاويش ، لا يكل ولا يتعب ، في حركة كلامية متواصلة منفذا تعليمات الاحفاد المحنطين في الفسحة خارج الاسلاك ، ويتسلم شاويشنا وجبة العشاء خبزا وبندورة ، واستبدل الجزر باللبنة . لكن من اين يتسنى الاستحصال على البندورة او اللبنة ، بالكاد حتى تيسر لي الاستحصال على بضع قطع من الخبز .

في الفسحة أزمة سجائر ولا يوجد تبغ مع الشباب وفي جيبي بضع سجائر وبالامكان ممارسة التدخين الجماعي سحبة سحبة بالدور .

قاربت الساعة السادسة مساء ونطقت المزامير ، اعطيت الاوامر والتعليمات للشاويش بالنوم . نعم ، النوم ، الشمس ما زالت في السماء دون المغيب ، ومطلوب النوم .. وكيف ننام ؟ واين ننام ؟ على البحص وضمن مساحة عائدة لكل واحد منا اقل من نصف مساحة القبر ! لو كنا ميتين لهانت علينا الامور ! لاننا نكون فاقدي الاحساس . اما في وضعنا الراهن فكل أحاسيسنا متوثبة ، مرهفة ، تجاوزت نطاق المألوف ! ويصرخ الكابتن ... نام نام .. وننام محشورين بين الارض المملوءة بالبحص والارجل المتصادمة مع الرؤوس .. ومن اين لنا ان ننام ؟.. لا مفر من ان نستلقي ، ركبنا مطوية

على بعضها ومرفوعة ، رغما عنا ، رغما عن ارادتنا ٠٠ لم يبق سوى فرض اغماض العيون ٠٠

يا رب هل بشر نحن ؟٠٠ من نحن ؟٠٠ وهل يجوز ان نعامل معاملة احقر بكثير من معاملة الحيوانات ؟٠٠ حتى حركة الرؤوس ممنوعة ! وكذلك الايدي اما الارجل المطوية فيفترض المزيد من لجمها حماية للرؤس التي قد تتصادم بها ٠

يا رب في اية شريعة من شرائع ما قبل التاريخ حصل ذلك ؟٠٠ في انظمة السبي ، هل يعقل حدوث اعمال كهذه ؟٠٠ اين شرعة حقوق الانسان ؟٠٠ اين حقوقه الطبيعية ؟ اين جمعيات الرفق بالحيوانات ؟ لو كنا كلابا في بريطانيا او اية عاصمة غربية لتحرك الرأي العام من اجلنا ٠٠ يا رب ماذا اقول سوى ان كل كتب القانون التي درستها تافهة ٠٠ كل الحضارة البشرية في لحظة كهذه ليس لها قيمة انسانية ٠٠ كل الرسالات مداسة تحت بسوط « كابتن » حقير ٠٠

وننام ومن اين لنا ان ننام ؟! وتغيب الشمس وتصدم الاضواء الكاشفة من الابراج عيوننا ، التي ليس بمقدورها ان تغمض الاجفان ٠٠ وننام ، وعيوننا مشرئبة طوال الليل شاكية ولمن الشكوى !!؟ من الظلم الذي ما بعده ظلم بشري ، حتى السادسة صباحا ٠٠٠

تطل شمس حزيران حارقة خارقة ٠٠ ويسمح لنا بالقعود ارضا ، فقط القعود دون الوقوف ، جيراننا في الفسحة المجاورة احسن حالا ، فوق رؤوسهم غطاء من « الخيش » يحجب بحدود معينة عنهم حرارة الصيف ، ويقيهم ٠

ويوزع الشاويش الفطور « بندورة وخبز » ويحمل ابو علي كردله ، ليستأنف جولاته ويردد عباراته المألوفة ٠ شيء من الاطمئنان لوضعه ، وتزول المخاوف من ان يكون جاسوسا ، ويردد ، والجنود يستدعون اصحاب الجثث الكبيرة لنصب الخيم المستديرة الشكل وينقلون تباعا نزلاء كل فسحة الى خيمة ٠ واخيرا نلتحق بالركب حوالي منتصف النهار ، ونأوي الى خيمة في المعسكر متحررين من كابوس الحشر ٠

ندخل الى الخيمة المنصوبة ، ستون معتقلا ، انها لا تتسع للجميع ، والاشياك تحيط بها من جانبيها ، وفي الجانبين الاخرين تنتصب الخوازيق ، انها « حبسة » الاوتاد والخوازيق ٠

يبذل زبائن الخيمة جهدهم للتمدد في مختلف الاتجاهات ، بدون اثارة حفيظة الصهاينة وجعل انفسهم عرضة لمزاجيتهم ، ومن حين لحين ، تتحرك المزاجية وعلينا تقبلها ، لانها اوامر مطاعة او مقدسة ، لا بل مزامير فيها حسن توراتي ، اوتوقراطي ، ولما لا ؟ او ليس هم من فضلوا على العالمين ؟ او ليست لديهم المشاعر انهم شعب الله المختار ؟ وعلى البشرية ان تكون في

خدمتهم ٠٠ ومن نحن في نظرهم سوى حثالة هذه البشرية ؟ التي هدمت في لحظة من غفلة تاريخهم الهيكل ! وكأن لديهم تاريخ ؟! او ليست لديهم قناعات نازية ؟ ومن نحن في سلم النازية ٠٠ انهم باختصار المان هتلر ونحن يهود هتلر ٠٠٠٠

المكان بجوار الخيمة مرتفع ، واجهة حديدية مسطحة تمتد على طول الخيم المنصوبة ، الواجهة المسطحة مغطاة بشحم السيارات ، مما يدل على ان المعسكر كان كراجا لتصليح آلياتهم ٠ والضرورة تقضي بازالة الشحم قبل نشر حراماتنا ، عفوا نقول حراماتنا ، وكل واحد منا لا يملك سوى اثنين ، واحد تحت جسده والاخر غطاء ، أما الوسادة فهي يد النائم أو بوطه ٠

وبوطي على ذكر الوسادة له ميزات تتناسب والحاجة ، بكبر حجمه وطول ساقيه ، وتراني اتغزل به ولما لا ؟ الم اكن من ازلام البكاوات ؟؟٠٠

اسهم مع الشباب في حفلة التنظيف قدر الامكان ، ونلقي رجالنا في المكان المحدد ٠ واعود فاتمنى ، لو كنا نورا ٠ لكان بمقدورنا الاقامة حيثما نشاء ، على الاقل في مكان انظف ٠ ولو كنا نورا ! لما كانت دولة العدو اعتقلتنا بحكم امتلاكنا لجنسية من نوع خاص ، اذ ان بطاقات النور تجيز لهم المرور على كل الدول وعبر الحواجز والنوري أيضا لا طائفة له ، من الممكن ان يكون مسلما او مسيحيا او اي شيء اخر ، لكنه في حمى حتى من حروب الطوائف في لبنان ٠ جيد ليتنا كنا نورا ٠ لكن لسنا كما تمنيت ، نحن شعب كتب عليه ان يجتاز المحن والشقاء وعلينا ان نكون بالمستوى المطلوب ، بمستوى التحديات ٠٠٠

ومع انتهائنا من تنظيف الخيمة رقم ثلاثة ، في معسكر ثلاثة ايضا ، كان الجنود قد اكملوا مهمتهم بتوزيع الجميع على الخيم وفك حشر من هم في الفسحات ، بحيث ارتفعت في المعسكر ست عشرة خيمة في كل خيمة ستون معتقلا ، وفي احدى الزوايا ارتفعت خيمة الطبيب « العيادة » وفي زاوية اخرى خيمة الشاويش و « المطبخ » والى جانبها غرفة من الباطون المركب تحتوي على « دوشات » للحمام ، بجوار « مجلى » حديدي طويل ٠ اما في الزاوية الثالثة ، فنلاحظ المراحيض المكشوفة وهي عبارة عن جورة استحدثت على وجه السرعة ، وغطيت ارضها بالخشب الذي يتضمن فتحات للنفايات البشرية ، والجورة لا يزيد عمقها على المتر ونصف المتر ، بدون مجارير والمرحاض المذكور ملفوف من مختلف الاتجاهات بساتر من « الخيش » الشفاف ٠

في الزاوية الرابعة من المعسكر بوابة مقفلة مؤدية لفسحة ، في صدر المعسكر ، تمتد حتى عيادة الطبيب ٠

المعسكر مسيج بالشريط الشائك من مختلف جوانبه وعلى ارتفاع يزيد عن المترين محظر على الاسرى الاقتراب منه ، الذين عليهم الابتعاد عنه مسافة

ثلاثةأمتار ،تحت طائلة اطلاق النار ،على كل من يقترب ،وذلك من أبراج مرتفعة ومحيطة من كل الجوانب ، وفي كل برج كاشف للضوء وجندي مسلح ·

الغذاء جاهز وعلى السريع لسنا ضيوفا على الدار ! المأوى مأوانا ونحن اصحاب البيت ، ما تيسر من الخبز والبندورة وشاويش لمعسكرنا ابو علي دون سواه ·

وقد اختار بدوره « عاطف » شاويشا للمطبخ ، يوزع أبو علي الوجبة على « شاويشية » الخيم من خلال مسؤول المطبخ الجديد وشاويش خيمتنا « ابو السرحان » وعزائي ان نزلاء الخيمة هم نفسهم نزلاء القاووش الكبير بشكل عام ، مضافا اليهم بعض الوجوه · « عصفور » عاد معه « عصفور » اخر من نصيبنا واخرون محدودون منا باتوا في الخيمة المجاورة ·

عدد من الشباب اخذ طريقه للاستحمام بـ « دوش » من الماء البارد طبعا، وبحوزة البعض « قشرات » من الصابون التي حملوها من امكنتهم السابقة · يداي ملطختان بالشحم والزيوت ، وعلي غسلهما كيفما كان ، ويناولني احدهم « قشرة » صابونة ، وانجز المهمة · آه لدي منشفة حملتها وقد سبق وان اعيدت الي بعد فقدها · اذ تعرف عليها ابو ابراهيم لفرادة لونها وكاد ان يأكل نصيبه ، بوقوفه ، لدى محاولته تناولها ونحن في فسحة « الحشر »··

أغسل يداي وأعود توا شاعرا بالجوع والوجبة جاهزة للاكل · وفي هذا الوقت بقي الجنود في حالة انهماك ، من أجل خاطرنا والحرص على صحتنا، بادخالهم الطناجر الى المطبخ وبعض المواد الغذائية لتحضير وجبة العشاء وقد بات طاقم المطبخ جاهزا بهمة أبي علي وعاطف ·

لا تبغ اليوم ، وكل ما كان معي نفذ قبل نوم البارحة ، والشباب جميعهم أصابهم « الخرم » · بعضهم أخذ طريقه للتفتيش على أعقاب سجائر الجنود واعادة لفها بأوراق عادية ، أما اشعالها فمن شاويش المعسكر ، الذي امتاز عن الجميع بحمله كبريتة وعلبة تبغ ، وعلى حامل السيكارة الجديدة ، بنوعها وتركيبتها ، تحمل تجبر الشاويش ، الذي تراجعت لهجته وأخذ يشتم ويسب·

طلقة رصاص تسمع ! ، وتقوم الصيحة · « أطلقت من البرج علينا ! » · لقد اقترب أحد الشباب من « الشيك » محاولا التحدث مع معارف له في المعسكر المجاور ، فأطلق من في البرج النار نحوه !···

يطل الضابط الصهيوني مع جنوده من البوابة وفي يده « ميكرفون » معطيا لائحة تعليماته ، بعدم الاقترا بـمن الشيك تحت طائلة الموت باطلاق النار ! الموت ؟ نعم الموت ! هكذا وببساطة · ويطلب منا في الوقت ذاته اقفال غرفة « الدوش » وعودة الجميع الى الخيم ! قائلا : كل واحد الى « خممه » وعلى الشاويش التنفيذ الفوري تحت طائلة العقاب ، بجلد كل مخالف من « حبلة » تم تزويده بها · ويبدأ الشاويش بفرض العودة على الجميع الى الخيم محركا طرف حبلته مهددا بالضرب ·

بعد فترة قصيرة تتأهب ثلة جنود وتتجمع على الباب ، كل واحد منــــــا عصاه بيده ، ويدخلون . ماذا أصف الوضع وكيف ؟!.. دجــاج في « الخمم » مكعور ومذعور من « واو » متسلل يفتش على فريسة ليصطادهــــا . دخلوا بدورهم ، أيضا ، مذعورين وانهالوا بعصيهم ضربا مبرحا على كـل مـن صادفوه في وجههم ، فعاد الجميع الى الخيم ، وتمختر كل جندي في زاويــة من زوايا المعسكر وممراته كأنه امبراطور زمانه !...

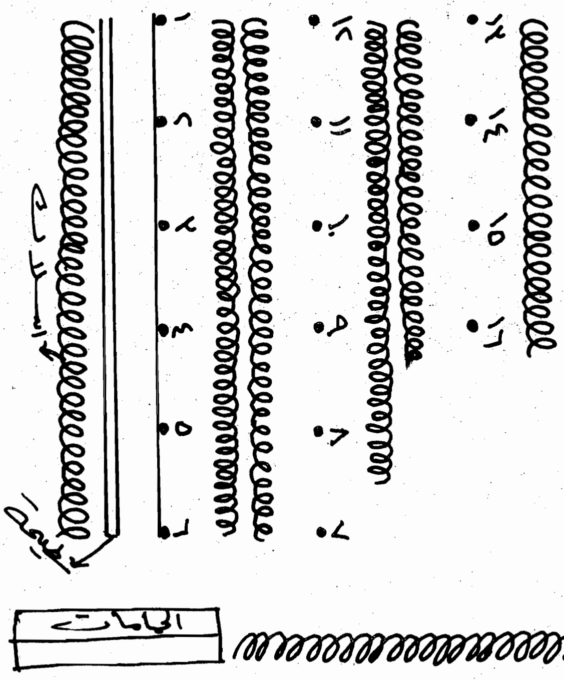
على الباب كيس من الكلس تسلمه الشاويش ، لتحديــــد الخطوط الحمراء المحذر اجتيازها أو الاقتراب منها والا فالطلقة جاهزة أو حفلة جلد بالعصي .

آه ! لقد أنجز الشاويش مهمته بمراقبة الجنود واشرافهــم ، حيث غادروا المعسكر بعد أنجاز المهمة ، وباتت الخطوط الحمراء متعددة الاشكال في النزل، اذ بالاضافة للخطوط الحمراء ، المحددة بالكلس والاشياك ، والمحمية بالطلقات جرى تثبيت الخطوط الداخلية المحيطة بالخيم من الجانبين على طول الامتداد ، وبتضبيط الاسلاك الشائكة ذات الشفرات الحادة ، التي تعرض من يقع في مطبها أو يقترب منها للتشطيب ، والتي امتدت اليها بعض الايدي في محاولة لتوسيع حجم الخيم ومساحتها .

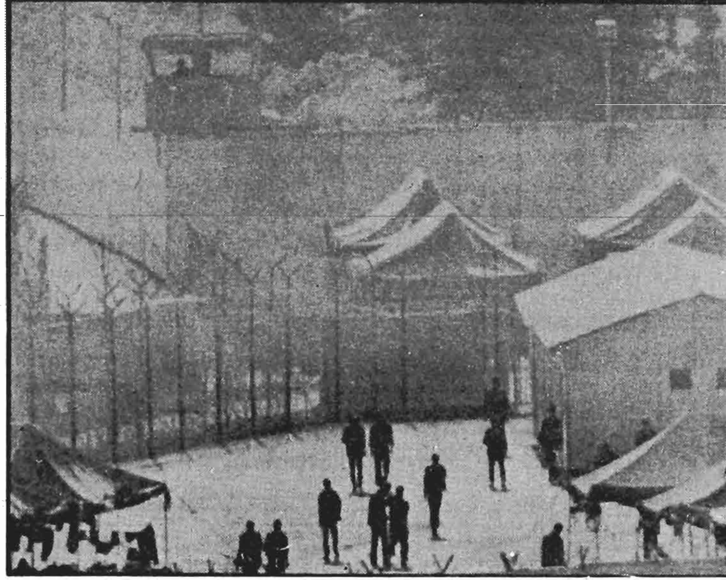
في خيمتي معتقل طريف يلفت النظر ، أمضى يومه ويده على عينيه ، ليس فيه مرض ، لا يتحرك ولا يتكلم أبدا . حتى لو توجه للحمام ، بحاجـــة لمن يقوده وييسر أمره . انه معتوه ، فقد ذويه في تدمير مخيم البص ، وتشــــرد حيث تلقفه الصهاينة واقتادوه معتقلا . كل مظاهره ، تدلل على أنه مهبــول وناقص الشخصية بل معدومها ، هذه المظاهر ، التي لم تؤخـذ في الحسبان ، فسيق معتقلا ظنا منهم أن الظواهر تضلل البواطن وتخفيها . ربمـــا تصوروه بطل عملية من العمليات الفدائية ، سيما وأنه فلسطيني . وتحدث كثيرون عن الضرب المبرح ، الذي لاقاه ، بدون أن يصرخ أو يصيح . ربما يكون فاقــــد الاحساس ! وعلميا لا أدري ما وضعه . وربما وجهت له أية تهمة ! بطل عملية ، ميجر ، كابتن !.. وغير ذلك وأجاب بالموافقة . انه لا يتكلم ، مهمــا تحدثت اليه أو سألته ، بل يضحك ببلاهة كما يبدو عليه ، ولا يعرف أن يقول لا ، انــه دائما ايجابي في قوله . وقد تكون ايجابيته مصدر ادانة له أغرت الصهاينـــة ، الذين حققوا معه ، فتمسكوا به وأتوا به واحدا من نزلاء خيمتنا .

صاحبنا « محمد شما » أعجب « العصفور الصغير » فتسلمه بداية ساخرا منه ، ثم تحول حسه الساخر الى عطف عليه ، اذ يتولى جميع شؤونه وتسييرهـــا . فعلا انها صيدة اعتقالية موفقة ! أو لم يصفه أحد الضباط بأنه « خنتريش » ؟!

في الزاوية الاخرى من الخيمة شاب ، مربوع القامة في مقتبل العمر ، يروي حكايته مثل سواه للاخرين : اعتقلت في منطقة أبي الاسود ، نقلني الجنود الى معمل « الصفا » وهناك ، أمرني جندي بالوقوف على الحائط رافع اليـــدين وأطلق علي النار فأصاب اذني ، ألقيت بنفسي أرضا ، وربما تصورني ميتا ..



٢٩ ـ تقسيمات أحد المعسكرات في عتليت



ـ غُزوة صهيونية لمعسكر في عتليت بحثا عن ضحية !...

فنجوت !٠٠٠ وحول « حسين » المتحدث شلة من المستمعين المستفسرين عن وضع رأسه الملفوف بالشاش والقطن ٠

في مكان اخر من ذات الخيمة شاب ليبي أقام حلقة بحث ديني تتمحور حول السيرة النبوية وللكتاب الاخضر متسع في حديثه ٠ « والطويل » في حلقة من حلقات الرشيدية والبص والبرغلية ، ويطل « الكعور » من حين لاخر متسللا مع شقيقيه ، و « اسطنبولي » الذي يحمل ذكريات « أبي موسى » والمكتب ٠

من حين لحين أيضا تتوقف على الباب سيارة « بائعة اللبن » أو « البومة » كما جرى تسميتها ، طالبة أرقاما معينة للتحقيق ، وفي داخلها دوما بعض المعصبين المكيسين ، ومكلبشي الايدي ٠ وكلما اقترب ضابط المعسكر من الباب بحضور السيارة المذكورة ، دب الذعر والهلع في نفوس الجميع ٠ يتصور كل واحد نفسه أنه الرقم المطلوب ويسود الصمت المطبق على أجواء المعسكر ، للاستماع الى أصحاب الارقام السيئة الطالع ومعرفتهم ٠

ويعاودني هاجس التحقيق ، مثل سواي مجددا ، بل الرعب منه ، وأحس أنني قد أكون مطلوبا في لحظة من اللحظات ، بعد اكتمال ملفي الشخصي ، بجمع المعلومات ٠ وهذا متيسر للمخابرات خاليا من مراجعات أو تحريات قد تقوم باجرائها في الشريط أو صور وقد بات بامكانهم الحصول على ما يريدون ٠ وقد يفشى اليهم البعض ، دوري في تكوين خلايا سرية للمقاومة ، قبل اتفاق القاهرة عام ٦٩ ، وسوف يتعرفون على هويتي التنظيمية ودوري طوال فترة الحرب اللبنانية ، سوف ، سوف !٠٠ ومع الحديث مع النفس في فترات الصمت و « البومة » على البوابة ٠ أجد نفسي متابعا : لا داعي للاسترسال ، هذا قدري وعلي أن أتحمل ، ليكن تحقيق ، ولتكن مراسم المخابرات وطقوسها مهما كانت الاوصاف والاشكال ٠

خيمة العيادة عهدت لطبيبين في المعسكر أحدهما عراقي والاخر فلسطيني ، لا أعرفهما ، والى جانبهما طاقم المرضين وطبيب بنغلادشي ٠ وللبنغلادش ، بيننا ، العدد الوافر ٠

ليتني كنت طبيبا ، لشكل ذلك مدخلا للعمل !٠ انني لست بطبيب بل محام ولا مكان لمهنتى هنا لاننا نعيش أوضاعا محكومة بشرائع أشرس من شرائع التتار وغزواتهم ٠

ويعاود بعض الشباب فتح غرفة « الدوش » وتعود الحركة الى المعسكر ، فيها حيوية التنقل داخل الخيم وفي الممرات وبعض الفسحات الضيقة فتهرع ثلة من الجنود لتناول العصي وغزو المعسكر مجددا ، لاعادة الهيبة الى مزامير نظامهم ٠

في خيمتنا شاويشنا « أبو السرحان » يبدأ برواياته وأقاصيصه، التي يؤديها، على حلقات متسلسلة وبالقرب من مجلسه ، أعقد مجلسا مع أبي حاتم وشقيقه الدركي ورفيقنا أبي ابراهيم نراقب ونتطلع ونتحدث ٠ وفي الخيمة المجاورة

« أبو سليم الصيداوي » ومرافق مصطفى سعد ، أبو اسماعيل و « الصقر » الذي يستثقل ظله « الصوريون » ٠

سيارة « البومة » في حركة متواصلة ، في حل وترحال ودوما في شباكها صيد ، دون أن يخلو الامر ، من مرور جندي يقود أسيرا أو أكثر متمما مراسم المخابرات وممسكين بثياب بعض وسائرين خلفه ، مهتدين لطريقهم بامساك المغلوب الاول عصا الجندي ، الذي باتت في يده لها أكثر من مأرب ٠ أما الشاهد الوحيد المحايد على ما يجري ، عصافير تتنقل بكثرة من شجرات الليمون والسرو في البساتين المجاورة الى أشرطة الكهرباء ، ونحن في زاويتنا نتطلع ونشاهد المرج القريب من مدينة فيها أبنية مؤلفة من عدة طبقات عالية ، قيل من البعض أنها « مجدو » وحركة السيارات على الشارع العام ، الذي يجتاز المرج ، لا تنقطع ٠

أبو علي يستدعي « شاويشية » الخيم لاستلام العشاء وصاحبنا « أبو السرحان » في طريقه لاخذ دوره ، عائدا بعد حين مع مرافقه بالخبز وسطل فيه « شوربة » السمك ٠ لقد بت معتادا على تناول مختلف المآكل ، وها أنذا مع بضع قطع من الخبز مغمسة بالحساء الجديد أتناول وجبتي ٠ وترتفع بعض الاصوات « أكل لا يكفي ، بدأنا نجوع ، حصة كل منا في القاووش كانت وافية أكثر من ذلك » ٠ و « أبو السرحان » يعرض قضيته ، معه حساسية لا يأكل السمك ! طلب بصلة مقابل وجبته فرفض شاويش المطبخ طلبه ٠

يوم حافل بالمشاهد ، لم أبرح خيمتي الا مرة لغسل يدي ، خوفا من دخول الغزاة فجأة ، ووقوعي اما في شركهم أو شرك « الشيك » ، عندما يتدافع الهاربون من الورطة ٠

ولم يخلو الامر أحيانا من صيحة يطلقها « البعض » دخلوا !٠٠ دخلوا !٠٠ كلما اقترب جندي من البوابة تنبيها للجميع ٠ ان الحديث عن ألم من أصيبوا بضربات العصي أو شطّبوا بالشريط الشائك ، ما زال حيا وحديث العهد ، يبعث في نفسي القلق ويمنعني من الحركة ، سيما وان « بوطي » الضخم يحد من سرعة تنقلي ٠ وبقي الحذر سائدا حتى على الذين يتنقلون خلسة وبسرعة عبر الخيم ، من خيمة لاخرى ، بما في ذلك من قدموا الى عندي ٠ اذ كانت عين أحدهم دائما على البوابة مسلطة خوفا من الشرك الملعون ، وهوذا « عكاشة » في ذات الخيمة يساوره الحذر الدائم مثلي ٠

الزاوية المصفحة بالصحيفة المعدنية المسطحة ، باتت بمثابة سطيحة للخيمة ، أو فرندا ، تطل على الشارع العام الترابي وشكلت موئل واستراحة شلتنا الموسعة ، رغما عن بقايا الشحم والزيوت ٠

الشمس ألقت رحالها اليومي ولم يفرض نظام النوم ، حتى الان قياسا على ما حصل البارحة ، في « فسحة » الحشر ، وبدت أضواء الكهرباء من المدينة المجاورة « مجدو » ومن المعسكرات والابراج تطلق أشعتها ، مثلما أخذ

يسمع هدير الطائرات وصوتها أكثر وضوحا من مطار عسكري مجاور ٠ ومـن حين لاخر تخترق الاجواء بكثرة طائرات الهليكوبتر ، من أحجام مختلفة ٠

ألقت الشمس رحالها ، وأبلغ الشاويش موعد النوم الساعة الثامنة ، حسنـا بامكاننا السهر في الخيمة للحديث مع بعضنا ، سهر ، لن يطول لاننا بحاجـة للراحة بعد ليلة الحشر ويوم الزيت والشحم والغزوات المحمومة !٠٠ ويـدب الكسل باكرا في عيني وأسترسل نائما ، وسادتي ، بوطي ، والحشر بات نظامنا لاننا في خيمة لا تتسع للجميع ، بالرغم من محاولات التمـــدد التي أجريت للخيمة باتجاه السطيحة والشيك الداخلي ٠

مع اطلالة الصباح ، والعصافير ، التي تذكرنا بالالفة والمحبــة والحياة ، نستقبل يومنا الجديد متخوفين مما قد يحمله لنا من مفاجآت ، باتت بدورها نظامنا المرتقب ، قد يكون مصدرها التحقيق ، رعبنا اليومي وهاجس الجميع ٠

الشاويش يوزع الفطور قطعة جبن وقطع محدودة من الخبز ، ويقف الضابط على الباب طالبا العودة الى « الخمم » والجلوس تمهيدا للعد الصباحي ٠ كل واحد في خيمته متربع خلف رفيقه بانتظام ، خمسة والرؤوس مخفوضـة الى الاسفل ، ويأخذ الشاويش دوره في ترتيب وتنظيم الصفوف المتجهة في المعسكر بكاملها باتجاه واحد ٠

يدخل الضابط مع جنوده وأركانه ، بعصيّهم السحرية ، طبعا ، مستعرضـا وضع القوم الاذلاء ، وهم مطأطئي الرؤوس دون التلفت جانبا أو ابداء أيـة حركة ، وفي الخارج جنود يحملون سلاحهم ، وبعد انتهاء الاستعراض ، دون أن يخلو الامر من ضربة عصا لهذا أو ذاك ممن لم ترق لهم النظرة اليــه لاي سبب كان أو جلدالبعض في الساحة ، بعد انتهاء حفلة مذلــة الصبـــاح يعود الضابط مع عصابته بعد أن يقفل البوابة ٠

سيارة « بائعة اللبن » تنتظر دورها في برامج الاذلال ، لتصل بعد الانتهاء من العد ٠ ويقف شاويش المعسكر مناديا على الارقام المطلوبة ، كل رقم يأتـي حاملا منشفته ، التي لها دور مستحدث ليس امتصاص العرق بل للتعصيب ، يأتي وسط صمت الجميع ، الذين يساورهم أيضا الشعور بالشفقة نحو المغادرين وينطبع في ذهن كل منا ، صورة كاملة عن معاناته الشخصية في لحظات سابقة كهـــذه ٠

ترتفع الشمس شيئا فشيئا في كبد السماء ، ويسمح للمعسكر بالحركة ضمـن الخطوط الضيقة المحددة وأخذ دوش ماء ٠ حسنا ، وأسعى لاخذ دوري فأجد عجقة كبيرة وأعود أدراجي الى الخيمة مع التوقف قليلا ، لمشاهدة المتحدثـين مع المعسكرات المجاورة بدون تجاوز الخطوط الحمـــراء ٠ أصوات تتعــالى وتتصايح عن مسافات متباعدة ، وتلوح لبعضها البعض بالايدي والمناشف ٠ بين المتفرجين أيضا كان صاحبنا « سكران » الذي أبصرني ، وتقدم نحوي قائلا :

ـ أنت هنـا ؟

ـ نعم ٠ وأنت أيضا ؟ وما أخبارك ؟
ـ لا جديد
ـ حسنا عدنا والتقينا وامل ان نبقى مع بعض ٠
ويدخل على الخط « الجبلي » ايضا قائلا : كنت سأعرفكما على بعض ٠ ونجيبه باننا سبق لنا وتعارفنا والتقينا ونروي له حديث اللقاء ٠ فجأة تتعالى صيحة « دخلوا ٠٠ دخلوا ٠٠ » واجد نفسي راكضا باتجاه الخيمة ٠
ويدخلوا فعلا بعصيهم التي تأكل من اجساد من حشروا في غرفة «الدوش» وهم عراة ، ودون ان يخلوا الامر من الطرافة بذهاب البعض ، عراة الى الخيم ، متلمسون الفرار ومتخفون ضمن الحرامات ٠٠٠ والغزوة تنتهي بوصول شاحنة التموين الى الباب واستدعاء شاويش المعسكر وطاقم المطبخ لتسلم التموين ٠
الجميع في خيمهم بعد الغزوة ، وعيونهم على البوابة ، بعضها عليها علامات النهم والجوع ، يرقبون ويترقبون التموين !٠٠ هذا خبز ، ذاك ارز ، بندورة ، سمك مجفف ٠٠ ويعلق البعض : سمك كثير وماء كثير تغذوا يا شباب على شوربة السمك !!٠٠
في يد الضابط الان عدة كروزات من التبغ ، اذن سيوزعون سجائر ، والجميع بلهفة ينظرون ، لكن الخبيث ارسلها الى مخفره ، انهم يستغلون حاجتنا للسجائر للتحكم بنا ، ما اقذر هذه المعاملة !
هدير الطائرات يتواصل في طلعاته والمروحيات في حركة سير دائمة ، والمطبخ محظر الدخول اليه ، لكونه منطقة محرمة ، الا على محسوبي شاويش المعسكر وطاقم المطبخ ٠ وبدأت تفو حرائحة اساءة التصرف بلقمة عيش الاسرى من البدايات ، لكن من يجرؤ على التصدي لهذا الامر ؟ حبلة الشاويش جاهزة للجلد ، في ساحة المعسكر ومعاملته للمعتقلين معاملة العبيد ، وها هي البوابة باتت تشهد من وقت لاخر شخصا او اخر يلقى عقابه ، وقد يكون مستضعفا يختاره « السلطان » الجديد او اسياده المراقبين في الخارج ٠ وها قد باتت لسلاطين الخيم ايضا صلاحيات ٠ تسليم كل مخالف لتعليمات الصهاينة ونظامهم لسلطان المعسكر الاكبر لمعاقبته ٠
مجال معارفي ما زال محدودا جدا ، وما من مجال لرفع الصوت ، والا فالاهانة جاهزة لان تلحقني ٠ لا بد من تصليب اوضاعنا في الخيمة واتحدث مع الشباب قائلا : ما يحصل لبعضنا خطأ ! لسنا عبيد ! وعلى شاويشنا عدم الوشاية بأحد ٠ أية مشكلة في خيمتنا نحلها نحن ، واذا تمكنا في لحظة ما ، لن نسمح بضرب احد ٠ نحن بشر ويجب ان تسودنا علاقات انسانية ٠ ان الصهاينة يريدون تعميق التناقضات بيننا ، لننسى عداءنا لهم ويتحول لبعضنا البعض ٠ يجب ان نكون حذرين والا نقع في الفخ ٠ ويتجاوب شاويشنا الطيب معنا ٠

السلطان الاكبر يمسك بزيد من الناس ويتفلت منه متخفيا ضمن الخيـم ، وها هوذا يداهم غرفة الدوش ويتمكن من عمرو ويسوقه الى البوابة ، هـذا ما ردده احدهم قائلا : وبالفعل يقتاد اسيرا ويبرر موقفـه للمعترضين ان الجندي الواقف على الباب شاهده وليس بامكانه السكوت عنه ..

هراء هذا القول ! وادعاء غير صحيح . ما ذنبه اقول ؟ سوى انه يريد ان يتحمم . هذا منطق غير مقبول ، علينا ان نحتج .. يقاطعني احدهم قائلا دعنا بدون مشاكل ، حتى نرى ماذا سيحدث لنا . نحن هنا قلة نعرف بعض . واجيبه مع ذلك علينا حماية بعضنا البعض .

العيادة كانت على موعد اليوم ايضا ومع « نجمة داود » ، وزودت ببعض الحبوب المسكنة والغيارات ، وامامها في صفوف متراصة ، جمع غفير يريد المعالجـة ...

يا الهي هل نحن في معتقل ام مستشفى ؟ المصابون كثر . اياد وارجل مكسرة ومجبرة ، وضمادات الجروح تلف جانبا من جسد هذا او ذاك ، واقول لنفسي . حتى لو ماتوا جميعا ؟ ماذا يقدم هذا الامر او يؤخر في عـرف الصهاينة . لا شيء قطعا ! لا شيء ! اولم يطلقوا النار على رأس حسيـن فاصابوا اذنه وهو واقف على الحائط بعد اعتقاله ؟ فكيف لو كان يقـاوم ؟ رأسه كله ملفوف بالقطن والشاش وينتظر دوره للمعالجة في الصف امـام العيادة بين المنتظرين . وصاحبنا المخبول « محمد » ينتظر دوره ايضـا وبرفقته العصفور الصغير راعي شؤونه ومدبر اموره ! اما « العصفور الكبير » فيبدو الان في خيمتنا عاقلا متوقفا عن « لماظته » خوفا من العقاب .

سيارة « البومة » في الخارج تفرغ ، وتطلب حمولة جديدة ، ويتراكض البعض نحو خيـم الوافدين للتعرف عليهم ومعرفة شؤونهم وشجونهم وحجم معاناتهم . وطلق ناري يؤذن باقتراب واحد من الشيك وتجاوز الخط الاحمر ، وشاويش المعسكر يرتبك ، والمخالف لمزامير الصهاينة يختبيء بين جمـوع المعسكر الغفيرة ، والجنود يطالبون بالمخالف ويتكلمون مع الشاويش بالعبرية ويعود مطاطىء الرأس خائبا ، لعدم وجود فريسة صيد ، شاتما مهددا متوعدا والصهاينة على الباب اسوة بكل طلة لهم ، لديهم سيل من عبارات الرذالات العربية يشنعون بها علينـا .

الغداء جاهز فاصوليا مع الرز والعشاء ينتظر دوره بطاطا مسلوقة ، انما بـدون ملح لان الملح عملة صعبة لا وجود لـه . وفي العشاء يتوحم ابـو السرحان على بصلة يابسة ! ومن اين يأتي بالبصلة ، اما الزيت فغير مسموح لك التطـرق لذكـره !.

حتى اشعار اخر علينا ان ننسى الحياة . علينا ان ننسى الحدود الدنيا من حقوقنا الطبيعية . اما الملذات واطايب الدنيا فانها قد اصبحت في خبر كان ، باتت في ذمة الذكريات نشتاق للسيجارة ونتعشق رؤيتها . وها هو الضابط

يطل حاملا التبغ ومناديا على ابي علي مسلما اياه سيكارة واحدة لكل معتقل!
سيكارة واحدة يوميا . انه تعذيب نفسي وقهر . نسيانها افضل من وجودها .. كنت ادخن يوميا اربع علب جيتان ، اما الان فحصتي سيجارة « ماروم » واحدة . قهر ما بعده قهر . وتصلني السيجارة ويصلني معها سيجارتين اخريين ، لا بديل عن التدخين الجماعي ولا مفر من ذلك والعلاج العمل **بنظام « السحبات » . ويبقى العصفور الصغير محظوظا لانه تلقى بدل التزامه** خدمة « محمد الخنتريش » الذي لا يدخن سيجارته اليومية .

عالم غريب من نوعه انه عالم الكبريتة الواحدة التي يحملها شاويش المعسكر ، تسلم لـه صباحا لتسترد ليلا .

ومع المساء يوزع الشاي . ويأتي شاويش خيمتنا حاملا سطل الشاي . واتذكر ان بين امتعتي كباية بلاستك ، احضرتها بقرف ، لانني لم اكن احب الشاي . واجلس على سطيحة الخيمة ، او فرندتها ، مع الشلة والكباية في يدي . ويبدأ الشاويش بالتوزيع نصف كباية لكل واحد . نعم نصف كباية .. في عدد كمجموع معسكرنا ٩٦٠ معتقلا ، نصف الكباية حجم معقول ! لانه من المفترض ان يتم التوزيع بالقطارة .. اكثر من صوت يرتفع « زد لي شفة ! » واجد نفسي متبرعا بحصتي لمن يريد ، لكنهم يرفضون اخذها .

عند المغيب اعود لسكران منتهزا ابتعاد الجنود عن البوابة ، وبقي في ذهني مناقشة امور قانونية معه مستفيدا من تجربته الاعتقالية ، فلا اجده في خيمته ، واحس ان غالبية الوجوه الملحوظة غريبة عني . وبهذا يساورني شعور بالراحة بعض الشيء خوفا ممن يعرفونني ويمكن ان يشون بي .

انظر مستطلعا ومحدقا في هذه الخيمة او تلك ، ومتوجسا في الوقت ذاته من دخول الغزاة ، واعود بعدها الى سطيحة الخيمة لمشاهدة العصافير الزائرة مع المغيب والاشجار في البساتين المجاورة والاضواء الكهربائية ومراقبة حركة السبي في الشارع وتحركات « البومة » واخذ بعض سحبات التبغ والاجهاز على السيكارة بتدخينها حتى نهاياتها ولو ادى ذلك لاحراق اطراف الاصابع ولاسرتي واوضاعها ومرارة حياتها مكان في زحمة تلاحق المشاهد اليومية الكئيبة .

يطل يومنا التالي على مشاهد رتيبة مكررة مملة ، وقد بانت وباتت مستهلكة ، بحيث بت اشعر ان لدينا متسعا اكثر للتفكير .. والتفكير بماذا ؟ بالمصير ؟ والمصير المجهول !..

هاجس التحقيق وبائعة « اللبن » هو المسيطر الراهن والدائم الحضور ، اما التفاؤل فيما يكون ؟ ايكون مع ذمة بيغن وعمليته العسكرية التي اسماها « عملية سلامة الجليل » وحدد لها مدى زمنيا يتراوح بين اربع او ست **أسابيع ! وذمة بيغن واسعة مثل ذمة كل ارهابيي هذا العالم ، واسعة أيضا بقدر اتساع ذمة أسلافه ... عفوا كفرت بما زور في**

التاريخ لاظهار الوجه الحسن على حساب الوجه القبيح ، والوجه القبيح هو الوجه المسيطر رغما عن كل بهارات التاريخ ومحاولات التشذيب والتلطيف التي حاولت ان تحلى وتجمل وتحذلق الامور والصور ، يبقى مع ذلك وجه يشوع في أريحا « اقتلوا ... ولا تعفوا الا عن الزانية ... » مثلما يبقى وجه لوط وقومه اللودليين مصدرا لمذاهب استوحت واستمدت افكارها ونظرياتها من رجس القوم المذكورين .. اقول ذلك بعفوية وبصراحة ، بالاذن من الانجيل والقرآن وكل الايات التي حاولت ان تعطي صورة اخرى ، دون ان تمحو صورة النوم المفضلين اصحاب العهد القديم ...

يطل يومنا وكلني لعنة وغضب على الدنيا الكئيبة ، التي القت بنا في جحيمها بين يدي سفلة التاريخ ومرضاه ومزوريه .. كلني حقد وضغينة !.. وانا لا حول بيدي ولا طول . شاويش معسكر ، بل شاويش خيمة قادر على التحكم بي وتركيعي واذلالي في وسط لم تتبلور طاقاته النضالية ، واذا كان هناك من طاقا تفما زالت كامنة حتى الان .

يطل الصباح على العد الصباحي « فريضة الذل » والشاويش بحبلته وسيجارته المشتعلة دائما في ظل « خرم » المعسكر بكامله ، الذي يتغذى بنصف ملعقة مربى فطورا صباحيا لكل واحد من نزلائه ، وحالات السبي في الخارج على الطريق المجاور مستمرة ، والبومة النقالة لا تكل ولا تتعب ، وبذاءات الصهاينة التي بدأت تتفشى في الوسط المحيط وطلقات القابع في البرج وكأنه في جبل « الطور » لفض الاشتباك بين الاصوات والصيحات المنطلقة من معسكر لاخر ، ومنظر جندي متنقل على الشيك يفتش عن فريسة ليلقي بها طعما في فم عصي زملائه او في فم حبلة الشاويش ، فريسة قد يكون كل ذنبها احيانا انها ، راقتله او لم يعجبه مظهرها . واجد نفسي متطيرا من مشهده وحركاته المريبة ، ملقيا بنفسى سريعا من السطيحة لداخل الخيمة تحاشيا لرؤيته وتجنبا لأذاه ، الذي تصورته بفعل التطير أيضا .

يطل الصباح ، واي صباح حزين ، اطل والحزن بات حالة معشعشة في النفس ، لن يطرده أي فرح آت أو أية خبرية سوى الفرح الاكبر ، اذا كان الفرج قريبا . ومع تقدم الشمس البطيئة في اتجاه كبد السماء ، وحكايا ابو السرحان المشوقة لمن هو خالي الذهن ، تتقدم « البومة » نحو الباب لتطلب دفعة مسبيين جدد ، وينادي شاويش المعسكر على الارقام المطلوبة ، فاذا الليبي صاحب حكايا السيرة النبوية ، من بينهم ، يحمل منشفته صابرا ويتقدم لتعصب عيناه بيد الشاويش عملا بالصيغة الجديدة ، وتكلبش يداه ويساق نحو السيارة مع اقرانه وكأنه ضرير فقد بصره .

لما هذا الليبي ؟ ايريدون معلومات عن التنظيمات الفلسطينية ؟ بين ايديهم الان هذه الاعداد الغفيرة وتجميع ما صعب تجميعه سابقا او استحال .. وحتى بامكانهم تجميع ملعومات عني .. ليس انا بالمهم الان ! بل التنظيمات

.. لكن هذا المسكين مــاذا بيده ؟ لو كان عنده شيء اخر غير السيرة النبوية لتحدث عنــه ، والسيرة الان من دون شك تشد ازره ، تعصبه ضد التساقط . يريدون تجميع معلومات عن التنظيمات ؟ ساح لبنان ، جنوبه خاصة بات بين ايديهم بامكانهم حصر كل شاردة وواردة .. ولما هذا الليبي ؟ ايريدون معلومات عن ليبيا ؟.. ويبقى في ذهني بعد كل المحاكمــــات النظرية ان صاحبنا الليبي مسكين ومسكين ، مطلوب منه ليس معلومات ، وهو لا يمتلكها بل تكفيره بما آمن بــه ، ببساطة تكفيره ، وجعل فكرة تحرير فلسطين فكرة ممقوتة في ذهنه لها علاقة بعذابه الجســدي ، وجعله عديم القدرة على التفكــير بادارة وجهه في يوم من الايام نحو المشرق العربي . اذ لن ينسى العذاب ، مثلما لن ينسى عصبة الشاويش لعينيه او طعم حبلته على جلد بعض الاسرى .

وسط هذا الشــرود الكلي والتعامل مع الوسط المحيط المضني والمطبق على شرايين الذهن والذاكرة ، يتعطل مفعول التفكير ويصاب بالشلل ، وكأن كابوسا رهيبا مسيطرا ببراثنه علي .

يطل شاويش الخيمة حاملا سطل المعكرونة المسلوقة ، عاملا على توزيع حصص الشباب ووجبة الغذاء . واحاول لململة ذاتي من جديد ناهضا مــن السطيحة بعد ساعات صمت ، متناولا صحني لاخذ وجبتي .

سكران لم اره ، عنده تجربة ولا بد من طرح بعض الاسئلة عليه . تعلمت في الجامعة ان للحرب قوانينها وانظمتها ، خاصة المتعلقة بوضع الاســرى والمعتقلين وحماية المدنيين ، واذكر ان هناك شرعة دولية اسمها اتفاقية جنيف لم اطلع عليها وحتى في الجامعة لم ندرسها كمادة مستقلة ، كل ما في ذهني مبادىء عامة وافكار مبعثرة . صحيح ان سكران غير قانوني لكنه بفعل خبرته لديه المام بالاتفاقية المذكورة ، ولو كنت مقدرا انني سأعتقل يوما ما لدرستها !

واتحرك باتجاه سكران فاجده يجلس مع الشلة المحيطة به ، وانا على عجلة من امــري وخوفا من غزوة للجنود مفاجئة ، آخذ موقعي ضمن الشلة وابدأ بطرح الاسئلة المطلوبة والنقاش معه . واجد صاحبنا متفائلا ، يعتبــر اقامتنا مسألة ايام ، ويتم اطلاق سراح هذه الاعداد الغفيرة التي تم تجميعهــا كيفما كان ، حماية لعمليتهم العسكرية ومؤكدا ان اتفاقية جنيف لا تسمــح بمحاكمــــات .

متفائل ، ربما بفعل العملية العسكرية كما وصفت . ولكنها تجاوزت نطاقها مكانيا او جغرافيا الى ما بعد الزهراني وعلمنا عن عمليات اسرائيلية حتى شمالي الاولي . ويبقى الرهان على النطاق او المدى الزمني ، مسألــــة الاسابيع ، وها قد اجتزنا ما لا يقل عن ثلاثة اسابيع حتى الان .

سكران لــم يغن لي معلوماتي ولم احصل على جديد منه ، كنت اعرف ان لا محاكمات ، وانمــا مسألة اعتقال . وكنت ادرك بأن العدو لن يعاملنــــا

معاملة أسرى حرب ، وانما مدنيون محتجزون في النهاية . لكن أو ليست لنا حقوق ؟ واين الطرف الحامي لهذه الحقوق ؟ أين الصليب الاحمر الدولي ؟ ومتى نلقاه ؟..

الشباب يتشمسون وبعضهم يقص شعر رأسه . وقد بدت الرؤوس العارية من الشعر سمة بارزة في المعسكر . او لم يبدأ الطبيبان بالعملية تشجيعا للاخرين ؟ والى جانب غرفة « الدوش » تتجمع اعداد غفيرة يتشمس بعضها والبعض الاخر ينتظر دوره .

قلت انني لن اقص شعر رأسي وصممت على ذلك اثناء وجودي في القاووش الكبير وما زالت قناعتي ثابتة . وفجأة يقف الضابط على الباب بتهديده ووعيده لكل من لا يقص شعره ، بجلده وطلب من حالقي (الرؤوس) التوقف عن عملهم والبدء بالخيم الاولى والثانية والثالثة ...

أصبحت امام الامر الواقع ، امام المزمار بصلاحياته الجديدة ، ويأتني عكاشة بعد ان تركته منذ دقائق حيث كنا نزور « ابا الحسن » يأتي حاملا « مكنة حلاقة » فاستمهله لاكون الاخير في الخيمة ، وكان ذلك ، حيث بدا شكلي بعدها بمنتهى الغرابة في المظهر الذي لم اعهده طوال ايام حياتي « حليق الرأس » طويل الذقن والتي كان دورها في اليوم التالي . ومع المساء كان الجميع في الزي الموحد الجديد .

يقترب مني أبو ابراهيم ويخبرني أن جعفر المختار وحيدر في معسكر مجاور وقد تحدث معهما عبر الشيك ، وهما بالانتظار لمقابلتهما فاتوجه مع رفيقنا ملوحا لهما بيدي عن بعد ومتعرفا على قائمة معتقلين جدد من بينهم العم وعدد اخر كانوا معه .

رائحة المشاكل في المطبخ تزداد ، وتزكم أنوف الجميع ، والخلاف بين شاويش المعسكر والمطبخ بات معلوما عبر الهمس المنتقل من اذن لاذن . وبدأ سوء التصرف ينعكس على حجم الوجبات المقدمة للاسرى المقهورين الذين غزاهم الجوع وبات حديث المطبخ حديث الكل وليس بمتناول المعتقلين من مادة للحديث سوى المطبخ وغرفة عملياته . صاحبنا أبو السرحان البحري الذي لا يأكل السمك ومشتقاته بداعي الحساسية استطاع ، بعد جهد جهيد ، اقناع أركان العمليات بوضعه وتقديم وجبة جاهزة له ليليا عبارة عن بصلة حجمها يكبر أو يصغر حسب مزاجية المطبخ .

« البومة » منذ قليل أفرغت حمولتها في معسكرنا واقتادها الشاويش الى الزاوية المستحدثة خلف العيادة والمقتطعة من خيمتها حيث يقيم أبو الحسن الذي تركته ، منذ ساعات ، حذرا أيضا من مراقبة العيون وبين الضيوف الجدد « محيو » ، و « عكاشة » يحمل لي النبأ معرفا عنه بأنه من كوادر الجبهة .

بعد حين أتوجه لمقابلته أو معرفة ما عنده ، سيما وأنه اعتقل بعدنا بفترة ويحمل أخبارا جديدة . ونلتقي فاذا بنا نعرف بعض ، سبق والتقينا مرات عدة

لفترات عابرة ٠
تحدث عن سقوط صيدا والمخيمات والمجازر وأماكن التعـــذيب التي باتت معروفة من الصفا والراهبات الى الجورة ، كما تحدث عن الجندي الذي علق له على ظهره عبارة مكتوبة « شيوعي » وأبلغ أن الصهاينة تجاوزوا الجنوب بكاملـه باتجاه الجبل ، الذي باتوا يسيطرون عليـــه واحكام الطوق حول بـــيروت والمحاولات الحثيثة التي تبذل لوقف اطلاق النار ، الذي تخرقه قوات العـدو كلما اتفق عليه ، نتيجة تعنت « شارون » ، مثلما حدثنا عن جولات فيليـــب حبيب ومساعيه وتشكيل هيئة الانقاذ الوطني لحل المشكلة اللبنانيـــة في وقت انشغلت فيه السعودية بموت الملك خالد وتولي فهد مكانه ٠

أودعه لأعود الى خيمتي ولدي الاحساس أن ضيفنـــا القادم عـــرض أبرز العناوين الاخبارية والصورة السياسية للوضع ، بعد اعتقالنا ، عرض يضعني في صورة متابعة المستجدات والتطورات ٠

أعود الى الخيمة منهكا من جديد ، نفسيا أحس بتعقد الامور وصعوبـــة الظرف ولأمضي ليلتي بتحليل الشريط الاخباري لمن هـــم حولي ومن عـــلى السطيحة ومع بصلة أبي السرحان وحكاياه ٠

وفجأة تتراكم قوة من الجنود بالعصي الجاهزة على البوابة وصوت أحدنـا يرتفع قائلا : « الله يستر » ٠

شاويش المعسكر على البوابة ، بعد الحديث معهم ، يطلب من كل واحـد البقاء في خيمته وتدخل مجموعة منهم الى الساحة مستدعية الخيمة رقم عشرة٠ يجلس أفرادها أرضا وفي صفوف ستة منتظمة عشرات عشرات ويرافق الاصطفاف طبعا مستلزماته من ضربة عصا أو ركلة قدم لهذا الاسير أو ذاك ٠ واذا بالخيمة عددها غير مكتمل وناقصة أسيرا تخلف عن الحضور ٠

يعلن الشاويش غياب واحد ويطلب منه الحضور بسرعة ، دون أن يتقـــدم أحد ، ويكرر اعلانه المرة تلو المرة ٠ نحس أن الواقعة وقعت ، وسينال هـــذا المسكين عقابا قاسيا ٠ ترتفع حمى الغزاة وتستنفر عصيهم وقد بات لديها صيدة الليل ، وانهالوا بالوعد والوعيد للمعسكر بكامله والتفتيش خيمة خيمة للبحث عن المتخلف والتعرف عليه ، وقد حددوا له تهمة التحريض السياسي في الخيم الاخرى أو ممارسة اللواط ٠ لا حل عندهم غير ذلك وقد أصدروا القرار التعسفي بحقه حكما مبرما لا يقبل أي شكل من أشكال الطعن !٠٠٠

بعد دقائق وسط رهبة الجو وأجواء التخوف ، التي سيطرت على الجميـع تقدم أسير بنغلادشي ٠ استحال عليه فهم ما يجري لعدم معرفته العربية وقـد كان في خيمة مجاورة مع رفاقه يغط في نوم عميق ٠ أيقظوه عـــلى صيحـة الاستنفار السائدة وتقدم مرتجفا من الساحة معلنا عن نفسه أنه الغائب مـــن الخيمة وكان نائما في خيمة مجاورة معبرا بمزيج مـــن عبـــارات الانكليزية والعربية والبنغلادشية ٠

مسكين صاحبنا له كل الشفقة والرحمة منا طبعا ، ولا نملك أن نعطيه غير ذلك ، لقد وقع بين أيدي ظالمة لا ترحم . ويصيح الضابط الصهيوني لدى رؤيته « بنغلادش كمان .. » وينهال عليه ضربا بعصاه وبركلات رجليه ويصرخ صاحبنا مستغيثا : « بنغلادش كمان .. حتى بنغلادش ضد اسرائيل ؟ ... » ويتناوب الصهاينة على ضربه كأنه انسان آثم ، ارتكب جرما لا يغتفر . ويسود الصمت أجواء المعسكر المذعور والمرعوب وتتحكم به ، حفلة سهرتنا الليلة وننام حذرين مترقبين من غزوة مشابهة ...!

مع الصباح كعادتنا نؤدي فريضة الذل والمهانة ، فريضة العد وتتحرك « البومة » وبين من تستدعيهم شاويش معسكرنا . واذ بالعصبة تلف عينيه والكلبشة في يديه لتذكره من جديد أنه أسير مثلنا ، ونبقى حذرين منه بعد أن صال وجال وتسلطن ، وها هوذا الشاويش الجديد يطل علينا متكلما العبرية بطلاقة .

أخذ يتحرك في جوانب المعسكر داعيا الشباب الى المحافظة على النظام والهدوء والتعاون لعدم تمكين الصهاينة من التدخل، محاولا التودد الى الجميع ومعلنا عن عزمه عدم مس أي معتقل واهانته . انه الشاويش حسن ، الذي بدا محببا الى الجميع ، مع الحذر منه ، والقريب الى القلوب .

صاحبنا الليبي الذي ذهب الى التحقيق حتى الان لم يعد ، ها قد مضى عليه عدة أيام . عندما استدعي كان صائما مع بداية شهر رمضان ، كان الله بعونه لانه صابر على العذاب والجوع ، لو كان الامام زين العابدين حيا وعلم به لقال : **ما صام الا انا ورجل من أهل ليبيا ، قياسا على قوله ، ما حج** الا أناوناقتي ورجل من أهل البصرة ..

من الطبيعي أن نكون على موعد مع رمضان أيضا ، الشهر المبارك الذي أنزل فيه القرآن والاحتفال بهذا الشهر الفضيل على طريقة المقهورين . وأول من بشر به ، صوت مؤذن مع طلوع الفجر من قرية عربية مجاورة . كان للاذان وقعه وتأثيره في النفس ، أيقظنا بعضنا بعضا للاستماع الى المؤذن، حتى غير الصائمين منا . ماذا أصف المشاعر ؟ ببساطة كأننا تائهون في صحراء مقفرة وصوت المؤذن ، أوحى لنا بأننا على مقربة من واحة وسط تيه الصحراء . **والجميع باتت قبلتهم الضيعة العربية التي انطلق منها اذان الفجر ، ومحط** أنظارهم وتطلعاتهم .

رمضان أطل وفي نهايته عيد الفطر ولا نملك الا أن نردد مع المتنبي بعد خروجه من مصر « عيد بأية حال عدت يا عيد ... » ونتساءل كيف سيكون حال أهلنا الذين أنهكهم الاعتقال اضافة لمآسي الحرب التي لم يجف فيها الدم أو الدمع .

أما الامر مع صاحبنا الشاويش حسن فلم يطل ، في اليوم التالي توقفت « البومة » على الباب واذا به يركض وسط سكوننا ونسمع وقع خطاه وعبارة :

« الله يستر » . يطلب منه رقم معين فاذا هو رقمه . يحمل منشفته أسوة بسواه ويدخل الهيكل المخابراتي !..

لم يعد في المعسكر أحد يجيد العبرية ، ويتقدم أحمد ، الذي يجيد الانكليزية لطرح نفسه شاويشا للمعسكر ، بناء لطلب الصهاينة ، ويتحدث معه الضابط ويعينه حاكما بأمرنا . نأسف لذهاب حسن الطيب ونقابل مجيء أحمد بوجل متخوفون من اساءة تصرفاته . يتسلم عصا الماريشالية « الجبلة » ويتمختر في المعسكر بادىء ذي بدء لا يرد على أحد ممن ينادونه باسمه ، عاطيا للهيبة استحقاقها ، ومتنقلا بين البوابة والمطبخ وفسحات المعسكر .

ينتابني « رشح » قوي وأقصد العيادة من جملة القاصدين على أمل اعطائي بعض العلاج المتوفر . ومن أين العلاج ؟ بعد انتظار طويل أستحصل على حبة « فيجانين » . تناولتها وعدت الى الخيمة وفي جيبي بعض من محارم الورق اقتنصتها من المرحاض .

ويتبين أن المحارم قد نفذت بسرعة ، فيشتكي الشاويش الامر للصهاينة ويقف الضابط على الباب مهددا كل من يستعمل الاوراق المذكورة لغير غايتها ، فقط في المرحاض ، ويطلب من شاويشية الخيم ابلاغ شاويش المعسكر اسم كل من يحمل ورق « تواليت » لمعاقبته . ويتذكر شاويش خيمتنا الجديد استعمالي لها ، ويتقدم مني قائلا : « أنا ما عندي محام هنا أنت أسير ، عليك تطبيق نظام المعسكر ،لايجوزحملك للمحارم التي في جيبك ، أتلفها والا أبلغ عنك » أتأثر كثيرا وأفاجأ بموقفه وأجيبه « حتى أنت يا جعفر !... هذا الكلام غير معقول ، تهددني بالابلاغ عني ، بلغ ولك الشكر ، صحيح أنك شاويش خيمة ، لكنني أذكرك أنك أسير مثلنا جميعا وأتحداك أن تبلغ ..!.. » ومع تدخل الشباب وتأنيبه على تصرفه ينقضي الامر .

الضابط كعادته على الباب ، لكنه مع « نجمة داود » من أجل احتياجات العيادة ، وتغادر السيارة ليعود مجددا قائلا : دكتور اعطيني كلبين صغار « نعم عبارة كلبين » لاسيرين صغار السن واذا به يحملهما مرشة « الليزول » لرش المراخيض .

كلاب !... نعم نعامل أقل من معاملة الكلاب . لكن حتى الان لم تتوفر لنا أية جمعية رفق بالحيوانات لتدافع عنا !

« البومة » تؤدي دورها المرسوم وجحافل « المسبين » على الشارع في حل وترحال ، يساقون كالبهائم . ونحن في معسكرنا ألفنا حياة المعسكر اليومية وبدأنا نتدجن مع الهموم الدائمة والكوابيس الحية المرعبة .

سيارة النفايات بدورها على الباب ، ومجموعة من الاسرى بالتناوب ، تقوم بتنظيف المعسكر ووضع الاتربة والحشائش اليابسة المجمعة قرب البوابة مع بقايا المعسكر . أتحدث عن نفايات ! ما هي ؟ كراتين الخبز وصناديق الخشب ، ولو كانت صالحة للاكل لما بقيت ، جوع المعسكر كفيل بقضمها وهضمها ومحذر

علينا استعمالها لاي غرض كان أيضا !
ويلاحظ أحد المناوبين على التنظيف ، وجود رغيف خبز يابس بين البقايا ، يتحدث مع أكثر من خيمة عن الفريسة المعقولة الكفيلة بسد الرمق واسكات الجوع ، ويتحين الفرص لاقتناصها . بعد برهة يعود والرغيف بين يديه وكأنه لقي كنزا غير قادر على اخفائه راكضا باتجاه خيمته .
يتنبه لامره الشاويش ، فيزجره ويأخذ الرغيف ، الذي كان محط أنظار الكثيرين ، مثلما يتنبه حارس البوابة للامر أيضا ، ويستدعي صاحب الكنز المصادر لمعاقبته .
وتدخل مجموعة من الغزاة بعصيها لمعاقبة المتهم بالجوع . نعم المتهم بالجوع . وتتغذى عصيهم من جسده .
تنطلق من المعسكر صيحة واحدة بصوت جماعي « حرام .. كفى ... » .. ويرتفع صوت أحدهم قائلا : « نريد الصليب الاحمر الدولي » !
الحمى ضربت المعسكر والعواطف تحركت من مواقعها الكامنة ، وتحولت أجواؤنا الى حالة من الغضب والثورة العفوية ، حالة تشبه الانتفاضة .
بعد لحظات تقدم الضابط وطلب قدوم من يريد الصليب الى الساحة ، واذ بشاب مربوع القامة يخرج من خيمته ويتقدم نحوه قائلا : « أنا الذي طلبت الصليب افعل بي ما تشاء » !
على عجل كانت « البومة » جاهزة لنقله معمدا بالطقوس المخابراتية ، لا نملك الا الاشفاق عليه ومشاعر الرحمة مع سكون الانتفاضة وحالة الهدوء الحذر ، الذي انتاب الجميع في المعسكر ، والقناعة أن البطولة الفردية مع حاجتنا اليها ليست هي الحل ، والمطلوب بطولة جماعية من أجل حماية الفرد .
منذ الصباح الباكر والجنود في حالة تحضير عمل الى جانب المخفر ومع مرور الوقت باتت خيمة من « الخيش » على أعمدة خشبية جاهزة . ويتكاثر بعد تناول الغداء عدد الجنود ، ونوضع في حالة تأهب وفق تعليمات الضابط .
كل واحد في خيمته وفق نظام العد الصباحي ، خلال مدة أقصاها خمس دقائق ! ماذا سيحصل ؟ ما هو المطلوب ؟ لا أحد يعلم !. ويتحرك المعسكر بكامله على عجل في الوقت الذي يحاول فيه هذا الاسير أو ذاك تدبر أمره بالذهاب الى المرحاض أو تناول شربة ماء . وتفتح البوابة والجنود في طريقهم الى المعسكر كالعادة بعصيهم وباتجاه المراحيض وغرفة « الدوش » لتأكل العصي من لحم هذا الاسير أو ذاك الذي لم يحضر نفسه بسرعة ، وتخلف بعض الوقت ، مثلما تأكل شفرات الاشياك الداخلية من لحم العديد الذين ارتطموا بها ووقعوا مذعورين ، مربكين ، في مطبها .
كل الخيم باتت جاهزة في حالة نظام عدد ، ووجوه الجميع متجهة بشكل اخر ، وجديد ، بشكل معاكس للشارع العام ، حتى لا يبصر أحدنا ماذا يحصل.

الجنود منتشرون في كل مكان ، داخل المعسكر وخارجه وأمام كل خيمة وخلفها ورؤوس الجميع مطأطأة والعصي جاهزة لتناول أي رأس يتحرك .

الخيمة رقم واحد الى الساحة ، يجلس نزلاؤها أرضا صفوفا سداسية منتظمة أيضا ، ويخرج كل صف من البوابة لاستعراضه على الشارع العام، ليعود فيلحق به الصف الاخر ومن ثم الخيمة الثانية فالثالثة بالتتابع ...

يصلنا الدور وعلينا أن نتحرك على عجل راكضين ، ونجلس أرضـــا وفق الارقام المتسلسلة : الطويل أمامي والصوري خلفي ونجتاز البوابة ، بطاقة كل منا في يده ، ونصطف عشرة بمواجهة غرفة المقنعين ، محـــذر علينا تدقيـــق النظر بهم .

وجوه بشرية ثلاث خلف ساتر الخيش ، يضعون على رؤوسهم أكياس المذلــة أكياس العار ، ولا نبصر سوى عيونهم المطلة من ثقبين في كل كيس ، يدققون في كل واحد منا ، لفترة لحظات ويؤشروا على هذا أو ذاك .

انه حقيقة مشهد الرعب ، مشهد يوحي بالحقارة والنذالة ينظر بي احدهم قائلا : « تطلــع بي يا ختيار ... » واتظاهر فعلا انني « ختيار » بذقنـي الطويلة الموشحة بالشيب ، وشعري المحلوط ، وبوطي الكبير الجثة والمتطاول الــى الامام ، وثيابي المتهدلة على جسدي النحيل ، واتظاهر بعدم الفهم ! ليتقدم مني جنـدي ويطلب النظر نحو المقنـع لمزيد من التدقيـق فـــي وجهي دون ان تلتقي عيناي بعينيه .. وبعدها بسرعة نركض الى الخيـم تتقاذفنا احجار الشارع الترابي وحصيه الكبيرة وبعض ضربات العصي .

الطقس المخابراتي الجديد يتتابع من صف لصف ومن خيمة لخيمة ونحن على حالنا حتى يكتمل عرض المعسكر بكامله على المقنعين .

نعود جميعنا الــى وضعنا الطبيعي ، الوضع المألوف في المعسكر ليروي كل واحد ما حدث وما حصـل معــه ، ويتناقل معارفي حكايتي مع المقنــع ، حكاية الختيار مثلما تتناقل حكايا الذين اشر عليهم واخذت ارقامهم وبــدا التخوف على العديد منهم .

ومع المساء كان العشاء جاهزا ، مثل السطيحة والشلة وأبي السرحان وأبـي حاتـم و « الصقر » الغير مرغوب فيه ، والسيكارة تتنقـــل من فم لفم ، والعصافير تودع المساء ، مع الصائمين بتأديتهم صلاة الجمعة وقرب غرفة الدوش كعادتهم وفطورهم الليلة شوربة السمك .

عند الصباح وبعد تأدية مزمار المذلة كانت « البومة » جاهزة لنقل المؤشر عليهم ، الدفعة تلو الاخرى ومن بينهم سكران ومحيو وابو الحسن ، الى غير عودة ونحو المجهول . ومع افتقادي لكل واحد من المعسكر احس بالضيق ، يتزايد ، والانقباض يسيطر على تفكيري ، وتبقى الخيمة رقم ثلاثة ، الوحيدة التي لم يأتها اي ضيف جديد ، ولم تفتقد الا الليبي الصائم ، الذي اوشكنا ان ننساه ، ونرتاح لكون الخيمة مغلقة على من فيها ، تخوفا من اي قادم جديد ،

او ذاهب ولا نعرف مدى قدرته على التصلب .
حفلة المقنعين جعلتني ارتاح لوضع شعر ذقني الطويل ، لقد بت في زي متنكر ، لا أحد يستطيع الىعرف علي ، لن أحلقها وسأتركها على حالها حتى اشعار اخر ، وشفرة الحلاقة من نصيب الستة الباقين شركائي عليها ، عدا عن ذلك لا اتحمل مخاطر فقدها اذا ضاعت ، والتنبيه هو الحرص عليها لاعادة تسليمها تحت طائلة الجلد . طبعا لا يوجد سجلات تسجيل ولا اقلام او اوراق والسجل الوحيد هو ذاكرة شاويش الخيمة . من حين لاخر تراه يدقق في ذاكرته ويحصي الشفرات واسماء مستلميها .
الضابط على الباب مع جنوده بعصيهم ، والجميع باتوا في الخيم ! ما هو المطلوب الان ؟ الخيمة رقم ١٢ الى الساحة في حالة نظام عدد ، ويتراكض جميع من فيها ، الى الساحة اخذين مواقعهم بانتظام والعصي تأخذ وافر نصيبها في كل الحالات ومهما كان السبب . ويطلب من شاويش الخيمة تحضير شفرات الحلاقة ، ويتوجه نحو « امناء » الشفرات الواحد تلو الاخر معتمدا على سجل الذاكرة ، واذ باثنين من اصل العشرة قد تصرفوا بالامانة. واساؤها ! الاول افتقدها وضاعت منه ، اما الثاني فقد استعملها لصناعة « بز » سيكارة من « عرق » نبتة طيون وتكسرت نتيجة كثرة استعمالها وفي جيبه بعض من بقاياها . وحتى هذا البعض لن يغفر له ذنبه الكبير !
لا شيء يجدي أو ينفع ، بقناعتهم الجلد لأي سبب كان هو علاجنا الوحيد يلبي رغبات حقدهم دون شك . عصيهم السحرية بتقديرهم ستصنع المستحيل او لم يستعمل سيدهم العصا ؟ استغفر الله ..
ويعود من تأويهم الخيمة الى مكانهم ، ما عدا الاثمين ، اللذين اساءا الامانة ولم يحسنا التصرف ليكونا على موعد مع العصي خاصة من الحاقد المربوع ، صاحب الجثة الممتلئة ، الذي تمتليء عصاه حقدا وضغينة ، وليس بمقدور احد منا ان يتكلم او يحتج ، رفيقنا الذي احتج في الامس القريب بعد حفلة الرغيف نقلته « البومة » ولم يعد ، ينتظر حفلات عصيهم وركلاتهم ومصيره المجهول .
شاويش خيمتنا روعة المشهد وتخوف من حفلة الشفرات ، فجمعها معه ، ولا يعيد توزيعها ثانية خوفا من فقدان اية واحدة منها .
ماذا اتحدث ؟ وعما اتحدث ؟ عن الظلم ؟ ما هي مقاييسه ؟ ما هي حدوده ؟ وهل العدالة لها مكان في قاموس الصهاينة ؟ ماذا اتحدث ؟ ما هو مفهوم العدالة ؟ ما مدى مفهومهم للحق الانساني ؟ لا شيء ابدا ! العدالة باتت من صنع عالم اخر غير عالمنا. انها تشبه الادبيات الواردة في أحشاء الكتب ، لا بل قصيدة المستضعفين وأغنيتهم الحلوة ، ليس لها علاقة بالواقع المر الكئيب واقع العقاب من اجل رغيف النفايات ، بقايا شفرة الحلاقة ، واقع صاحبة الجلالة العصا التي لها الحضور الدائم والموعد

مع الجسد تتغذى منه محققة رغبة ضغائن التاريخ .

فجأة تدب الحركة في معسكر خاو من النزلاء ويتم تجميع أعداد غفيرة فيه ، من كل المعسكرات ، بما في ذلك معسكرنا . وتدب الحيوية فينا ، وتزداد معها حشرية الجميع لمعرفة ما يجري ، وتتشابك الاصوات اكثر من عادتها بين المعسكرات متحدثة مستفسرة .

« دفعة افراجات الى البيت ... اخلوا سبيلهم » ... ستلي ذلك دفعات اخرى .. وتسود اجواء الفرج ، الجميع ، دون ان يتمكن احد من امتلاك الجواب الصحيح .

ومع صباح اليوم التالي ، يفرغ المعسكر حمولته ، معسكر الفرز كما اطلق عليه ، نحو المجهول ! دون ان يدري احد الى اين ! لانعدام المصدر الموثوق ، ويتواصل الارتياح العام لدى الجميع لمغادرة من كان حظهم المغادرة .

« ابو سليم الصيداوي » في الخيمة المجاورة ، يعبر عن تفاؤله بمحاولته اجادة الرقص ، ضمن شلته ، ولو على طريقة رقص الدببة . ابو حاتم وابو السرحان والدركي وغيرهم ، يمنون النفس برؤية الاولاد ، والعودة اليهم سالمين في ايام قريبة ، بل وتمضية العيد معهم الذي سيحول تعاستهم الى سعادة . اما « الصقر » فيبدو متخوفا مما ينتظره من مشاكل الخارج التي لا عد لها ولا حصر . ولما لا يسود التفاؤل ؟ او لم يخلي الصهاينة سبيل اعداد غفيرة هذا الصباح بقناعة الجميع ..

ومع فرحة الشباب وسيطرة اجواء المرح على انقاض الكآبة ، تتحرك حمية الصيداوي اكثر فاكثر ، ولتنطلق من البعض بعفوية متناهية صيحة « قام الدب ليرقص ... » فاذا به فعلا يقتل عدة انفس ..

وسط تصفيق الشباب ورقصة الصيداوي ، اطل الضابط مستدعيا الخيمة رقم ثلاثة الى الساحة ...

يتحول الفرح الى كآبة من جديد . الخيمة بكاملها ، نجلس ارضا ضمن مسافات متباعدة عن بعض ، صفا صفا ، ووسط مجموعة من الجنود بعصيهم المشتاقة للحم اجسادنا ، وتنهال علينا ضربا . ولا نتمالك سوى ان نعيد تجميع انفسنا على بعض ، لتعود العصي لتفريقنا من جديد . جثة «الطويل» خير غطاء لي ومخبأ كعادتها ، واجد نفسي ، وانا ازحف ارضا ، مدفوعا لخفض رأسي اكثر فأكثر ، كلما اقترب مني حاقد ، جاهدا في الافلات من سيل الضربات ، دون ان تجدي هذه الطريقة الا بحدود معينة ...

وينتفض ابو حاتم صائحا « ان الخيمة ليس لها ذنب والذي رقص من الخيمة المجاورة » . وتساورني المخاوف ان تلقى الاخرى نصيبها ، غير انهم اصدروا حكمهم علينا ، على الخيمة رقم ثلاثة . ويصيح به الصهيوني الكبير :

« بتجاوب كمان يا ... بتغني ! مين قال ان حقك أن تغني .. تعال هنا .. » .

وتبدأ حفلة ضربه المنفردة بشكل مؤلم ويسيل الدم من فمه . وينتفض شقيقه

الدركي لينال نصيبه بدوره ..
يصيح الضابط : « بسرعة الى الخيمة » ونتراكض خلف بعض بسرعة المذعورين وسط استمرارية تواصل الضربات آخذين في دربنا الحاقد اللئيم المربوع والذي سقط أرضا وأصيبت قدمه « بفك » بينما وقع بعض منا في الشيك الممتد بمحاذاة الخيم وعلق بالاذيال وأخذ يجر نفسه مصابا بالرعب بدوره .
يتعهد الطبيب مهمة تضميد جراح المصابين في المجزرة ، ويحمل الجنود مصابهم الى الخارج لمعالجته ونجلس في خيمتنا نلملم بدورنا خواطرنا المكسورة ونستعيد أنفاسنا بعد حفلة الرعب والمجزرة والتي أسفرت عن ايذاء عدد كبير منا .
لقد بتنا ، بعد الحادثة ، مكسر عصا الصهاينة ، مثلما أضحت الخيمة رقم ثلاثة كاسرة مزراب العين ، لا بل هادمة الهيكل ، كلما دق الكوز بالجرة كما يقال ، وارتفع صوت في المعسكر يصيح الصهيوني على الباب مناديا : الخيمة محددة برقمها ، مهددا متوعدا والخيمة تتابع استعادة أنفاسها ، ولملمة جراحها ومسح عرقها ودمها المتصبب على انقاض فرحها الصباحي ، بعد أن أدت جزية الفرح ، جزية باهظة الثمن .
الحياة بعد المجزرة باتت بائسة . الصمت هو السمة السائدة للجميع ، وتخوفهم من أية حفلة جديدة . ومواعيدنا مع الجبنة أو المربى صباحا ، وقضم بعض قطع الخبز التي احتفظ بها أحيانا كلما عضني الجوع بأنيابه ، وممارسة التدخين الجماعي وفق نظام السحبات وانتقال السيكارة من فم لفم مثل مواعيدنا أيضا ، مع الفاصوليا والبطاطا المسلوقة بدون ملح ، أو المعكرونة المسلوقة أو شوربة السمك ، غداء وعشاء ، أما سطيحة الخيمة فلها حظها الوافر من وقتي مع الشلة الموسعة ، للتقييم السياسي والتحليل الاخباري ومراقبة السيارات على الشارع العام القريب من الموقع ، وحركة السبي في الخارج والبومة المتنقلة ، وليلا ، التفرج على الاماكن المأهولة المضاءة بالكهرباء أو انتظار الاستماع لصوت المؤذن في القرية المجاورة فجرا .
شاويش المعسكر ، بدأ بمطاردة الاسرى المخالفين للمزامير الجديدة ، يقتادهم للجلوس على البوابة لساعات وضربهم اما من قبله ، أو من قبل الجند ...
يدخل علينا أسير ، يتحدث عن علامات على البطاقة تدلل على الصفة العسكرية أو المدنية ، وصاحبنا أبو السرحان جالس على السطيحة كعادته ، يتناول بطاقته من جيبه ويرجو المتحدث أن يرى له صفته . يأخذها من يده وينظر فيها مليا ليعيدها له قائلا : « عليها اشارة دائرة انك مدني مثلي » ، يجيبه صاحبنا : « الله يجبر بخاطرك ، صدقني اني أنا مدني وليس عسكري.. الحمد لله بحسنة الاولاد » ، ويتقدم من المنجم الجديد ، اخر واخر عارضين بطاقاتهم ، واذ به يقول لهم : « أنا لا أعرف العبرية ، عرضت بطاقتي على الشاويش حسن قبل اخذه للتحقيق وقال لي : عليها دائرة ، والدائرة في

العبرية معناها مدني ، فمن كانت على بطاقته دائرة في خانة صفتـــه ، فهو مدني ۰۰۰! هذا كل ما أعرفه وقد عرفته من الشاويش حسن يسر الله أمره »۰

يخطر في بالي أن أمزح ، وأقول ان أبا السرحان « الامي » يعرف العبرية، أمام الحاح العديدين على محدثنا ، اعرضوا بطاقاتكم عليه ، يتدخـل أحدهم جادا بقوله : « شوف لنا بطاقاتنا أنت يا أستاذ » ، وأجيبه : « عزيزي قلت لا أعرف العبرية ، راجعوا أبا السرحان » ۰

واذا بالمزحة تتحول الى مسألة جدية ، وأبو السرحان يقول : « شو بدها ، اعطوني بطاقاتكم وأنا بشوفها » ۰ ويتحول العديد باتجاه أبي السرحان الذي بات ، بطرف عينه ، ينجم قائلا :« دائرة ۰ مدني ، مش دائرة عسكري ۰۰۰» وينتشر الخبر في المعسكر ، ان أبا السرحان يعرف العبرية ويقرأ « طالع » كـل بطاقة ، فتتجمع أعداد في الخيمة رقم ثلاثة وعلى مدخلها لمقابلة أبي السرحان، وتحتشـــــد ۰

نتخوف من مجزرة جديدة ، وأقنع أبا السرحان بقراءة « البخت » خـارج الخيمة ، ومن الافضل جانب غرفة الدوش ۰ يتركنا ، وخلفه أعداد غفـــيرة تتسابق ، كل واحد بطاقته بيده ، وصاحبنا يوزع عليهم المواصفات المدنيـــة أو العسكرية ، حتى اذا اقترب منه شاويش المطبخ طالبا قراءة « بخته » وجد نفسه يعيّره بالبصلة اليومية التي افتقدها منذ أن ترك شاويشيـــة الخيمـــة ،

تصبح حكاية المدني والعسكري ، الرواية السائدة في المعسكر ۰ نام كثيرون على « ريش نعامها » وأحسوا بالفرح لرواية أبي السرحان دون أن يلغي هذه الرواية ، لدى الكثيرين من البسطاء ، زعمنا أن صاحبنا أمي ۰

أبو حاتم يستعيد عافيته في اليوم التالي ، موعد دورنا لتنظيف المعسـكر ، ويقترب من الشيك بحجة جمع النفايات ليقتطع مثل سواه جذع نبتـــة يابســة مخصبة بغاية صنع «بز» سيكارة ولتجميع بعض أوراق الطيون اليابسة وتدخينها بديلا عن السجائر لمداواة حالة « الخرم » المتواصل ۰

ومع قدوم « البومة » نكون قد أنهينا دورنا في التنظيف ، والضابط عــلى الباب ليدخل شابا متمما كل المراسم المخابراتية في يديه وعلى عينه ، ضيفا على الخيمة رقم ثلاثة بصفة مقيم جديد ۰

يتوجس الجميع منه ، ويسود التخوف خاصة لدى معرفته ۰ قال أحدهم أنه « حيدر الساحلي » مسؤول عن مذبحة في قرية ما ۰۰ ويقول اخر : لما كان من نصيب هذا المعسكر بالذات ؟ وخيمتنا بالتحديد ؟! انه مكلف بمهمـة التجسس علينا والوشاية بنا ، لن نستقبله !۰۰۰

وأتدخل قائلا : أنا لا أعرفه ، وعلى افتراض أنه كان بطـــل مجزرة ، فهو أسير مثلنا مثله ، بقناعتنا أنه كان مخطئا واننا لسنا أعداءه ۰ وعقبت بعــد ذلك قائلا : ان مشاكل الخارج يجب أن تبقى في الخارج ، وعلينا ألا نسمح لأي تناقض ثانوي على حساب التناقض الرئيسي مع من يحتلون أرضنا جميعـــا

ويعتقلوننا بدون تمييز ، والتفت نحو أبي ابراهيم مشيرا عليه باستقباله !٠٠
دخل الساحلي الى الخيمة ليجد رفيقنا في استقباله وتبادلا التحية والقبلات وسار به متجها نحوي ، حيث سلمت عليه وسألته اذا كان يعرفني ، فأجابني بالنفي ، طلبت منه التأكد فأصر على عدم تعرفه علي ، فأخبرته مبتسما ٠ نظر مليا ومجددا في وجهي وقال تغيرت كل ملامحك ٠ ذقنك طويلة و«حليق» الرأس ، من أين لي أن أتعرف عليك ؟ علما بأنني زرتك في مكتبك مرات عدة٠
أجلسه الى جانبي ، وأتناول سيكارة من جيبي سبق لي وحصلت عليها صباحا مقابل تقديمي وجبة الصباح لشخص لا يدخن ، أشعلها وندخنها سويا ٠ ونبدأ حديثنا باستفساري منه عن بعض المعارف والاصدقاء في قريته ومحيطها ، لا نطلق بعدها في مداخلة من شأنها ابراز علاقة الاسر فيما بيننا ، والتي عليها أن تحكم كل تصرفاتنا وتفرض تعاوننا كأخوة ورفاق بصرف النظر عن انتمائنا السياسي والحزبي ، ومؤكدا على ضرورة عدم تحكم التناقضات السابقة بنا في المعتقل وجر ذيولها علينا ، مشيرا في الوقت ذاته الى موقفي الذاتي من كل ما حصل سابقا وملاحظاتي على ذلك ، موقفي المعروف ٠ وينقل لي معرفته باعتقالي من خلال قريبة لي متزوجة في ضيعته ، بعد أن أبدى التفهم لوجهة نظري والانسجام معها ٠
يأخذ ضيفنا الجديد طريقه لقص شعره أسوة بالمعسكر ، ويعود لاحقا بعد أن استحم بالماء البارد ، كما التقى بشاويش المعسكر الذي تربطه به علاقة سابقة ، يعود فرحا مرحا متفائلا بقرب الفرج واطلاق سراحنا خلال أيام معدودة ومتحدثا عن دفعة الثمانماية التي أطلق سراحها فعلا الى البيت ٠
ولمزيد من الحرص عليه ، واشعاره بذلك ، أخذنا ندخن شراكة ، مثلما نأكل سويا وحضرت له مكانا الى جانبي للنوم ٠
بعض من في الخيمة ، لم ترق لهم معاملتي لحيدر ٠ استمر ارتيابهم منه وشكهم بأمره ، دون أن تفلح تطميناتي لهم ، وحتى تأييدي لحذرهم ، الذي يفرض استبعاد الخوض بنقاشات معه أو أمامه ، من شأنها تزويده ببعض المعلومات ٠
ومع المساء انفجر بوجهه أحد الحاضرين شاتما متهما مما استدعى تدخل رفيقنا أبو ابراهيم وتصديه له فعملت على تسوية الامر حتى نهاياته ٠
صاحبنا لم يتأخر علي كثيرا للبوح بما عنده ٠ وخلاصة ما عنده ، اجتماع أحد العملاء به ، بثياب جندي صهيوني ، ووعده باطلاق سراحه خلال أيام ٠ والعميل أبلغه بدوره عن قرب اطلاق سراح كل المعتقلين ٠٠٠! ٠ أبلغني ذلك همسا وهو نائم الى جانبي ، تمنيت له الفرج القريب وحملته رسالة تطمين شفوية لأسرتي من أجل تهدئة بالهم المشغول وتبريد خاطرهم ، لانه قد يكون ساورهم شعور بتصفيتي جسديا ، ورجوته مع الالحاح ان يبلغ الرسالة لقريبتي أو المختار أو مختار القرية المجاورة ٠

لم يكن صاحبنا بقادر على حفظ سره ، تحدث به الى اخرين في الخيمة من بينهم الدركي ، الذي نقله لي في اليوم التالي لتأكيد صحة شك البعض ومصدر ريبتهم ، أبلغته معرفتي بذلك ، وطلبت مواصلة التعامل الحسن معه تجنبا لشره ، اذا كان شريرا فعلا ، مع الحذر السياسي منه .

شاويش المعسكر ، سلطان زمانه ، يصول ويجول ، سلطته من سلطة أرباب البشر ، وأرباب البشر هم اليهود ... حبلته باتت شغالة ، تأكل من لحم هذا الاسير المسكين أو ذاك .

« حسين » الاردني الطيب القابع في زاوية الخيمة ، والمصاب في رأسه ، تكاد لا تسمع له صوتا . وفجأة يتلاسن مع اخر فيضربه ، ويندفع المضروب خارج الخيمة باتجاه شاويش المعسكر دون أن نتمكن من ايقافه لحل المشكلة في الخيمة ويشكو أمره له .

يأتي الشاويش النزيه المنفذ بأمانة للتعليمات ، والرافض للوساطات والشفاعات ، يأتي ويستدعي حسين ، ويفرض عليه عقوبة الركض في المعسكر لدورات عدة مسرعا ورافعا يديه وصائحا : « أنا أخطأت يا شاويش ! » ويأخذ صاحبنا طريقه لتنفيذ العقوبة في الوقت الذي أكلت فيه الحبلة من لحم من هم على البوابة لاخلالهم بالعهد التاريخي !! القديم ومزامير الاحفاد الجدد .

وتتابع الايام بوتائرها التقليدية وبمشاهدها المؤلمة التي باتت مألوفة ، ليعود الينا الليبي بعد غيبة اثني عشر يوما ، يروي حكايته ، صائما على البندورة والخبز وقابعا في ممشى التحقيق بالزي المخابراتي بدون أن يجري معه تحقيق ، وليغادرنا ضيفنا حيدر سريعا بعد أن قدم له الضابط علبة تبغ وألبسه ثيابا مدنية وودعه بدون الطقس المخابراتي وسط ذهول المعسكر وانفعال الشاتم له سابقا ، الذي بادر بقوله : « قلت للاستاذ انه عميل ولم يصدقني » !!.. وحديث الاسرى ، عن خبرية الذي استطاع أن يهرب من المعسكرات ، والتقاطه على الشارع العام المواجه لدى محاولته توقيف سيارة يريد الانتقال بها ، وعن خبريات القابعين في ممرات التحقيق ينتظرون شفقة من ليس لديهم شفقة !..

القسـم الثانـي

١ ـ في الطريـق الـى انصـار ٠
٢ ـ الاسبوع الاول في انصار ـ بداية سلطة المخاتـير ٠
٣ ـ النصف الثاني من تمـوز ، عيد الفطر وقدوم الصليب ٠
٤ ـ مرحلة تسلط المختار والانتفاضة ضـده ٠
٥ ـ تراجع سلطة المختار وانحسار الانظمة السائدة ٠
٦ ـ تجريد المختار من صلاحياته وبدايات العمل التنظيمـي في انصار مسيرة النسوة وانتفاضة الشتـاء ٠

في الطريق الــى انصــار :

لقد بات في حكم المؤكد ان دفعة افراجات كبيرة حصلت ومن افرج عنه وصلوا الــى صور . بل بالتواتر الذي انتقل الخبر بواسطته ، عبر الوافدين الجدد ، حدد الرقــم وشاع : ثمانمائة معتقل تم اخلاء سبيلهم . وبالتواتــر ايضا يشاع عن انسحابــات .

خبريات من هذا النوع تستدعي التمحيص والتدقيق والمحاكمة لمعرفة مدى مصداقيتها ، مصادر نقلها غير محددة ، والصهاينة كعادتهم لا يتكلمون ، لا يتكلمون ابدا بهذا الخصوص ووسائل الاعلام ، طبعا ، معدومة كليا .

كيف يصح حصول افراجات واعتقالات في آن واحد ؟! اناس محــــررون واخرون مسبيون من جديد ؟! والطريق الترابية المجاورة باحجارها وحصيها شاهد اكبر على التساؤل ، وفي الليالي القريبة الفائتة شاهدنا الاعداد الغفيرة المسبية حديثا . السؤال يطرح نفسه ، ويجيب البعض مبررا الافراجــــات الحاصلة بفعل شفاعات الخارج ، والبعض الاخر يبررها برغبة الغزاة تحت تاثير الضغط الشعبي في تخفيف عدد المعتقلين والذي تجاوز العشرة الاف .

كل ما يقال ، تبرير بتبرير ، لتقبل الفرح وسط العذاب ، والعيش على امل التفاؤل في ظل الوضع الكئيب . اما الانسحابات فواردة في ذهننا جميعا ، لان غزاة لبنان لن يبقوا بــه اكثر من مدة قصيرة بعد تنفيذ وتحقيق غاياتهم السياسية والعسكرية ، وها هي غاياتهم قد تحققت بتدمير البنية التحتيــة للحركة الوطنية اللبنانية والمقاومة الفلسطينية ونتائج هذا الغزو الذي اسهم في تعميق الشرخ مع الجماهير . وانسحابهم مؤكد الحصول ، قياسا علــى حالات الاجتياح التي تمت سابقا في الجنوب اللبناني .

وتشيع اجواء التفاؤل والفرح في المعسكر ، وتتنقل هذه المشاعر عبــر الاصوات المتشابكة مع المعسكرات الاخرى ، والتي لم يعد اطلاق النيران من الابراج بقادر على فصلها عن بعضها البعض مثلما باتت حبلة الشاويش تفقد أهميتها مع مخالفة الجماعة بديلا عن مخالفة الفرد ، وحتى غزوات الاحفــاد أصبحنا أكثر تكيفــا معهــا بالهرب سريعا لدى اقترابهم مــن البوابــة ودخولهم المعسكــر .

وسط هذه الاجواء المفعمة والمشحونة بالتفاؤل ، التي تصادفت مع بدايات النصف الثاني من رمضان ، حيث الجنوب الحزين المزكوم بروائح المــوت والدمار والاعتقالات على موعد مع العيد ، مثلما يتطلع كل معتقل الى هــذا اليوم لقضائه مع اسرتــه وذويــه .

ومع نهاية هذا النهار في ٩ـ٧ـ٨٢ يكون قد اكتمل شهر بكامله علينا ونحن نعاني من محنتنا الصعبة ، وعذابنا الدائم الذي ترك بصماته مدى العمر .

شهر بكامله وانا سجين ، لم اكن اتصور حصول ذلك في حياتي ، في اي يوم من الايام لـم يكن امر كهذا حتى في مدى التصور ٠ نعم سجين اقـرع الرأس ، طويل الذقن وأرتدي ثيابا زرقاء اللون وبوطا ضخم الحجم قيـاس ٤٥ ، ولدي كلسات شتوية من الصوف وفي جيبي بطاقة اسير وورقة امانات ، دون ان انسى مخدتي الحديثة التي باتت حشوتها البوط وغلافها بضع قطع الكرتـون ٠

اجسام الجميع وملامحهم بدأت تتغير اكثر فأكثر ، فالسمرة هي اللـون السائد بفعل حرارة الشمس ايضا ٠ اما الضعف والنحول فبدأ يغزو الجميع ، بما في ذلـك جسدي النحيـل ٠

أنّ شكلي الجديد قد ضلل المقنع بالامس ، فناداني بعبارة « ارفع رأسك يا ختيار » ولم يكن بمقدوره التعرف علي ، كما لم يتعرف عـلي حيـدر الساحلي ٠ ترى هل اذا تيسر الفرج ، وقابلت اسرتي ، سيعرفونني ؟٠٠

مع صباح اليوم الاخير من الشهر الاول ، وبعد العد الصباحي ، تصـل شاحنة التموين لتفرغ حصة المعسكر ، وينقبض صدر الشباب وتكفهر الوجوه، ويقول البعض « لا افراجات اليوم ولا غدا ٠٠ ولو كانوا يريدون اطـلاق سراحنا لما احضروا التموين » ٠٠ ينقبض صدر العديد من البسطاء في المعسكر وما اكثرهم ، وتسيطر حالة من الحزن على وجوه الجميع المكتئبة ٠ والمشكلة الاخرى ان « البومة » ستتحرك هي ايضا ، بعد سيارة التموين ، لتنجـز مهمتها من والى التحقيق ، والعديد حضروا مناشفهم استعدادا !٠٠

شهر مضـى وكأنه قرن بل دهر ، كنا نعد ايامنا بادىء ذي بدء بالايام ثم بالاسابيع والان بالاشهر ، وآمل الا نصل الى العد بالسنوات ٠ امر لا يتقبله العقل ، ومع ذلك ، هون بعض الشباب القضية ، بأن قطعوا لاقامتهم اياما ثلاثة جديدة حتى خلاص التموين ، واخذت الامور تسير بشكلها الطبيعـي والاعتيادي في المعسكـر ٠

الشاويش يقطع المعسكر جيئة وذهابا ، معتدا بسلطته على جمهـور المعسكر ، سلطته المفروضة بقوة الغازي الذي سلب حريتنا ٠ وعمليات المطبخ شغالة بتحضير وجبة الغذاء والاصوات قرب الاشياك تتصايـح وتتشابك ، والضابط يتقدم نحو البوابة طالبا من الشاويش ان يقوم الجميع بتحضـير امتعتهم الشخصية خلال خمس دقائق ٠٠ ويسأله الشاويش : الى أين ؟! لا يجيب كعادته : الى البيـت ؟ الى مكان اخر ؟ وكالعادة ايضا بدون جواب ٠٠

وسط فرحة الجميع بالذهاب الى البيـت ، والفرحة تغمر كل النفوس ، حتى نفسي التي أخذت تردد : « اذا جن قومـك جن معهم » ٠٠٠ أو لم يقل لي حيدر الساحلـي ٠ انه سيطلق سراحه خلال ايام ، وبعدها سيطلق سراح الجميع ، وقد اطلق سراحه خلال ايام فعلا ؟٠٠

واتواصل في الحديث مع الذات ٠ لا داعي للمحاكمة والتشكيك بالوقائع ،

تقبل الشعور العام السائد لدى الجماعة ، وتصور نفسك انك ذاهب الى البيت ...

على عجل كغيري ، بوطي اولا ، ومن ثم اجمع امتعتي الشخصية واوضبها جيدا واحزمها بالمنشفة ، ومن بينها طبعا الصحن وكباية البلاستيك . وخلال دقائق معدودة ، بات كل واحد منا حازما لامتعته مثل حزمه لامره انه ذاهب الى البيت بانتظار عودة الضابط مع جنوده ، حاملا لائحة الارقام ، مع امنية كل واحد ان يكون رقمه الاول في اللائحة .

ويدخل الضابط مع اركانه ، مودعا بالعصي بعض الذين قصدوا المرحاض ، او حاولوا تناول شربة ماء ليبدأ بعدها بتلاوة الارقام على دفعات ، حتى اذا اكتملت الاولى ، اخذت طريقها نحو معسكر الفرز لتليها الثانية فالثالثة .. وتتوالى الدفعات ، ليصلني الدور مع عضوي شلة الزنازين ، « الطويل » و « الصوري » ، بالاضافة لعدد من نزلاء القاووش الكبير من بينهم الدركي وابي السرحان ، دون ان يحالف الحظ الباقين ، وها قد تركنا وراءنا ابو حاتم ورفيقنا ابو ابراهيم وسواهم .

ننظر نحن اصحاب الحظ السعيد ، وحسن الطالع ، الى المتخلفين عن الركب ، بفرح يخالطه الاستهجان والتساؤل غير المفهوم لبقائهم ، املنا ان يكونوا في المواكب اللاحقة ، مثلما ينظرون الينا بدورهم وكلهم حسرة والم، مصابين بصدمة عنيفة لعدم ورود ارقامهم !..

خلال دقائق معدودة تحرك موكبنا نحو معسكر الفرز ، في صف منتظم ، « الطويل » كالعادة امامي و « الصوري » ورائي ، تتقاذفنا احجار الشارع وحصيه الكبيرة اثناء المسيرة ، متشابكة مع بوطي بجثته الضخمة وتطاوله الى الامام مثلما اشعر بوطأة امتعتي الشخصية بين يدي . المسافة من حسن حظنا قريبة جدا ، معسكر الفرزيلي مباشرة معسكرا مجاورا لنا .

على مدخله ، صهاينة في حالة استنفار بعصيهم واسلحتهم ، وساتر من الخيش يحول دون الرؤية من الخارج ، وندخل بالتتابع وفق الارقام المتسلسلة . ومجددا انا امام مغارة مراسم وعمليات مخابراتية جديدة ، حاقد يدفعني بعصاه ، بعد ان ابرزت بطاقتي ، نحو الصف الذي علي ان اجلس فيه .

انه الصف الثالث حتى الان وانا في مؤخرته . انظر شمالا لاجد صفين اخرين من الاسرى انتظموا بدورهم ارضا ، كل صف فيه ٤٥ أسيرا ، يد كل واحد منهم على رأسه ، وتفصل الشرطان الشائكة بين المجموعة والاخرى مثلما تطوقنا من الامام والخلف ، وللمعسكر من الخلف ايضا اشياكه المغطاة « بالخيش » الذي يمتد الى الاعلى ، الى ما فوق رؤوسنا .

في الطرف الايسر المجاور ، خارج تواجد مجموعاتنا ، اخوة ورفاق اعتقلوا حديثا ، وينتظرون دورهم لتوزيعهم على المعسكرات مقدمة لترحيلهم مثلنا

لاحقا والفرح باد عليهم جميعـا .
ومع استكمال الجنود لمجموعتنا برقمها المثبت ٤٥ اسوة بمن سبقها ، يجاز الجلوس بشكل طبيعي انظر حولي للتعرف الى البعض . هذا مجاهد الـى جانبي .. انه يعرفني جيدا ، واساله الى اين ؟ فيجيبني : الى البيـت . ومن بين من اشاهد ، وجوه جديدة قادمة من غير معسكرنا .
في فترة انتظار المجموعات التالية ، يستأذن شاب طويل القامة من الجنود ويأتني مسلما ، ويعرفني بنفسه انه علي الدركي ، اسهم في تهريب سيـارة ابي عقيل واعتقل لاحقا وابلغني ان « العبد » هنا ، شاويش مطبخ وهـو نفسه مختار المعسكر . استرسل بالحديث معه مستفهما الى اين ؟ ويجيـب : الـى البيـت . كما اخبرني بوصول الدفعة الكبيرة السابقة قبل اعتقاله . مثلما يحملني سلاماته وتطميناتـه ..
وتصل المجموعة الجديدة ، نجلس ارضا بناء على طلب الجندي الـذي صاح « اقعد على طيزك » واليدان على الرأس ، نجلس جميعا واجلس بدوري مثل الباقين ، ولاول مرة بهذا الشكل ، غير ان وجودي في المؤخرة وحسنات طول « الطويل » اتاحا لي مجالا لعدم ضغط وضعي الجسدي كثيرا .
« اقعد على طيزك ... يدك على رأسك » !.. نظام جديد بـل مزمـار افتقرت اليه طقوس الهيكل الصهيوني ومراسمه سابقا . هل نحن في حفلة وداع ؟.. ام في حفلة استقبال مرحلة جديدة عنوانها « اقعد على طيزك » ؟ من يدري ؟ لكن ، اولسنا ذاهبين الـى البيت ؟ واحدث نفسي لاقول لهـا اخيرا . كن فرحا مثل سواك .. شكك في مشاعرك ، ولا تشك في احاسيس الاخريـــن ..
وتتوالى المجموعات القادمة ، الواحدة تلو الاخرى ، وفي كل مرة اليـد على الرأس والقعدة على « الطيز » مع بهارات صهيونية مترافقة مع لكمات، ركلات وضربات ، دون أن يغيب عن بالهم ترديد بعض العبارات البذيئة المستوحاة من ثقافة سيدهم لـوط .
لم يغب عن المحراب ، بين الحين والحين ، صوت حفيد لوط ، كلما تفوه ببذاءة ، اكثاره من عبارة « شاكت » ايضا ، واثارة همة شاويش كل صف من الصفوف المتراصة بين الاشياك ، وشاويش صفنا محمد ، احد ائمة مصلـي معسكرنا والذي يجيد الانكليزية ، وبيننا ايضا في الركب « الخنتريـــش » محمد شما ويده على عينه دائما ، والى الابد صامت صمت البلهاء ومنسـق اموره ومدبر شؤونه « العصفور الصغير » الذي ينعم مقابل خدماته بحصـة « الخنتريش » من التبغ التي تبلغ في احلى حالاتها سيكارتين يوميا .
اتيحت الفرصة لـ « العبد » لان يراني ويسلم علي وبرفقة علي ، وقـد تجاذبنا الحديث وتبادلنا الاستفسارات والتساؤلات ، وها هما في حـل وترحال نحوي كلما سنحت لهما او لاحدهما الظروف ، وخارج الزمن الذي

بات محددا بفترة « اقعد على طيزك » ، عارضين خدماتهما الغذائية ، وانا لا احس بالجوع بالرغم من كوني ما زلت على « الريق » بقدر احساسي بحاجتي للسجائر . واعرب لهما عن ذلك ، فيعداني بتدبير امري رغما عن الشح الحاصل لديهم بعبارة « بنشوف » .

وما ان اكتملت المجموعات المقرر فرزها ، حتى اتيحت لنا فرصة الذهاب الى المرحاض وبالدور ، الواحد تلو الاخر من كل صف وبرعاية الشاويش . وسنحت لي الفرصة الاخيرة للخروج من الطوق المشيك منتهزا المناسبةللحديث اكثر مع معارفي من الوافدين الجدد ، ولاعود لاحقا الى مكاني ، مفسحا المجال لسواي ، وفي يديبعض قطع البسكويت لاوزعها على من القى في الصف والاطراف ، وليعد شاويش المعسكر حاملا لي المزيد بغرض ان اكل ، غير انه تولد لدي شعور بالمزيد من التوزيع وقدرتي على تحمل الجوع حتى لليوم التالي ، حيث سيكون موعدنا مع الغذاء او العشاء في المنزل ، انسجاما مع مشاعر الجماعة وتطلعاتها .

« مجاهد » في جعبته بعض السجائر ، ويناولني واحدة من نوع « سيلون» النوع الذي وزع علينا مؤخرا بعد « الماروم » . ادخنها بكاملها بعد ان مضى علي فترة طويلة لم ادخن فيها سيجارة بالكامل .

عاد شاويش المعسكر يحمل البسكويت لي مع تفاحتين ، وعدت الح عليه بطلب سجائر معربا عن حاجتي فقط للسجائر ، واذا به بعد فترة قصيرة ، يقدم لي سيجارتين ، ليتبعهما بسجائر ست . لقد بات لدي ثروة من التبغ وبامكاني التدخين براحة نسبية !..

تمضي امسيتنا الدافئة مع الاحلام ، برغم وجود الجنود داخل المعسكر ، وتطويقنا بالشرطان الشائكة ، ولجم تحركاتنا خارج الصف او بالاحرى خارج الموقع المحدد له . واحلام الحرية داخل القيد لها طعم خاص ومميز ، طعم ما بعده طعم ،ببساطة يمكننا القول اننا على موعد مع الفرح من جديد ، فرح اللقاء بالاحبة ولم الشمل المبعثر الجريح والمنكوب على عتبة عيد الاضحى ! نحلم ونحلم ونحلم باليقظة ما لذ وطاب من الاماني والامال بعد شهر كامل من المحنة والعذاب بمختلف اشكاله وانواعه .

النوم لا يعرف مقرا في عيوننا ، لقد ولى الى غير رجعة ، وحتى اشعار اخر ويستلقي كل منا ضمن حراميه المعدودين من جديد ، نغالب الليل ونطارد الفجر ، فجر الصباح ليكون مدخلا الى فجر الحرية ، فجر الحياة من جديد ، تبخرت من اذهاننا كل مشاعر الريبة والتوجس والسوء ، دون ان تفارقنا الحسرة والشفقة على من تركناهم ، خلفنا ، في المعسكر وفي المعسكرات الاخرى ، وعلى امل ان يلحقوا بنا قريبا الى عالم الخلاص .

ويطل الفجر ومعه نسمع صوت المؤذن في القرية المجاورة ، ونبتهل الى الله ان يلهمنا يوما مباركا ، لا مكان فيه الا للخير ، ولا متسع لدينا الا للحرية

ورد اللهفة الى الاحبة ، وطرد الغربة من عيون مازن واخوته واخواته ٠
ومن جديد يعود التساؤل عن مكان توزيع الامانات ، هنا ، ام في لبنان ، وفي نظري ان الموضوع ساقط ، والمسألة ليست بذات اهمية ، ليس لعدم وجود فلوس ضمن اماناتي وقد سلبت مني الفلوس ، وانما لشعوري ان الحرية اثمن من المادة ، اثمن من كل المقاييس والمعايير ، وبحريتي ، التي هي كنزي ورأسمالي الكبير ، قادر على ان استحصل على ما ارغبه في هذه الدنيا ٠
« الكعور » الاخر معنا ، وقد ذكرني ان أبر بوعدي باعطائه مبلغا زهيدا لدى العودة ، ومن حقــه ، لانه كان يزودني بسجائره ، يدعم صمودي ٠ احدهم علق في حينها ممازحا ، ابو وضاح يشتري سجائر بفلوس مؤجلــة الدفع ٠ مثلما كان لي مع السجائر حكايا وشكايا ٠٠ او لم اعطي فطــوري الصباحي مرات عدة مقابــل سجائر ، اولم ، اولم ؟٠٠ واجدد وعدي المقطوع للكعور ، الذي نام على « ريش نعام » لانه تدبر ثمن سكرة الليلة الاولى وثمن ماكول اطفالــه ٠٠٠
الشيخ محمد شاويش الصف ، كان عرضة لتندر الشباب ، « فقع » خطبة باسم الاونروا في استراحة صور ، لم تعفه من الاعتقال ٠ وشيخنا يتودد لــي واعدا باللقاء في صور ، في حضرة والده ، صديقي ، لنشرب القهوة المرة ونتذكر تجربة الشهر بكامله بحلوها ومرها ، وقد عشنا سويا القسم الاكبر منها معا ، خاصة في القاووش الكبير الى معسكر الفرز ٠ شيخنــا مثل حالة صلواتيــة لا تخلو من الهوس غير المتزن ٠ و « سندباد » بدوره له خضوره ان ببوطــه المتشابه مع بوطي بكبر جثته وان بدعابته غير المحببة والهادفة للتعريــف بنفسه ، بقوله يمني الاصل ، متزوج من فلسطينية لبنانية ومقيم في حارة صيدا ، فاقترب منه اكثر بقولي ٠ انه عديلي لكوني متزوجــا مثلــه ٠ « وسندباد » واحد من ائمة المصلين في المعسكر بالاذن من انتمائه لتنظيــم ماركســي ٠
« الطويل » طبعا جاري الحبيب ، ومظلتي من عصي الجنود ، وقــد عادت العلاقة الى سابق ودها ، بعد فتور سادها في الخيمة رقم ثلاثة بسبب غيبته مع شلة كان مشدودا اليها ٠
ومع الصباح ، وبدون فطور ، يدخل الى المعسكر رتل من الجنود بكامل عدته ، بما في ذلك العصي البارزة ، مثلما تصطف في الخارج مجموعة من الباصات ويستدعي الضابط الصف الاول وبين يدي كل واحد امتعته ٠
لما الامتعة ؟ هل نحن بحاجة لحرامات ولصحن وكباية بلاستك في المنزل ؟ هل هذه عطية اليهود لنــا ؟ هبة ومنة وشفقة عملا بمزاياهم ، بتعاليـــم سليمان وداوود ؟ ومن اين ومتى كان هذا الكرم اليهودي ؟٠٠
فعلا سؤال يطرح نفسه ، كنت اتصور اننا سنلقهــا هنــا في المعسكــر ٠ واتساءل ، وارفع صوتي بالتساؤل فيقمعني احدهم قائلا : نحن ذاهبون الى

البيت ، لا داعي للتشكيك · لقد مررنا بمختلف المراحل ، تحقيق فسجن ، فالى اين تتصور سيأخذوننا ؟ لم يبق سوى الجحيم ! ها قد ذهب غيرنـا قبلنا الى منازلهم ، لا داعي للتشاؤم والتنظير !·· اسكت وتتجمد التساؤلات في تفكيري ·

علي والعبد لديهما فرصة متاحة لوداعي قبل البدء بالصف الثاني ، ونتمنى أن نلتقي قريبا في صور · وينقطع حبل حديثنا باستدعاء الضابط للصف الثاني فالثالـث ·

كلما امتلأ باص تبعه الاخر ، ستائر الشبابيك مقفلة ، لكن الملاحظ أن الواحد منا يدخل تلو الاخر من الباب الخلفي ، ولا نرى ماذا يحصـل · يتقـدم « الطويل » أمامي وأتبعه ، بطاقة الاسر أولا لتشطيب الاسم على اللائحة من قبل جندي يجلس على طاولة · أمتعتي طبعا بين يدي ، وفجأة نحن مجددا أمام حفلة طقوس مخابراتية تصدم الفرح والاحلام ، ماذا ؟ «معصباتي» للعيون خلف السيارة و « كلبشاتي » على الباب · يقذف واحدنا تلو الاخر من البـاب الخلفي للباص ، مع ركلة رجل أو ضربة عصا وأدخل المحراب ، مغارة الاحفاد من جديد · يمسكني جندي بعنف ويسحبني الى السيارة من أعلى ، فأتعثـر بعتبتها وأقع ، لكنني أستجمع قواي بسرعة بعد تلمس العتبة وأصعد ليقعدني في المقعد الخلفي طبعا ليس بمقدوري أن أرى أحدا ، انما أنا بين « الصوري » و « الطويل » عضوي شلة العذاب · يمسك اللعين برأسي ويخفضه الى الاسفل بعنف ، ضاغطا على رقبتي قائلا : بأنه يجب أن يبقى دون مستوى ظهر المقعد الامامي ، واذا بجندي اخر يضرب كل من يرفع رأسه بالعصى ، لقد كفا اخـر الركاب ، مما أتاح للباص أن يتحرك بسرعة أخذا طريقه في موكب الانتظار ، للاقلاع نحو البيت أو المجهول من جديد ·

اللعين آذاني بضربي على رقبتي ويزيد من ايذائي ، كونها مخفوضة بشـكل متواصل لكن عزائي أن جثتي صغيرة ، وبامكاني أن أكون أكثر راحة في الحالة الراهنة من سواي ، يضاف لذلك وجودي في المقعد الخلفي · كـان الله بعون « الطويل » وأصحاب الجثث الكبيرة طويلي القامة !···

ومع اطفاء محرك الباص تنطلق صيحة تلو الاخرى ، آخ !·· آخ !····· وعصي تنهال في المقاعد الامامية على الجميع!··عودة جديدة لمراسم الاحفاد ؟! عودة جديدة للمحراب اليهودي الخبيث ؟! أم عودة جديدة لمغاور المخابرات ؟! عفوك يا رب ومغفرتك ! هل ستكون لنا ايضا عودة مع الكيـس في الـرأس وخراطيم المياه !·· ربما ···! لكننا ذاهبون الى البيت ··· وهل لهم معنـا حفلة وداع ؟!···

أسرق نظرة سريعة ، من تحت طرف العصبة ، لمعرفة ما يدور حولي ، فاذا بالرؤوس كلها منحنية ، وجنديين في الباص عدا السائق بسلاحهم وعصيهم ، في الخارج القريب لم ألحظ سوى زاوية باص واحد ، وفي مرمى النظر ، وعـلى

نهاية الشارع الذي نحن فيه ، مفترق طرق ضمنه مستديرة بشاراتها الكهربائية وشرطي السير ، أما السيارات المارة فهي في حالة ازدحام ، والمفترق يؤدي الى أربع أتوسترادات واسعة ٠

وفي مرمى النظر أيضا ، مدينة مجدو ، كما قيل لنا من رفاقنا ، تشبه ببنائها عن قرب وأشجارها ووجودها على مرتفع مستعمرة المنارة كما نرى الاخيرة من ميس الجبل ومشارف حولا ٠ نظرة سريعة للحظة من طرف عيني ، جلت بها وعدت خوفا من اللعين وعصاه ٠

يزيد من ثقل مهمة الرحلة وأعبائها وجود الامتعة على الركبتين ، قديما قيل زيد يحمل عفش واكيم وحاليا نقول نحمل عفش شارون ٠ آه لو كنت بدويا مسافرا على باص للركاب أو شاحنة لكان بامكاني وضع « عفش شارون » ولو أرضا ٠ لكن الاوامر صارمة بالحرص على المحمولات ، واضاعتها يؤدي الى الضرب بالعصا !٠٠٠ أمري لله وباستطاعتي المحافظة على توازنها دون وقوعها أرضا ، ولو بيدي اللتين بدأت الكلبشة تضغط عليهما ٠

نظرة سريعة ! واحدة كانت كفيلة بتحديد وجهة سير الباص واتجاه تحركنا ، فاذا كان شمالا ، نكون ذاهبين باتجاه لبنان ، وهذا أمر من شأنه أن يبشر بخير !٠٠

ويتحرك موتور الباص ويتحرك الموكب ، وتقلع العجلات ٠ الساعة توشك أن تكون الان التاسعة صباحا من يوم ١٠ تموز ، اليوم الاول بعد الشهر الذي مر على سجننا وأقدر اننا بحاجة لثلاث ساعات للوصول ، ليس أكثر ونحن لسنا ببعيدين عن الحدود اللبنانية ٠ أو لم أستقصي وأنا في المعسكرات ؟ فقيل لي أننا في عتليت ، وعلى بعد اثني عشر كلم من حيفا ، ومقابل مجدو ، المدينة المطلة علينا ، وهناك في المرتفعات الشمالية ، حيث جبال الجليل في أعلى قمة معالم محطة التحكم بالبث التلفزيوني والتي نراها بنفس الشكل أيضا من الجنوب اللبناني ٠

حسنا ثلاث ساعات تمر ونرى مصيرنا !٠٠٠ وتتحرك العجلات وينعطف الباص شمالا ليتوقف على المستديرة التي شاهدتها قبل حين وتتحرك معها العصي والشتائم آكلة من لحم بعضنا وكرامات الجميع ، وكلما صدرت عن أحدنا عبارة « آه » ازدادت بحقه الضربات ٠ حتى عبارة « آه » غير مسموح بها !٠٠

ويصيح جندي مرافق «قولوا يعيش بيغن» وتنطلق أصوات خافتة من المقدمة ملبية الطلب ، وتتحرك عصاه ، فترتفع الاصوات بعضها ناشز في ترديده ومبالغ به ٠ وتعاد الكرة مع شارون وشامير ويوسف بورغ « ودولة اسرائيل » !

وتتحرك العجلات متابعة سيرها في اتجاه مستقيم ، مع انحراف الباص قليلا بقدر انحراف المستديرة ٠ اذن نحن في الطريق الى الشمال !٠٠ ومع حركة الباص وتسارع سرعته تزداد حمى الضربات وحفلات « التعييش » للصهاينة والتسقيط للعرب كل العرب من « أبي عمار » وغيره ٠

« داني ، وديفيد » الجنديان الجلادان ، لهما حقهما بـ « التعييش » ويمتد هذا المسلسل لينال موسى والتوراة واليهودية حقهم أيضا ، مثلما ينال محمد والقرآن والاسلام نصيبهم أيضا على قائمة الاعداء ، قائمة « التسقيط » .

بذاءات ما بعدها بذاءات ، وحقارات ما بعدها حقارات ، يقف القلم عاجزا أمام الوصف . لم أتمالك نفسي ، مع كل صيحة ، وأنا في الصفوف الخلفية ، الا أن أدندن ببعض المسبات واللعنات لمستحقيها من صهاينة ، وحتى عرب أسهموا بوضعنا في المطب الصعب ، وبين أيد مريضة وحاقدة ، فعلا انها حثالة التاريخ ، بل مزبلة التاريخ ...

من قال انهم من أصل أوروبي ؟! ومن قال انهم يعرفون الحضارة ؟! انهم يعرفون الحقد ، يعرفون البذاءات ، يعرفون جيدا التوراة المزيف ومزامير داوود ويشوع وحكايا لوط . مهما استبدوا سيلقون نهايتهم في هذا العالم ، وسيكون موعدهم مع السبي الاخير في تاريخ البشرية لتكريسهم أكثر شذاذا للآفاق ، سيكونون على موعد جديد ... حتى ولو بلغوا من الشأو مبلغا كبيرا .

لم يهدأ لداني وديفد بال ، ولم تفتر لهم عزيمة ، وهما يتناوبان على تأدية المهمة واخراجها بشكل تمثيلي ، ويتفننا بالاداء ، مما يثير الضحك أحيانا ، وها هوذا أسير منا بناء للطلب يردد قائمة « التعييش والتسقيط » تحت العصا ليردد وراءه الباقون ، ويجتهد بدوره متفننا مضيفا على قائمة التعييش : « وايزمن وبن غوريون وغولدا مئير وموشى شاريت وموشى دايان » . شر البلية ما يضحك والصفوف الامامية لها حظها الوافر ونصيبها المحفوظ في الكورس والضربات .

ومن حركة العصا ، نعرف مدى تقدمها ، أو ابتعادها عنا ، تبعا لحركة الآهات . وكلما كنا بعيدين عن مرمى العصا ، كان بامكاننا سرقة نظرة بطرف عين من بعض زوايا الستارة أو القاء نظرة على المغارة المخابراتية الجديدة .

كان من المفترض أن نشق طريق الساحل ، ودليلنا على وجهة سيرنا هو البحر ، قياسا على الساحل اللبناني . لكن حتى الان لا أثر للبحر بعد مسيرة ما يقارب الساعة والنصف الساعة ، والحفيدان يؤديان الدور والمهمة على أكمل وجه .

واستجمع في ذاكرتي المنعطفات وحركة السيارة على طريق الناقورة صور ، انني على معرفة جيدة بهذه الطريق ، لكن حتى الان لم نبدأ بالسير عليها ، وما زلنا نجتاز طرقا مرتفعة تارة ومنخفضة طورا . اننا ما زلنا داخل فلسطين المحتلة وقد طال بنا الوقت ، فالى أين نذهب ؟!

من حين لاخر أتحدث مع « الطويل » ، ويتحدث الي بشكل خاطف ، أحاديثنا تاخذ جانب الاستيضاح والاستفهام عن طبيعة الطريق التي نسلكها ، دون أن يمتلك أحد منا اجابة واضحة ومحددة ، ونشعر أن الرحلة قد طالت وتكاد تكون بلغت دهرا بكامله .

أحاول تلمس الاتجاهات من حركة الشمس وحرارتها والزاوية التي تأتي الينا منها لكن ذلك كان عبثا ٠ وتبقى الطريق مجهولة المعالم مثل مصير رحلتنا المختبىء في كنف المجهول ، وتبقى هذه الرحلة الجديدة الشاقة في مناخ ديفيد وداني ومحراب المخابرات ٠

تتواصل المسيرة الصعبة ، وفجأة يقترب مني جندي ويصرخ « وطي رأسك » مع اللازمة ضربة العصا ، دون أن يمنعني ذلك من محاولات تبذل للاجابة على التساؤل الكبير ، أين نحن ؟ والى أين ؟!٠٠٠

بعد المرور في هضاب جرداء ومنحدرات ، ليس من شأن أي من معالمها الاجابة على التساؤل وبعد مرور الوقت الطويل وأنا أسرق النظرات من فترة لاخرى ، اذا بعيني تقع فجأة على منظر يوحي بالتفاؤل ، وأقول «للطويل»: اننا في الارض اللبنانية ، رأيت شجرة تين ودالية عنب ومنزلا مقصوفا عليه علم لبناني ٠ ويجيبني : خير ، الحمد لله على السلامة ٠

تسقط المخاوف الكبرى التي كانت تراودني قبل حين ، حركة سبي ، على طريقة السبي الروماني أو اليهودي ، الى معسكرات نائية في النقب والجولان٠

وأستعيد الصورة ، صورة الرجاء ، في ذاكرتي ، منزل مقصوف في حقل يرفرف عليه العلم اللبناني بجوار شجرة تين ودالية عنب ٠ لا شك انها صورة الرجاء بالنسبة لنا ، صورة لبنان الجريح وجنوبه المعذب ، صورة على مرارتها تبعث الدفء في النفس وراحة البال لرحلة المصير المجهول ، حتى ولو لم تكن مسيرتنا الى البيت ، اننا على أرضنا الجنوبية ، وهذا هو علم بلادي يتطلع مثلي للحرية ، والخلاص من الغاصب ، الغازي والمحتل ٠

يتقدم الموكب ، والطريق أضحت منبسطة ، ليتوقف في ساحة من ساحات بلداتنا ، نسمع أصوات بائعي الخضار والفاكهة ، أصوات كلنا شوق اليها ، ويرتفع اذان الظهر من بين عباراته « حي على خير العمل ٠٠٠ أشهد أن عليا في الحق ولي الله ٠٠٠ » اننا في بلدة شيعية بحكم المؤكد ، ويرتفع صوت أحدنا قائلا : « نحن في النبطية »

داني وديفد في حالة استكانة ، أسرق نظرة لأتأكد من وجودنا ، وفي الخارج جموع محتشدة تنظر الينا نظرات حزينة ٠٠٠

أهلنا على مقربة منا ، شعبنا الذي أحببناه وعشقناه ، يتطلع الينا ، أسرى مغلوبون على أمرنا !٠٠٠ كانت لنا معه مواعيد مع النصر ، مع الكرامة ، فاذا بنا ضعفاء مستذلين ، يشاركنا في مشاعر المذلة ، وقد كانت له مواعيد أيضا، مع مشاهد الذل ، مشاهد الباصات ناقلة أمثالنا بالامس ، باتجاه الارض المحتلة، واليوم باتجاه لبنان ٠

بضع دقائق ، والموكب يشق طريقه من جديد ، وبيننا القائل : ذاهبون باتجاه الصفا والراهبات ، باتجاه صيدا ، ويتحرك داني وديفد بدوريهما لمتابعة المهمة بعد الاستراحة البسيطة ، ولنعود الى مراسم « التعييش

والتسقيط » وقاموس البذاءات اللوطية حتى بمقدساتنا الدينية . ويتوقف الركب بعد قليل ، ويطفىء السائق محرك السيارة .

صوت جندي يرتفع قائلا : « ارفعوا رؤوسكم ، فكوا العصبات » ، ومع النظرة الاولى تنطلق عبارة : « أشهد أن لا اله الا الله » من الجميع .

في المحيط المجاور ، من النظرة الاولى ، مساحات شاسعة مغروسة بالخيم وبناء قريب مؤلف من طابقين ، ليس بغريب منظره عني ، فعلا انه مألوف ، لكن ليس بمقدوري تمييز المكان حاليا وتحديده . طرقات ترابية مستقيمة وأشرطة شائكة ، وحشد غفير من الجنود بعصيهم وأسلحتهم . الستائر على الشبابيك ما زالت تمنعنا من النظرة الكلية وتحول دونها ، وجندي يتجول داخل الباص لتقطيع الكلبشات ، يداي احمرتا كثيرا ، وتورمتا ، لا مجال للتفكير بالالم الجسدي بل بما سيحصل الان ! وماذا سيحل بنا ؟ هل نحن فعلا ذاهبون الى البيت ؟! نحن في معسكر اعتقال جديد ، لكن على الارض اللبنانية ، حظنا عاثر . لو لم يكن كذلك ، لكنا من بين الذين أفرج عنهم في الدفعة الاولى ، أو بالاحرى ، لما كنت قد مكنت الصهاينة من القاء القبض علي .

ويبدأ تفريغ حمولة الباص ، ينزل الاسير تلو الاخر متأبطا « عفش شارون » لتتلقفه العصي والشتائم من مختلف المعايير والمقاييس ، والاحفاد أساتذتها وأربابها ، انهم خريجو قوم لوط !...

ينزل الاسير تلو الاخر ، ليجلس أرضا في صف منتظم ، يا ويله اذا لم ينتظم ، ويا ويله اذا لم ينتظم من هو أمامه أو وراءه ، عصي وركلات تطارده وتأكل من لحمه وجلده ، فاذاحالت الامور دون نصيبه فانها تقتات من أعصابه وأحاسيسه .

يا لهول المفاجأة . يا لهول الاحلام الضائعة !... ونصدم جميعا ، تنتكس كل المشاعر ويتحول فرحنا السابق الى حزن وكآبة . يسود الصمت المطبق ، ويخيم على الجميع ، لينتظر كل منا دوره في مغارة العذاب والمطاردة الجديدة .

البسمة انتحرت على شفاه الجميع وماتت . لا تبصر غير الشفاه المزرقة ، والوجوه المغبرة تنضح حقدا وشررا يتطاير من العيون الحزينة ، وننتظر جميعا موعدنا الجديد مع الدور الحاقد الاسود .

تفرغ حمولة الباص الاول والثاني ، ويبدأ دور الثالث ، دورنا . نصيبنا نؤديه والفاتورة ندفعها ابتداء من المقعد وحتى الوصول الى الارض ، مع « عفش شارون » .

نحمل بطاقة الذل بشكل بارز حتى اذا وصلنا أرضا ، حرم علينا أن ننتقل من مكان لإخر أو ننتظم على أقدامنا ، وانما زحفا على « قفا » كل واحد منا ، ونزحف مطاردين بين الركلات والعصي في جو هستيري ومحموم يمارسه الاحفاد ، بقيادة ضابط يتكلم العربية بلهجة خيبرية ، ويقول أنه يهودي يمني ،

وعلى يده علينا تسديد حساب العذاب · نزحف مطاردين ، ونسمعه يسأل ما جنسيتك ؟ ويجيبه أحدهم فلسطيني ! يا لساعة الغضب والجحيم · ويجيب اخر سوري ، ويشتد غضب الحاقد الخيبري المريض · ويقول له التالي « صوري » فينال نصيبه لانه فهم منه أنه سوري· ويصل الدور الىالبنغلادشي، فيصيح الخيبري بأعلى صوته « حتى بنغلادش ·· ضد اسرائيل يا شر ··· » ويتوالى الركب في حفلة اذلال تاريخية ·

لا مجال لديك لان تنظر من حولك ! وتفكر بأمرك ، انها ساعة من ساعات الحشر الجديدة · ليس أمامك الا أن تتدبر شأنك للنجاة بقليل من الضربات والركلات والمسبات ، ومن يحرز القليل فهو الفائز · وكيف لا أكون فائزا و « الطويل » أمامي يفتديني بجثته العامرة ، ولحيتي الكثة تظهرني أنني هرم وكبير السن ·

يتولى الصهيوني الخيبري مهمة توزيعنا في النهاية الى مجموعات محددة ، ولتستقر كل مجموعة بعددها الخمس والعشرين في خيمة ، ولنأوي بعد طول معاناة في الخيمة رقم ستة من معسكر ثلاثة ···

الاسبوع الاول في انصار

وبداية سلطة المخاتير :

لحظة دخولي الخيمة ، لم يكن بمقدوري أن أتصور أنني على عتبة الرحلة الطويلة ، التي أتحول فيها من رقم عددي الى رقم نوعي ، في لحظة من اللحظات أيضا . كما لم يكن بمقدوري أن أتصور أنني في مرحلة جديدة من مراحل المشوار الطويل ، وكل ما اقتصر الامر عليه ، شعوري لحظتها ، بالمطاردة الصعبة والاختباء ، لأنجو بجلدي وبأقل شتائم ممكنة .

ندخل الخيمة ، وشاويشنا هو الاستاذ الذي يجيد الانكليزية ، ويبدي ألمه من معاناة طويلة وكثرة تعرضه للضرب في السيارة ، مثلما يتحدث عن «تعييشه» لغولدا مئير واتباعها ، هازئا من داني وديفد ، شاويش أحسست بفرادته وطرافته منذ اللحظة الاولى . عرفه علي الطويل بقوله « المحامي ... » وأشعر بامتعاض ، ان المجال لا يتسع للتعريف ، ما زلت أعاني من وطأة الكرامة الذبيحة ، من وطأة المذلة على يد أحفاد يشوع ولوط ، والخيبري ، وأجبت دعك من عبارة محام ، دعك من اسمي ، أنا مغلوب على أمري مثل سواي وأختصر الحديث !...

يعود الشاويش مجددا بقوله : معك سيجارة . وأجيبه : لا ، كل ما كان معي دخنته في معسكر الفرز . ويعود ليسأل جميع من في الخيمة عن سيجارة بدون ان يجيبه أحد .

أنظر الى صاحبنا الجديد ، نظرة استغراب واستهجان ، وأحدث نفسي ، انه مجنون واما مستهتر !. كيف له أن يطلب سيجارة وليس لدى أي كان كبريتة ؟ فمن أين سيشعلها ؟ وهل بامكانه مخاطبة الاحفاد الذين ما زالت الحمى تضربهم ؟! وهل يريد تدخين سيجارة واحراق تبغها والعصي ما زالت تحصد وتحرق الاجساد والاعصاب في الخارج ؟ هل هو طاغ ؟ أو مفكر ؟ لا شك أنه انسان غير سوي وغير طبيعي !...

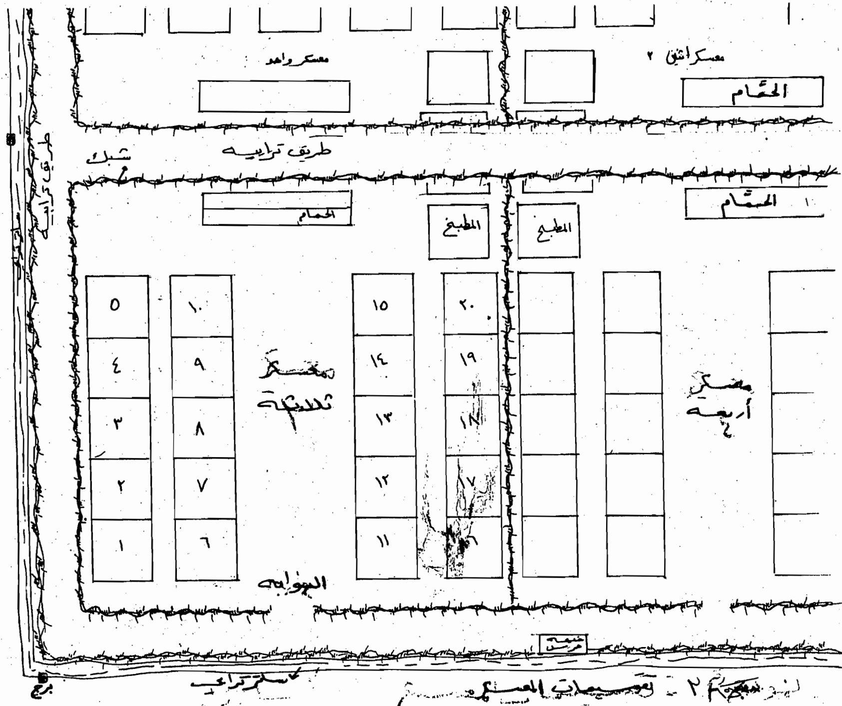
وهل يجوز أن يكون متسلطا كبعض شاويشية عتيلت يبتز سواه بالسجائر ؟ كل الامور واردة ..؟

تتواصل حفلات الجلد والشتم والمطاردة في الخارج ، ويتتابع دخول المساكين المستضعفين الى المعسكر ، الخيمة تلو الاخرى حتى تكتمل العمليات مع غروب الشمس .

في وسط ساحة المعسكر « ارمة » حديدية تتضمن التعاليم الصهيونية للاسرى أو بالاحرى مزامير المخابرات ٠ وكل التعليمات المدونة من أنواع اللاءات الكابحة لجماع الحرية المكبوتة ٠ أبسط هذه « اللاءات » عدم الخروج من الخيمة الا باذن الشاويش ٠ أبسط هذه اللاءات عدم السماح بالذهاب الى الحمام الا لأثنين من المعسكر بكامله ، أبسط هذه اللاءات عدم انزال اليدين عن الرأس في فترة وجود الجند ! داخل المعسكر ، ابسطها ٠٠ عدم الوقوف داخل الخيمة، عدم تحريك الاطراف ليلا تحت طائلة اطلاق النار ٠

وأية « لاءات » أو حالات « عدم » في الدنيا تشبه لوحة المعسكر ، ببساطة نقول أن المطلوب وضع كل واحد منا في حالة عدمية ، حالة اللاوجود والتنكر للذات ، حالة من الاستكانة ما بعدها غير استكانة الموت ٠

ومع اكتمال توضيب الجمع في خيم المعسكر ، العشرين ، المحاط بالاشياك واصل الاحفاد عملية السيطرة علينا يقودهم الخيبري الحقير ٠ وقف في منتصف الساحة مع جنوده ، مستدعيا شاويشية الخيم لاجتماع ، وبسرعة ، وانتظم في الساحة المجروفة حديثا ، عشرون شاويشا ، على الارض ، في صفين خلف بعض ٠ وبعد تلاوة مزامير المعسكر عليهم ، وهم جالسون أرضا ، تم تعيين مختار للمعسكر بكامله أولا ٠ انه المختار عماد ، الحاكم الاداري ، لا بل



٢٤ـ نقسيمات معسكر ٣ في انصار

العسكري أحيانا ، يتكلم الانكليزية بطلاقة وهو شاب في مقتبل العمر ٠ وأبلغ الخيبري الشاويشية حكام الخيم ، بالتعاون مع المختار واعلامه بكل مخالفة تحصل ، مع حق الاخير بمعاقبة المخالف بعد استئذان « الكابتن » صاحب الحق بانزال العقاب ٠ وكتطبيق عملي ، صرح الخيبري بأن على الشاويشية لفهم أسلوب المعاملة وكيفية التعامل ، لحزم امرهم وممارسة سلطتهم بشكل قوي ، الانبطاح جميعا على الارض وعلى بطونهم ، ليباشر الاحفاد في حفلة جلد لهم بالعصي على ظهورهم وأجسادهم ، وليقف الضابط الحاقد بعدها قائلا : « هذه هي الوسيلة الوحيدة للفهم ، وكل شاويش لا يسلم مخالفا للمختار لمعاقبته سيكون العقاب من نصيبه بالذات وبهذا الشكل ، وليتوجه بعد ذلك نحو المعسكر بأكمله بالقول : « ان سلطة الكابتن من سلطة الرب ، وسلطة المختار من سلطة الكابتن ! »

يترك الصهاينة المصابين منا في المجزرة الجديدة ، مضافين الى مصابي مغارة المخابرات في الباص وعلى مدخل المعسكر ، يتركوهم أرضا ويغادروا بعد اقفال البوابة ليتحرك الطبيبان اللذان كانا معنا في معسكر عتليت لتضميد الجراح بالتدليك ، فقط بالتدليك ، لعدم توفر أي شيء حتى الماء !٠٠

دون شك ، كلهم يستحقون الشفقة ، وكلنا نستحقها وأيضا صاحبنا أبو السيجارة ، الاستاذ ومجاهد وعلي السوري وسواهم ، وسواهم ٠ جميعهم يئنون من الجراح ٠ لقد سطو وتسلطوا علينا فعلا ، بات كل واحد منا يتلظى رعبا في معسكر يضم عشرين خيمة وتحتوي كل خيمة على خمسة وعشرين معتقلا ٠

يوم رهيب ومرهق ومتعب ٠ هل يكفي وصفه كذلك ، انه يوم المصدومين المرعوبين ، لا تكاد تحس حراكا أو صوتا في المعسكر ، والجميع اصابتهم نوبة الصمت المطبق ٠ لا شيء يتكلم سوى العيون المتطلعة نحو بعضها متحدثة عن هول الكارثة والمأساة !٠٠٠

أتطلع حولي فأبصر شاويش معسكرنا سابقا ، أبو علي ، كما أبصر وجوها غالبيتها جديدة ٠ وأنظر في البعيد لأبصر السواتر الترابية شمالا وغربا والملاصقة للطريق الترابية المحيطة بالمعسكر ، وفي مدى النظر قلعة قديمة ، كانت « مشتى » للماعز فيما سبق ٠ آه اننا في انصار وشمالي المطار ، أدرك ذلك من المشتى الى البناء القريب الذي شاهدته أولا ، مثلما شاهدت حركة أسرى في معسكر مجاور لنا شرقا ٠ نحن في انصار ، هذا ما قلته في الخيمة ليجيب اخر لا نحن في دير الزهراني ! فأكدت مكان وجودنا ، وتأكدت من ملامح المنطقة المطلة ٠٠٠

انصار معسكر اعتقال ، لم نسمع بذلك من قبل وصولنا !ولم يدر احد بمسألة قدومنا الى هنا !٠٠ كانت مفاجأة صعبة ومرة ٠ ومع ذلك بقي البعض يتحدث عن الافراج عنا ، غدا أو بعد غد !؟ هذا البعض كان محكوما بمنطق التفاؤل !

والبسمة الصفراء الساخرة تنطبع على شفتي كلما همس أحد بهذا القول ٠
نحن في انصار ، والعجيب أن أحدا لم يسمع باقامة معتقلات هنا ، حتى الوافدون الجدد الى عتليت لم يتحدثوا عن ذلك ٠ لقد كنا نتوقع أن يكون أهلنا بانتظارنا ، ترى ، هل سمعوا بحكاية انصار ؟!
في الجهة الغربية وخلف الساتر الترابي ، غبار يتطاير ، وحركة سير ، انها سيارات مدنية تمر على بضع أمتار منا ، ربما جرى تحوير الطريق التي كانت تمر على أرض المطار من أمام البناية نحو الدوير ٠ وفي الجهة الجنوبية مخيم ملاصق ما زال خاويا ينتظر رواده المفترض قدومهم قريبا ، بعد أن يصابوا بالخديعة مثلنا ٠
يقف الصهيوني الخيبري مجددا على الباب، ويركض مختار المعسكر للتحدث اليه ٠ رافقته ثلة من الحرس لم تبرح مراقبتنا منذ لحظة المجزرة ، لقد فاته أن ينبهنا الى مسألة تجنباللواط وزعمه الكاذب ، بضبط أثنين متلبسين بالجرم المشهود البارحة في المعسكر المجاور ، وها هو يضيف بندا اخر الى لائحة مزاميره ٠
يستأذنه المختار بأمر ذهاب المعسكر للحمامات، فيسمح وفق لائحة التعليمات ويطلب منه ماء وغذاء ، فيعده بارسال كرادل مملوءة بالماء بالاضافة لوجبة العشاء ، ويناوله من سيارته سجائر المعسكر ، علبة لكل واحد عن مدة خمسة أيام ، بمعدل أربع سجائر يوميا ٠
يتسلم المختار التبغ ويستدعي الشاويشية للتوزيع ، مجاهد محدودب الظهر يمشي باعياء وكذلك علي السوري وسواهما ٠٠ ويذهب استاذنا بهاء ليعود وسيجارته في فمه مشتعلة ، ويستفهم عن غير المدخنين لمصادرة سجائرهم له ٠ بعد النقاش يستقر الرأي في النهاية بالتوزيع على الجميع ، واعطاء الحرية لصاحب الحصة باعطائها لمن شاء وأراد ٠
الشبل الصيداوي يقدم لي علبته بكاملها والطويل يدعم صمودي بنصف علبة ، انني اصبحت ثري تبغ لدي عشر سجائر يوميا ٠ رقم يكفيني بدون العودة الى نظام التدخين الجماعي ، واشعل السيجارة الاولى في انصار ليتبعها وجبة اليوم الوحيدة خبز وجزر ٠
ما اتعسنا ، وما اتعس حظنا ٠ كنا نعيش على امل ان نتناول اليوم وجبة شهية مع الاهل والاحباب ، فاذا بنا نتناولها مرعوبين مطاردين ، نقضم الجزر مع الخبز سدا لثغرة الجوع واسكاتا للمعدة الخاوية ٠ او لم يقل الخيبري الخبيث : « اننا ننظر اليكم نظرة الحيوانات المفترسة يا قتلة الاطفال والشيوخ ! انكم لا تستحقون الحياة ، وما نقدمه من اكل لكم ليس الا بداعي الحفاظ على حياتكم ولولا ذلك لحرمناكم من الاكل ٠٠ » ٠
ومع العشاء تطل كرادل المياه ، لقد بات التوزيع هنا بالقطارة ، كيف يمكن لكباية ماء ان تطفىء عطشنا وتبل افواهنا بل قلوبنا المحترقة ؟٠٠

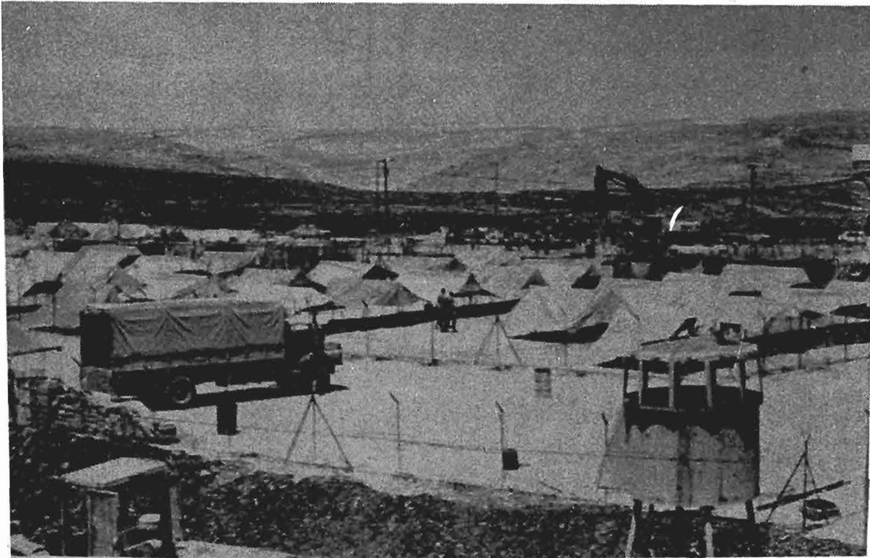
الحراس دائما في الخارج وبموازاة الشيك ، عيون متطلعة ومراقبة لكل حركة من حركاتنا . ومنطقة المعسكرات بكاملها باتت مضاءة بالكهرباء ومن « موليّد » نسمع صوت هديره وأضواء السيارات المدنية تتابعُ مرورها على زاوية المعسكر دون ان يخلو الامر من التزمير احيانا .

صلاة الجماعة محذرة ، والذهاب الى الحمامات اثنين اثنين من المعسكر بكامله ، ويتم الاختيار من قبل الشاويش ، بالتناوب بين خيمة ، واخرى بالتتابع ايضا ، والمختار في الساحة يعطي اشارة الانطلاق مجرد ان يذكر رقم الخيمة صاحبة الدور .

الحيوية مع الانتكاسة بدأت تدب في الجمع ، لكن الوقوف محظرا والحديث مع الخيم الاخرى محظر بدوره وكذلك الحديث بصوت عال ضمن الخيمة الواحدة محظر ايضا . انها حبسة التحذيرات والمحاذير . لا بأس من الحديث داخل الخيمة ، وضمن خيمتنا « الطويل » و « الصوري » وبهاء الشاويش ، وبعض الاشبال صغار السن ، الذين شعرت بابوة نحوهم وجمعتهم حولي ، وكذلك « سندباد » احد ائمة الصلاة سابقا .

ويتقدم بهاء مني طارحا مسألة قانونية . وطالبا ان نتحدث بالقانون ..

مفارقة جديدة ، غريبة وعجيبة ، التحدث بالقانون في انصار . والاطرف حصر الحديث بالنظريات .. واعرب عن ضيقي باي بحث او حديث خارج اطار الخيمة ، لان عصا الصهاينة اسقط في ذهني كل النظريات ، والحديث الجدي هو الحديث عن تدبر الامر بكيفية العودة للنوم على البحص مجددا ، اذ سبق ووضعنا حراماتنا في حالة الحشر وعلى أرض غير منبسطة . ويصر بهاء



ـ انصار مدينة الاستلاب الذاتي كما بدت في أيامها الاولى

على الحديث في النظريات القانونية ، ويظهر تعرفه علي من خلال معاملة لوالده كانت عالقة بين يدي ، واطلب من الطويل التدخل مع بهاء لعدم الخوض في تفاصيل قضية والده لانها تكشف موقعي السياسي ، مثلما اطلب حصر حديثه في الشريعة الاسلامية والتاريخ ، وفق اختصاصه ولتجنب مسألة احراجي في خوض النقاش واترك له امر المحاضرة في الخيمة علينا كرواد وكأننا تلامذته ، وكلنا اذان صاغية له ، ليبدأ صاحبنا بتناول المواضيع اليهودية في الاسلام .

تأكد حكمي عليه بانه انسان غير سوي ، وانصرفت ، عن حديثه الذي تابعه ، للاهتمام بشؤون الاشبال الصغار الذين هم الى جانبي .

بعد مغيب الشمس ، حضر حارس المعسكر وابلغ المختار . وقف نظام الحمامات ، والنوم فورا ، واطفاء السجائر تحت طائلة اطلاق النار على من يشعل سيجارته ليلا ، او من يرفع يده او رأسه او ركبته وهو نائم .

وانام وقد اخذ الاعياء مني اي مأخذ ، جوع يومين عالجته بجزرة وقطع خبز ، وعذاب يوم بكامله في محراب احفاد لوط ، وانتكاس مشروع الفرح الذي كان يراود الجميع . انام ، لا البحص قادر على ايقاظي ، ولا الارض غير المستوية . بوطي تحت رأسي بعد ان تركت مخدة الكرتون في عتليت ، وأنا بحاجة للذهاب الى الحمام ! ومن اين لي ان اذهب ؟ ليس امامي سوى ان اقضي حاجتي بعد حين في كباية البلاستيك تحت حرام واقذفها جانبا . لا داعي لاستعمال هذه الكباية بعد الان !.. وانفذ العملية وتمر الامور بسلامة واستلقي مسترخيا للنوم ، ومستسلما للقدر الظالم الغامض حاسدا من بقوافي عتليت بؤس حياتهم ، لان وضعهم المزري افضل من وضعنا الذي حسدنا عليه .

بتنا ليلتنا مع اجواء الهواجس المرة والكوابيس المظلمة . واطل صباحنا الحزين وعيوننا مع المشهد الاول « نجمة داود » ، رمز المذلة مرسومة على ظهر الخيم ، تصفع مشاعر الجميع وتتحداهم . في الخارج حرس المعسكر والاشرطة الشائكة المحظر مسها او الاقتراب منها ، عملا بمزامير الساحة . خلف الساتر ، منذ الصباح ، تتحرك السيارات المدنية في حل وترحال ، وتزداد القناعة ان الطريق الرئيسية السابقة قد جرى تحويرها ، « بيك آب » مدني فيه صبية ينظرون الينا ويؤشرون بايديهم فنتجاوب معهم ونبادلهم التحية ونحن جالسون ارضا .

نظام الحمامات بدأ مع الصباح ، اثنان اثنان كل مرة من كل المعسكر ، ومن المخيم بالتناوب والتتابع ، والمختار كأنه في حلبة رياضية « خيمة رقم ١٩ » .. يعود الاثنان بسرعة ليتبعهما اثنان من « خيمة رقم ٢٠ » ومن ثم يعود للبداية « خيمة رقم واحد » وهكذا دواليك .

الشمس الجنوبية الحزينة اطلت علينا بعد شهر ، منذ ان افتقدتنا وافتقدناها ، اطلت وفي عيونها شكوى مثل شكوانا ، انها مقهورة بقهر



٣٠ ـ انصار ، ويبدو رمزين من رموز القهر : البرج والملالة « حصان ابليس »

ارضنا تشاطرنا الالم والمأساة ، احسسنا بقرب نحوها مثل قربنا للارض والعلم والدالية وشجرة التين والبيت المقصوف . لا شك ان ذلك يمثل حالة من حالات الحنين والعشق للوطن ، ولو كان الوطن معذبا بعذاب بنيه .

وطائرة شحن صهيونية تحط في المطار جنوبا ، لقد بات في حكم المؤكد اننا في انصار . منتهى المرارة والعذاب ان يوضع الانسان في المجهول ، ليبدأ بالبحث والتعرف حتى الى معالم الارض والوطن ، انها جريمة المخابرات واساليبها المستهدفة حتى لمعالم الذات البشرية والانسانية .

حارس يقف على البوابة يطلب وقف نظام الحمامات ، وتطبيق نظام العدد ، وتستوقفني عبارة الانظمة والنظم والمنظمات . نظام للعدد ونظام للحمامات ونظام للاكل ونظام للشرب بالقطارة ونظام الكلبشة والعصبة والكيس ، انظمة ، نظم ، شرائع وتشريعات كلها من صنع الصهاينة ، كلها مزاميرهم ، ولتحقير الانظمة باتت الكلمات والعبارات كلها مستهلكة مثلما المطلوب منا اهلاكنا ، واستهلاك ذواتنا .

يقف المختار في الساح شارحا عملية التطبيق ، ومقسما النظام الى بابين الباب الاول نظام العدد رقم واحد يجلس متربع القدمين ليلي ذلك نظام العدد رقم اثنين ، الرأس الى الاسفل بحيث يلامس الذقن الصدر ويضع يديه مشبك الاصابع والكوع الى الاعلى والساعدان في خط مستقيم .

ها قد عدنا لنظام « اقعد على طيزك » انما بشكل متقدم ، متطور ، سمه ما شئت . يتابع المختار شرحه بعد ان اجرى بنفسه التطبيق العملي ، ويطلب من شاوشية الخيم تنظيم كل خيمة بالجلوس في صفوف خمسة ، وبلغة الانظمة نظام الخمسات . ويصيح في الساح : نظام عدد رقم واحد نفذ ! . يتدبر شاويش كل خيمة امره ويسهم بعملية انتظام الخمسات الى

خمسة صفوف ، الخيم الشمالية العشر وجهتها ناحية الجنـــوب والخيـــم الجنوبية العشر الاخرى وجهتها نحو الشمال وبعد ان تأكد المختار من حسن تنفيذ النظام رقم واحد يصيح مرة اخرى نظام عدد رقـــم اثنين نفـذ !٠٠ الشاويش يأخذ موقعـه المحدد مع سواه والجميع ايديهم علـــى الرؤوس المنحنية بالشكـل المطلـوب ٠

حالة مضنية وشاقة منذ لحظات بدء التجربة ، فكيف اذا طال الامر بنا ؟٠ والمختار يصيح بصوته المعروف على هذه الخيمة او تلـــك ، محذرا مـن مخالفة هذا أو ذاك ، يقفز من خيمة لأخرى ، مشرفـــا على التنفيذ ليجيـــد العملية وكأنه حارس أمين ، يريد ابراء ذمته ، دون أن يدري أنـــه يعمـــل لصالـح الخييـري ٠

يمتد الزمن ويطول على حالنا ، الجنود ما زالوا خارج المعسكر ، يـــد المختار بدأت تمتد لتصفع هذا او ذاك ، بدأت تتطاول ! ٠ فقد انزلق ووقع . في المطب الصعـب ٠

يتحرك المفتاح في الباب ، واسمعه لقرب خيمتي من البوابة ، واحدنـــا يقول : « دخلـوا » ! ليس بامكاننا رؤيتهم ، نحس بقربهم او بعدهم مـن حركة ارجلهم على الارض ، ومن جلبتها نشعر انهم عدد كبير يجولون فـــي المعسكر ٠ وتنطلق بعض الاصوات المتأوهة ، والعصي شغالة وكذلك ركلات الارجل ، وعبارة « ولى اقعد مليح » ٠ ها قد عدنا لمراسم الصهاينة وطقوسهم المعهودة وبتنا اسيرين انظمتهم ٠ لا حول ولا !٠٠

المختار يجول المعسكر معهم ، ونحس بوجوده وتنقله من صوته الذي بات مالوفا ، واخيرا تقفل البوابة ويغادروا المكان ، ليسمح لنا بعدها برفـــع الرأس ، وننظر حولنا ، فاذا هم على مسافات بعيدة عن المعسكر ٠

أرفع رأسي ، واحس ان ضربة قوية كأنها صفعتني على رقبتي ، وفقرات ظهري امتد اليها الالم ايضا ، اما يداي ورجلاي فاشعر ان التشنج قد اصابها ٠ عملية شاقة تترك اثرها على مختلف نواحي الجسم ، هذا اذا تركنا جانبـــا موضوع الكبرياء والكرامة اللتين لهما حكاية خاصة مع رؤية نجمـــة داود وصبحيتنـــا معهـــا ٠

ومع خروجهم يبدأ المختار استكمال تشكيل غرفة عملياته ، شاويش للمطبخ وطاقمه مثلما يسعى الطبيبان لتشكيل العيادة بتعيين ممرضين مساعدين ٠

تدخل وجبة الفطور ، مع كرادل الماء لاطفاء الظمأ ، انها ذات وجبـــة العشاء خبز وجزر ٠ جندي يقدم مداخلة للمختار ، طالبا منه منع الذاهبـــين الى الحمام من النظر خارج المعسكر وضرورة ان يكون مسرعا في ذهابـــه وايابه ٠ يعمم المختار النظام الجديد الملحق بنظام الحمامات ويضيف الـــى عباراته المالوفة « أركض ، اسرع » !٠٠

الشمس تتقدم خطوات في كبد السمـــاء ، والشكوى من نظام الحمامات

تتزايد ، وبهاء يشعل سيجارة من اخرى وينادي على المختار من حين لحين ، بسبب وبدون سبب مازجا حديثه بين الانكليزية والعربية ، ويبدي سلطان المعسكر تضايقه منه وامتعاضه .

في زاوية من زوايا الخيمة ، اقبع جالسا ، اعاني من وطأة واثار نظام العدد في الصباح مثلما الحظ سواي ممن عانوا والفتية الصغار متحلقون حولي . وبجانبي « الطويل واخرون يتحدثون عن الافراج عنا وعودتنا الى البيت .

« أبو محمد » يدخن ويشتكي من « حبسته مع بهاء الولد » مثلما يشكو أمره من شظية بين اصابعه ومن الاحفاد بقوله . « صحيح ان اليهود اولاد حرام . ما بيخجلوا . ليش بقى لاقطينا بدون سبب . ليعطوننا اماننتا ونذهب في حال سبيلنا !.. » « شقور الصيداوي » يتحدث مع رشيد ، ، وابو الفضل مع سندباد ، وتحس الكثير من الاحاديث ليس لها علاقة بحبسنا .

الخيم المجاورة عالم إخر بالنسبة لي : المح من البعيد الكعور الاخر وجمال وفي الخيمة التالية الدركي ، نتطلع لبعض بعيون شاكية ، ومحذر علينا وفق المزامير والانظمة التحدث بغير الاشارات الصامتة . اما ابو السرحان فهو في البعيد البعيد في طرف المعسكر الشرقي الشمالي .

في الجهة الشمالية من المعسكر ، صفان كل صف خمس خيم يفصل بينهما ممر مغروس بالاوتاد . وكذلك في الجهة الجنوبية . وخيمة المطبخ تقع في الطرف الشرقي الى جانب الحمامات . في الوسط بين الجناحين ، تفصل ساح المعسكر كل جهة عن الاخرى ، وتبدو كل جهة وكأنها قارة من القارات يفصلها محيط جديد اسمه « ساح المعسكر » مثلما كتب علي ان اقيم في مخيم معارفي فيه محدودة ...

مجنزرات صهيونية تدور وتلف حول المعسكر وعبر الطرق الترابية الداخلية باستمرار . وفي الجهة الجنوبية من المعسكرات ، تصل لمسامعنا اصوات « كبمراسة » وجرافة والاعمال تتواصل في انشاء معسكرات ، وفي المعسكر المجاور جنوبا ، حركة جند تقوم بنصب خيم فيه .

تتوقف شاحنة التموين على الباب ، تحرسها مجنزرة وثلة من الحرس ، والمختار يوقف العمل بنظام الحمامات ، ويستدعي طاقم المطبخ لاستلام التموين . الكابتن المعني يطلب مزيدا من العمال لتسريع العمل ، وتتعدد الطواقم العاملة مثل تعدد الانظمة السائدة ويصبح طاقم «العتالة» غير طاقم المطبخ وتستحدث له صلاحية واختصاص محدد للنقل غير الطبخ .

يحاول المختار تشكيل الطاقم الجديد من خيمتنا والخيمة المقابلة رقم ١٢ ويقع اختياره على اربعة قادرين على الحمل ، فتتصادم صلاحياته مع صلاحيات بهاء الشاويش ، ويعترض الاخير محتفظا لنفسه بحق الاختيار . ينظر بهاء متفحصا في وجوهنا ليقول لي ولشخص اخر « انتما » !

ينتفض الدم في عروقي من اخمص قدمي حتى شعر رأسي ، وتتحرك حمى الغضب وتصيبني ، اتطلع الى الطويل قائلا : قلت لك سابقا ان صاحبك عليه ان يحل عن ظهري ‥ لقد طفح الكيل منه ‥ ماذا اغـراه بي ‥ فتوتـي !‥ لو كنت قادرا جسديا على الحمل لحملت ! لكنني افتقد المقدرة افهمه ان عليه ، ان يحل عن ظهري ‥ ويتدخل « الطويل » مستنكرا قائلا لبهاء : دعك منه ‥ قلت لك لا تقربه ‥ وينقذ الكابتن الموقف اخيرا بطلب اربعة اشخاص من البنغلادش ! ويأتي له المختار بهم .

ها قد عدنا لمواسم الفاصوليا والمعكرونة ، مثلما افتقدنا شوربة السمك . أما الجزر فله حظ وافر في التموين مثل الخبز وقد بات لكل أسـير رغيفا يوميـا

الاسرى اصطفوا على واجهات الخيم المقابلة ، لمشاهدة التموين ، ومشاهدة فصل من المسرحية أبطاله البنغلادش وهزء الحراس واستهزائهم بهم ، وتجديد المتفائلون منا لاقامتهم في المعسكر ، باستهلاك الكمية الواردة .

وما أن أدبرت شاحنة التموين حتى أقبلت « نجمة داود » ويتحرك أحـد الاطباء مع المختار باتجاه البوابة لعرض الوضع الطبي في المعسكر والاحتياجات.

يضيق صدر صاحبنا أبي محمد بحالته ، ويتكلم بعد صمت طال : « هسع لا أدري لما أخرونا هنا وخلقوا عقبات ، نريد أن نذهب لاولادنا ، ما بدنا أكل أو تموين ... ، هسع ، لولا أماناتنا كنا رحنا ... ، الطائرة اللي حطت فـي الصباح ، كانت معها الامانات ، هسع ، ليعطونا اياها ونروح بحال سبيلنا‥!»

بهاء مرتاح بوضعه كشاويش ، يتحرك في الخيمة ، ويلتهم ما في حوزته من سجائر وينظّر اسلاميا ، طبعا سيفلس في اليوم الاول من السجائر ويصيبـه « الخرم » . ماذا سيفعل في الايام التالية ؟!

المختار يعود لاستئناف نظام الحمامات قائلا : « وصلنا سابقا الى الخيمـة رقم عشرة ... أثنين أثنين الى الحمامات ، بسرعة أركض !... » ويتوالـى الركض ومعه تتوالى الشكوى أيضا . لقد بلغنا منتصف النهار ، ولم تمر على المعسكر سوى أقل من دورتين ، بمعنى أكثر تحديدا لم يذهب حتى الان الـى الحمامات سوى أقل من خمسين شخصا أي أقل من عشر المعسكر . ان الـدورة لتكتمل ويذهب الجميع لقضاء حاجتهم يلزمهم عدة أيام ، يلزمها بنظـام الحساب المخابراتي ونظم انصار ، خمسة أيام . حقيقة أن الدائرة دارت عـلى رؤوسنا ونحن في حالة يرثى لها حتى مع نظام الحمامات .

يتدخل الحارس طالبا ، ذاك الذي لم يركض ، وذلك الذي تحدث مـع الخيمة المجاورة . ويبدأ تركيع البعض على البوابة ، بعد جلدهم في الخارج ، مطبقين بحقهم « نظام العصي » ونظام اقعد على « طيزك » ، وكل الانظمة المطبقة هي فرائض اذلال ومهانات .

الخيم تنتصب في المعسكر المجاور والجرافة لا تهدأ في عملها ، ويتشابـك صوتها مع صوت « الكمبرسة » . أما الطيارة فقد أقلعت من جديد بعـد أن

أنزلت أمانات « هسع » والغبار يتطاير خلف السيارات المدنية العابرة ونظـام الحمامات ساري المفعول بدون جدوى لان كثيرين اشتكوا من « تفتق مباولهم » والمختار ينفذ العمليات بأمانة والحراس في الخارج يراقبون ويعاقبون جلـدا أو تركيعا. أما المعسكر فيسوده الصمت وعجلة الزمن بدورها آخذة في الدوران. والطبخة الاولى في المطبخ تنضج على نارها ونار نهم الاسرى وكذلك طبخـة المساء ، ومهما كان نوعها فانها مقبولة لاننا أمام النظام الصحيح ، نظـام اقتسام الجوع ، واعادة توزيعه فيما بيننا حصصا وافية لكل واحد منا ، جوع يذكرنا بالمتخمين من أمتنا ونتمنى لهم أن يمضوا ولو ليلة واحدة في حياتهـم تشبه ليلتنا ، أو يتناولوا ولو وجبة واحدة من مأكلنا ولو كان جزرا ، لكن ليس على طاولة المازات والمقبلات وانما مع خبز الصباح ، عسى ان تخف سمنـة كروشهم المترهلة وعقول أنظمتهم الهرمة المتصابية ..

ليس من مفارقات الدنيا أو القدر أن نتذكر ما تذكرناه ، في فترة أزمة مـن أزمات عمرنا ، وعثرة من عثرات الدهر ، نمر بها ندفعها ثمنا لامتيازاتهم دما وعذابا ، وستنضج بدورها طبخة انصار السياسية لكن ليس بمعنى ارتدادي..!

لنترك هموم المتخمين ولنبقى ضمن اطار همومنا اليوميـة ، الطارئـة والمستجدة ، بفعل تعدد الانظمة ، تعدد المزامير ، بل تعدد الفرائض ، وبدأت تعبر عن نفسها بمطالب أكثر الحاحا ، بالاضافة للاعداد الكبيرة التي هي بحاجة للذهاب الى الحمام وتنتظر الدور ، ومن المرجح بل المرشح أن يقضي بعضهم حاجته في ثيابه كما حصل ليلا مع العديد في المعسكر ، وهناك مشكلة المـاء المنقول بالكرادل والموزع بما يشبه القطارة ومشكلة المجموعة الصائمة . هذه الاخيرة حصل كل واحد منها على وجبتي العشاء والغذاء ، وتنتظر موعـد الاذان للافطار ، هذا الموعد يعطله موعد اخر ، الموعد مع نظام النوم ، مزمار النوم ، فريضة النوم سمها ما شئت ، أما وقد بات الاكل طبخا فقد استجـدت مشكلة التسخين وتضاف الى المشاكل والقضايا الاخرى !...

ويتدخل المختار مع الكابتن لمعالجة الوضع ، وحل مشكلة الصائمين ، بما في ذلك حقهم بالصلاة ورفع الاذان ، فيرفض الكابتن كل المطالب جملة وتفصيـلا ويفتي لهم بعدم الصوم !...

ومع المساء عدنا للنوم على الارض غير المستوية والمملوءة بالحصى وكأنهـا خوازيق تحت أجسادنا ، وأتطلع مثل سواي الى كراتين الخبز على أمـل الحصول على واحدة ، أغلف بها بوطي لجعله مخدة مقبولة وأضع قسما منهـا تحت ظهري ، واذ بالمختار يصد شهية الطلب المقدم من سواي بالرفض ، حجته اعادة تسليم الكراتين للجنود . ويبقى نظام الحمامات ساري المفعول وشـغالا طوال النهار ، دون أن ينال الجميع حظهم في الدورة الدائرة . ومع اقتـراب المغيب أوسط ، لدى بهاء ، الطويل لاذهب خوفا من تكرار حادثة البارحـة مجددا سيما وقد بت بدون كباية بلاستك . الواسطة لم تنفع لكثرة المتزاحمين

على الدور ، وأضطر ليلا أن أبول الى جانب الخيمة ، خلسة كمخرج للوضع.

ليلتنا لم تكن بأحسن حال منسابقتها ، لكننا بدأنا الاعتياد على الوضـع ، نمط الحياة ، والتكيف معه ومع متطلباته . وتبقى مشكلتنا مع العد الصباحي ونظام « أقعد على طيزك » انها فعلا مشكلة المشاكل ، ننام وصورة الغد المفتتح بهذا الشكل المذل ، الهاجسوالكابوس حتى في لحظات الاستلقاء والتراخي أمام النوم الليلي ، والى جانبنا ، صائمو رمضان يتناولون فطورهم وهم نيـــام أيضا تحت الحرامات ، ولتصبح أيامنا التالية فيها من الروتين والتكرار واعادة الاجترار لكل الانظمة والفرائض المهينة !..

ومع الصباح والتأوهات من العد وفريضة الذل وفطور المهانة ، واستئناف نظام الحمامات حضور سيارة النفايات ، ويستأنف الجلد ، والدور أولا للاربعة البنغلادش الذين لم يحسنوا مهنة « العتالة » ويقوموا بها على الوجه المطلوب وفق أنظمة الصهاينة ، وليستبدلوا بمن هم أكثر قدرة من الاسرى .

وتقع عيون الحراس على بهاء لكثرة حركته في الخيمة وحديثه مع الخيمة الملاصقة ، ويغفر له ، كونه شاويش وقد تم تعريف الكابتن على صفته . غير أن صاحبنا لم يرحم نفسه ، وأخذ ينادي على الكابتن كلما اقترب مـــن البوابة ، محاولا التحدث اليه بالانكليزية دون أن يتجاوب الاخير معه ، حتى اذا تكررت محاولاته استدعاه الكابتن الى خارج البوابة وتعاون مع الطغاة على جلــــده بعصيهم وعاد الينا مزرق العضلات والدم يسيل من ظهره. وتتكرر حفلات الجلد لهذا أو ذاك كلما راق للجنود أمر كهذا !..

أحد الحراس زود المختار « بحبلة » وطلب منه شخصيا ، أن يجلد مخالفي الانظمة . وأحس بأننا قد عدنا لنظام الداخل ، نظام تحكم المختار ، بـــل السلطان بالعباد . يا لها من مذلة !... يتناول المختار الحبلة ، ويعد بعــدم الضرب ، واذا اضطر أحيانا فانه سيلجأ الى التمثيل . ومن يضمن ذلـــك ؟! معارفه قلة غير ملحوظة ، ولا يتجرأ أحد على الرد بوجهه ، خوفا من عصي الحراس في الخارج ، والذين لهم حضور لا يغيب . ها هم اعتادوا التدخل ، كلما غض المختار نظره ، باستدعائهم هذا أو ذاك لمعاقبته .

وتبدأ حبلة المختار بالحركة من حين لاخر ، متظاهرا بالضرب أولا حتى اذا شاهده الحارس صاح به طالبا التشديد والايلام ، واذا بــه ينزلق أولا بأول ، ويتمرس شيئا فشيئا ليؤدي دوره بالنهاية على أكمل وجه وبأمانة ، واذا بحبلته بعد فترة لا توفر كبيرا أو صغيرا مريضا أو معافى بنغلادشيا أو غير بنغلادشي. واذا بصيحاته أيضا تنطلق حاملة أقذر النعوت والشتائم للجميع .. لهـــذه الخيمة أو تلك .. لهذا الشخص أو ذاك « دواب ، حمير ، حيوانات ، بغل ، ثور ، .. الخ » ..

يلقى الموقف الاشمئزاز والامتعاض ويبدأ الهمس والحديث : « مختارنـــا تعامل !.. انه يتكلم مطولا مع الجنود والضباط !.. مختارنا تساقط .. انــه

لا يدري ماذا يفعل ٠٠ من أين أتانا ؟٠٠ عميت عيناه وفقد بصيرته وبصره !٠٠ ينفذ تعليمات الصهاينة !٠٠٠ » ومع كثرة الهمس وانتشاره يزداد الحذر والتخوف منه ٠

محمد اليمني يده مشلولة ، لا يستطيع رفعها الى رأسه ٠ ويلقى عقابه لانه امتنع عن وضع يده على رأسه وقت العد الصباحي !

أبو محمد « هسع » خمسيني العمر ، تصور سنه يوفر له وقارا ويحميه ٠ لم يركض أثناء ذهابه وايابه من الحمام ، ينال عقابه ، ويلحق به أبو الفضل أيضا لذات السبب ٠ أما بهاء فهو طعم جاهز ودائم لاي سبب كان ، يستدعي الى الساحة لجلده ، انه زبون دائم لدى المختار ، الذي لم تعد في نفسه شفقة أو رحمة !

ويأتي « بن شاحر » (١) أول قائد للمعسكرات ، فيبارك سياسة المختار ويتحدث معه مطولا على البوابة ، لتبدأ بعدها وكالة أنباء « المطبخ » ، في تأدية مهامها كطاقم اخباري واعلامي ، في ظل الحصار الخانق المضروب حولنا والعزلة المطلقة عن العالم ٠ وتبدأ الانظار بالاتجاه نحو المختار والمطبخ لمعرفة حقيقة ما يحصل ٠ والكل في تساؤل عما قاله قائد المعسكرات ؟!

يتنطح بهاء بعد تحريضه مناديا على المختار قائلا :

ـ مختار عماد « شو قال لك ؟ » يجيبه منفعلا :

ـ « شو خصك ٠ لم يقل لي شيئا ٠٠٠! »

ويلح بهاء في الاستفسار والاستيضاح ، فيصدمه المختار مهددا بمعاقبته مجددا وزاجرا اياه ، وطالبا منه أن يقعد بدون كلام !٠٠

تزداد ، مع تكرار الحوادث والتصرفات ، مخاوفي من المختار ٠ وينتصب الشر أمام عيني ، اذا تقدم نحوي ، وتصرف أي تصرف مسيء ، مهما كان نوعه ٠ انني لن أسمح بمذلتي على يده ، مثلما أجد نفسي سائلا من هم حولي عنه ، دون أن أجد من يعرفه سابقا ٠

أبو علي شاويشنا السابق في عتليت يقضم نفسه غيضا وحنقا ، متأسفا ومتذكرا سلطانه الماضي وسطوته ، ويلعب دور الثعلب في خيمته ، محرضا على المختار ، ولديه الامل بالعودة للمخترة مجددا في حال « قلع » عماد ٠ ويذكر أبو علي من معه ،وغالبيتهم لا يعرفونه ، بوضع مختارنا عندما كان جائعا سابقا يشتهي قطعة الخبز والسيجارة وقد بدت عليه « التخمة » الان ٠

في الخيمة انتقل من مكان لاخر ، وأنسج العلاقة بهدوء مع الجميع ، بما فيهم بهاء لتجنب أية هفوة من هفواته ٠ وبدأت أجد نفسي مشدودا باتجاه الخيمة رقم سبعة ، وأتجاوز الحواجز الفاصلة بين الخيمتين المكونة من الابواط الموضبة تحت الحرامات ، والتي تحولت الى مساند وتكايات خلف الظهر ٠ وأبدأ بتبادل الحديث مع صدقي ، الذي يظهر في الخيمة بأنه صاحب حظوة، وكأن سلطته أكبر من سلطة شاويشه ٠ وحديثنا محصور في الجانب القانوني

بن شاحر : أول قائد معسكرات لانصار بسبب ظلمه وعسفه عرف لدى الاسرى باسم بن شحار

لاعتقالنا ، ونفي الافكار الواردة لدى البعض بخصوص محاكمتنا ، وان مسألة وجودنا على الارض اللبنانية تطبيق لاتفاقية جنيف ، والشباب في الخيمتين يستمعون الي ٠

ومن موقعي في الخيمة أيضا ، أنسج علاقة مع الخيمة رقم واحد ، المقابلة شمالا ، بحديثي المتكرر مع عماد الرشيدية ، الذي يبدو من تصرفاته ، علامات الشهامة والنبل الفطري ٠ وكلما تحدثت مع هذه الخيمة أو تلك ، أجد نفسي متوجسا من المختار ٠ أما الخيم الاخرى فتفصلها عني مسافات تبلغ أكبر من مسافات المحيطات ، خاصة الجهة الجنوبية من المعسكر ٠

أجمل المشاهد التي بدأت تستهويني عند مغيب الشمس ، منظر البحر من زاوية الخيمة ٠ أتطلع اليه كالاطفال الصغار ، محاولا تبصر رؤية أحبتي فيه ، لكون أحدهم ينظر اليه من على الفرندا ٠

ويأخذ التكيف مجراه ، بما في ذلك تكيف المختار مع الانظمة والمزامير ، فاذا به يفر كل ليلة بدلا عن الكابتن سابقا ، صارخا على هذا أو ذاك : « نام٠٠ نام ٠٠ » تاركا لحبلته حسن تأدية المهمة ، وتراه قابعا على زاوية الحمامات بعد ذلك ، لمراقبة الجميع ٠ وعلى ذكر الحمامات كنت صاحب الحظ السعيد بالزيارة عصر اليوم الثالث ، والقاء النظرة الاولى على المعسكر المقابل ، والذي استقبل مفتتحي انصار قبلنا بثلاثة أيام ٠

ومع مرور الوقت أصبحت أكثر تكيفا ، حتى مع الوسخ الجسدي ، وقد مضت أيام عدة دون أن أغسل وجهي ، لعدم توفر الماء لغير الشرب ، وبت أجد في قص شعر رأسي حسنة ، اغنتني من تحسس القشرة فيه ، وها هو ذا في بدايات نموه ، مثلما باتت ذقني الطويلة مصدر ازعاج لي ٠ وبدأت التكيف مع نظام العدد الصباحي ، بعدم ارهاق نفسي جسديا الا لحظة فتح البوابة ودخول الجنود أو احساسي باقتراب خطوات المختار أو صوته من الخيمة ، والذي يكون جوالا بتوزيع فضائل حبلته وركلاته على جلد هذا الاسير أو ذاك ، ومحترز ألا أكون في الصف المواجه للشارع والبوابة ، تحسبا لرؤية الجند لي ، وهم يراقبون على الشيك ٠ اذا كنت قد بدأت أتطبع وسواي مثلي ، فان الامور لا تخلو يوميا من اصابة البعض بالاغماء أحيانا ، وتشنج عضلات الجسد ، مما وفر للطبيبين ومساعديهم مهمة عمل جديدة ، تستدعي المعالجة والتحسب لها يوميا ، بعد تأدية فريضة الذل ، العد الصباحي ٠

صاحبنا«هسّع»ما انفك يكرر تساؤله عن قلة حياء اليهود والابقاء علينا في هذا المعتقل ، وكل مرة يصرح بأن بقاءه بيننا فقط من أجل أماناته !٠٠

الحياة في المعسكر باتت روتينية تقليدية ، ونبحث دائما عن الجديد في هذه الدنيا ، حتى « البومة » لم نعد نراها ، نبحث عن الجديد ولو كان«الكشاف» الذي تم تركيبه البارحة على الساتر الشمالي ، وصدم عيوننا ليلا بأضوائه ٠٠٠

هناك خلف القلعة ، كما أسميت هنا ، ومأوى الطرش أو مشتاه كما أعهد ،

انتصبت خيمة كبيرة . انه مهجع للجنود ، والجرافة استمرت في تمهيد الارض لتحط ، لاحقا ، طائرة هليكوبتر ، مثلما تتحرك ورشة عمل تضع أسس قاعدة من الاسمنت ، ليركب بعد أيام فوقها « كشاف » ضخم يعمل بمولد كهربائي ، ويتحول ليلنا معه الى نهار ، مع بدايات تسليط أضوائه ...

في المعسكر المجاور قامت الخيم ، واستقبل الوافدين الجدد . أشفقنا عليهم لحظة انزالهم من الباصات ، لقد ذاقوا اللوعة التي ذقناها وشربوا كأس المرارة . ويمتلىء المعسكر بعد حفلة استقبال شبيهة بحفلتنا ، مثلما يملأ أجواء المعسكرصوت معروف انهصوت الشاويش احمد في معسكرعتليت وقد بات مختارا لمعسكر أربعة . من هم القادمون الجدد ؟. ليس بامكاننا التعرف على أحد منهم ! ... فهم عالم اخر غير عالمنا ، قياسا على الجهة الجنوبية من معسكرنا التي اعتبرناها قارة نائية يفصلها عنا محيط ولو كان بحجم الساحة . انه عالم بحاجة للاكتشاف ! لا ندري من يكون « كولومبو » معسكرنا ، رائد فضائنا نحو العوالم الاخرى المجاورة !..

وتيرة العمل في المعسكرات البعيدة متواصلة ، قائمة على قدم وساق ، وها هي الابراج الجاهزة للتركيب ترتفع فجأة فوق السواتر الترابية ، ويقوم على خدمة كل برج حارس ملازم ومزود ليلا بكاشف للضوء بالاضافة لبندقيته الدائمة .

نظام الحمامات نتيجة ضغط المعسكر بات أكثر تسارعا ، جرى تعديله بشكل يسمح لخمسة منهم الذهاب الى المرحاض . والمياه باتت تتدفق بعد أسبوع من قدومنا على فترات محدودة ، والمسموح به الان ، فقط غسل الوجه واليدين دون الرجلين ، مع اعطاء الافضلية للمصلين . أما ليلا فقد بات من حق الصائم التأخر بعض الوقت لتناول عشائه ، دون أن يعم هذا الامتياز فترة السحور . وصلاة الجماعة محظورة وكذلك الاذان .

طبيبا المعسكر يجولان الجولة الاولى ، خيمة فخيمة ، ويستمعان لشكاوي الجميع واوضاعهم الصحية ، ليس لديهما ادوية ، والمسألة لا تتعدى الجانب النفسي ، واشعر بضرورة تكرارها للاستفادة منها في الجانب التعبوي وفتح الخيم على بعضها البعض . وتصل اللجنة الى خيمتنا واتكلم مع الدكتور عماد للمرة الاولى ، خالطا بينه وبين رفيقه العراقي . نتجامل مع بعض، وأشدد على الجانب النفسي للجولة وضرورة اجرائها يوميا . ويسألني عن مرضي ، وبدون ان يعرفني شخصيا فأجيبه : حاليا لا شيء رغم انني كنت اعاني مسبقا من نوبات رمل وعوارض روماتيزم .

تتابع الجولة طريقها نحو الخيم الاخرى ، بعد ان عرض بها ، جلد ظهره الموشّى من كثرة الضرب ، والطويل لضلعيه المكسورين مع التأوهات اللازمة ، ومحمد اليمني ليده المشلولة و « هسع » ليده التي تخبيء شظية لا يريد ان يكتشفها الصهاينة ، وسندباد لتشنجاته العضلية التي ازدادت بسبب العد الصباحي وسامي لرجله المبنورة ... تتابع الجولة لتتكرر المآسي المرضية

والاعراض ، وكأنها مشاهد في مسرحية انصار ، من خيمة لخيمة ٠

ومع انتهاء الجولة مساء يغادرنا الدكتور نظمي العراقي الى معسكر اربعة ، دون ان نعود نرى وجهه ، ونستمع لصوته حتى اشعار اخر ٠ ونجلس نترقب قدوم « بن شحار » المصدر الوحيد لمعلوماتنا ، عن العالم الخارجي ، تنقلها الينا وكالة أنباء المطبخ لاحقا ٠

مع الصباح الباكر ، في الخيمة ، همس وضحك بتسجيل واقعة طريفة ، سندباد استطاع التسلل ليلا الى الحمامات ، واستولى على سطل ماء خفية ، واستحم بـه ٠ لم يدر احد بما فعل خارج الخيمة ، ولقد استيقظ عليه ابو الفضل وافتقده لانه نائم الى جانبه ، وبعد ان عاد ، لم يخف سره عن ابي الفضل الذي ضبطه بالجرم المشهود مبلل الشعر ٠ ووعده بعدم افشاء السر ٠ لكن صاحبنا بمرحه المعهود غير قادر على « بلع » الواقعة في الخيمة ، وها هو ، بعد ان تلمست الريبة في ضحكاته ، يروي لي وللطويل الحكاية ضاحكا ممازحا وسندباد بدوره غير قادر على اخفاء سره بحركة شفتيه الضاحكتين والمنبئتين بالخبر اليقـين ٠٠

ويسترق بهاء السمع في الحلقة المجاورة ، مثلما يسترقها محمد اليمني وعبدو ، ويهدد بهاء سندباد بابلاغ المختار عنه ، اذا لم يقدم له حصته القادمة من السجاير ٠ واذ بسندباد يثور في وجه بهاء كاشفا سرا اخر له ، اخفاه عن الجميع ، لكن المختار ضبطه ولم ينشره في المعسكر ، سرا يتعلق بغزوة قام بها بهاء للمطبخ وتناول بعض حبات البندورة واكلها ، لدى عودته ليلا في فراشـه ، مما تسبب باحدى حفلات الجلد التي اصابته من المختار ٠

تقوم الصيحة في الخيمة ويكثر الضحك والتلاسن ويتدخل المختار لمعرفة السبب ، فنحجبه عنه ، ويعتبر أن بهاء مقصر في ضبط الخيمة ويجب استبداله وينادي على الكابتن لتعيين بديل عن بهاء ٠

يتصل الجندي بقيادته وتحضر ثلة من الجنود بعصيها ، وتستفسر عن سبب استبدال الشاويش فيبلغهم المختار ، عن عدم قدرته على ضبط الخيمة ، فيقول له الضابط « نحن نوفر القدرة له ، اخرجه من البوابة » ٠

يخرج بهاء ، المسكين محاولا الحديث مع الجنود بالانكليزية ، فيتلقفه احدهم من البوابة ويلقي به ارضا ، مبطوحا على بطنه ، وتنهال عليه عصي المجموع ، حتى اذا عاد الى الخيمة مغميا عليه تناوله الدكتور عماد ، بتدليك جسده وتضميد جروحه بالماء وهو يأن من جوارحه ٠ بينما الجندي ، سبق له ، وابلغ المختار قائلا : « يبقى هو شاويش الخيمة وقد اصبح قادرا على ضبطها »

ومع المزيد من توفر المياه بدأ الحديث عن برنامج ، بل بالاحرى نظام جديد للاستحمام ، وتلقى المساعي الحميدة مع المختار تجاوبا بالسماح لـ « الخنتريش محمد شما » بالبدء ، ويرافقه منسق عملياته ومدبر شؤونه « العصفور الصغير » لتحميم الخنتريش ٠ الجندي المراقب يلاحظ وجـود

الاثنين في الحمام ويرتاب في الامر ، بقناعته انه التقطهما بالجرم المشهـود جرم اللواط ، ويستدعيهما الى البوابة ، مقدمة لحفلة الجلد ، ويثور المعسكر وتعمه ثورة غضب وتقوم الصيحة على المختار مستنكرة ، لان الجميع يعرفون وضع المسكين محمد وحرص العصفور عليه والاحسان اليه ، وتنجح المساعي بانقاذهما من جرم اللواط المنسوب اليهما اولا ومن الجلد ثانيا .

بهاء لم يعد قادرا على القيام بأي عمل في الخيمة ، مضى يومه نائما ، ينظر نظرات غريبة الى الجميع ، باتت حالته الصحية تتردى ، ظهر عليه بشكل واضح انه غير سوي . تدبرنا امرنا داخليا بادارة الخيمة من قبـل رشيد ، وطلبنا من بهاء ان يرتاح ، وبات موضع اشفاق منا جميعا .

الحارس المراقب بعد ان فقد صيدة « الخنتريش » اخذ يتجول علـى الشيك مفتشا عن فريسة جديدة والجميع باتوا يتهيبون منه كلما اقترب ، واذا بـه يستدعي واحدا جديدا من خيمته الى البوابة ، خالف نظاما جديدا ، نظاما استحدثه الكابتن وقف ، واخذ يؤنبه بقوله « وله انت تشوف كابتن » كل ذنبـه انه بادل الكابتن النظرات ونظر اليه .. وليعود لنا ثانية ، طالبا من الابله عبد الباسط هدايته الى « مخرب » في المعسكر .

ويصل الدور الى العصفور الكبـير ويأخذ المختار بجلده وهو يصيح ، حتى اذا عاد الـى خيمته مرورا بخيمتنا وهو يزحف على قفاه ، متظاهرا بانـه تأذى كثير ، تباطأ في قفزه ، ليهمس في اذاننا ، انه يمثل وسيكون حساب المختار عنده عسيرا ...

نظام الحمامات مع المساء يتسارع ، واخذ دوري فيه ، والمعسكر ، مـن جديد ، بانتظار « بن شحار » ووكالة انباء المطبخ مستنفرة ، وبن شحـار حتى الان لم يأت بشيء جديد .

وتتوقف سيارته على البوابة ويقفز المختار ، الذي ينتظره على احر من الجمر ، وتدور الوشوشة بينهما لفترة طويلة ، ويتخلل الهمس ضحكـات وبسمات ، ونحن نراقب صامتين في الخيم ، كل حركة مـن الحركات ، حتى الشفـاه .

يتركنا مع توزيع وجبة العشاء ووكالة انباء المطبخ تتحرك في فبركة الخبر مع الرز المسلوق وتفوح رائحة اخبار جديدة ، عن اطلاق سراحنا ..

المصادر المقربة من المطبخ افادت عن اخلاء سبيل الاشبال اولا وبعد ذلك « وعلى العيد » اخلاء سبيل الباقين ..

هل يعقل ذلك ؟ وما الدلائل والمؤشرات ؟ العمل في المعسكرات ما زال متواصلا ، وحتى الحرس نصبت لهم خيمة هذا اليوم مقابل معسكري ثلاثة واربعة . ويجيـب البعض : سيجري تسليمها للقوات الدولية التي ستحـل محل القوات الصهيونية المنسحبة . ومن اين سيطلق سراح من هم في الداخل ؟ ويجيب المختار من انصار ، بعد تأكيده الخبر الاول ، وسترونهم يأتـون

دفعات ، وباقصى سرعة ..
وكالة انباء المطبخ فعلا شغالة ونشطة ، والاخبار لديها . واقول لمن حولي بسخرية وهزء : هنيئا لمن له موطىء قدم في المطبخ ، اذا لم يسد جوعه بامكانه معرفة الاخبار من مصدرها الوحيد .
وليلا يقترب مني ممرض ينام في خيمتنا ، يتودد الي ، على غير عادته ويعرفني بنفسه ويقدم لي سيكارة لتدخينها في الصباح ، ويخبرني انه عرف بدوره الدكتور عماد علي ، والذي اوصى بي المختار ، حذره من الاساءة لي، كما طلب منه تمكيني من الذهاب الى الخيمة رقم ١٤ ، حيث يجلس الدكتور يوميا مع شلة شخصية ، وان لديهم بعض الاستيضاحات القانونية والسياسية .
شكرت صاحبنا على موقفه ، مثلما شكرت الدكتور ، وطلبت منه ابلاغه ذلك ، واستعدادي للانتقال الى الخيمة المذكورة ، غير انني انتظر دعوة بهذا الشأن .
وأستفسر منه عن مدى صحة رواية وكالة أنباء المطبخ والمختار ، فيجيبني ، بأن المختار قال ذلك عن لسان « بن شحار » .
انام ليلتي ، اغربل الخبرية واقلبها ، ليست لدي معطيات للنفي او للتأكيد ، واقع في حيرة من امري واستلقي مستسلما للنوم ..
وفي اليوم التالي خارج دائرة الانظمة والفرائض ، التي باتت معروفة ، يتم فعلا دعوة من هم دون سن السادسة عشرة الى الساحة ، ويتجمع عدد كبير بينهم الشبل وغير الشبل ومن ضمنهم صاحبنا « المصري » . واحمله رسالة شفوية ويعدني بنقلها . وبالفعل مع المساء ، تتيسر دفعة الاشبال ونراهم وهم ينقلون في شاحنات باتجاه طريق ابي الاسود ، يرتدون ثيابا بيضاء ويلوحون لنا بأيديهم وبعلم الصليب الاحمر ومن بينهم صاحبي الشبل الصغير .
ونعيش مجددا على وهم الافراج ، ويسود الفرح اوساط الجميع ، وينظر « هسع » للحرية واماناته ، بقوله « انا لن اذهب اذا لم تعط لي الامانات ..» واضيق ضرعا باماناته .. ماذا له صاحبنا حتى اكثر بالحديث عنها ؟ واجد نفسي مندفعا لاسأله « ماذا لك في الامانات » .. واذا به يجيبني . خمسون ليرة لبنانية ودفتر « سواقة » لبناني اشتريته بخمسين ليرة ايضا .. لن اذهب بدونهم ...
وارتاح من هسع وتركيبته وحجم اماناته ، بعد ان عرفت حجم همومه ..
عبده اليمني لم يحالفه الحظ مع الاشبال ، عاد خائبا وفي رجليه بوط صغير الحجم ، لكنه « عتيق » واشعر انه يتناسب مع رجلي ، انه اصغر بوط لاحظته ، لم يكن محظوظا بالافراج عنه بقدر حظه مع الحذاء ، واتذكر بوطي الضخم الجثة ، لكن لما يلزمني ؟.. او ليس من حسناته انه يصلح مخدة جيدة في وضع الاسر !..

المختار يتودد من جديد لجميع ، وقد خلت الساحة من المعاقبين ، وكلما زل لسانه بكلمة نابية ، اعقبها مستدركا بعبارة « استغفر الله من انا ؟ ولما اقول ذلك ؟ » لقد وضع حبلته جانبا واوقف استعمالها . وهو يتأهب مثل سواه لتذوق الحرية الموعودة من بن شحار ..

من يوم ليوم اخذت الباصات تتواصل ، تنقل الاسرى والمعتقلين من الداخل الى انصار ، واوشكت المعسكرات ان تمتلىء بالاعداد الغفيرة الوافدة مع الايام .

اجلس في خيمتي كعادتي ، اراقب كل ما حولي ، للحكم على الامور ، وما هو محيط بي ، لا يبعث التفاؤل في النفس ، وابقى مع هاجس زيارة الخيمة ١٤ حتى اذا حضر المرض الى خيمتنا ذكرته بالوعد وطلبت منه تذكير الدكتور عماد ، ويعدني مجددا بعد قدوم سيارة « نجمة داود » التي اتت فعلا وانجز الطبيب عمله معها ، وبقي الوعد ، وعدا وبقيت ارقب اي جديد واراقب .

محمود قابع كعادته في مدخل الخيمة رقم واحد ، يغني بصوت هادىء لفريد الاطرش « سألني الليل بتسهر ليه » مثلما يحرص على مراقبته دائرة امامه صغيرة المساحة ، سبق له ولملم من داخلها البحص ووضعه على اطرافها .

وابو العبد العتيق كعادته جالس في حضرة ابي علي وفي ذات الخيمة طبعا ، دون قهوة او شاي وحتى بدون ماء والديوان عامر على سيكارة تدخن بالجملة ...

بهاء ، بدأ يستعيد عافيته واخذ يحظى بالعناية منا في الخيمة ، واخذ يتحدث عن والده المزارع اللاجيء الكادح الذي علمه ، مع عتبه الشديد عليه لانه لم يزوجه ، ويحاضر في غزوات بدر واحد ويمر على معركة صفين واثرها على التاريخ الاسلامي وحوله شلة مؤلفة من رشيد وشقور وعبدة اليمنى الذي « يتلامظ » عليه مع محمد اليمني الذي يحاول تقليده ، وضمن الشلة سندباد الحريص على اظهار تدينه رغما عن ماركسيته .

وبهاء يحاول أن يجلّي بحديثه ، وأن يرضي جميع الحاضرين في ندوته وغير المشاركين خاصة ، مستدرجا هذا أو ذاك لاشراكه ، حتى اذا اشترك وطاب له الحديث ، بادره بالقول « معك سيجارة » !.. الجلسة بالنسبة له مادة خصبة للتدخين والحصول على السجائر . ويتابع حديثه الذي طاب للخيمة سبعة أيضا وصدقي ومجموعته ، ليعود ويلتفت الي ، مع اخر سحبة من سيكارته ، قائلا : « استاذ شاركنا في الحديث » ، أضحك ، وأجيبه « غايتك السيكارة ، خذها وحل عني !.. وابقى مع حكاياتك » ..

المختار يشرف على تطبيق النظام الدائم ، نظام الحمامات ويتدخل كلما ارتفع الصوت أحيانا ليقول « بدون صوت » أو ينادي الخيمة التي ارتفع منها الصوت ، وللخيمة رقم ستة نصيبها في المناداة من حين لاخر بعد أن

انصار ، من دون شك طبخة سياسية ، لكن ليس في مطابخ انصار ، وبأيدي مخاتيرها ، بل في عذابها وحكاياها وابداعها ، حتى ولو لم يظهر هذا الابداع والخلق حتى الان ٠ هذه القضايا الصغيرة من حكايا بهاء وندوته وتصرفاته الى حكاية الاسير الذي « شاف » كابتن ، الى حكاية « هسع » وأماناته ، وسندباد وحمامه ، وبهاء وبندوراته ، ومحمود ودائراته ، والخنتريش ومدبر شؤونه ، وأبو حاتم وعرق الطيون ، الى اخر ما هنالك من الحكايا والروايات الطريفة والصغيرة ، التي تكبر وتنضج مع الايام ، لتسهم في ضنع مسيرة انصار ، ونضج الطبخة السياسية ٠ وتبدأ حكايات الابداع ، بداياتها ، تشق طريقها بعناء وبجهد ، فمن عرق الطيون كانت هذه البدايات في معسكرات الداخل لتتطور الان مع الخشبة الصغيرة ، التي تستعمل بمثابة رباط لحبل الخيمة الممتد الى الوتد !٠٠

هذه الخشبة اكتشف الشباب أنها تصلح لصناعة « بز » سيجارة ٠ عدة العمل غير متوفرة ، لا بد من التفتيش على الوسائل ، وخير وسيلة متاحة زاوية الوتد نفسها المسننة أو أضلاعه اذا كان مسننا أو حجارة الصوان ، والعديد من الشباب ، استحوذت هذه الهواية على رغباتهم ، فبدأوا يمارسونها وبين عشية وضحاها تبخرت كل أخشاب الخيم وباتت موضع اهتمام الشباب واحترافهم ٠

في جانب اخر اكتشف بعض الشباب كثرة الاحجار الطرية والكلسية في المعسكر ، وبدأت معها حرفة الحفر بواسطة العدة المكتشفة الوتد والصوان وباتت الاحجار أو الاخشاب سلعا تباع بالسجائر التي تحولت بدورها الى عملة قابلة للتداول ، يباع بواسطتها الحجر والخشب من موجودات الطبيعة وموادها الاولية النادرة بالنسبة لنا ، والقابلة للتصنيع ٠

ان هذه الايادي المبدعة ، التي بدأت تنتج بوسائل بدائية ، عيون أصحابها على البوابة ، يترقبون الفرج بين اللحظة والاخرى لاستئناف حياتهم الطبيعية ، هي الايادي بل العقول نفسها ، التي عليها استنباط الافاق والوسائل السياسية اذا طالت فترة الاحتجاز أو امتدت زمنا غير متوقع ٠

أرقب وأراقب وأتطلع وأربط الامور ببعضها محللا مستدركا ، وشعوري اننا بصدد العودة للبدايات ، بدايات التطور الاجتماعي ، العودة للعصر الحجري وموعد الانسان الاول مع الصوان ٠

لكن هل نحن بدائيون ، لنبدأ من العصر الحجري ؟! سؤال يطرح نفسه ، ويحتاج لاجابات ! أو ليس المعسكر طريقا للتواجد الآني والعبور المستقبلي الى هذا العالم ؟! الذي تبدأ حدوده مع شريط المعسكر وتنتهي الى ما لا نهايات الخارج ٠ انه معسكر معزول عن هذا الخارج عزلا كليا مطلقا ، نافذته الوحيدة عليه المختار عبر « بن شحار » والجنود الحراس ووكالة أنباء المطبخ ٠

هل نشكو من مرض عضال قاتل فتاك ، حتى تم التحجير علينا ضمن

الاشياك ؟! وما هي طبيعة هذا المرض السياسي ، الذي انتابنا وجعلنا مصدر خطر على البيئة والمحيط ؟! ... على هذا ، العالم أجمع ، بحصرنا في دائرة صغيرة ضيقة من دوائره ، ولو قدر لها أن تأخذ حجما على خارطة لبنان ، لما استحوذت على موقع بقايا ذبابة !... فكيف اذا قسناها بخارطة العالم ؟!..

وهل في العالم أطرف من معسكر الكبريتة الواحدة ؟! التي باتت مع شاويش المطبخ لحراستها ! وقد تكون سلمت اليه عدا ونقدا ، عودا فعودا ، مثـــل كراتين الخبز ! ومعسكر قلم الرصاص الواحد ، الذي بحوزة المختار منذ زمن قريب . وهل من توافق وتآلف نفسي ومخابراتي بين البدايات الحجريـــــة والخشبية والصوانية للتطور ، وبين فرادة وطرافة معسكرنا ؟! هــل المطلوب تطبيق كل المزامير التي احتوتها لائحة المعسكر التي تتوج وسطه ، وكأنها من ألواح ما قبل التاريخ ، الى لائحة قيادة المعسكرات ، وفرائض الاحفاد والضباط الصغار ، منهم قبل الكبار ، والى ما هنالك ممن شاء أن يشرع أو يقنن أو ينظم حتى من المخاتير والشاويشية ؟! ما هو المطلوب من تطبيق كل ذلك سوى جعل أي واحد منا نسيا منسيا لذاته ولمجموعه ، لاعادة قولبته بعد شفائه من مرضه السياسي ، وليكون في يوم من الايام ذاتا أخرى يتفاعل مع وسط جماعة أخرى ، غير الذات والجماعة التي كنا نعهدها قبل الاعتقال . ان المطلوب فعـــلا ذات وجماعة تنسجم مع افرازات الاحتلال الصهيوني .

النصف الثاني من تموز في انصار
عيد الفطر وقدوم الصليب الاحمر الدولي .

تطل شاحنة التموين حاملة علف الشباب ، والجزر والملفوف زينة التموين؟! والضابط المختص ، يحمل توصيات « بزيادة » الحصة اكراما للعيد . اذن نحن أمام مزيد من الجزر والملفوف ! وفي عرفهم تشابه بيننا وبين الارانب والخنازير! ولما لا نكون أمام مزيد من السجائر مثلا ؟! سؤال يرد ؟! حصة التبغ مقدسة بعرفهم لا تقبل الزيادة ، ورد النص عليها في اللوائح !.. لكنها تقبل النقصان بالحرمان الجماعي والفردي مثل الفرائض الارثية ...

وفي التموين ثغرة مخابراتية ، مثل ثغرة اللوائح ، بتصورهم لنا أننا نحسن القراءة ! وكان عليهم أن يتعاملوا معنا كأميين ، ثغرة أخرى لها جانب حضاري وعليهم ، أيضا ، أن يتعاملوا معنا كبدائيين ، معجون أسنان ومعجون حلاقة لكل واحد منا ، للارانب والخنازير !...

آه ، ليس لدي فرشاة أسنان ، لقد هديتها في عتليت ، مثلما لا يوجد مع أحد منا شفرة حلاقة . أتلفت نحو عبدو اليمني وأقول له : معجون الاسنان لك ، أما معجون الحلاقة فسأتحمم به ، بدوري في برنامج التحميم !..

ومع توزيع السجائر ، افتقدت للصيداوي ، الذي ذهب بالامس الى بيته مع الاشبال ، والطويل بدأ يتهيب أكثر ! ويكبر أكثر ! لديه حصة ، لن يكون من نصيبي ، ولو نصفها كما حصل المرة الماضية ، لقد عاد الى طريقته السابقة في عتليت ، ليفعل ما يشاء ولن أكسر نفسي له !...

ويعطي حصته كاملة لبهاء ، وتبقى لي حصتي المنفردة أربع سجائر يوميا، ومع الامل بأن يدعمني المرض بواحدة مثل عماد الجار عند الحاجة ، وأتطلع نحو الكعور الآخر فيقذف لي سيجارة من خيمته .

آه من الاسر ، آه من الاعتقال آه من عثرات الزمن والدهر ، التوافه تصبح قضايا في ظروف كهذه ، لها علاقة بالوجدان والشعور والكرامة ، كما هو الشأن الان مع السيجارة . آه من غدر الزمن ومذلته !.. وأتواصل في لعن الساعة التي أوقعت فيها نفسي بالاسر ، وأحس أن غربتي الجديدة في هذا المعسكر مصدر اذلال اخر لي ، لكنني لست مخيرا في ذلك . وأعود فأذكر أبا ابراهيم والكعور وأبا حاتم ومجموعة القاووش الكبير والخيمة رقم ثلاثة والايام ، التي أمضيناها ، على بؤسها ، كانت مقبولة أكثر من وجودي في هذه الخيمة ...

مشاعر وجدانية ، تنتاب الانسان أحيانا ، وتبدو وكأنها سيل من المحاكمات الذاتية ، مشاعر وأحاسيس تبدو بمنتهى الرهافة بل الغرابة . انها تشكل حالة توحيد مع الذات ، غير أنها ضيقة الافاق ، مختلة الموازين . ومهمـــا فعل الانسان فلا يمكنه الابتعاد عنها الا بتأثير فعل جديد يشكل حالة جديدة !... ومن أين آتي بالحالة الجديدة !؟..

ليس في متناول يدي سوى الهرب نحو الالتحام أكثر بالمعسكر، نحو الانفصال عن الذات والتوحد مع الاخرين ، حتى مع بهاء غير المتوازن ، والطويــــل المشدود لعصبيته ، وسندباد « بسطلة » طبيخه، ومحمد اليمني ببلاهته، وعبدو وصبيانيته ، واستطرادا نحو خيمة صدقي وأبي علي واستطرادا أكثــــر نحو الخيمة ١٤ ، لاخذ اجازة اليها ولو لساعة أو ساعـــــات ، اجازة تشـــعرني بالاحساس بوجود ذاتي ، وقدرتي على الاستمرارية في مواصلة الامور وعرضها للاخرين !.. ببساطة انني بحاجة لاستئناف نسج العلاقات والتعبير عن الذات والتجانس الاكثر معهم ، انني بحاجة للذات الملتصقة والملتحمة بالمجموع !...

وأعيش فترة مخاض ذهني صعب وعسير ، كيف يمكن للانســـان أن يتحول من سحقه الذاتي الى شيء اخر ؟! وبمعنى اخر ، كيــف يمكن أن أتحول عن التوافه التي باتت قضايا ، الى القضايا الحقيقية ؟! الى مواضيع الساعة ؟ الى رقم نوعي ؟!

اسئلة تطرح نفسها بالحاح ، وتسعى بشكل حثيث نحو مجالات التعبير عن الاجابة !.. في زمن محدد ، بعتبة عيد الفطر والبدايات الاولى لمنتصف تموز ، وبالتحديد صبيحة الثامن عشر منه ، وتتزايد لدي أحاسيس أن حالي من حال الجميع في الدائرة المعزولة .

منذ الصباح ، وهذه الدائرة ، التي اسمها معسكر ثلاثة ، البقعة المجهولـة من هذا العالم الكبير ، في حالة سكون ووجوم كلي بعد العد ، وقد تم معالجة العديد ، ممن أصيبوا بالتشنج العضلي والاغماء. العلاج بات معروفا بالتدليك. الكل في خيمهم ،وهل منمكان اخر غير الخيم ،وشيء ايجابي واحدهو اعتدال المناخ في تموز الحار .

نظرة شاملة نحو المعسكر توحي بسيطرة حالة من الخمول والترقب ، وماذا نترقب ؟! هل من جديد غير المعاناة والعذاب ؟! حتى المختار صامت ، بالكاد يرتفع صوته ، ومنذ حين كان في الخيمة رقم ١٢ ، انـــه ليس بنائم ونظـــام الحمامات شغال ، بشكل تلقائي ، وها هوذا قابع في زاويتها .

المعسكر واجم ، تحسه لا حراك فيه ، والشباب في خيمهم ، مجموعـــات ، مجموعات يتحدثون همسا ، مع بعضهم البعض وبينهم من يمارس هواياتـــه الحرفية الجديدة ..

فجأة تتقدم سيارة مدنية في الطريق الترابية ويتكسر الصمت تحت وقـــع الاصوات العالية . الله أكبر !.. الله أكبر !.. الصليب الاحمر الدولي ..

تتوقف أمام بوابة المعسكر ، ويخرج منها مجموعة تطرز صدورها شارات الصليب ، رجال ونساء ، وتتبعهم سيارة ثانية ٠

يتقدم الحراس باتجاه البوابة ، مع طاقم الصليب ، ليفتحها أحدهم ويدخلوا الى ساحة المعسكر ، وتتعالى الصيحات مجددا : « الله أكبر ، الله أكبر !٠٠ عاش الصليب الاحمر الدولي !٠٠ عاش الصليب الاحمر الدولي !٠٠ » ويهرع جميع من في المعسكر الى الخيم الموازية للساحة وقوفا ٠

يا الهي عادت الروح للجميع ، تكسر الصمت فرحا ، من جديد ، ولاول مرة يتم خرق النظام بالخروج من الخيم الخلفية على صعيد المجموع ٠ بدون شك انها حالة لاشعورية ، حالة وجدانية نجمت عن الامل بعودة الروح ، عن الصمت الذي تحول من خمول ظاهر الى ترقب كامن في حس الجميع ٠

المفاجأة التي لم تكن متوقعة أذهلت الجميع ، صحيح أن صورة الصليب في الذهن ، الا أنها كانت مستبعدة بسبب استهتار الصهاينة كعادتهم بكل الحقوق والمؤسسات الدولية !٠٠

الايدي لم تكف عن التصفيق ، وأصوات تنطلق من أعماق الحناجر ، والايادي أخذت دورها أيضا في تبادل التحيات مع الطاقم ، بالاضافة للاعضاء الجسدية الاخرى القادرة على التعبير ، وساورنا شعور عام أن الملامح الانسانية بادية على وجه وحركات كل فرد من الطاقم ٠

وقف احدهم وتكلم بلغة عربية واضحة ، للجميع ، ما خلاصته ٠ ان الصليب الاحمر الدولي ، كمؤسسة انسانية ، بذل جهودا كبيرة ، حتى سمحت له قوات الاحتلال بالمقابلة ٠ وان الزيارة هذا اليوم ستكون سريعة بغرض التطمين والقيام بجولة مشابهة على المعسكرات الاخرى ، وبسبب ضيق الوقت ، وستكون هذه الزيارة فاتحة مرحلة جديدة موعد استئنافها بعد اسبوع كامل ، بحيث تكون قد مرت عطلة عيد الفطر ونهاية الاسبوع القادم ٠

استمرت الجلسة بضع دقائق معدودة والاحفاد على الشيك ينظرون بعين ، عدم الرضى ، لما حصل في المعسكر ، ليغادرنا الطاقم الى السيارتين وسط التصفيق الحاد من جديد ، وينتقلوا الى معسكر اربعة ، فالمعسكرات الاخرى ٠

وقبل اقلاع احدى السيارتين عاد احد مندوبي الصليب الى بوابة المعسكر حاملا رزمة من الرسائل لتعبئتها واقلام حبر ومسلما اياها للمختار ٠

احد الجنود ما زال مرابطا على الشيك ينظر بغضب ويطلب من المختار عودة كل واحد الى خيمته ٠

ومع بداية محاكمة ما حدث اليوم ، ومناقشته من الجميع ، فرادى ومجموعات ، كان المختار قد انجز توزيع الرسائل والاقلام على شاوشية الخيم ، وكنت اتأهب للبدء بكتابة الرسالة الاولى ، ومن حولي العديد الذين يطلبون تعبئة رسائلهم ٠

« هسع » برأيه ان القضية قد حلت ، والفرج قريب ، ننتظر اياما اخرى ،

لما بعـد العيد ، ليس بمهم ما دامت الامانات قد أصبحت باستلام الصليب ، مثلما ستصبح مفاتيح الابواب لتسلمـه أيضا ! وبهـاء لا يرى في المسـألة الا تسجيل شكر الصهاينة في الرسالة على اتاحة المجال لدور الصليب بنـاء لملاحظة المختار ، ولاجد نفسي متصديا لهذا الامر منبها الى عـدم ضرورة تضمين أية رسالة ، عبارة من هذا النوع .

واتساءل مع نفسي ، لمـا الرسائل اذا كان الفرج قريبا ؟ مجيء الصليب اليوم ، عطل مفعول كذبة « بن شحار » الكبرى ، والايجابية الوحيدة لقدومه وضعنا تحت اشراف ، وحماية مؤسسة دولية ، ربما يكون ذلك كفيلا بتخفيف عذابنا ومعرفة افق مصيرنا المجهول .

المعسكر عاد الى صمته ، تراجعت الاعمال الحرفية لصالح كتابة الرسائل الـى الاهل والاحبة ، ومن حق كل اسير ان يكتب رسالة واحدة فقط .

بيدي قلم حبر من جديد ، بعد قطيعة شهر ونيف ، آه لقد هجرني طويلا ، اطول مـدة في حياتي ، هجرني هجرا اجباريا ، وانا بشوق لتلقفه حتى ولو كان بتعبئة رسالة اسري . واسأل نفسي .. ما زلت اجيد الكتابة ؟ بعـد هذه القطيعة الطويلة ، التي طالما افتقدت فيها لقلم الحبر .

التم حولي الشمل ، وبدأت بصياغة الرسائل ، هذه رسالة ابي الفضل الى الشام ، يوصي بابنته الوحيدة ، وتلك رسالة « هسع » الى قريب زوجته التي يجهل اين القت بها رياح الحرب ، والقريب مهجر من العرقوب الى حـارة صيدا .. ورسالة محمد اليمني الى اليمن والطويل الى صور مثل «الصوري» ... و .. ورسالتي اخيرا الى احبتي واسرتي ، مكثفا فيها الشوق لهـم والوجل عليهم ولوائح التوصيات .. لتدبر الامور ، وفي الزاوية الاخرى ، بهاء يتلو رسالته لوالده ، يوصيه بامه ويطلب منه تهيئة العروس تحت طائلة بقائه في انصار ، وليتحرك المختار بعد حفلة الرسائل ، حفلة الالام ، لجمع الرسائل والاقلام ،والاحتفاظ بها في غرفة عملياته ، في المطبخ .

والاحفاد في الخارج يتابعون تمضية وقتهم ، وعصرية الاحد ، الذي ذكرنا به ، قدوم الصليب ، بعد ان باتت الايام كلها عندنا ذات وجه واحد ، انهـا تقضم اعصابنا بدورانها التلقائي غير العابيء بنا ، الاحفاد يتابعون تمضية الوقت بلعب الطاولـة ، ونشكر انشغالهم عنا وايجادهم وسيلة تسلية جديدة بديلة ، خاصة بعد نظرات الغضب التي قذفونا بها صباحا ... تنهي الرسائـل لتعود من جديد الى هموم الفرج والعيد والاستعداد لاستقباله في المعسكر بعد ان بات بحكم المؤكد ، مروره علينا .

الاستعدادات عمليا كانت على قدم وساق ، لا تتعدى الجانب النفسي . عيد ، نعم عيد ، لكن بصيغة كربلائية ، يغلب عليها الطابع المأساوي . ومع حفلة الرسائل ، وقدوم الصليب ، الذي نفس الفرحة السابقة وبخر الاحلام ، التي كانت تمني النفس باللقاء القريب مع الاهل ، وموعده العودة القادمة

بعد أكثر من أسبوع ، مع كل ذلـــك تحركت الهموم والشجون ، وتفجــرت العواطف نحو العائلات الملهوفة ، والصبية الذين في عيونهم حسرة .

عيد واي عيد ، لن نستطرد ونسترسل ونتحدث عن الموائد او الافــراح والحلوى والثياب ، لن نتمادى في التذكر والتذكير . المهم اننا على عتبـة عيد ، ومن مظاهره عندنا السماح بتأدية الصلاة في ساحة المعسكر ، والقــاء الخطبة التقليديــة .

وافكر جديا في القائها ، غير ان صاحبنا الشيخ محمد جاهزا ، وامـام الصلاة ، الشيخ عصفور ، بدوره موجود ... واحرص على أن تكون الخطبـة بمضمونها ذات طابع تعبوي ، من شأنه شد عزيمة النفوس المنهكة .

ومع صبيحة يوم الثلاثاء في ٢١ تمـوز كنا على موعد مع القادم الينا ضمن الاشياك . موجة الفرح بقرب الفرج تلاشت ، والحرية مذاقها بات بعيدا . لن يكون عد صباحي هذا اليوم ، ومنذ الفجر ، فرشت ساحـــــة المعسكـر بالحرامات وسمح فقط لاربعين شخصا بتأدية الصلاة في الساحة ، بينمـا اصطف الباقون في الخيـم المجاورة .

بعد ان اذن الشيخ عصفور وهلل وكبر ، بدأ بتأدية الصلاة ، والمعسكـر مطبق للصمت وقلوب الجميع خاشعة ، حتى اذا انتهى من مهمته قام الشيخ محمـد بـدوره لالقاء الخطبة .

على البوابة جندي صهيوني ، بدون عصا او سلاح ، وقف مستمعا صامتا بدوره ومتكئا على البوابة . امضى الفترة بكاملها مستكينا بدون حراك ، والشيخ محمد يسأل ويتساءل عن مبرر اعتقالنا وابعادنا عن أطفالنا وأسرنا ، ويستفسر بأسم أية شريعة سماوية جاز ذلك ! .

ومن قال بجواز حل مشكلة شعب لتخلق مشكلة لشعب آخر ، حتى اذا انهى سيل استفساراته ، انطلق ليطرح تساؤلات جديدة حول الصورة ، التي تغرسها الصهيونية في الاذهان عنا كبشر ، وسمحت لنفسها بمعاملتنا معاملة النازية لليهود ، . ... والجندي في مكانه مستكين ، الى البوابة ، كأنه قطعة منها ، بارحها بعد ان انتهى شيخنا من خطبته دون أن يعود ثانية ! . .

في المعسكر المقابل ، معسكر رقم واحد ، يرتفع أيضا صوت خطيب ، كلماته غير واضحة ، لكنها ذات طابع حماسي رصين ، ومن بعدها انطلقت التهليلات والتكبيرات ، مثلما عاد كل واحد منا الى خيمته لتناول الفطور الجاهز : شاى مع الجبنة !..

من أين للكثير منا أن يأكلوا ويعرفوا طعم الاكل . كل أسير لعائلته وأحبته حضور في الذهن ، وتحول المعسكر فجأة الى مناحة ، وباتت لقمة العديد منا مغمسة بالدمع الحزين ، ولي نصيبي منه ، لالملم ذاتي ، رغما عن ضيـق الصدر ، وأنقذ من هو بحاجة للانقاذ في الخيمة ، وأشد من عزيمته .

ويمر يومنا مميزا والصمت يتحكم في أجواء الجميع ، واسترخاء القسم الاكبر من المعسكر مستسلما للنوم منذ بدايات الصباح ، وليكون كل أسير في خلوة مع نفسه ! ٠٠ أما المختار ، فقد أخذت صيحاته أجازة هذا اليوم ، وله أيضا هموم ذاتية يتساوى مع غيره في بعده عن ذويه ٠

مع صبيحة اليوم التالي وبعد مناحة العيد ، كنا على موعد مع عودة الوتائر التقليدية ، نظام العدد ، نظام الحمامات ، نظام الوجبات الثلاث المتتالية لنسترخي أخيرا لنظام النوم ، مثل مواعيدنا مع عودة الحبلة والباصات التي تفرغ حمولتها اليومية في انصار والكابتن المترقب على الشيك وسيارة النفايات كل صباح ٠

وغاب الصليب لننتظر عودته المجددة وبدأت تعنينا الايام ، من جديد ، لغير حساب مواعيد التموين وتوزيع السجائر ، مثلما استأنف الشـــباب نشاطاتهم الحرفية ٠

جندي يقف الى الباب ويتحدث الى المختار مطولا ويؤشر بيديه ، وكلنا آذان صاغية ، نسترق السمع ، ليعود المختار ، ويقف في الساح طالبـا : رفع الحرامات من أرض الخيم والبدء بازالة البحص والحصى ، ويعلق احدنا ضاحكا : هذا بفضل الصليب الذي كان قدومه منافع لنا ٠ وتبدأ حفلة التعزيـل واستغل الفرصة لاقتلاع الاحجار وتسوية التربة ، بشكل مستقيم ، ينظر اخر ويقول ٠ الاستاذ يريد ان يتأخر عنا ويقيم ابد الدهر ٠٠ اما بهاء فهمه الدائم السيجارة ، عروسة شعره وامنية عمره ٠

ويعود الجندي ثانية ليتحدث مع المختار ٠ دائما انظمة ! دائما تنفيذ بدون اعتراض ٠٠ ويطلب مجددا وبسرعة اعادة الحرامات الى حالتها الطبيعية ووقف العمل ٠ عبدو اليمني الى جانبي يشاهد بوطي ويعجبه ، مثلما اعجبت ببوطه سابقا ويطلب المبادلـة ، افكر في امر المخدة وتتم اخيرا الصفقة ٠٠٠ ينتعله عبدو ويتمختر به في الخيمة مزهوا ليصرخ عليه المختار : اقعد محلك٠ ومن ايـن لـه ان يقعد ؟٠٠ الصفقة بتقديره كانت رابحة لحسابه ؟ وينظر ابو الفضل السوري الى بوطي الجديد فيعجب به ، ويرجوني التزين به يوم الافراج وأتندر قائلا : أنا جاهز للذهاب حاف الى البيت مثلما تنقلت بعد الشيرفة ٠

عادت الامور الى طبيعتها في الخيـم ، واستدعي المختار وعلى عجـل اثنين اثنين من كل خيمة ، لتعزيل الساحة ، حتى اذا اكتملت العملية انتقل لتعزيل الممـر الداخلي بين الخيـم ، كانت فرصتي فعلا بالحركة والحديث الـى المعارف في الخيـم المجاورة ، مثلما كانت فرصة الكثيرين لتجميع اعقاب السجائر وفرصة عبدو للتنقل بالبوط الجديد ، بعيدا عن صيحات المختار ٠

توالت الايام وطال الانتظار وطالت عودة الصليـب ، مثلما طالت حبلة المختار الكثيرين ، وكثرت مع الايام المحددة سلفا الاحلام والامال المعلقة على عودته ابسطها معرفة اخبار الخارج ويوم تاريخ اطلاق سراحنا ٠

بعد العد الصباحي مباشرة سيارة بيك اب عسكرية تتوقف امام المعسكر ، ويخرج جندي ، منها مقاعد وطاولات ، مثلما يستدعي الحارس المختار لادخالها ...

خيمتنا الرقم ستة ، تنقل امتعتها الى الخيمة المجاورة ، لتوضع المقاعد والطاولات ، وتحضر كغرفة عمليات للصليب وسط تأهب الجميع واستعداداتهم النفسية لاستقباله ، والمختار يختار من بين الاسرى طاقم عمل مساعد ويستدعيه الى خيمة العمليات ، لنأخذ مواقعنا فيها بعد ان كنت واحدا منه .

وبعد قليل اطلت من الزاوية الشرقية الشمالية للمعسكر سيارة تحمل شارات الصليب وتوقفت امام البوابة ودخل طاقم العمل الى الخيمة بعد ان تحركت الايدي ملوحة بالتحية وسط فرح الجميع .

ولاول مرة منذ مدة ايضا ، وبعد انقطاع ، اتحدث لاشخاص مدنيين يرتدون ثيابا مدنية ويمتلكون كامل حريتهم ، مع شوقي وشغفي للحديث ، نحي بعضنا ونتصافح . ونجلس امام بشر يحملون مشاعر انسانية نحونا ، كما نتصور ، او ينظرون الينا كبشر مثلهم وليس كارانب وخنازير ، ان لم نقل قتلة او سفلة او قطاع طرق . نجلس ، ويفتح كل واحد منهم محفظته ليخرج منها استمارات وبطاقات واقلام حبر ناشفة ، مثلما يتناول من كيس بجانبه عدة « كروزات » من التبغ الاجنبي مارلبورو ، ونستون ، كنت ..

يقدم لكل وأحد منا قلم ، وتشعل من أساعدها لي السيكارة الاولى ، سيكارة ونستون ، وابدأ بالتدخين وانا على عجلة من امري ، لمعرفة اخبار الخارج ، مثلما نبدأ بالدردشة ، بعد ان تعارفنا بالفرنسية وتقطع الطريق على أسئلتي الملحة ، بانها لا تدري شيئا ومحذر عليها الحديث معنا في القضايا الاخبارية والسياسية . اتطلع نحو صدقي المساعد ، لزميل اخر لها ، واخبره ان صاحبتنا « مسكرة » لا تريد ان تتكلم شيئا ، فيخبرني بدوره ، ان هذه هي الحال مع زميلها وكافة الباقين من الطاقم ، ويطلب مني المتابعة مع من اساعدها سيما وانني الوحيد على الطاولة ، الذي يتكلم الفرنسية وقد تسقط مخاوفها لاحقا ، باعتبار كل المساعدين ، يتكلمون الانكليزية .

بهاء احد المساعدين وقد بدأ يشعل السيكارة من الاخرى ، لا شك ان لديه فرصة ذهبية للتدخين مثلي . ونتوزع فيما بيننا الخيم ، كل واحد يأخذ منا ، صفا ، ونبدأ بالعمل بعد اطلاعنا على مختلف الاستمارات والنماذج .

الاولى استمارة بالحالة الشخصية لكل اسير ، والثانية استمارة برقية سريعة لذويه من اجل التطمين ، والثالثة بطاقة الاسر . ونبدأ نحن الاربعة بانجاز استماراتنا .. في يدي قلم حبر وبين شفتي سيكارة « مفتلرة » واجلس الى الطاولة من جديد والى جانبي انثى .. لكن في المعتقل ... ارتدي ثياب الاسر الزرقاء وانتعل البوط .

أمسك القلم لاملأ برقية التبليغ للاسرة التي تتضمن الاسم والعنوان والتوقيع بخط يدي ، مثلما تملأ مندوبة الصليب بطاقة الاسر التي حملت الرقم ٢٠٣٨٥ ويساورني شعور بالراحة الممزوجة بالالم لدى رؤية احبتي للبرقية ، سيختلط دمع الفرح مع الحزن وتسقط المخاوف والشكوك لدى رؤية التوقيع ، ويعود لهم الامل بعودتي يوما الى البيت لانني ما زلت حيا ..

اتابع بعد ذلك ، العمل ابتدأ من الخيمة رقم واحد وبالوافد الاول : ابو علي . ويسترخي صاحبنا بعد ان قدمت له سيكارة في عرض حالته الشخصية منتهزا فرصة التدخين ليشعل سيكارة ، مع كل حرب من الحروب العربية الاسرائيلية وحكايته مع الاسر المتعدد بتعدد الحروب ومع الحديث عن كل زوجة من زوجاته .. حتى اذا انتهى الح في المزيد ، لاناوله علبة فيها ثلاث سجائر . وتتحرك ماكينة العمل من الخيمة رقم واحد الى الخيم الاخرى ، هاجس الغالبية العظمى السيكارة المفلترة ، يدخنها احدهم وهو في حالة استعراض لاوضاعه العائلية المأساوية على تنوع هذه الاوضاع .

الكعور الاخر والدركي وابو السرحان وابو هيثم ومجاهد وعلي السوري ، مروا علي مثلما مر الخنتريش وابو العبد المجنون وشيخنا محمد والعصفور وسامي ، بعد ان ركب في رجله طرفه الملازم له في جانب الخيمة .

ومن حين لاخر أعاود الكرة ، بالرجوع للوضع السياسي في الخارج وقضية الانسحابات ومكان وجود الصهاينة ، وتذهب كل محاولاتي سدى ، مع اصرارها على رفض الحديث في السياسة !.. ومع مزيد من التعرف عليها من خلال الدردشة واقامتها في استراحة صور السياحية ، وتعرفها علي ، أجد نفسي مستفسرا عن بعض الاصدقاء العاملين في الاستراحة ، ومع الصليب ، فتخبرني ضاحكة عن معرفتها بهم ، لأكلفها بصورة شخصية ، ابلاغهم عن مقابلتي لها ليعرّفوا بدورهم أسرتي ، تعدني بذلك ، مثلما تعدني بزيارة العائلة بعد أن حددت لها المنزل ...

وخلال ساعات ، كانت المهمة منجزة والاستمارات معبأة ومع خروج الصليب ، علامات استفهام عريضة تطرح نفسها ، ما هو مصيرنا ؟! ما حقيقة الوضع في الخارج ؟! بعد أن عجزت عن تلقي أية معلومات من مندوبة الصليب.

الطاقم ، في النهاية ، جمع أوراقه وسجائره المتبقية وحتى أقلام الحبر ، وتسلم الرسائل المكتوبة سابقا الى ذوينا ، مثلما بدأنا نجمع علامات الاستفهام والتساؤلات .

عدت الى خيمتي ، مستغلا الفرصة لترتيب مكان نومي ، باقتلاع المزيد من الحصى وتسوية التربة ، ومبادلة ما خبأته في جيبي من سجائر معدودة من « الكانت » بسجائر « السيلون » لتغطية بعض العجز الدائم في ميزانية التدخين حتى اذا اكتملت عملية ترتيب مكان النوم ، انتقلت مباشرة للاسهام في الاحاديث الدائرة حول زيارة الصليب وبرنامج عمل اليوم ، والتحدث الى صدقي ، ناقلا

تفاصيل ما حصل معي في الجلسة ، ولمعرفة تفاصيل ما حصل معه ومع باقي المساعدين ، والمختار بدوره عاد لضبط الوضع في المعسكر بفرض الانظمة والمزامير بما في ذلك نظام الحمامات والبدء بنظام الغسيل ثلاثة ثلاثة من كل خيمة ابتداء من الخيمة رقم واحد ، وها هي صيحاته عادت مجددا من انتهاء اجازتها ، وأخذ صوته يتردد في جوانب المعسكر ٠

مرحلة تسلط المختار والانتفاضة ضده :

ها قد مر على وجودنا في انصار ، أسبوعان ، وبدأنا نجتاز الثالث ، وفي أواسط أيامه نستقبل شهر آب ، بدون أن يتضح مصيرنا ، بل الواضح حتى الان ، لا عودة للبيت ، كما توقعنا وضللنا الوهم الكاذب في عتليت ، والعيد الذي كنا نترقبه مر بدوره أيضا ، وتجلى بمناحة ، مثلما مرت أكذوبة « بن شحار » . ومع قدوم الصليب ، تبخرت الاماني والاحلام برفقة الاكاذيب والاوهام المضللة ، وبتنا من جديد نواجه مصيرا مجهولا وقاتما .

الصليب الاحمر لا يتحدث عن انسحابات ، وأي سؤال من هذا النوع يقابله باستهجان ! هل ما زال الوضع ، خارجا ، متفجرا ؟! هل تورط الصهاينة بدخولهم لبنان ؟ ووقعوا في مطب الرمال المتحركة ؟!..

تقييم الاوضاع لا يدعو للارتياح . وليس هناك ما يبشر بفرج قريب ، والمحصّلة اعداد أنفسنا لمرحلة بقاء قد تطول !..

لكن ما أعد حتى الان ، من خيم صيفية وأشكال حمامات تنبىء عن اقامة مؤقتة ، وقد تكون في محطة الانتقال الى البيت ، لان العودة الى فلسطين المحتلة غير واردة ، عمليا ، بعد قدوم لجنة الصليب الاحمر ، وعملا باتفاقية جنيف ، وبدلالة الاعداد الضخمة المنقولة يوميا من المعتقلين الى انصار .

سيارات الصليب الاحمر ، بدأت تتردد يوميا الى المعسكرات ، ومشهدها لم يعد يستحوذ على الاهتمام الكافي ، فهو لم ولن يأتنا بأي جديد ، وسيكون في أحسن حالاته ساعي بريد سيء . حتى الان تلقى رسالة من كل معتقل ، بعد ان نامت أسبوعا كاملا في المطبخ ، ولن يأتي الجواب الا بعد فترة طويلة قياسا على ما حصل .

أوضاعنا العائلية والاجتماعية في الخارج ستزداد سوءا ، مثلما سيزداد حجم النكبات والكوارث والقضايا ، وسيتعقد بعضها ليستعصي حلها مستقبلا . أطفال لهم مواعيد مع الجوع ، ونسوة كراماتهن في طريق الابتذال ، وعائلات بكاملها تلفها الفواجع !.. وأطفالي الذين هم على عتبة صيف ، لقد عادوا الى المنزل من الدير ، الصغار منهم بشكل خاص ، وفجعوا بفقدي وقد اعتدت أن أكون الاب والام لهم ...! كيف سيتدبرون أمرهم ؟ ليس في اليد حيلة ، لقد وقعت الكارثة !...

مختار معسكرنا حدد اختياره من جديد ، وعادت «حليمة لعادتها القديمة» انه يزهو بحزامه المصنوع من فراغات « السيلون » ويطرز وسطه ، مثلما يتمختر بحبلته ، وكأنه أمبراطور زمانه ، لا بل أحد ماريشالات انصار ، أوليست الحبلة هي العصا ، والزنار هو التاج ؟ وعلى البوابة اصطف العديد من المعاقبين لمخالفتهم الانظمة المحددة من ضباط العصر الاخير .

أحد الضباط يقف على البوابة لاستعراض المشهد بازدراء ، ويتمشى عــلى طول الشريط بحثا عن فريسة جديدة ، والجميع يتابعون النظر اليــه حتى لا يصاب أحد منا بمكروه ، أو يترك له ذريعة حتى ذريعة «تشوف كابتن» ونتذكر من جديد الحادثة الطريفة عندما نظر أحدنا لكابتن فرد عليـــه بكل بذاءات العربية والثقافة اللوطية ٠٠٠ ونتحدث همسا ونضحك بمرارة ، وأعلق هازئا٠ صاحبنا ورفيقنا ارتكب جرما فريدا من نوعه ورد النص عليه في « نظم الاحفاد لانصار » وهل يجوز لنا أن ننظر لكابتن ؟ انه من بقايا عاد وثمود ومن أحفاد موسى وداود ، انه من ورثة هتلر وموسوليني ، فوق مصاف البشر وقد تطلـع اليه أحد من حثالاتها فاستحق القول : « وله ٠٠٠ انت تشوف كابتن يا ٠٠! »

منذ أيام ونحن نراقب قدوم شاحنات نقل ضخمة تأتي محملة الى انصار ، وتساورنا المخاوف من رؤيتها من بعيد ، وتكثر مع قدومها يوميا التســاؤلات وأخيرا تتقدم احداهن باتجاهنا لتفرغ حمولتها أمام بوابتنا وتتحرك بعدهـــا جنوبا ٠ انها محارس خشبية للحراس تنتصب الى جانب الخيم ٠

ومنذ الصباح ، مدني بلباسه الواضح وسيارته اللبنانية التي تجر وراءهـــا مكنة لحام كهربائية تقوم على تركيب « أشلاف » لاعمدة الساتر الترابي ٠ في البداية تصورناه عميلا من جماعة الشريط ، وهو يقترب منا شيئا فشيئا ، حتى اذا بات على مسافات غير بعيدة من الخيمة رقم واحد ، تعرف عليه رشيـــد هونين ، وصاح : « ولك هذا ابن خالتي ! مالوش علاقة مع أحد » وجلس كالقط الذي يريد أن يصطاد فأرا وينتظر بفارغ الصبر ، مزيدا من اقترابه ، للتحدث اليه حتى اذا بات بموازاة الخيمة ، ناداه وهو جالس باسمه قائلا :

ـ « أحمد ، أنظر الي ، أنا ابن خالتك رشيد ! » ليجيبه :

ـ « لا ممنوع أن أتكلم معكم ، نبهوني سلف ، وبيضموني الكم » ، آجابـه وهو يتابع عمله وبدون أن يحرك ناظريه ٠٠

ـ « أحمد شو بيقولوا عنا بره »

ـ « ما حدا بيجيب سيرتكم ، نسيوكم » ٠٠

ـ ولك كيف معقول !ما حدا بيطالب فينا ؟ ومتى نروح للبيــت ؟

ـ ليش مش معقول ٠٠ مــا في حــدا٠٠

لم نعد نتمالك مضمــون الحوار وقامت الصرخة على رشيد وتدخلـــت بصــوت عــال :

« اسألــه عن الانسحابــات » ٠٠٠

ـ احمد ، اسمعني ، انسحبــت اسرائيــل ؟٠٠

ـ لا لــم تنسحــب بعدهــا ٠

ـ ايــن هــي الان ؟

ـ على دوار السفارة الكويتية وفي محور كلية العلوم ٠٠ في بيروت ٠ مــا تحكي معي ، بتخرب لــي بيتــي ٠



٣١ ـ انصار المدينة المجهولة عن العالم !...

ـ طيب سلم على امــي وقلها شفــت رشيد .
ـ حاضــر .

وتصدر الاحكام الفورية بحقه منا جميعا ، كذاب ، عميل ...، والمخابرات علموه هــذا الكلام ...

في الجانب الشرقي ، سيارة سيترن « تشفط » مياه الحمامات ، ومع قدومها أستحدث نظام جديد ، اضيف الى عشرات الانظمة كما استحدث منصــب جديد ، منصب شاويش الحمامات وعهد بالمهمة الى احدنا بفرمان من سلطان المعسكر . امــا الضباط ، فقد بات منهم كابتن جديد هو « كابتن حمام » مثل كابتن تموين وكابتن صغير وكابتن كبير والى مــا لا نهاية من التسميات اما الشباب فقد بات الكابتن حمام يعرف عندهم وتطلق عليه عبارة بذيئة .

وزاد من الطين بلة ان تقدم كابتن صغير لاستعراض المعاقبين في ساحــة المعسكر فلم يرق لــه نظام « اقعد على طيزك » بعد جلد المعاقب من قبــل السلطان ، فاستحدث عقابا جديدا ، فتــح البوابة ، واستدعى احد المعاقبــين الى الخارج واختار لــه حجرا متوسط الحجم ، طلب منه حمله والدخول بــه الى المعسكر وتطبيق العقوبة بحقه ، واقفا رافع اليدين الى الاعلى وبين كفيه الحجر المذكــور .

فعلا ابداع ، فعلا خلق .. فعلا تفنن في تطبيق العقاب ، وقابله الشباب بابداع اخر ، اضافوا الى لائحة تسمية الضباط عبارة جديدة واطلقوا اســم « الكابتن حجــر » .

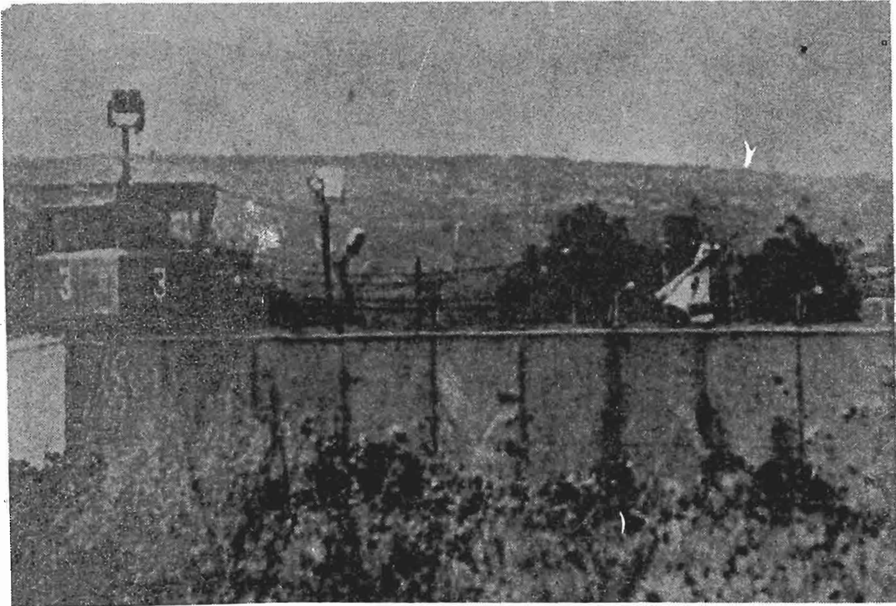
الجرافة في الجهة الجنوبية لم يعد لها صوت ، قد تكون انهت مهمتها واكتمل العمل بالمعسكرات « المشيكة » ، وصوتها بات يأتينا من جهة اخرى ، من الشمال ، ماذا يفعلون ؟ الصوت يكون واضحا عند الصباح ، ولا احد بمقدوره مشاهدة ما يجري على الارض ، الساتر الترابي يحجب الرؤية ، والوقوف غير مسموح به الا لحظة الذهاب الى الحمام او الانتقال من مكان لاخر ، ضمن الخيمة الواحدة ، والمجنزرات التي لم تنفك عن الدوران حول المعسكرات ليلا نهارا تم استبدالها ، حضرت ملالات من نوع اخر لها دواليب ، كاوتشوك ، والشباب اسموها « حصان بليس » وتكتمل الصورة بصيحات سلطان زماننا بحزامه وحبلته وزناره وعلبة تبغه الدائمة في جيب قميصه ، وبمعاقبة مخالفي انظمة الاحفاد فعلا انه احد اباطرة انصار ..

وتتزين الصورة اكثر ، مجموعة بزي الجنود الصغار ، ايديهم مغلفة بالاكف ، ومن اشكالهم يتبين انهم اما مساجين او يهود شرقيين . مجموعة تتحرك سيرا على الاقدام وتتبعهم شاحنة عسكرية ، تفرغ ربطات جديدة من الشريط الشائك ليقوموا بلفها ونشرها فوق بعضها عدة طبقات ، بمثابة « شيك » خارجي ، حتى اذا اكملوا مهمتهم عادوا لتسييجها باعمدةواشرطة اخرى وتركيب بوابة خارجية ثانية للمعسكر .

احد الاسرى ، في غفلة من المختار وبعيدا عن عينيه يحاور احد الجنود . الذي قذف له سيكارة .

ـ كابتن نحن « شو مصيرنا » ليجيبه :

اسرائيل بتسلمكم لحداد بعد الانسحاب .



٣٤ ـ مزيد من الابراج !...

البؤس ، بغيومه الكثيفة ، عاد من جديد يلف الاجواء النفسية للجميع ، واية خبرية تنتشر بسرعة البرق ، وتنتقل من خيمة لاخرى ، ومن شخص لاخر ، حتى خبرية قريب رشيد « والكابتن شريط » والاعمال الجارية حول المعسكرات ، والشباب باتوا كلهم عيونا واذانا تراقب وتتنصت وتنقل وتحلل ، وليس في متناول ايدينا سوى صغائر الامور للحكم على كبائرها ، والصليب لم يعد لمنظره وقع في النفس ، يوميا نرى سيارته ولا يلتفت احد الى معسكرنا ، العدد الكثيف القادم وجرد كل المعتقلين عمل يستهلك كل وقته . وماذا سيأتي به الصليب الينا ؟ اخبار ؟ من قال ذلك حتى الان لم نتلق ردا على رسائلنا المرسلة ، و « بن شحار » حاكم انصار ، بل اله اباطرتها ، ماذا يرتجى منه ؟ وهل بمقدور الانسان ان يرتجى خيرا من عدوه ؟ لا بـل من المنفذ المباشر لسياسة العـدو ؟

ويتحول حس الاسير اكثر نحو الرهافة ، مهما اشتدت اعصابه ، وتبقـى نقاط ضعفـه كامنة في اعماقـه ، تحرك المشاعر والعواطف ، التي عليه ان يغالبها ، حتى لا يتحول لقمة سائغة في يد المخابرات . فكيف اذا كانـت هذه الرهافة شاملة حس الجميع ، الذين غلب عليهم . وغالبهم البؤس وقد باتوا يستحقون الشفقـة ..

ونتحدث عن الشفقة . وما هو المطلوب ؟ وشفقة من نستدر ؟ الصليب معاذ اللـه .. احد المندوبين قال : بانهم مرتهنون للعدو مثلنا ، لانه قادر علـى طردهم في اية لحظة .. شفقة من نستدر .. ونحن في وضع مجهول ومصير مجهول . شفقة الصهاينة ؟ وهل تحدث الينا احد منهم حتى الان غير حديث الارانب والخنازير ، اذا لم يكن حديث القتلة وقطاع الطرق ، وحتى الـذي حدثناه « الكابتن شريط » ماذا قال ؟ يريد تسليمنا للعميل سعد حداد . يوميا سيارات مدنية تمر علينا ، يأخذوا لنا صورا لبؤسنا ، للمعاقين منـا الجالسين ارضا وفق مزمار « اقعد على طيزك » وفي موكب المذلة الجماعي عنـد الصباح .. وصورة مميزة لنبتة الفاصوليا التي غرسها محمود الواحد وانتفضت براعمها من تحت التربة واورقت مخضرة .

حقيقة ان معركتنا هي مع انظمة الذل العربية ، انظمة العار ، مصـدر بؤسنا الدائم بما في ذلـك بؤسنا الحالي . اذ لولاها لما كنا بين ايدي الصهاينة اذلاء يستكثر علينا « شوفة » كابتن ، ويجر احدنا مؤنبا . لا والف لا لحالة البؤس ! سنسقط المذلة ، سنسقط العار ..

ولمـا وسواس الشفقة الان الذي افرزه البؤس ؟.. ولما العديد مـــن التساؤلات ؟ انها غير مشروعة اصلا ، ابدا واطلاقا ، مرفوضة من الاساس ، من دوافعها وبواعثها ، لان الجواب الشافي هو في تقييم طبيعة اليهـــود كيهود . انهم مشهورون بالخبث والباطنية ، فكيف اذا كانت الورطة مـــع صفوة الصهاينة ، مع مخابراتهم الذين تمرسوا بالمكر والدهاء .



٣٣ ـ معتقلون جدد في انتظار الحاقهم بانصار

بالامس قالوا في صور « سلم تسلم » واستسلمت المدينة بعد حالة من الاعياء ، امام ثقل وكثافة النيران ، فكانت الاعتقالات وكان التدمير اللاحق . هذا وعدهم وعهدهم .. وحصل شبيهه ايضا في صيدا وفي كل مكان . انهم قوم ، الخديعة عندهم مزمار ، والقانون غش واحتيال ، حتى اذا تسلطوا كما هو حاصل الان بانوا على حقيقتهم في انصار عبر « نظم وشرائع انصار ». اوليس دليل خبثهم ؟ هذا العمل البطيء في تركيب مدينة الشرطان ، خيمة خيمة وربطة ربطة وبرجا برجا وعامودا عامودا ، ليستهلك عملهم ببطء ، الاعصاب القوية ويستنزفها بفعله مهما كان صغيرا ، انه قمة الخبث اليهودي النابع من معتقداتهم بل ومن صلبها ..

اولسنا نعامل من قبل مخابرات ؟ مهمتها ، بدورها صعبة وشاقة ، تمتد الى ابعد من اعتقالنا ابعد من وضعنا ضمن الشرطان ، ولان وضعنا بهذا الشكل ، له غايات اخرى تتعدى نطاق حجز الحرية . ان تصرفات المخابرات البطيئة والطويلة الامد ، في معسكرات معزولة كليا عن العالم الخارجي ، تهدف بعد تآكل الاعصاب اجراء التغييرات الجذرية في نفس كل منا ، بفعل التحولات النفسية الشاملة حتى للمعتقدات السياسية . نحن اذن امام عملية غسل دماغ شامل ، وبطيء ايضا ، والصليب ضالع في هذه اللعبة بصفته الشيطان الاخرس الساكت عن الحق ، ومساهم في اللعبة السياسية التي تصب في النهاية بطاحونة مشروع فيليب حبيب واسياده ، والذي قدم لاجل التنفيذ ونحن جزء من المخطط المرسوم .

حتى تصرفات المختار التي بات اسيرها ، متناسيا اسره ، حتى هذه التصرفات ، تهدف الى تحقيق المشروع الصهيوني المطلوب ان تصب في خانة التحول المطلوب ، خانة غسل الدماغ . وهو الان في الساحة يشرف على نظام الحمامات وبين يديه ضحية من بلاد البنغال اعتقلها الصهاينة على حساب قضية العرب المركزية .. ليلقى عذابه وجلده على يد عربي واحتقاره حتى من عربي ، بصفته « بنغلادش » .

رفيقنا المسكين خالف بند الركض في « مزمار » الحمامات . لم يذهب مثل سواه راكضا . صاح به المختار « بنغلادش أركض » . توقف في ساحة المعسكر معربا عن عدم فهمه .. ليصرخ عليه من جديد « حيوان بنغلادش اركض ... » يستمر في مكانه ويبدو عليه عدم فهم ما قاله له . ويهتز العرش ويغتاظ الجلاد ، وينهال عليه ضربا بحبلة الماريشالية ، لينزل به في النهاية عقابا على طريقة « الكابتن حجر » بالوقوف رافع اليدين متأبطا الحجر .. ويأمره بذلك . يجلس رفيقنا ارضا ، وفق نظام « اقعد على طيزك » يزداد غيض الحاكم بامرنا اكثر ، وحبلته بعصبية تنهال على رفيقنا المسكين ضربا ، وتترافق مع قذفه بالنعوت والاوصاف الحيوانية بالاضافة للنعت الصهيوني الجديد « بنغلادش » .. ويستمر في طلبه منه تنفيذ الاوامر وفقا لنظام « كابتن حجر » دون ان يفهم المغلوب على امره ما يريده منه .. واذ به يصيح « انا مختار نو عربي ! انا مختار نو عربي » .

ومع ازدياد غيض المختار الذي عبر عنه بحبلته ومسباته ، كان يزداد بشكل معاكس غيض المعسكر ويحتقن الغضب في نفوس الجميع . وما أن انفجر غيض المعسكر وغضبه وارتفعت صرخة جماعية « بس ... كفى ... » انفجر غيظ المعسكر وغضبه وارتفعت صرخة جماعية « بس .. كفى » ..

يتوقف المختار عن الضرب ، ليلتفت باتجاه الخيم ، ويتفرغ لمعاقبة من اطلقوا الصيحة ، بعد تعرفه عليهم ، واذا به يجد كل الخيم واقفة متوثبة متحفزة لانقاذ البنغلادشي ، الذي خالف « بند امر الركض في نظام الحمامات » ، احد انظمة العهد الصهيوني الجديد . ينظر المختار للجميع ويصرخ قائلا : « من الحيوان الذي قال كلمة بس وكفى ؟ » ليجاب بصوت جماعي « أنا ... » ادرك الحرس وجود مشكلة في المعسكر ، وتدافعوا بأسلحتهم ، باتجاه البوابة مذعورين ومستفسرين ، عما حصل في المعسكر .

وتقدم المختار باتجاههم ، والبنغلادشي ما زال مرميا ارضا يئن من لسعات الحبلة ، وجميع من في المعسكر واقفا ، متوثبا ومترقبا ، ويعرض لهم المختار الواقعة ، واقعة عدم فهم البنغلادشي لعباراته ، حتى اذا سأل احدهم مستفسرا عن الذي صرخ في المعسكر .. صمت المختار مثل صمت الجميع . اصر الجندي على معرفة المعترض على « النظام » معقبا بالعربية بلكنة عبرية :

« انتوا ما تعرفوا انو الله في السماء والكابتن على الارض والمختار فـــي المعسكــر » ..

حقيقة كان المعسكر في حالة انتفاضة ، عبر عنها الجميع بصرختهم ، صرخة في وجه الظلم والتصرفات المريبة وما اصطلح على تسميته زورا « بانظمة »، هي في حقيقتها ، تسلط واستبداد ومهانة وقتل وتدمير لكل القيم الانسانية في الذات البشرية . وسلامة هذه الانتفاضة تبقى بالحرص عليها فـــي اطـــار المسؤولية الجماعية بعيدا عن البطولات الفردية ، مع التقدير لاهمية الاخيرة في مثل هذه الحالات ، وكانت فعلا المسؤولية الجماعية ، حرمان من التدخين لمــدة ايام اربعة .. حرمــان المعسكر بكاملــه .

و « البومة » ، بدورها ، عادت من جديد لاستئناف نشاطها ، انها في حـل وترحال دائم ، وحركة متواصلة حول المعسكرات ، ما أن تفرغ حمولتها ، حتى تعود من جديد ، وفي صندوقها دائما حمولة من الاسرى «بالطقس»المخابراتي. الكلبشة والعصبة ، منشفة الاسير ذاته ، لقد عادت « حليمة لعادتها القديمة ». وما أن يقابل المختار كابتننا ، حتى بات لقلمه دور ، تسجيل الارقام المطلوبة والمناداة صارخا بأعلى صوته : « اسمعوا الكل » ... ويستمع الجميع ويسود الصمت وينقطع حبل أي حديث جانبي ، وتمتد اليد الى المنشفة لتحضيرها استعدادا للتعصيب ، أيدي الجميع . ويتابـــع : « أصحاب الارقام التاليـــة الى البوابة ... مع المناشف » . ويلتحق المطلوبون في موكب العذاب الـــى جورة « الشمبت « الجديدة شرقي المعسكرات ، وليعود صاحب الرقم التعيــس في اليوم ذاته أو بعد أيام ، ويكون قد أمضى زيارة طويلة للجــورة ، في غالب الاحيان لا يجري مع الكثيرين أي تحقيق بل يبقى أحدهم معصبا مكلبشا ومرميا أرضا ينتظر رحمة المخابرات !.. هذا اذا لم يجر نقله لداخل فلسطين المحتلة.

تمر محنة الايام الاربعة بالتتابع ، وفي اليوم الاول باتت السيـــكارة نادرة الوجود ، حتى اذا اقترب المساء باتت في حالة الانقطاع التام .

الصهاينة بخبثهم ، كل صباح على البوابة ، لتزويد المختار والمطبخ والطاقم الطبي سجائرهم المحددة ، علبة يوميا لكل واحد ، وتعليمات المختار صارمة لجميع أصحاب الحظ السعيد والطبقة الجديدة المستفيدة من الاسر ، وهي عدم اعطاء أية سيجارة لاي كان ، ان المطلوب تكسير رؤوس الجميع « وتربيـــة » المعسكر وفق تعبيره ، لا بل الاحرى ترويضه للمزيد من اخضاعه لسلطتـــــه وسلطة أسياده !..

العديد من أصحاب الطبقة الجديدة ، التي بدأت تتكون في انصار ، خجلوا من أنفسهم وحرصوا على عدم اظهار ، بل وتدخين سجائرهم أمام الجميـــع ، بينما السلطان الاكبر سلطان زماننا الحديث،كان في موقف المتباهي بسيجارته، انها بين شفتيه موضوعة الى « بز » من صنع انصار ، شعوره أن ذلك من حقه، أوليست لديه الاحاسيس بأنه سيد القوم وهم عبيده وحبلته تهدد الجميع حتى

من لم يتذوق طعمها حتى الان !٠٠٠

طبقة جديدة بدأت تتشكل ، نعم طبقة ، لها امتيازاتها وصلاحياتها امتيازات تمتد من السيجارة الى كباية الشاي فالاكل الذي يمتـــاز عن الاخرين بعـــدم الاحساس الدائم بالجوع ! حتى شاويش الحمامات عنده ، صلاحيـــات ، وفق النظم المطبقة ، بامكانه أن يمنع عنك الماء ، بامكانه أن يحيلك الى المختـــار لتلقي نصيبك ، اصطلح على التسمية بشلة المطبخ ، والحقيقة أن الامور تتعدى الشلة الى تسمية الطبقة ، صاحبة الامتيازات ، بما في ذلك التحرك من مكان لاخر وفي أية لحظة ، والحديث مع أي كان في المعسكر ٠ ومع تواصـــل الظلم يتفشى الحديث وينتشر عن تواصل فضائح المطبخ والطبقة الجديدة ٠ وأعـــود للتساؤل مجددا : من أين أتى الينا هذا المختار السيء ؟ أفلا يوجد من يؤثر عليه أو ينبهه الى خطورة تصرفاته ؟! ومن يمون عليـــه ؟! ومثلمـــا أعود للسؤال ، أعود لألقى نفس الجواب : لا أحد ٠٠٠!

حقيقة الصهاينة يريدون تعميق التناقض بيننا ، دفعنا في متاهات مشـــاكل داخلية مبنية على الحقد ، أساسها الواقعي والعملي التفـــاوت في المعاملـــة والامتيازات للبعض ، مقابل احساس الاخرين بالجوع « والخرم » ، وبـــدأت حكاية مختارنا تتسرب الى المعسكرات المجاورة ، من خلال مشاهدتهم حفلات الجلد الدائمة ٠

بالامس ، بينما كنت بدوري على حنفيات الماء ، وبعد حفلة «البنغلادشي»، وقف شاب على « شيك المعسكر واحد » طالبا من شاويش الحمامات ، المختار للحديث اليه ، وما أن أطل عليه ، حتى كال له سيلا من الشتائم والمسبـــات على أفعاله ، وهدده بالمعاقبة خارج هذه الشرطان التي لن تدوم ٠٠٠ هـــدده أيضا بالثورة التي لن تستسلم مثله !٠٠٠

رد المختار على الشتيمة بالشتيمة ، وعاد مطأطىء الرأس ٠ وقفت متفرجا وتساءلت : كيف تحدث هذا الشاب على الشيك ؟ أولم يره مختار معسكره ؟ ٠ وتذكرت ، ان مختار المعسكر واحد ، نسمعه يصرخ صباحا « عدد حبايبي »٠٠ هذه العبارة اللطيفة التي تتردد على لسانه دوما بديلا عن عبارات مختارنا : « دواب ٠٠٠ حيوانات ٠٠٠ »

ووصل الدور الى « الاكزم » وهو صديقه ومن المحسوبين عليه، فجأة يتعاركا وتقوم الصيحة ويحضر الحفيد وتتبعه البومة ناقلة « الاكزم » ٠٠ الى أين ؟! لا أحد يعلم ! هل لديهم مكان جديد للجلد ؟٠ تكثر التساؤلات ويعود « الاكـــزم » في اليوم التالي متحدثا عن الصناديق الحديدية للعقاب، والتي لا يتسع كل واحد منها الا لشخص واحد ، يمضي وقته واقفـــا !٠٠٠ مستحمـــا بالعرق المتصبـــب من جسده وبلسعات حرارة الحديد وأطرافه المسننة في الداخل ٠

ونجتاز أيآم الحرمان وها نحن في يومنا الرابع ، والطغاة ، على البوابة ، يطلبون أربعة أشخاص قادرين على العمل ، ليقوموا بتنظيف زاوية الشـــارع

الترابي من الاحجار ، ولكل واحد منهم علبة سجائر • في النهاية يدخل الفرسان الاربعة وسط صيحة الجميع على كل واحد منهم باسمه ، صيحة تطلب النجدة والدعم لعلاج « الخرم » •

ويمر عليّ ، مجاهد وعلي السوري ليقدم لي كل واحد منهما سيجـــارة ، وبهاء له حضوره الدائم في هذا المجال ونصيبه منهما ••

مختارنا أصابته بحة في حنجرته ، من كثرة صيحاته وحرصه عـــلى تطبيق « الانظمة » ، وها قد اختار مساعدا له من أهم مميزاته صوته الجهوري ، يسير خلفه في الساحة ، يأمره بصوت خافت ، ليطلق المساعد العنان لصوته ، والحذر بات يتحكم في علاقته مع الجميع والتخوف منهم ، ما زالت حادثة البنغلادشي ملء السمع والبصر ، والمعسكر يتحين الفرص له ، جاهز في كل لحظة للتوثب والوقوف بوجهه • بؤس الامس القريب ، تحول الى شراسة في عيون الجميع ، وزاد الامور هذا اليوم تعقيدا كثرة الذين سقطوا صباحا مغميا عليهم أثنـــاء تادية « فريضة الذل » ، بهاء يصرخ في خيمتنا وأبو العبد في خيمة مجاورة ، وكثيرون غيرهمماسبب تدافعالجند مرات عدة الى خارج البوابة ،فمنيعاقبوا الان ؟! كل أصحاب الصرخات باتوا في حالة اغماء ، وتجاوز عددهم الاربعين في المعســـكر •

بدأت تتوضح الوسائل السياسية للتحرك ولوقف حالة التسلط ، وسائل لهـا جناحان ، الاول التلطي وراء المسؤولية الجماعية وتحريكها والثاني استغلال ظاهرة الاغماء وكثرة المجانين وتحريكهم ، انها ظاهرة ايجابية •

ويأتيني توفيق الممرض بعد أن فقدت الامل قائلا : قم أستاذ ! وأساله : الى أين ؟! ليجيب : الى الخيمة ١٤ ،الدكتور عماد كما ترى ، والشباب في انتظارك وبسرعة أضع بوطي في رجلي وأتحرك ، لاول مرة الى خيمـــة ، للحـــديث بالقانون ، لا بل الحديث بالسياسة وهذه هي الحقيقة • لاول مرة اجتاز محيطا من محيطات انصار ، وكنت أقدر ألا أجتازها ، وأصل الى الخيمة ، عالم اخر غير عالم خيمتنا • وأتعرف على الجميع ، أبو أيمن ، الشاويش انسان طيب ، الاستاذ ، عزاز ، وسليمان ، وسواهم والصقر في الخيمة المجاورة ، منـــذ أن قدمنا الى انصار ، لم أر صورة وجهه ، وعندما عبأنا استمارات الصليب ، كان من نصيب سواي ، ولم ألحظه ، وصاحبنا الدكتور في صدر الجلسة • كـــان الحديث ، مجاملة في البداية ومع الجميع ، لينتقل بعدها الى نقاش مجموعة من الاسئلة المتعلقة بانتخابات الرئاسة في لبنان ، وموعد التسلم والتسليـــم ، وأثر اجراءها في ظل الاحتلال الصهيوني والرئيس اللبناني القادم العتيـــد صاحب الحظ الاوفر ، وقدرته على حل المشكلة اللبنانية ، والبديل في حـــال شغور سدة الرئاسة ، وعدم انتخاب رئيس جديد ، مع مناقشة عامة لاوضاعنـــا واتفاقية جنيف •

وعلى هامش جلستنا أو « الفسحة » التي أجريتها في معسكر ثلاثة ، أثرت

مع البعض جانبا ، موضوع المختار وتصرفاته وضرورة وضع حد لـــه ، نظرا للاساءة التي يحدثها بحق نفسه ويحقنا جميعا . وأعرب عدد منهم عن تخوفه السابق من أن تنالني حبلته وتنبيهه لذلك ، وضرورة تكراري للزيارة .

عدت لخيمتي من اجازتي مع تناول الغداء ، أحس بالراحة والابتعاد عـن عالم المجانين ، ولو لساعات وأمني نفسي بتكرارها ، لانها تفسح لي المجال لوقف حالة التدهور في المعسكر ومعالجة موضوعة التسلط !

عدت لأجد بهاء ، عاقدا بدوره لندوته ، معربا فيها عن شعوره باللذة مـن الالم والعذاب ، وشوقه لحبلة المختار وعصي الاحفـــاد ، واستعـــداده لتلقي العقاب عن الجميع ، مثلما يتباهى بصيحته صباحا ، التي جعلت الصهاينـة يهربون الى خارج البوابة ! ويتحرك من جديد جنون الخيمة وتتشابك أصوات من فيها ، بأصوات خيمة صدقي المجاورة ، ويتقدم المختار مناديا بهاء للمـرة الثالثة الى الساحة ليجلس وفق نظام « أقعد على طيزك » .

يجلس صاحبنا مرددا أبياتا شعرية وآيات قرآنية تذكر بعهد عـــاد وثمود و.. والطيور الابابيل .. والسيجارة في فمه ، بعد أن قفز الى احدى الخيـــم وأشعلها ، ليعود من جديد الى حالته السابقة ... حتى اذا اقترب منه المختار بحبلته ، مهددا ، عاد من جديد لتكرار ما ردده .. ومطالبا بجلده قياسا على الصحابة في بداية الدعوة الاسلامية ، معربا عن تلذذه بالعذاب .

حقيقة وصل الامر الى حد ، أعيى فيه بهاء الصهاينة ، ومن بعدهم المختار ، وباتت مسألة جلده بدون جدوى وغير مجدية ، والطريف أنه في كل مرة كـان يطلب المزيد حتى شوقفوا عن جلده .

وسائل المجابهة باتت متوفرة وفي بداياتها ، وتتجلى في خلق حالة مـــن « الشغب » العام ، مع كل حفلة عدد ، ومع كل تصرف ، جديد للمختار . ومن الضروري تعميم ظاهرة بهاء واستغلالها الى أقصى الحدود ، وعلينا التفتيش عن أصحاب « العقول الكبيرة المبدعة » على طريقة صاحبنا الذي يمثـــل دور الفذ والعبقري بينهم . وخيمتي مملوءة بأصحاب هذه العقول أكثر من الخيـــم الاخـــرى .

ومع عودة بهاء للخيمة منتصرا ، أسأله هل صليت ؟ يجيبني لا ! وهـــل جاء وقت الصلاة ؟! وكأن للصلاة عنده لها مواعيد محددة !... وقد اعتاد أن يمارسها كلما راق له ذلك أو خطر في باله . ويقفز بهاء من مكانه ويأخذ موقعه للصلاة ، مرددا على عادته بعض الايات القرآنية المتعلقة ببني اسرائيل بشـكل خاص !.. معيدا مكررا بصوت عال ، حتى يأخذ التعب مكانه في نفسه .

وما أن ينهي صلاته ، حتى يبتدع مسألة جديدة ، وضع المصحف على رأسه عندما يوفره لنا الصليب ، وفي حالة استدعائه للعقاب من قبـــل المختـار في المرات القادمـــة .

الصهيوني على الباب مجددا والمشروع الجاهز هو نقل نزلاء الخيمة رقم ١١

بكاملها الى معسكر اخر ، لتجهيز مكانها ، عيادة طبية . تغادرنا المجموعة الجديدة آخذة طريقها المظلم في صحارى انصار الجديدة ومتاهاتها .. والحفيد الاكبر « بن شحار » عاد الينا بعد غيبة طويلة . وكالة أنباء المطبخ تحركت معلنة النبأ ، والموعد المرتقب الذي يتاهب المختار لاستقباله ، والامل بأن ياتي الينا مع « كذبة جديدة » على غرار « كذبة العيد » الكبرى ...

ومع العد الصباحي في بدايات شهر آب ، تجد بهاء جالسا الى جانبي وصارخا بعد دخول الاحفاد من البوابة « مختار عماد ما عدش في » مكررا أقواله مرات عدة ، ليتحرك سندباد ومحمد اليمني وأبو العيد ، وتعم الظاهرة كل المعسكر . ينتاب الحراس الرعب يتدافعون عائدين باتجاه البوابة ، ويتبعهم المختار ، ليبلغهم أن الاصوات صدرت عن الذين أغمي عليهم وفي طليعتهم بهاء.

وتتكرر زيارتي اليومية للخيمة رقم ١٤ لنتحدث في مختلف القضايا ونعلق على اخر الاحداث ، التي نراقبها بالحس المباشر والعين المجردة ، وصاحبنا الجديد « أبو الفضل الصيداوي » جعل من نفسه مراقبا ومستطلعا لاخر تحركات الصهاينة ، على الارض وفي الاقسام المجاورة للمعسكرات ، المواجهة له . واذا به يترصد حتى الحركات البسيطة ، دون أن يتيسر له معرفة طبيعة عمل الجرافة من الجهة الشمالية ، وحتى بمحاولة الاستطلاع من داخل الحمامات. ومع كل زيارة أشعر بمزيد من الراحة والتفاعل مع الاخرين .

الصليب الاحمر الدولي بات يجري زياراته اليومية لبوابة المعسكر ، وغالبا يمر « جوزيف » مسؤول البعثة ، يتصرف كاداري محض ، يطلب الاحصاء اليومي للمعسكر ، وأرقام الذين غادروه ببائعة اللبن لزيارة الجورة ، مثلما يقذف الرسائل التي باتت ترد الى البعض ، من تحت البوابة ، والجنود في حركة تشييك متواصلة لانجاز العمل في مدينة الشرطان .

وكالة أنباء المطبخ تحدثت عن افراجات جديدة ، نقلا عن دردشات « بن شحار » مع المختار وها هو « ضابط الفرز » المعهود ، بات بحكم التكرار ، يأتي الينا غالبا حاملا ورقة ويستدعي صاحب هذا الرقم أو ذاك ، ومشهده بات مرافقا للشعور بالذهاب الى البيت .

حقيقة هناك افراجات ، لكنها تنفذ بالقطارة ، وأخيرا توقف «كابتن الفرز» مع لائحته يوما ، واستدعى مجموعة من الارقام ، من بينها الطويل رفيق الشلة والدكتور عماد . فرحت لهما ، مثلما حزنت على فراقهما ، سيما الدكتور ، الذي وفر لي الغطاء لتحركي ولو باتجاه خيمة مجاورة . صاحبنا لم يكن متفائلا لدى وداعه ، وودعت الطويل ، الذي تمنى لي الفرج القريب ، وحملته رسالة شفوية !...

عادت الاحلام والاماني تراود الجميع ، أحلام الحرية والتطلعات . بدأ الضيق ينحسر في المعسكر شيئا فشيئا ويتراجع لصالح الفرج المرتقب . وترافق تراجعه مع انحسار تصرفات المختار . وبات يستهوينا مشاهدة المارة على

طريق ترابية في الجهة الغربية المواجهة لنا ، كما بات يستهوينا رؤية الرعاة مع قطعانهم في البراري · انصار تعيش من جديد حالة ترقب وسكون · والحرف باتت بدورها تشق طريقها ، وأخذ هذا الاسير أو ذاك يتباهى بين شفتيه «ببز» السيجارة الذي صنعه أو بالحجر الذي حفره ، ورسم عليه رسوما مختلفة من الارزة والعلم اللبناني الى العلم الفلسطيني والعربي وقبة الصخرة ، أو شكل الكعبة أو عبارات المحبة أو التدين · أما دائرة محمود ، التي كان يراقبها يوميا ويجلس دوما الى جانبها ، فقد اخضرت بحبات الفاصوليا النابتة ، والتي استهوى مشهدها عددا من المصورين ، كما استهوى المختار ، الذي وزع حبات من الفاصوليا في المعسكر على كل الخيم للزراعة · أما الصليب الاحمر الدولي فقد تقدم خطوة أخرى الى الامام بتوفير كتابين ، القرآن والانجيل ، وبات مشروع بهاء جاهز للتنفيذ ، اذا عاد المختار اليه ، لمعاقبته ، وكان حريصا أن يستلم قرآن الخيمة ويبقه بحوزته ، مثلما رأيت هذا الوقت مناسبا ، للاطلاع على الانجيل وقراءته ·

تراجع سلطة المختار وانحسار الانظمة السائدة :

خيمتنا مدعوة لتغير مكانها ، المختار فرح بذلك لابتعاد المجانين عن البوابة، كما فرحنا بدورنا لاسباب مختلفة . سنأخذ موقع المطبخ ، الذي سيحل محلنا، وها نحن نجمع أمتعتنا ونأخذ الزاوية الجديدة الى جانب الحمامات .
لقد تخلصنا من المدخل ورقابة الاحفاد الدائمة ومشاهدتهم لاية حركة من حركاتنا ، كما بات بالامكان رؤية المعسكر بكامله ، من خلال توجه الجميع الى الماء والتحادث اليهم ، مثلما بالامكان التطلع نحو المعسكرات الاخرى وأقربها معسكر أربعة المجاور . فرحت بالانتقال ، وجهزت مدخل الخيمة مقرا لي . عمليا لقد اجتزت محيطا من محيطات انصار ، اجتزت المرحلة الاولى ، وعلي أن أجتاز نحو العوالم الاخرى في المعسكرات . أوليست الخيمة خيمة المجانين كما يقال عنها في المعسكر ، وكما بات يعرفها الحراس ، والمرحلة القادمة تقضي بتحويل المعسكر بكامله الى معسكر مجانين ، لمجابهة كل ما اصطلح على تسميته « بأنظمة ونظم » .

ومن البدايات تحولت الخيمة الى غرفة عمليات. الحوار مفتوح مع الجميع، الذين باتوا يعرفونني . وبات المتسللون الى الخيمة أكثر من الاخذين لدورهم على الماء ، وجلسة الحوار مفتوحة دائما لا يغيب عنها من أرادوا اقتناص الفرص ، وأخذ فرصة « فسحة » من الزمن ، فكنت تجد ، سليمان ، أو عزاز، أو عكاشة ، أوالدركي وأبا السرحان وعماد الجار وسواهم فرادى وجماعات في غالب الاوقات ، وكلما سنحت لاحدهم الظروف مع تراخي حبلة المختار وتراخي تشدده في تطبيق الفرائض .

لكن مخاوفي من المختار ما زالت قائمة ، سيما بعد أن افتقدت الغطاء ، بذهاب الدكتور عماد ، ويساورني شعور أن المختار لن يجرأ على اساءة التصرف معي ، بعد أن عرفني ولحظ علاقاتي في المعسكر خاصة مع كل من تعرفت عليهم .

للمرة الاولى أنظر عن قرب ومليا للمعسكر المجاور للخيمة المقابلة فيه ، لم أتعرف على أحد هناك ، باستثناء الدكتور والمختار ، اللذان هما على مقربة من الحمامات وأنظر لمعسكر واحد ، وبنفسي رؤية مختاره ، الذي يخاطب

رفاقه بعبارة « حبايبي » .

بهاء ، استدرك وجود الدكتور ومختار معسكر أربعة وقفز الى الشيك مناديا بأعلى صوته عليهما ، ويدور أول حديث ، عبر الشيك ، يشارك فيه مختار معسكرنا ويتعهد للدكتور بعدم معاقبة بهاء ، الموعود بسجائر في وقت لاحق .

يمضي بهاء وقته بين تأدية صلواته والمرابطة على الشيك ، طالبا تارة مختار الاربعة وطورا الدكتور ومطالبا بالوعد . وفجأة أسمع صوتا أعرفه ، سائلا بهاء عني ، وأنظر اليه ، فاذا بي أمام رفيق من بلدتي ، أخبرني بوجوده ووجود أخيه واعتقال أبيه مع « العم » ، واذ بأخيه يقفز من جانبه في ذات الخيمة المقابلة مسلّما ...

وأحس بالحسرة والتأوهات ، وأردد مرة اخرى ، آه يا زمن ، وفي الاسر تتراكم الاهات ، ولما لا ؟! ما دامت الآه مقطوعة الانفاس في لحظة الحشر ، حتى لا تأخذ منحى الضعف فمن باب أولى أن تأخذ طريقها وتتحرر على بياض الصفحات ، مع خلجات الضمير والتعبير عن الاحساس .

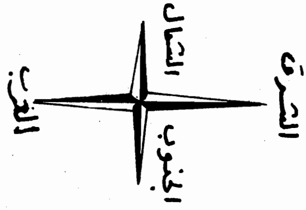
حسن ونور في الخيمة المقابلة ، « ضبعتهما » الاشياك ، وثورة الغضب تنفجر من عيونهما ، انه بحق « زمن المذلة العربية » !...

وتتحول الخيمة رقم ستة ، شيئا فشيئا ومع الوقت ، الى خيمة العبور ، باتجاه المعسكرات الاخرى ، مركزا لحديث على الشيك ، وتلقي الرسائل « الطيارة » ، كما تتحول الى مسرح للغناء الوطني والشعبي وناديا للمعسكر والغطاء الدائم ، هو خيمة المجانين ؟! ماذا حصل وما الذي استجد مقدمة لهذه التطورات ؟!...

في فترة العد الصباحي يوميا باتت صرعة بهاء معروفة وثمنها سيجارة . نتظاهر بأخذ وضعية العد ، ونرقب دخول الجنود من البوابة ، حتى اذا باتوا على مقربة منا ، اجد بهاء مادا يده نحوي وقائلا : « جهز السيجارة ». ما ان يتناولها حتى تجده صاح باعلى صوته « مختار عماد راسبوتين فات بطيزي » كابتن راسبوتين فات بطيزي . تهرع ثلة العدو هاربة فورا باتجاه البوابة ومتوقفة خارج المعسكر مطالبة المختار بمعرفة صاحب الصوت ، ليجيبهم : بهاء الذي طالما طالبناكم باطلاق سراحه ..

وما ان ننهي صرعة العد حتى نكون على موعد مع صرعة الشيك ، فقد باتت الخيمة مع الايام « تلفون » المعسكر للاتصال مع المعسكرات الاخرى ، وبات التسلل ضمن الخيم مسألة واردة كلما أمضى المختار بعض الوقت ، منسجما في زاوية من الزوايا ، وبات التسلل الى الخيمة ستة امنية العديد من نزلاء المعسكر .

ومساء احد الايام نرقب اسيرا سائرا على قدميه ، على غير عادة يرافقه جندي ، ويستقر به الامر على باب معسكرنا . يتعرف عليه البعض قائلين:



٣٤ ـ تقسيمات معسكر ٣ بعد تغيير مكان المطبخ

انه الدكتور صالح ، انه الدكتور صالـح ..

كنت في غرفة العمليات الجديدة في الخيمة ستة اراقب حركة الرسائـل « الطيارة » ، التي في بداياتها وبحذر ، مثلما اراقب حركة التشابك بـين المعسكرات ، ووصلني النبأ . وصل الدكتور صالح الى معسكرنا .

انطبع في ذهني الحادث الاول والاخير بيني وبينه ، الذي كان سبـب تعارفنا قبـل الاجتياح بايام ، عندما كان بين يدي قضية سير في هيئـة القضايا ، وكنت قاسيا بحقه لمبررات سياسية وانسانية ، وساورني شعـور بانطباع القضية في ذهنه عندما سنتقابل . لم اتمالك نفسي في البقاء فـي الخيمة ، تحركت سريعا واستقبلته . بعد تبادل التحيات والقبلات ، ابلغته مكان وجودي ، ضاحكا وقائـلا : انا في خيمة المجانين ! وعدت توا .

لحق بـي بعد فترة قصـيرة وبدأ عتابهحول قضيته السابقة . شرحـت لـه مبرر قساوتي عليه . وبدأنا نعيش حياتنا الجديدة بعلاقات الاسر ، التي تطورت بسرعة الى صداقة وفهم مشترك للكثير من القضايا والامور ، سيمـا امورنا الذاتية ، في المعسكر وبدأ التعاون فيما بيننا ، منذ الايام الاولـى ، خاصة الجانـب المتعلق بموقف المختار وبضرورة اعادة نظره في تصرفاتـه تجاه الاسرى ، وعدم لجوئه الى الضرب والشتائم والحرمان الفردي مـن السجائر لهذا الاسـير او ذاك .

الدكتور بات يمضي اغلب اوقاتـه في خيمة المجانين ، وكان لبهاء موقع خاص ومميز في نفسه ، بحنوه عليه ورعايتـه . وها هوذا « عزاز » فـي احدى الامسيات بصوته الشجي يشدو ويغني الاغاني العراقية التي جذبـت الدكتور في المعسكر المجاور ، ليجلس مع مختارهـا في الخيمة المقابلـة وليستمعوا معنا الى مطربنا الجديد ، الـذي يستعمل « سطيلة » الطبيخ كآلـة موسيقية . المعسكر بات يسرح ويمرح لساعات ، والمختار الى جانبنا فـي الخيمة وبهاء من حين لاخر يحاول ترطيب الجو ، بمزحة او تصرف مـن تصرفاته وفي نهاية الحفلة الهادئـة ، التي جذبت قسما كبيرا من معسكرنا والمعسكر المقابـل ، اتفقنا على حفلة ثانية في اليوم التالي ، يغني بهـا عزاز وابو الفضل السوري ومطرب من المعسكر المقابل يجيد « القدود الحلبية »

المشكلة مع العد الصباحي باتت اقل تعقيدا ، لحظات ويغادر الجنـود المعسكر بعد حفلات « الصرع » التي كانت تجري والحبسة باتت اكثر حلاوة . يوميا انتقل من خيمة لاخرى وبات المعسكر مفتوحا بوجهي امارس التعبئـة السياسية ، وشد عزيمة الاخرين ، الذين بات لديهم مزيد من حرية الحركـة نظرا لتعطيلنا نظـام الدور في الحمامات ، مثلما اخضرت ساحـات المعسكر وجوانب الخيم بالفاصوليا النابتة هنا وهناك ، وباتت « لوحة الحرية » التي نظمتها بنفسي على الارض في مدخل الخيمة ستة ، مزينة بالاحجار باشكال هندسية وبحبات الفاصوليا الخضراء .

المختار استعاض عن الجلد والشتائم بانزال العقاب بالمخالف بنومه في خيمته ، وقل ما تجده لاجئا لهذه الطريقة ٠

وفي الموعد المحدد للحفلة الفنية ، حفلة « غلابى انصار » ٠ اصطف أهل الطرب مقابل بعض على الشرطان وتحركت « سطايل الطبيخ » تقرع مع الاصوات الشجية ، وساد الفرح جميع المشاهدين لساعات متناسين الاحزان والمفاجأة الكبرى ، كانت ، في اجادة نبيل الطباخ للرقص العربي ، والذي لف وركيه بمنشفة واخذ يهز طربا ٠

تنبه الصهاينة الى الوضع وتراكضوا الى البوابة ، بعد ان وجدوا خيم المعسكر خاوية من نزلائها ، وجميعهم ملتفون حول الخيمة ستة ، وقفز المختار من بيننا ليقابل الجنود ، فيلاحظ وضع المعسكر ويصيح مبادرا « كل واحد الى خيمته » ويبلغهم ان « الصرعة » مصدرها الخيمة ستة خيمة المجانين ٠

في المعسكر المجاور جلبة وحالة ارباك ٠ قادمون جدد اليه ، تزال المظاهر « الطقسية » عنهم ٠ انهم محيو وحسن وسامح ، ابعدهم الصهاينة من معسكر عشرة ، ونتحدث مع بعض عبر الشيك بعد ان التقينا مجددا ويروي لي حسن كيفية اعتقاله المتأخر عنا ٠ واحس ان قربهم من معسكرنا يعزز بدوره وضعنا الذاتي الجديد ، ويسهم في عملية النهوض وباتت حركة الرسائل الطيارة شغالة في مختلف الاتجاهات عبر الاشياك ، مثلما بدأ يتكشف حجم انصار ومعرفة الاسرى لبعضهم البعض ومكان تواجد كل واحد لمعارفه ، مثلما بدأت تتسلط الاضواء على الطبقة الجديدة المتحكمة في لقمة عيش الاسرى ، مافيات المطابخ ، والتي تشكلت في غالب المعسكرات ٠



مزيد من الاسلاك والابراج

ومختارنا بدأ يحس بوطأة الوضع الجديد وافتقاده لصلاحياته شيئا فشيئا وتعطيل مختلف الانظمة المفروضة التي كان يشرف على حسن تنفيذها ٠ ومن حين لاخر بدأ يحاول اعادة سلطتــه وفرض هيبته ، وها هوذا بعد العـــد الصباحي يتصادم ، مع مجاهد ويتعاركا في الساحة ٠ تحركـــت سريعــا واتصلت بالحكيم ، وابلغته بضرورة عدم وصول المسألة الى الصهاينة وحلها ضمن المعسكر ، وتحت رعايته شخصيا ، مهددا ومتوعدا اذا تصرف المختار بغير هذا الشكل ٠ ويبادر صاحبنا سريعا لفض المشكلة وتسويتها ، بعيدا عن تدخل الصهاينة ، واحس في الوقت ذاته ان مشكلته قد باتت معي ومـــع الحكيم ، اذا قدر له تصفيتها يحقق مبتغاه ، ويدرك في الوقت ذاته ايضا ان المعسكر بكامله ملتف حولنا ، وان أية معركة لا تكون لصلحه ، فاخـــذ يرســل جلاوزته احيانا بقصد استفزازنا ، ونحن جالسون على سطيحة « الوحل » ومن حولنا غالبا شلة من الاصدقاء وكنا ندرك في نفس الوقت ، ان الامور ، قد حسمت معه ، وننتظر قراءة الفاتحة عليه ، لخلعه بغير سبـــب شخصي ، فنتحلى بالجلادة والصبر ، ونرد على من دفعه بالقول ، ليكن معلمك اكثر جرأة ويصادمنا بنفســه ٠٠٠

ومع كون الامور منتهية وقد اعتبرناها محسومة ، الا ان مخاوفنا منــه ما زالت قائمــة بسبب علاقته المباشرة بــ « بن شحار » ٠

صدقي في الخيمة رقم سبعة ، جارتنا السابقة ، يحيي عيد ميلاده في الاســر ويدعوني للحضور ، كما يكلفني بدعوة عزاز لتمضية امسية طرب في خيمته ، وارسل لــه برقية تهنئة طريفة مع هدية العيد ، معجون اسنان وجزرة كبيرة ، واسهم مع الدكتور في احياء الحفلــة وادخال الفرح الى النفوس ، بهاء ، يأخذ الحديث عنــه ، الجانب الاوفى من الجلسة وطرائفه التي يسجلها ، والتي كان اخرها ما حصل صبيحة هذا اليوم ٠

مسكين بهاء ، كل الادوية المهدئة والمنومة لم تعد بذات مفعـــول عنده ، وعلى كثرة تناولها ، وهي جاهزة لــه في جيب الحكيم ، ومخبأة عن متناول يد الاخرين ، الذين بدأوا باستعمالها لغايات في نفس يعقوب ، غايات الكيف! بهاء امضى ليلة البارحة بكاملها بدون نوم ، تارة يقوم للصلاة ، وطورا لقراءة القرآن ، مرة في الخيمة ، واخرى في ساحة المعسكر على اضواء مصابيــح الاعمدة الكهربائية ، حتى اذا انبلج الفجر تعرف على الكابتن « داود » حارس البوابة وأجرى معه صفقة تجارية ، قراءة « سورة داوود » مقابل علبــة « مــاروم » ٠ ومنذ الصباح يدخن بهاء ويكثر ونحن في جلسة مع الصليب ، واسأل مستفهما عن سبــب اثراء بهاء فيخبرني الحكيم بالخبر اليقين ٠

الصليب ليس في جعبته اي شيء كعادته ، أكثر من تبادل الرسائل وتنظيــم الاستفسارات الملحة والطارئة ، اما الاخبار الخارجية فلا مكان لها فـــي حقيبتهم ، لكن من النقاش معهم يتضح ان امرنا مرهـــون بالانسحابــات الصهيونية وحتى الان لم تحصل أية انسحابات والمشكلة معقدة ٠

النادي أو سطيحة « الوحل » خير ملتقى مساء ، وقد جهزنا زاوية من الحمام ، بوضع سطل نفايات بمثابة كنبة ، ونمضي كامل فترة بعد الظهر ، خاصة الامسية منها ، حيث تحلو الجلسة ، ونستمع الى مختلف الحكايا الجادة منها أو المرحة وأحمد حمد يمر ذات أمسية وقد ضاق ذرعا ومرارة بسجنه لاعنا الساعة ، التي وقع فيها بالاسر ، وانه لو قدر ذلك لتجنب مسألة القاء القبض عليه ليستطرد مازحا الواحد يسجن مع أقرانه ، الحشاش مع الحشاش ، واللوطي مع اللوطي ، والقاتل مع القاتل ، وحبستنا الان مع هذا الخليط ليس لها طعم او رائحة ، لانه من غير المعقول السجن مع محام أو دكتور، ونمزح قائلين ومتسائلين هل السجن أيضا فيه مستويات؟، واذا كانت كذلك فالبرجوازية تدنت بسجننا « وتجلجقت » بوجود مكتب أو عيادة في جانب حمامات انصار وناد متمثل بسطيحة الوحل،وأي سجن هذا؟ ونقول لاحمد حمد من قال لك ان السجن راق لنا أيضا ، معك حق في كل ما تقوله .

بهاء يعاود الأدلاء بدلوه وينصب شباكه ليلا ومع كل فجر ، كتابه بيمينه على البوابة ، يقرأ ويقرأ وداود و « مارومة » ذهب الى غير رجعة . ويعود بهاء من جديد آخذا موقعا على الشيك لتوجيه الخطب للمعسكرات المجاورة ، والمختار بات يفتش عن الوسائل ، التي بتقديره تشكل « فشة » خلق ، ويستغل حادث اختلاف اثنين على « بز » سيكارة ، ليجمع كل ما في حوزة الاسرى، وصديقنا الحكيم يتضامن مع الجميع برفضه التدخين وتسليم « بزه » أسوة بغيره .

الرسائل « الطيارة » وأحاديث الشيك مصدرا جديدا للاخبار ، تعتمد بدورها على مصادر أخرى ، تارة على الوافدين الجدد الى الجورة ، حيث تتسرب إسماؤهم ، وما يحملون من اخبار شخصية لهذا الاسير أو ذاك أو سياسية ، أو عبر زوار الجورة المنقولين « بالبومة » ، والعديد من الاسماء المعروفة والمتداولة باتت اقامتهم اليومية شبه دائمة لسبب وبدون سبب ، يمضون نهارهم أو أياما عدة ويعادون الى معسكراتهم لاعادة استحضارهم من جديد الى محرا بالشمبت . هذا المحراب الذي قد يكون أيضا في الداخل المحتل ، غديرا أو الجلمي أو عتليت ... وبات نقل كل أسرى الضفة والقطاع الى الداخل أمرا طبيعيا للتحقيق معهم .

والاخبار الواردة في بدايات آب باتت تؤكد حصار بيروت ، وأحاديث عن مشاريع انسحابات وخروج للمقاومة من العاصمة ، وفي حكم المؤكد بتقديري السياسي ، انتخاب أمين الجميل لرئاسة الجمهورية مثلما تتناقل أنباؤنا الجديدة ، مشاريع حلول للمشكلة اللبنانية ، واطلاق سراح اسرى انصار



- صامدون ضمن الاسلاك

مقابل الطيار والجندي الصهيونيين وجثث تسعة اخرين لدى المنظمة ، منذ عملية الليطاني الاولى .

مع تواتر هذه الاخبار يطل « بن شحار » مدليا بدلوه ومتحدثا عن افراجات « اسبوع اسبوعان وتفرغ انصار » وتبدأ دفعات الافراج اخذة طريقها الى البيت .. ومع الدفعات تسود الدنيا في عيون استاذ الخيمة رقم ١٤ ، وتغلب عليه موجة التشاؤم ، وكلما ازداد تشاؤمه تساقطت المصائب على رأسه ، كان اخرها ابلاغه قطع راتبه من « الانروا » بواسطة رسالة صليب .

ومع الدفعات المتتالية ، أرسل الرسائل الشفوية تارة ، والخطية طورا مع هذا أو ذاك من معارفي الى المنزل ... الخطية طبعا تعتمد على قدرة حاملها بتهريبها ، وتحمل احدى الدفعات الاستاذ حسن من معسكر أربعة الذي لقي الافراج عنه استهجان أنصار وتساؤلات الاسرى ، خاصة الذين لا يعرفون انه مريض في القلب .

تاتي احدى الرسائل الطيارة يوما ، حاملة نبأ انتخاب بشير الجميل لرئاسة الجمهورية ونستبعد جميعا حصول أمر كهذا ، ونعتبر ان خبرا من هذا النوع ، غايته احباط همتنا ، والتأثير على معنوياتنا ، مثلما نعتبر تسريبه قد تم عن طريق أحد الضباط الصهاينة أو أحد المتعاملين معهم .

وفي هذا الوقت بالذات توجه الدعوة لعقد مؤتمر طبي لكافة الاطباء العاملين في انصار ، وصديقنا الدكتور أحد المشاركين . يذهب ليعود الينا لاحقا ، وليس في جعبته من الاخبار ، أكثرمن الامور المتداولة والمتناقلة ، عبر أنباء الحمامات .

الصهاينة يتابعون دفعات الافراج ، والمؤشرات كلها تؤكد على صدق المعلومات الواردة ، بما في ذلك « كذبة بن شحار » وحتى مسالة انتخاب بشير الجميل ، الخبر الذي لا يقبل العقل تصديقه ، مثل خروج المقاومة ، ونبقى نترقب موعد التسلم والتسليم للرئاسة للتاكد من صحة النبأ .

انصار بأسراها العشرة آلاف تعيش على الاشياك ، رسائل طيارة واخبار حمامات وشائعات ، تنتقل من هنا لهناك ، لتعود مفبركة من جديد الى المصدر الذي اطلقها ، والرسائل الطيارة تحوم في اجواء المعسكرات ، كل رسالة محشوة بحجر مربوط بخرقة صغيرة ، يقذفها صاحبها او ناقلها الى المعسكر المطلوب . وتتصادم الرسائل مع بعض مثلما تصطدم احيانا براس هذا الاسير او ذاك ، ويوشك احيانا مطلق الشائعة ، ان يصدق شائعته ، بعد عودتها الجديدة .

خرجت بعد حين مندوبة الصليب ، افرغت جعبتها من الرسائل وحملت رسائل جديدة بينها استفسارات عن مكان وجود اقارب في معسكرات ،والغاية لدى السائل باتت معروفة ، امتحان قدرة الصليب على العمل والمدة الزمنية اللازمة ، والجواب عند السائل سلفا ، الاسير بحاجة لنصف نهار للمعرفة عبر « كمبيوتر » الاسرى ، الرسائل « الطيارة » ، او الاواكس الجديد ، اما كمبيوتر الصليب فهو بحاجة لاكثر من اسبوع .

وينفعل الحكيم في وجه سائل ، ويتجهم على غير عادته ، لدى ورود الجواب الثاني على استفسار مقدم ومرسل لزوجة الاسير ، الرسالة تفيد انها بخير مع اولادها في المنزل ويصر المستفسر للمرة الثالثة على ان زوجته ميتة كما تصر مندوبة الصليب على انها زارتها بنفسها في المرة الثانية واطلعت على تذكرة هويتها واخذت تصف موقع المنزل وشكله والعلامات الفارقة .

ينفعل الحكيم في وجه السائل ، ليتراجع الاخير عن زعمه السابق ، بان زوجته قد استشهدت وان اولاده تركهم لدى جارته ، ليكشف ان غايته كانت امتحانا لمدى مصداقية الصليب وللمزيد من الاطمئنان عن عائلته . ويصرخ الحكيم في وجهه : اذا كنت تريد ان تمتحن الصليب فما ذنبي انا ! عدة مرات بكيت من اجلك ودمعت عيناي .

تحركت رياح الخريف وحملت زوبعة معها مجلة عبرية ، حلقت في الجو ، ونحن جميعا نراقبها على امل ان تحط رحالها في معسكرنا ، نتابعها بابصارنا وقلوبنا ، ويستنفر المعسكر بكل من فيه من نزلاء وتهبط اخيرا بجوار الحمامات . يقفز اكثر من واحد لتناولها ، ويصرخ المختار بهم واضعا يده عليها ، انها تحمل صور الرحيل للمقاومة عن بيروت ، لا احد يعرف العبرية في معسكرنا ، فنرسلها الى المعسكرات الاخرى للترجمة .

في زوايا الشيك الغربي استقرت بعض الاوراق ، الصحفية ايضا ، ويعمل احد الشباب على سحبها بعيدا عن مراقبة الجند ، بشريط طويل ، حتى اذا

باتت بمتناول يده يقفز احدهم من مكانه لاستردادها ، ونشعر ببداية تحرك غريب في معسكر اثنين . الحالة هادئة والمعسكر ساكن لا حراك فيه ، جميعهم في الخيم ، جامعون لامتعتهم ، وهم بانتظار حدث جديد وتكثر التساؤلات ومعها الشائعات . ماذا سيحصل ؟ محظر على اي من المعسكر المذكور الخروج من الخيم وجميعهم جالسون ارضا ، وفق نظام « اقعد على طيزك » وفي وقت غير وقت العد ، بعد الظهر ، امر غير معقول ! ..

مختار معسكر اربعة ، العارف بخفاياالامور ، يجيب احد السائلين ، هناك عملية نقل انصار مجددا الى الداخل ، واخر يقول الى الريجي في النبطية الى السجن ، ويطل واحد من معسكر اثنين ونصرخ ماذا عندكم ؟ فيجيب لا ندري طلبوا منا جمع الامتعة في الخيم وقد بدأوا باخراج المعسكر .

نبقى نراقب ونراقب حتى يعود المعسكر الى حالته الطبيعية بعد جولة تفتيش ، وتتبخر معها موجة الشائعات ويختنق مفعولها .

الحكيم تذكر موعد زواجه وقرر أن يحييه في خيمة المجانين ، مثلما تذكرت عيد ميلادي اللاحق ، وصاحب الصوت الشجي ، جاهز لاحياء مناسبة الحكيم ومشاركته ، مثلما الجزر جاهز أيضا ، للقيام بالواجب نحو كل ضيوف الشرف والمدعوين الى الحفلة ، وينقطع نفس الذكرى مع نظام العدد من جديد وبعد الظهر ، أيضا ، في معسكرنا وكافة المعسكرات . ونتذكر حادث معسكر اثنين ، مثلما نتذكر يوم فرض النظام بهذا الشكل سابقا للمرة الثانية للتفتيش على حسن الشبل (١) وفق الصورة ، التي كانت بحوزتهم ، تدخل قوة كبيرة حتى الجنود وتنتشر في كل مكان ، ويفرض نظام « اقعد على طيزك » على جميع أسرى انصار ، بدون أن يدخل أي جندي الى أي معسكر ، وتتواصل هذه العملية حتى موعد العشاء ، دون أن يعرف السبب لذلك ، ويبقى الامر لغزا بحاجة للحل ، تعجز عن تفسيره وكالة أنباء الحمامات ، وأوهام أشياك انصار وشائعات المغرضين وأصحاب النوايا الخبيثة !...

تنتاب وكالة أخبارنا الجديدة حمى تناقل الانباء مرة أخرى ، ويختلط الحابل بالنابل ، تاتي رسالة « طيارة » ، تتحدث عن أخبار واردة ، على لسان وافد جديد لهذا المعسكر أو ذاك ، أو على لسان آت من التحقيق ، أبعث لمعارفي برسائل استفسار في المعسكرات المعنية لمعرفة حقيقة النبأ المنسوب فيتضح أنه مفبركا ...

رسالة تحدثت عن خطف طائرات صهيونية ، والمصدر موثوق حسب زعمه ، وتحوم الشائعات وتنتقل مع زوابع الخريف ورياحه وتتلبد غيوم الحكايا المركبة ، لتمطر حكاية مقتل بشير الجميل ، وانتخاب أخيه أمين ، بديلا عنه قبل التسلم والتسليم ، ويبقى الرهان على الموعد للتاكد من الخبر ، وتهدأ

حسن الشبل : بطل عملية الصمود في مدخل البازورية في غزو عام ١٩٨٢



٣٧ ـ عنوان بارز ، صبرا وشاتيلا !٠٠٠



٣٨ ـ صبرا وشاتيلا مرة اخرى !٠٠٠

الحمى ، التي ضربت انصار ، حمى أنباء الحمامات لتاتي رسالة تحمل نبـأ مقتل سعد صايل في البقاع ، وتسلم أمين الجميل لصلاحياته وتاكيد خبر مقتل بشير ، ومجزرة صبرا وشاتيلا ، والوافدون الجدد ، هم مصدر التواتر الجديد وبينهم « باكير » كمصدر موثوق ونفهم لغز فرض المذلة علينا ، بتطبيق نظـام العد يوم ارتكاب الصهاينة مجزرة صبرا وشاتيلا ٠

محيو ، في الجانب المقابل ، نتبادل كافة المعلومات والاخبار الواردة ونحقق بها ونمحصها لمعرفة الغث فيها من السمين ، والاخبار الجديدة ، مصدرهـا الرفيق الوافد الجديد ، مع مجموعته والمعتقلة من بيروت بعد خروج المقاومـة وارتكاب مجزرة صبرا وشاتيلا ٠ وأنباء الحمامات من جديد تنقل من مصـدر آت من التحقيق وتتحدث عن اعادة اعتقال حسن في صور ووجوده في الجورة٠ وتاتينا « آن » مندوبة الصليب الاحمر حاملة رسالة سريعة من البيت ، تبلغني فيها زوجتي ، عن قرب وضعها للمولود الجديد وتؤكد لي خبر اعادة اعتقـال صاحبنا ، فاثير معها ، موضوع مرضه ، وعدم قدرته الجسدية على البقــاء في الجورة ٠

تجريد المختار من صلاحياته وبدايات العمل التنظيمي في انصار
مسيرة النسوة وانتفاضة الشتاء :

انصار الان تتحرك على رسلها ، بلغت مرحلة من مراحل الطوفان ، سلطة الاحفاد وانظمتهم في طريقها الى السقوط والانهيار • ومع كل يوم يمـر باتت القدرة على تعطيل النظم والتحايل عليها أكثر فاكثر ، وباتت الوسائل تبتدع يوما بعد يوم ، طافت انصار في المرحلة الاولى من الخيمة التي ضاقت بنزلائها نحو المعسكر ، هذا هو الطوفان الاصغر ، أما الطوفان الاكبر فقد كان بالزحف باتجاه الشيك والاندية وساحات الوحل ، في كل مكان ، وانفتاح الفرد عـلى الكل والكل على الفرد •

في المرحلة الاولى ، فترة الطوفان الاصغر كان الهم والعبء المعسكر الواحد ، أما في الفتر التالية فقد بات الهم انصار ، كل انصـار ، التي تتأهب لابتكـار مزيد من الوسائل في المجابهة وابتداعها • وهذه الوسائل بحاجة لأشكال وأطر للتنظيم ، كيف ؟ وما هي ؟!•••

التركيبة الاجتماعية متفاوتة الانتماءات والمستويات ، كما لاحظها ببساطته ، احمد حمد ، فما الذي يجدي معها ؟! الاشكال السابقة المعروفـة المتعارف عليها ؟! أم اشكال جديدة ؟! تتلاءم مع ظروف الاسر وطبيعة المرحلة القادمـة داخل الشرطان وخارجها •

انصار عمليا ، شريحة اجتماعية مقتطعة من قلب المجتمع العربي بمختلف أشكاله وألوانه السياسية ، لا بل شريحة من عالمنا الثالث المتخلف ، فالى جانب السوداني هناك البنغلادشي والى جانب المصري والعراقي أو الجزائري لدينـا الباكستاني والهندي والتركي • قاسمنا المشترك مع الظلم الجوع والعري ، وعدونا المشترك الصهيونية المصادرة لحريتنا جميعا ، والتي نكن لها العداء • ببساطة لا بد من التنظيم ، أكان ذلك باشكال جديدة أم قديمة ، تنظيم هـادف في غاياته الى التوحيد والاستعداد للمرحلة القادمة ، وسواء كان طوفان انصار القادم على الصهاينة أم طوفان انصار على ساحات نضال الخارج • وتتعـزز القناعة بالفكرة أكثر بالمعلومات الاولية والمبدأية العالقة في الذهن ، عن اعادة ولادة حركات التحرر في مواقع تشبه مواقعنا ، والايدي والعقول ، التي أنبتت الفاصوليا وزينت الاحجار وحركت المجانين وعطلت الانظمة ، كفيلة بابتـداع الاشياء الجديدة غير الواضحة في الذهن حاليا والوسائل المطلوبة •

ومع ذلك ، من الضرورة بمكان تصليب الجبهات الداخلية ، جبهة كل معسكر على حدة ، مع مد اليد للمعسكرات الاخرى ، وها هي قد باتت بمتناول اليد ، والرموز البشرية نواة أي عمل معروفة ، فلتنشط حركة الرسائل « الطيارة »

أو « الاواكس » كما أسميناها من وحي حركات بهاء ، ولتتكثف شبكة المعارف والاتصالات .

أما في معسكرنا ، لا بد من حسم الامور ، وبات من الضروري وضع حد نهائي لتصرفات المختار مع أول حادثة تحصل . لقد نضج المعسكر ، وباتت الخطوة مطلوبة .

وتسري خبرية مفادها أن صاحبنا المختار مخمور ومن أين أتى بالخمرة ؟!! ومن زوده بها ؟ من لديه ذلك غير الحراس ؟ وهل وصلت الامور في العلاقة معهم الى هذا الحد ؟! فعلا ، لا أعرف مسالة التخمير وأجهلها كليا ، ويأتيني سليمان قائلا : ان المختار سكران ، قابع في المطبخ ، وجلاوزته يحاولون تستير الامر واستحصل على المادة من تخمير التفاح والعنب ، ويطلب مني ، استدعاء مختار الاربعة الى الشيك ، ليبلغ الصهاينة بوضعه ويأخذوه ، عسى أن نتخلص منه . ونستفيد من كرههما لبعض ، كره المخاتير . أرفض الفكرة من أساسها وأعتبر أن الحل في يدنا ، وهو ادانته أمام المعسكر ، وابقاؤه مختارا خوفا من علاقته بـ « بن شحار » مع تعيين مساعد له ، غير المساعد الحالي والزام مختارنا بعدم التعاطي بشؤون المعسكر الداخلية اطلاقا وتجريده من صلاحياته .

مساعد المختار يتحرك بعصبية ، ويفرض على خيمة بكاملها النوم تحت الحرامات . والتقي بالحكيم ، ونتفق على الخطة الموضوعة ، كما نتفق على تعيين « الصقر » مساعدا للمختار لا بل المختار الفعلي عمليا .

ويتحرك الحكيم طالبا من المساعد العودة لخيمته ، فيمتثل للامر مثلما نتحرك كلانا نحو الخيم المعاقبة لاعادة الحال الى طبيعتها وانهاء الوضع الشاذ ، ونستدعي الصقر ونسلمه صلاحياته في المعسكر وسط ارتياح الجميع .

أما مختارنا فقد حمله الحكيم بكتفه ، وهو بحالة السكر الشديد وأتى به الى خيمتي ، يعربد ويهذي ، حتى اذا استفاق ليلا شاهدني والحكيم الى جواره ، مبديا أسفه واعتذاره عما حصل ومعلنا عن ترك المعسكر لتدبر أمره من قبلنا ، وتركه المخترة بصورة نهائية والعودة الى خيمته .

أفهمناه سوء تصرفاته مع الاسرى ، وغروره الذي أودى به الى هذه النهاية وأبلغناه بالتدابير التي اتخذناها في المعسكر ، من تغيير المساعد الى تغييرات تتبع في طاقم المطبخ ، واننا نرفض استقالته من باب الحرص عليه كأسير مثلنا ، شريطة عدم عودته الى تصرفاته السابقة . أمضى المختار ليلته نائما في خيمة المجانين ، ليذهب مع العد الصباحي الى خيمته ويستلقي بها نائما لأيام عدة ، بدون أن يبارحها ، وليبدأ معسكرنا عهده الجديد ، عهد الانظمة الداخلية التي نشرّعها نحن ، لتنظيم العلاقات فيما بيننا ، كأسرى ومعتقلين يربطنا رباط الاخوة مع بعض ، والعداء للآسر خلف البوابة سجاننا وجلادنا الاكبر والوحيد .

وتتوالى أيام أيلول مسرعة ، مثلما تتوالى دفعات المفرج عنهم الى البيت ، ومن بينهم أستاذنا المتشائم . سهل الله أمره ، لقد ولى وولى معه أيضا تخوفه

الاكبر الذي سيطر عليه في اخر الايام ، تخوف من هاجس لا بل مـــن كابوس ذهني ، كان فعلا من أصحاب حسن الطالع ، لقد رحل ومعه مشروعه الـذي طالما حدثني عنه ، مشروع سبينا الاكبر في شـــوارع « أورشليم » ! وتحرر أبـو الفضل الصيداوي ، وبتحرره افتقدنا الراصد الاكبر لتحركات الاحفـــاد في الخارج ، انه فعلا كان جهاز استطلاع ومراقبة بحد ذاته ، غرفة عمليـــات لوجستية للحكم على الظواهر المرئية بمدى « الحبسة الزمني » . ورافقهمـــا سليمان الذي ارتاح منه عزاز والعمايري الـذي قال مودعا : « انني عائد اليـكم قريبا مع اخر أخبار الخارج ، لانني مرتاح لوجودي معكم ، ولانني أريد رؤية أمي أيضـا .. »

سافروا ونأمل أن تحرسهم السلامة ، لكن أبا أيمن حزن كثيرا بفقد زميليه ، اللذين فارقاه ، وبقي لوحده ، كان يهـدىء من روعهـم ويصبرهم . فمن يهدىء من روعه ويصبره الان ؟! أنا والحكيم له ، ولسواه بالمرصاد ، وخاصـة اننا بتنا على عتبة عيد !..

كان مقدرا أن نعيّد في بيوتنا ، عيد الفطر السابق وليس عيـــد الاضحى القادم ، ومر الفطر وما قبل الفطر ، مثلما مرت انتخابات رئاسة الجمهورية ، فانتخب بشير ، وقتل بشير قبل تسلم صلاحياته كما انتخب امين واعيد تكليف الوزان ، وما زلنا في انصار عشية عيد الاضحى المبارك .

لقد كان بهاء يضحك أحيانا كثيرة كلما تحدثنا عن قرب الافراج ، وينظـر الينا قائلا : « ناموا هنا ! ناموا ! مصيركم مثل مصير قوم لوط .. ستتزاوجوا بعضكم بعضا ، وتنسوا رائحة النساء ، ونساءكم لهن نفس المصير !.. ناموا .. دخنوا « سيلون » .. وكلوا جزرا !... »

وكنا نسأل بهاء ممازحين : كم سننام هنا ؟ سنة ، سنتان ؟ فيجيب ضاحكا : أكثر !.. أكثر !.. لنعود ونسأله هل سننام نوم أهل الكهف ؟ ليقـــول : « لا أربعون سنة فقط ، بقدر ما نام يونس في بطن الحوت » .

مسكين بهاء ! ومساكين نحن ! قد ننام نوم « يونس » أو نوم « أهل الكهف ».. وقد يصبح مصيرنا مصير معشر لوط . حتى الان استهلكنا العيد تلو العيـــد ، مثلما استهلك الظرف السياسي ، الظرف الاخر ، وبتنا ننتظر الامبرياليـــة العالمية ، على معاداتنا لها ، لمزيد من فرض معادلاتها السياسية !... وهـل هناك أكثر من القوات المتعددة الجنسيات ؟!.. التي دخلت لبنان ، ومع ذلك لم يتوفر الحل ونحن بانتظاره ، لا بل يجوز لنا القول ان الامور تعدت نطاق الامبريالية ، التي كنا يدنا في زنارها لاطلاق سراحنا بعد فرض سيطرتهـا ..! وتجاوزتها الاحداث !. ولكن يدنا الان بزنارهن ؟! رهاننا حتى على الامبريالية سقط ، وبتنا بدون رهان ، نعيش أزمة وجودنا الذاتية المعقدة !

العيد أطل وأي عيد يطل علينا !.. أهو عيد المتنبي بعد تركـــه مصر ، والمتنبي كانت مشكلته مع كافور ، أما نحن فمشكلتنا مع « كوافير » مع كـــل كفار الارض ، يهودا وعربا ، لا بل عربا أولا ويهودا ثانيا !..

لا شيء في متناول يدنا ،سوى أن نضحك مع بهاء وعلى طريقتـــه ، ونردد معه حكاية يونس والحوت وقوم لوط !٠٠

عشية العيد ، صديقي الدكتور في أحلى حالاته ، يظهر وكانه على موعـــد مع زوجته وأطفاله في جلسة مسائية ، لكن ليس في منزله وانما في زاوية مـــن زوايا خيمة المجانين ٠ قال لي بان أفضل حل لوضعه الليلة ، هو التخيل ، وها هوذا يتخيل تارة زوجته وطورا ولدا من أولاده ، وكانه في المنــزل الى جانب الشموع والمشروب والحلويات والفاكهة ٠٠٠!

عشاؤنا الفعلي ، الذي بين أيدينا ، البطاطا المسلوقة مع الملح ، ناكلها بفرح الفقراء وسعادة البائسين ، وننتظر الموعد اللاحق مع كباية شاي خاصة ياتينــا بها نبيل الطباخ لترطيب الحنجرة ٠

صديقي الدكتور يتوهم ، وصمم أن يعيش ليلة سعيدة ، وأنا مصمــم بدوري على ذلك ، لكن من أين لي أن اتخيل وأنسى طعم ليالي السابقة ، ليالي أم زياد والاحبة بعيونهم التي تتكل كل يوم باستمرار اعتقالي ، وبمستوى الثكل الـذي لحقهم يوما ما !٠٠

وتطاردني صورة الاولاد في الذاكرة ، وأشعر بما حدث لهـــم يوما مـــا !٠٠ حادث حصل ، وحاولت جاهدا دفعهم نحو النسيان ٠ أما الان فمن ينسيهـــم صورتي ، وحاجتهم الي كل يوم وتؤذيني صورة الثكل في عيونهم في كل لحظة ، عيون الاطفال ، الذين من حقهم السعادة والسعادة فقط !٠٠٠

صممنا أنا والدكتور أن نسهر ، والمختار بات مدجنا ، لقد خرجنا عـــلى طاعة السلطان سابقا ، وتصميمنا أن نسهر مطلقين شعارا عنوانه « صناعـــة الفرح على أنقاض الحزن !٠٠ » وكيف نسهر ونحن مغلوبون على أمرنا وكـل واحد منا يعيش همومه !٠٠ المعسكر فيه جنسيات متعددة لبنانية وفلسطينية وعربية ، خليط ، وعالم ثالث أيضا ، ابرزهم ، بنغلادش وهنود وباكستان ٠٠ ومن الضروري أن تتنوع السهرات تبعا لتنوع الجنسيات ، وتحتفل كل مجموعة بالعيد على طريقتها !٠٠

بدأنا كثنائي ، ننتقل من خيمة لأخرى ، في برنامج زيارات للجميع ، نجلس الى كل النزلاء في معسكرنا ، وندعوهم لاحياء ليلة فرح !٠٠ وكيف نمضي ليلة الفرح هذه ؟! ونحن نفتقر لأبسط الادوات والمواد ، التي من شأنها أن تبعـث البهجة ، في النفس يضاف لذلك حالة الضيق العام ٠ وعبر انتقالنا من خيمـــة لثانية ، كان الحديث يجود أكثر ، والعبارات أحسها صـــادرة من الاعمـــاق الوجدانية ، ولما لا ؟!٠٠ أوليس هؤلاء هم الاهل والاحبة ورفاق المعاناة وشركاء التجربة المرة ، التي شربنا كاسها معا ، وتذوقنا جوعها أيضا معا ، وعصيتهـا كانت لا تفرق بين جسد واخر ، وحبلة مختارها باتت غـــير ساريــــة المفعول ومعطلة التنفيذ !٠٠

وتذكر الكثيرون المختار ، وسلطة حبلته ، التي كانت منذ أيام لاجمة حتى

للفرح الحزين ، مثلما كان البعض يتوقع ارتدادها علينا مرة أخرى ، فنؤكـد على لملمتها وتعطيلها بقدرة الجميع وتماسكهم ! .. وندفع من لم يخرج من خيمته حتى اليوم الى مغادرتها حيث يشاء في المعسكر ، واجتياز المحيطـات السابقة والتعرف على القارات الجديدة في عالم اسمه معسكر ثلاثة على خارطة قيادة المعسكرات الصهيونية .

ومع تنقلنا نلحظ تعدد خيم المجانين ، بينما يبقى للخيمة ستة جنونهـا المميز وعلى طريقتها الخاصة لوجود « أبي الفضل السوري » بطربه وبهـاء بطرائفـه ...

زورو وكوجو والدهان وغيرهم ، طاقم عمل جاهز ، يفر من خيمة لأخرى، لنقل كل من جلس حزينا ، واختبأ باكيا تحت فراشه ، الى خيمة يتجانس مع مجموعتها . طاقم يمارس لعبته بفرح ويأخذ دور الشرطة لضبط المكتئب وانزال العقاب الفوري به ، بنقله ، ونبقى كلانا ، أنا والحكيم ، في جولاتنا المتواصلة للمشاركة بالفرح ، مراقبة الذين ظهرت عليهم بوادر الكآبة والحزن ، وقمعهم ، باستدعاء طاقم الفرح كلما دعت الضرورة .

كل أسير يجب أن يفرح ويغني ويصفق ؛ لطرد شبح الكآبة ونسيان وجودنـا ضمن الاشياك ، والغناء لعبتنا الوحيدة كمدخـل الى « يوغـا » السعـادة المصطنعـة .

الاغاني تنوعت بتنوع مجموعات المعسكر، وأكثرها استقطابا كانت مجموعة الخيمة ستة ، والتي التحق بها عزاز أيضا . وفي خيمة من الخيم ، تجمـع أصحاب الجنسيات المختلفة على هاوي غناء هندي ، جلس عاملا عـلى زرع الفرح في النفوس .

المعسكر بكامله عاش ليلة فريدة من نوعها ، حتى بتمديد فترة السـهرة واستمرارها الى ما بعد منتصف الليل ، ولتبدأ السهرة بعد ذلك مع بهاء، الذي لم تنفع معه كثرة الادوية المخدرة ولا النقاش الهادف الى اقناعه بأن راسبوتين بطل رواية وليس جرثومة . واذا به بعد منتصف الليل ، يستحضر بآيـات قرآنية ، بني اسرائيل وقوم لوط وينتقل من الخيمة الى الساحة فبوابة المعسكر على أمل لقاء الحفيد داود والذي ذهب الى غير رجعة .

مع الصباح الباكر ، كنا مع العيد وطقوسه الدينية ، تهليـلات الاسـرى وتكبيرهم ، والساحة فرشت بالحرامات،مقدمة لجلوس مؤدي الصلاة والاستماع للخطبة . وقف خطيبنا اليوم وكأنه أزهري عريق ، أدى خطبته وسط خشوع الجميع وصمتهم المعبر ، بمضمون تعبوي متفق عليه ، خطبـة ذات طابـع سيـاسي .

بعد انتهاء المراسم الدينية ، بوشر بتوزيع الفطور مباشرة ، بغاية اعـادة احياء أجواء الفرح في المعسكر . وفجأة اجتاحت البعض موجـة بكاء ، وبدأت عيون الكثيرين تدمع ، مما استدعى تحركي فورا ، وأنا في حالة استنفار،لأقفز

من خيمة لخيمة ، مثلما تحرك الحكيم ، بدوره في اتجاهات أخرى ، هاجسنا وقف حالة الانهيار ، وعدم اعطاء المجال لان تستشري الكآبة في المعسكر .

ومن أعماق نفسي ، وكل جوارحي ، أطلقت صيحة في وجه من بدا عليهم الحزن ، قائلا : نحن مناضلون ، لا نريد شفقة أحد ، ولسنا بحاجة لشفقة جندي ، كما حصل في العيد الماضي . لن نستجديها من عدونا ، وعلينا أن نصنع الفرح حتى ولو كان الحزن معشعشا في قلوبنا . وتحركت مع حركتنا فرقة قمع الكآبة ، لتقوم بمهمتها ومعاقبة كل من يظهر الحزن عليه بنقله الى خيمة يسود فيها الفرح وتغنى الاغاني .

مختار معسكر واحد ، الذي كان يخاطب الاسرى بعبارة حبايبي ، صوته ، حتى بعد انتهاء الخطبة بقي ملء الاذان ، وعباراته السياسية والتعبوية فاقت كل حدود التصور ، ووقف وقفة مشهودة له بالقاء خطبة العيد .

وما ان اتيح لنا وقف حالة الانهيار ، حتى بدأنا نتنقل من جديد من خيمة لاخرى ، نعايد الجميع ونشد من ازرهم بالعبارات التعبوية والمعسكر بكامله يعيش اجواء الفرح ، التي انستهم واقع الاسر والاعتقال .

وفجأة اصوات البعض عالية ، « نسوان ... نسوان ... مظاهرة نسوان .. خلف الساتر الترابي ! » واذ ببعض النسوة الجنوبيات يقفزن على الساتر الشمالي ، مقابل معسكر ثلاثة ، مثلما تسلق الشباب مقابلهن اعمدة الحمامات وخرج الجميع ، من الخيم مشدوهين ، يتطلعون شمالا باتجاه مظاهرة النسوة والاطفال على ابواب انصار ، وتبدأ الصيحة « الله اكبر ، الله اكبر ... » تدوي في كل المعسكرات .

انصار بكاملها شهدت حالة استنهاض ، وبشكل عفوي ، واخذت الصرخات تتردد في كل مكان ، وتتجاوب مع اصدائها ، مثلما انشدت انظار الجميع وابصارهم شمالا ، لرؤية مظاهرة النسوة والاطفال قاصدة انصار .

الصهاينة ، بدورهم ، فاجأهم الحدث ، فارسلوا قوة راجلة سارت في الشارع الاوسط بين المعسكرات واخذت تطلب عودة الجميع الى الخيم وتطلق النيران بشكل عشوائي نحو الاسرى والمعتقلين ، مما ادى لحصول مجزرة ، اصيب بنتيجتها اربعة عشر معتقلا بجراح ، كما الزموا الجميع ، برصاصهم ايضا ، العودة الى الخيم وعدم الخروج منها ، مما شكل لي وللحكيم فرصة لاخذ دورنا في الراحة والانكفاء الذاتي بعيدا عن عيون الجميع ، فاستلقى الحكيم في خيمته ، دون ان يجدي معه شد العزيمة او تهدئة الخاطر ، لاعود اخيرا الى خيمتي يائسا بائسا ، مستلقيا بدوري ومستسلما للحزن والنوم حتى صباح اليوم التالي ، لاستثنا فروتين المشوار الطويل .

« بن شحار » بالرغم من مزاعمه التي يدلي بها للمختار واخرين سواه في معسكرات اخرى حول موضوع الافراجات ، يتابع تجهيز مدينة الشرطان الشائكة . منذ ايام شاهدنا شاحنات نقل كبيرة تنقل بيوتا خشبية ، وتخوف البعض من رؤيتها ، ولو كان ابو الفضل بيننا لوصف السجن بانه اطول من

نوم اهل الكهف ، واليوم شاحنات جديدة تفرغ حمولتها من الاعمدة الخشبية والحديد ، لتتبعها شاحنات اخرى تنقل الخيم الشتوية .

افراج . من قال افراج ! حتى الامس القريب كنا نعتقد ان الصهاينة لن يجهزوا للشتاء القادم ، والان هذه هي الخيم باتت على الابواب وتسمع الكثيرين ينظرون بحسرة ويقولون « طويلة .. شتوية طويلة .. » .

وتسقط الخيم الصيفية لترتفع مكانها خيم شتوية ، وتزول الخيمة رقم ستة من الوجود ، ليحل نزلاؤها ضيوفا على الخيمة رقم ثلاثة ، ويزداد عدد المجانين فيها ويلتئم الشمل ، وتنعقد القمة في اجواء سهرة طريفة ، قمة بين اصحاب العقول الكبيرة من كلتي الخيمتين .

«بن شحار» عاد يتحدث عن قرب رحيله ، وعن «من اسبوع لاسبوعين وتفرغ انصار ... » ويذهب بن شحار ويذهب معه جوزف مسؤول بعثة الصليب في انصار ، ويلحق بهما المختار ، مختار معسكرنا الذي افرج عنه في دفعة من الدفعات . ويعود في الوقت ذاته حسن الذي اعيد اعتقاله ، من الجورة الى معسكر واحد المقابل . وتضج انصار بعودة حسن ، الذي وقف على الشيك لاتحدث اليه ، فحدثني عن رؤية وضاح وعن ام زياد ومظاهرات النسوة في صور التي تقودها ، ويؤكد الاخبار المتواترة ما عدا مشاريع الانسحابات بمعنى اخر « حبسة ط .. ويل .... ة » .

مع اياب « بن شحار » انصار الطوفان على عتبة ولادة جديدة معسكر ثلاث باتت فيه ، كل القوى السياسية ، معيدة لتشكيلها فلسطينيا بشكل خاص ، لقلة عدد اللبنانيين ، وفي الزوايا هنا وهناك تعقد الجلسات التنظيمية ، للتداول في اخر الاخبار الواردة عبر الرسائل الطيارة واوضاع المعسكرات وقد وصل الجدل احيانا ، في ظل هذا الوضع ، للترف الفكري ، فجاء من يتحدث عن « مشاعية انصار » وليس فيها سوى مطابخها ، كما جاء من يتحدث عن سلطات تشبه سلطات « كومونة باريس » .. ويختلف صدقي مع مجاهد في اجتماع تنظيمي ، ايهما يكون نائبا للمختار . ويقفز صاحب نظرية المشاعية الى المطبخ قبل الظهر ، لتحضير سطل شاي له باسم النظرية وترجمتها العملية ، كما يأتنا « أبو العبد العتيق » ذات صباح شاكيا باكيا من بوطه الذي شرد بالرغم من ربطه ليلا بعامود الخيمة ، وليوجز مشكلته بكيفية خروجه الى البيت ، في حال ورود رقمه ذات يوم ، بدون حذاء .

مسكين مختارنا ، عماد ، بحبلة ماريشاليته ، حصد جلد الغالبية ، وكاد ان يحصد جلد مختارنا الحالي يوما ما فيما مضى لو لم تحمر عينه عليه ، وها هوذا المختار الحالي يعاني من صرعات طروحات « كومونة باريس » ومشاعية المعسكر ....

في المعسكر المجاور سامح ، وبامكانه التاثير على هذه الموجات ، واجد نفسي بحديث مع « محيو » عبر الشيك بهذا الشأن ، كما اجد نفسي متحدثا

مع سامح ، لوقف حالات القصور الذهني واللاعقلاني والذي يستند لحكاية جحا وقصته مع « ظرف العسل » او خابية الزيت . ومن اين لسامح او لغيره قبل تثبيت الاوضاع التنظيمية ، وقف حالات الترف الفكري والهذيان غير المسؤول ؟..

انصار مدينة الشرطان بأحيائها ، المعبر عنها بمعسكرات تحمل ارقاما ، باتت معروفة لبعضها البعض ، الاخ علم بوجود اخيه والابن بوجود ابيه والقريب بوجود قريبه والعنصر في تنظيم معين بوجود مسؤوله . والرسائل الطيارة من معسكر لاخر تبتدىء من الصباح ولا تنتهي الا بعد مغيب الشمس بساعات .

التنظيمات السياسية وفرت لنفسها شبكة اتصال دائم عبر محطات ثابتة ومعروفة ! يكفي ان يقف زيد في مكان ما ، لينادي على عمرو حتى يحضر ، فيقذف له الرسالة ، وهكذا تنتقل الرسائل من معسكر لاخر ، وهي تتضمن كل الامور والاخبار الشخصية والسياسية الانصارية وغير الانصارية .

الاحفاد اعتادوا مشهد المتحدثين عبر الشيك ، كما اعتادوا مشهد متبادلي الرسائل وليس بمقدورهم وقف الطوفان .

كان المختار فيما مضى يلجم بسلطته المعسكر ، مستفيدا من حالة الرهبة والخوف والتحكم ، وبعد انكسار هذا السلطان في كل مكان واندحار الانظمة، حصل الطوفان الاكبر بالتوجه نحو الشرطان ومع انحسار سلطة المختار ، بات هم الكابتن في الخارج فقط عدم خروج احد من الشيك ، ينهي خدمته ولم يعد يعنيه ما يحصل في الداخل . اما سلطة قادته بعد العد الصباحي فيبقى محصورا في البومة التي تنقل للتحقيق ، والذي يشكل فعلا نقطة ضعف الجميع .

خطوط الاتصال بالنسبة لي باتت مؤمنة ، وهذا ابو ابراهيم اكتشف انه في معسكر خمسة ، مثلما اهتدي الى طعان ودرويش الصغير وابي عادل في معسكر ثمانية والعم وبقية المعارف في معسكر عشرة . اهتديت الى أبي موسى وقاسم والدكتور عماد ، الذي كان متشائما لدى وداعه ، جميعهم في معسكر تسعة ، ونكتب لبعض يوميا نتبادل الشؤون والشجون . ووجود ابي عادل كان بالنسبة لي مفاجأة المفاجآت ، لم اصدق امره حتى رأيته بنفسي ليلا ، مع طعان ودرويش على شيك الثمانية ، تصايحنا وسلمنا على بعض بعد ان هدأت الحركة وتيسر لنا رؤية بعضنا عبر المسافة الفاصلة ، الا وهي معسكر اربعة .

تركتهم ، لأمضي سهرتي مع الصقر ، المختار ، والحكيم ونبيل الطباخ وفرقة قمع الكآبة وابي النور ، شلة اعتدنا ان نبقى مع بعض ، منذ حين وكل ليلة ، ويروي كل واحد منا حكاياته ولبهاء غزواته علينا المقضية بسيكارة ، وها هوذا ابو النور يروي حكاية سجنه في مصر وفي الاردن وفي سوريا وفي

لبنان واخيرا في انصار · ويؤكد على تصميمه الا يترك سجنا عربيا دون يقوم بزيارته · واجد نفسي بسخرية كلية ، متحدثا بشكل هزلي ، مما اثار ضحك الاخرين ، عن فترات وهمية زرت فيها السجن ، متقمصا ادوار بعض زبائن المهنة والمعارف ومعقبا بقولي في النهاية : وراهم وراهم والزمن طويل ، لـن نترك سجنا يفلـت من ايدينا بعد الان بالتعاون وشراكة الزميل ابـي النور · نمضي سهرتنا وقد بدأ البرد يدب في عظامنا ، واجسادنا تغطيهـا ثياب صيفية مهترئة وممزقة ، ونتدفأ على نار مشتعلة بخشـب الصناديـق الفارغة وكراتين الخبز ونتناول الشاي ونرسل من يفتش على بهاء الذي حضر قبل قليل قائـلا : مختار عندك شقفة خبز ؟ حتى اذا لبى طلبه عاد فقال : احسن لي بسيكارة · نفتش عليه لارواء غليله بكباية شاي حسب تعبير المختار ·

ومع الصباح ، وككل صباح في الاونة الاخيرة ، يقف المختار صائحا « يـا اوادم على الخيـم » ويرتفع صوته ليتقاطع مع اصوات المخاتير في المعسكرات الاخرى ايذانا ببدء العد الصباحي · الجنـود بات دخولهم الى المعسكرات يختلف عن ذي قبـل ، بضع دقائق بل واحيانا بضع لحظـات ويغـادرون المعسكر · لقد بات شعورهم ، ان قدرتهم عـلى المعاقبة الفرديـة أصبحت في حالـة الانحسار ، لا بل في حالة العدم ·· وتتوالى ايام انصار على هـذا الشكـل مع تكثيف الافراجات وكثرة زيارات الصليب وعمليات تبادل الرسائل وتقديم كتـب مطالعة مع طاولات زهر واوراق لعب للتسلية ، مثلما تتوالى الايام على حمامات انصار وأحاديث الشيك والبومة والتحقيق ، وعلى ذكر ذلك فقد ورد عمادا أعيد اعتقاله وهو في سراي صيدا على ذمة معتقل جديـد · اذن عماد عائد وقد تكون عودته مرهونة بمهمة جديدة ، لكننا نأمل ألا يكون مـن نصيب معسكرنا ·

في يوم ما من تشرين الاول وفي النصف الاول منه ، تضج المعسكرات ، « فرز ·· فرز ·· الى البيت ·· الى البيت ! ·· » أفرج عن زيد من معسكر كذا ، ولحقه عبيد من المعسكر الاخر ، وترتفع الايدي الى الباري ، ايدي كثيريـن داعية ان يشملها حسن الطالع ، ويصل ضابط الفرز الى معسكرنا حاملا قائمة الارقام المطلوبة ، ويبدأ استدعاء اصحاب الحظ السعيد ·
كمبيوتر الاسرى بدوره يتحرك برسائله الطيّارة ، ووكالة أنباء الحمامات أيضا · وتنشط حركة الاواكس قائلة : أن معسكر ١٣ قد قسـم الى نصفين ، نصـف الـى البيـت وفق الارقام المتسلسلة وبالتتابع ، والقسـم الاخر ينتظـر ، ورسالة اخرى تتحدث عن الافراج عن ابي موسى وكثيرين من معسكر تسعة · يا الهي ماذا يحصـل ؟ اصحيح ان افراجات واسعة ستجري ؟ سؤال مطروح! وما اكثر الاسئلـة المطروحة في انصـار !

معسكر اثنين ، استنفر الان بدوره ، المختار يصيح الى الخيم ·· الـى الخيـم ! كـل واحد يحضر امتعته ··؟ والجنود على بوابة المعسكر المذكور·

وينتقل الخبر سريعا الى بقية المعسكرات ، نقف على الشيك نراقب ونتساءل؟ لا احد يملك الجواب وما عليك الا ان تستنتج ، تصرفات الصهاينة دائما غامضة ، تضعك في موقع المستفهم وتجابه المجهول ، ومع محاولة التبصير في الغيب ، يغلب احيانا طابع التشاؤم ٠٠ نفس المعسكر في مرة سابقة جرى استنفاره وحضر امتعته وكثرت التساؤلات ، فكانت حفلة تفتيش ، والان يجري الاستعداد ! لماذا والى اين !؟ الى البيت ؟ قياسا على من يتم تجميعهم ٠٠ وتبقى مختلف الاحتمالات واردة ٠٠٠

ويبدأ الفرز في معسكر اثنين بتعابير انصار ، ويصيح احدهم ، تجمعوا خارج البوابة وبعد فترة يصيح اخر ٠ ساروا جنوبا بدون عصبات او كلبشات! ليقول اخر ٠ ها هم في صف منتظم الى اين ؟ لا احد يعلم ٠ وتقف المسيرة اخيرا على بوابة معسكر ١٣ الذي ودع فعلا قسما كبيرا من نزلائه ٠٠٠

الطابور الاخر من ذات المعسكر ، سار شمالا لينعطف غربا ، ويستقر على عتبة بوابة معسكرنا الذي ودع من ودع بدوره ٠ ويستاء البعض عندنا ليقال ٠ حبسة وفهمنا نحن تعودنا على بعضنا فمن اين اتوا الينا بهؤلاء ؟٠٠

المختار على الباب جاهزا لاستقبال نزلائنا الجدد والصهاينة يدخلونهم الواحد تلو الاخر ، معهم دكتورهم الذي نزل ضيفا على العيادة مع طاقمه الطبي ، والباقون توزعوا على الخيم ٠٠

العشاء في المطبخ على النار لا يكفي حاجة الجميع ، واقول للمختار : حسنا نتقاسم اللقمة مثلما تقاسمنا الجوع ٠ اطلب من الحراس مزيدا من التموين بشكل خاص عشاء الضيوف الجدد ٠

في اليوم التالي ، الحظ كان من نصيب معسكر واحد الذي انتقل الى معسكر عشرين في طابور طويل ، مر من امامنا وكل واحد منهم « عفشه » على ظهره ٠ وبات معسكر اثنين معسكرا للفرز ، يتجمع به المفرج عنهم ، ويناموا ليلتهم ليودعوا انصار في صبيحة اليوم ، الذي يليه ، وها هوذا طعان ودرويش الصغير وابو طارق في ليلة من الليالي في معسكر الفرز ، اتحدث الى كل واحد منهم واحمل همالرسائل الشفوية ، ورسالة خطية مع درويش الصغير ٠ والامر لا يطول كثيرا مع المعسكرين المذكورين ، ليعودا ويمتلئا من جديد بالنزلاء الدائمين وبينهم ابو السلو ، وهيثم ٠

واحة الفاصوليا الخضراء ، اتلفها تركيب الخيم الجديدة ، لكن الشباب المحترفين تطور عملهم ، باتجاهات جديدة ابرزها صنع « أمشاط » الشعر باشكال مختلفة من صناديق الخشب الفارغة ، وبين يدي مشط اقدمه لمندوب الصليب بعد ان صممت شكله للمخرج برسم ميزان العدالة مائلا ، على جانب ، وعلى الجانب الاخر اسير وفق « نظام اقعد على طيزك » وفوق رأسه جزرة ووتد وبوط ٠ وابدو كذلك بشكلي الجديد بعد ان حلقت ذقني استعدادا للانتقال للمرحلة القادمة ، البيت او المجهول ٠

وتبدأ مرحلة المخاض باشكالها الجديدة ، لتطعيم المقيمين مع الوافديـن وتدجين الاخرين في اجواء الاولين ، غير ان اصحاب افكار تطبيق نظريـة « كومونة باريس » ومشاعية انصار يشكلون كوابح في وجه عمليـة الانسجـام الاعتقالـي ٠
في الجانب الاخر « مروان الحمار » الوافد الجديد ، في خيمة كعادته ، يبسمل ويحمدل في مجلسه الذي وفد معـه ، ويعلنها حربا دينية شعواء على الكفار من اية جهة اتوا ، من الشرق او الغرب ٠
ونلتقي مجددا بالدكتور الوافد ، طالبين النجدة ، وداخلين عليه ، لنقول : ليس من مصلحتنا كأسرى في يد الصهيونية الحديث عن المشاعية ، مثلما ليس من مصلحتنا حصر الصراع بالاطار الديني ٠ نرجوك ان تتدخل مع من تعرفهم لوقف مشاريع افكار من هذا النوع ، سواء أتت من هذه الجهـة او تلك ، وبالنتيجة لا حياة لمن تنادي ٠٠٠
تمـر الايام تلـو الايام من جديد تباعا ، وتنقل لي « آن » نبأ ولادة زياد ، واحس بالمرارة والعناء عنـه ، وعن والدته وبالظروف الصعبة التي ابصـر فيها النور ، وتمـر الايـام ايضا وانا امارس لعبة الطاولة احيانا او الدومينو مع الحكيـم او بعض الاسـرى كلما ضربني الملل من الشيك ، والقرف مـن الترهات الشخصية والسياسية واذ بالمختار السابق عماد ، بعد ان ورد نبـأ وجوده في الجورة سابقا ، على بوابة معسكرنا ويدخله الحارس ٠
تناولناه مباشرة عن البوابة الى غرفة العيادة ، لمعرفة حقيقة مـا حصل له ، وبعد سرده لروايته وكيفية اعادة اعتقاله واخر الاخبار التي يحملها مـن صيدا ، والتي لا تخلو في جانب منها عن دور مثبط للهمم ومسـيء ، زادت شكوكنا شكوكا كما استفزت مشاعر الكثيرين ! همي الوحيد كان عدم تسرب ما نقله الى المعسكرات ، بوضع رقابة على الشيـك لمصادرة اية رسالة تمـر ، عبر معسكر أربعة ، خرجت من أجل هذه المهمة ، وعدت لأطلب من عماد تغسيل وجهه ولتدارس وضعه ، مع قناعتي بضرورة حصره في زاوية خيمة ومقاطعتـه من الجيمع ، ليلقى جزاء اعماله السابقة نفسيـا ٠
مـا كاد يخرج عماد من خيمة الدكتور ، حتى انهالت عليه ضربات مجموعة كانت تتربص لـه في الخارج ، غالبيتها من المعسكر الوافد ٠ وما ان خلصناه من بين ايديهم حتى علق بـين ايادي مجموعات اخرى كلها حاقدة عليـه ، وبعضهم لم يتذوق طعم حبلته ٠ اعدناه اخيرا الى العيادة ضاربين حولـه طوقا لمنـع الاجهاز عليـه ٠
طلبنا من المختار دعوة الحراس واخراجه لتلافي الورطة ، وكان ذلك ، حتى اذا وصـل الى معسكر عشرة وجد من هم بانتظاره لتناوله على المدخل ، وتتكرر العملية معه من معسكر لاخر ، وبعد ان تكون قد سبقته رسائل ، من

معسكرنا ، طالبة ايفاءه حقــه من الضرب والطرد وليستقر به المطاف اخيرا في معسكر اثنين مقابل معسكرنا محصورا في خيمة ، ويلقى نصيبه ، كلما حاول الخروج من زاويتــه .

الحكيم بلغه نبأ اعتقال ابن اخيــه ووجوده في معسكر خمسة ، قد وصلتــه رسالة منــه للتو ، كما وصلتني رسالة من ابي ابراهيم ، واكتب لــه اوصيــه بالقادم الجديد ، والاهتمام بأمره ورعايتــه وكأنه ولد من اولادي . وتأخــذ الرسالة طريقها ونتابع لعــب الدوميتو ليأتي « زورو » متحدثا عن زيارتــه لمعسكر اربعة ، قافزا من فوق الشيــك واذ بالصهاينة على البوابة في طلبــه تحت طائلة معاقبة المعسكــر .

يتقدم زورو بجرأتــه المعهودة وفتوته ، بعد ان حســم نقاشا ، دار حول من يتحمل مسؤولية عمله ، يتقدم من البوابة قائلا للجند انا الذي كنت داخل الشيك افتش عن بطاقتي التي وقعت ضمنه وليأخذه الحراس ويعود بعــد دقائق بدون عقاب ... مما اذهلنا جميعا ، وحصل ما لم نكن نتوقعه .

الطريق الى معسكر خمسة ، طريق الرسائل عفوا ، باتت سالكة وامنة ، وقد علمت بوجود الكثيرين هناك ، لكن لــم اكتب الا لمن اعرفهم معرفة جيدة واحدى رسائل ابي ابراهيــم تحدثت عن وجود صلاح التعمري وابي محمود ، عبد العزيز ابو فضــة . لن اكتــب لاحد منهما الان ، حتى يتوضح لي طبيعة موقفهما ومدى تحركهما . وكذلك الطريق باتجاه معسكر عشرة ، حيث العم يعرض علي اقتراحا بتشكيل قيادة موحدة للحزب والجبهة واكون احــــد اعضائها وابلغه استعدادي في رسالة تالية .

ومع الايام ، تأخذ التكتلات التنظيمية اشكالها اكثر فأكثر ، نحو البلورة ، ويسير المعسكر نحو معادلات القوى وتوازنها ، واكتشف في هذا السياق ان لنا قوة رئيسية مصدرها تواجد شباب الجبهة والحزب .

وما دامت نيتي هي تثبيت معادلات منطق الاسر والعداء للصهيونية على اي منطق اخر ، فلا بــد من الالتفات مزيدا نحو التنظيم .. وها انذا على موعد مع ذكرى وعد بلفور ، في الايام القريبة القادمة ، مثلما ورد علـــى لسان ابي ابراهيم ان معسكر خمسة ، بدوره ، يتداول في الامر للتحرك بيوم الذكرى وليتبــع رسالته برسالة ، تتحدث عن تفجير بناية عزمي في صور نقلا عن لسان مندوب الصليب ، الذي قام بزيارة متأخرة لمعسكر خمسة ، وروايته سقوط قتلى وجرحى باعداد كبيرة بينهم اسرى قيد التحقيق ، ويوصف التدمير بأنه شامــل وكلي للبنــاء .

الاسرى سادتهم الفرحة وغالبهم الشعور بالارتياح ، ووكالة انباء الحمامات نشطت لنقل الخبر وتبهيره . أما ناصر المرض فقد تخوف على أخيــــه ، الذي أخذ للتحقيق وتسربت أنباء عن وجوده في البناية . ومع مرور وقت المساء نستنتج صحة النبأ من تأخر شاحنات التموين وعدم وصولها في موعدها

المعتاد ، الى انصار ، مثلما نتخوف من تأثير هـــذه العملية الجريئـــة المستهدفة لمقر الحاكم العسكري في صور ، على عمليات الافراج المتتالية .
الايادي بدأت بدورها تمتد الى الشيك الفاصل مع معسكر أربعة ، الشيك الجنوبي وبعض الاسرى ، والمختصين منهم ، بحاجة الى حبل من الشريط ، يطول او يقصـر حسب الغاية المطلوبـة ، لسحب السجائر التي تقع فـــي الشارع الاوسط او الرسائل ، خلال قذفها من معسكر لاخر .
والشريط متوفر بكثرة ، او لسنا في مدينة الشرطان ؟ ومن وحي الحصول على الشريـط من الحاجز الفاصـل من معسكر اربعة ، كانت فكـرة زورو القيام بزيارة خاطفة سابقا للمعسكر المذكور ، وحصل ما هو غير متوقع بعـدم معاقبتـــه .
الان سعدو ، له موعد مع الشيك ، لكن الشمالي منه لجهة الطريق فالساتر الترابي ، ولاحظ الحراس هذا الامر وحصوله ليلا وقدموا الى البوابة ، لمعرفة الفاعل والذي وصفوه بانه ينوي الهرب . التهديد كالعادة بمعاقبة المعسكر ، وزورو لم يلق عقابا فرديا ، والمهلة محددة من قبلهم لصبيحة الغد ، ومن ثم يعـود فيأتي ضابط ضخم الجثة ايرلندي الشكل كبير السن ، يتحدث مـع المختار طالبا معرفة الفاعـل ، ويعد بشرفه العسكري بانه لن يعاقبه ، يعرف لنا باسم قائد المعسكرات الجديد خليفة « بن شحار » .
نتعرف على الفاعـل ويبدي استعداده لتحمل المسؤولية ، وننتظر انتهاء المهلة لنرى حقيقة ردة الفعل لدى الصهاينة . وننام ليلتنا ونحن نتحسب للامر ونترقـب الغـد .
بعد منتصف الليل ، يوقظني جاري بصوت عال وبعصبية قائلا : قم ! قم ! انظر ثيابك تبللت بالمـاء ... افتح عيني غير مكترث واسأله . من ايـن المـاء ؟ بدون مزح دعني انـام .. ويصرخ بي مجددا . يا اخي لا امزح ، قم انظر بركة ماء حولك والكرتونة السميكة التي تحتك نجتك من الغرق ، قـم قـم !..
في الخيمة ، جلبة ، حالة ارباك واصوات اوتاد تحفر في التربة على جوانبها ، والمعسكر بكامله متيقظ والكرتونة ، جزيرة عائمة فوق المـاء . أقفز من مكاني ليلسعني البرد ، والمطر في الخارج ، ينهمر بغزارة ، والمعسكر كأنه مضروب بطوفان أجمع أمتعتي التي امتدت اليها المياه بسرعة . أين أضعها ؟! لا أدري ! والمياه لم تترك أي مكان ، وأتوجه الى عيادة الطبيب لالقي بها هناك وثيابي التي تقي جسدي نالت نصيبها أقول ثيابي ، ومن أين لي ثياب ؟ قميص وبنطلون مهترئان وممزقان . يفتش كل واحـد ، حمل عفشه المبلل على مكان لايوائه ومن أين يتوفر المكان ؟! ، وليعـود ويلقي بما عنده أرضا ، ويخرج المعسكر بكامله الى البوابة والامطار تتواصل بانهمارها وكأنه غضب من الرب تساقط على رؤوسنـا .

يا الهي · اذا تمثل البشر بكل قسوتهم علينا فهذا امر معقول ومقبول !! وقد قبلنا الحياة بجوعها وعريها وتسلط من تسلطوا ايضا علينا ، اما ان تقسوا الطبيعة ! فهذا ما لم نكن نتوقعه ·

مساء نمنا والنجوم تملأ السماء الصافية ، فمن اين جاءنا الطوفان ؟ وكيف تجمعت الغيوم وتلبدت حتى هطلت فوق رؤوسنا نحن مغلوبو الشرق ، مغلوبو لبنان ، لا بل مغلوبو جنوبه بحربه المؤلمة ·

الامطار تهطل بغزارة ، وبعضنا ما زال يتأبط حراماته بين يديه وكلنا نصيح « الله اكبر ، الله اكبر ! » ونستغيث ونصرخ مع مطلع الفجر وكأن السيل قد كان من نصيبنا لوحدنا على الكرة الارضية ·

الله اكبر ! وهتافات ضد الصهاينة الطغاة المتجبرين ، ولا نسمع سوى صدى اصواتنا مع الهزيع الاخير من الليل ، وكأننا نصرخ في واد ولا حياة لمن تنادي ومن ننادي ؟···

يستمر الطوفان مدة من الزمن تتجاوز الساعة ، ونحن على حالنا في ساح المعسكر تشتبك اصواتنا مع اصوات المقهورين الاخرين في المعسكرات ، وثيابنا بللها المطر الهاطل وامتزج العرق المتصبب منا من كثرة الصراخ مع الماء · ويبلغنا الاعياء فنركن الى الصمت والحزن ·

ويعود كل واحد منا للملمة عفشه ، اذا تبقى لنا عفش غير مبلل ولنلقي كل ما بحوزتنا من جديد في ساحة المعسكر اما المياه التي تسربت الى الاجساد ، فتنشيفها على همة الريح ، الذي رافق العاصفة ويعود البعض بالاوتاد لحفر مجارير لتسريب المياه حول الخيم · ونمضي الساعات الطويلة وقوفا داخل الخيم وضمن مستنقعات وبرك المياه ·

حمامات انصار بدورها امتلأت وانهمرت ، بما تحتويه من نفايات بشرية على الخيم · فزادت على بؤسنا وتعاستنا تعاسة حتى اذا اقترب الصباح كانت دورية الذل الصباحي جاهزة للعد !···

وقف المختار على البوابة قائلا : أين ستجرون العد ، في الخيم المطمورة بنفايات الحمامات ! أم على الامتعة المجمعة في الساحة تسيل منها المياه · نحن بحاجة لثياب وأمتعة جديدة فورا ! لنقي أجسادنا برد هذا اليوم وزمهريره ، وتنطلق مع اخر كلماته صيحة : الله أكبر من جديد فتدبر دورية العد راجعة من حيث أتت ، تطاردها الصيحات واللعنات على الصهيونية والطغيان ·

ومع تقدم ساعات الصباح ، ولت العاصفة وكأن شيئا لم يكن ، وارتفعت حرارة الشمس مشفقة علينا لتنشيف ثيابنا المهترئة والمبللة حتى اذا اقترب مندوب الصليب الاحمر من معسكر ثلاثة بسيارته انهمرت عليه الحجارة دون أن أتمكن من وقفها ، وقفل راجعا مسرعا من حيث أتى ·

انصار بكاملها من جديد شهدت انتفاضة جماعية ، انتفاضة مداها تجاوز الدقائق واللحظات الى المدى الاطول بحكم استمرارية الحالة المستجدة وبفعل

العاصفة التي ضربتها ، بدون أن تتوفر الحدود الدنيا لاتقاء اثارها ونتائجها، حتى اذا شارف النهار على ظهيرته، كانت الشاحنات تفرغ حمولتها من الامتعة البديلة وتحمل الامتعة القديمة ، وكأنه كتب علينا أن نرتدي أو نفترش ما عفى عليه الزمن لدى الاعداء . ولتجهز المعسكرات لاحقا بألواح خشبية لكل ثلاثة أفراد لوحتين وفرشتين من الاسفنج الرقيق وبفيلد عسكري لكل واحد . وليبقى منع العد الصباحي ساري المفعول ليوم اخر ، وليأتي الصليب في اليوم المذكور وأعرض له في معسكرنا أوضاعنا وظروفنا وأطلعه خلال جولة ميدانية على النفايات البشرية التي تسيل مع مياه حمامات انصار بين الخيم . ولتبقى انتفاضة الشتوة الاولى في انصار بداية الطوفان السياسي ، بشكل جديد ومقدمة من مقدماته وسببا مباشرا لولادة المرحلة الجديدة القادمة في المعسكرات، والتي أسهمت في صنع مجد انصار وتتويجه سياسيا. هذه المرحلة التي يجري التحضير التنظيمي والاستعداد لها على قدم وساق ولي دوري منها وفيها بالعمل الهادىء والمتواصل !...

في الخيمة الجديدة رقم ثلاثة بشكلها الكبير زاوية للعمل ، وبداياته نداء للاسرى البعثيين ، وأقول البعثيين لانه ليس بالامكان مخاطبة سواهم في هذا الظرف ، ولو كنت أتطلع لمخاطبة الجميع . نداء أذكرهم فيه بأفكارهم القومية ومعاداتهم للصهيونية الدخيلة ، معاداة خارج الشرطان وداخلها ، وتأكيدي على اصرار أمتنا في وحدة أراضيها من المحيط الى الخليج وتحريرها وتعطيل مفعول كافة الوعود الكاذبة ، بما في ذلك وعد بلفور المشؤوم !

طاقم العمل جاهز في زاوية الخيمة لاستنساخ التعميم السياسي والتنظيمي الاول في انصار ، والنسخ بعدد المعسكرات التي فيها بعثيون ، والنساخ كلهم من غير الرفاق ، لعدم توفر أي واحد في المعسكر ، بعضهم جبهويون ، والبعض الاخر مثل برهوم الصيداوي المعجب بتجربتنا الانصارية .

ومثلما كنت على الموعد مع المناسبة ، كان معسكر خمسة بدوره معها . ولما لا ؟! أوليس هو معسكر القيادات ؟! ومعسكر الضباط كما يقال عنه ؟... مسكين رفيقنا أبو ابراهيم لقد حشر في هذا المعسكر !.. ربما بحكم وضعه في الامن الشعبي !.. ويصل أخيرا تعميم الخمسة الى معسكرنا بمناسبة وعد بلفور المشؤوم .

شؤم على شؤم وبلفور على أسر . والتعميم صادر عن معسكر خمسة ويحمل ذات الاسم !.. وهو أول تعميم تنظيمي في انصار ، يخاطب كل انصار ويدعو لاول خطوة موحدة تشمل كافة المعسكرات في لحظة زمنية واحدة ، الخطوة هي الاعتصام بالخيم وقوفا باتجاه فلسطين لمدة خمس دقائق على أن يبدأ التنفيذ باشارة من معسكر خمسة ، ننتظرها لاحقا ، وبعد انتهاء العد الصباحي في اخر معسكر في المعسكرات .

ولتسلم التعميم الذي يحتوي على صفحتين كاملتين ، تم نقله لي من معسكر

أربعة ، لأبلغه تلاوة لكل خيمة على حدة ، واذ بي بحماس في ليلة شؤم يـوم النحس ، أنتقل ناقلا الصيغة للجميع والاستعداد ليوم ٢ـ١٠ـ٨٢ ٠

العد الصباحي في اليوم التالي انتهى أخيرا في معسكرنا ، وأعلن سامح مـن معسكر أربعة بدء التنفيذ ، حيث كان مقابله في معسكر خمسة وعـلى ظهـر الحمامات ، ضلاح ، يؤذن باشارة البدء لكل المعسكرات بأعدادها العشرين ٠

انصار لاول مرة في تاريخها ، يسودها من أقصاها الى أقصاها ، السـكون وتتوقف الحركة اختياريا ٠ ثمانية الاف معتقل يتجهون قبلة ، يتجهون جنوبا ، يتطلعون من انصار الى فلسطين ، القطر العربي السليب ، والذي اختلط عذابه بعذابنـا ٠

صلاح على ظهر الحمامات !٠٠ كلنا في الخيم متجهون جنوبا !٠٠ وأتذكـر صلاح !٠٠ كتب لي أبو ابراهيم سابقا عنه ولم أهتم بالامر !٠٠ وأتذكر أكثـر ، مرة ، مرة لقيته في الاوسط مع زوجته الملكة دينا والمرة الثانية في مقاصد صيدا ، اخر اجتماع للمؤتمر الوطني لدعم الجنوب بهيئته التنفيذية ، وكـان الموضوع المطروح أمانة سر المؤتمر تعود للحزب أم تصبح من حق سواه ٠٠ وكان موسى شعيب الشهيد وبعدها لم أعد أري صلاح ٠

وينتهي الاعتصام المنظم للمرة الاولى ، ويذهب بعدها صـلاح للتحقيق ٠ مسكين كان بامكانه الخلاص من ورطة النضال بزواجه ، هل يوجد تآلف بينه وبين الطقس المخابراتي العصبة والكيس والكلبشة والجورة والكابتن وعصـا أحفاد موسى ٠٠٠!؟

العم من حين لاخر يكاتبني وأكتب اليه ونتبادل الرأي في كثير من الامور ، والان في رسالة جديدة ، يتحدث فيها عن رغبة بعض اللبنانيين بارسال برقيـة لأمين الجميل بمناسبة اقتراب عيد استقلال لبنان ، يناشدونـه فيها التدخـل لاطلاق سراحهم !٠٠

وأتذكر كذلك عندما ورد انتخاب بشير ، ارتفعت أصوات تطالب بتهنئتـه ، وعندما انتخب أمين أيضا وكان التحفظ على البرقية لانتماء بشير وأمين المحدد والمعروف ٠ وحتى الان ماذا حصل وتغير في أمين الجميل الكتائبي ؟! سـوى كونه رئيسا للجمهورية ، فهل تغيرت المعادلات لصالحنا ، بشكل جعله يتحسس واقعنا كأسرى !٠٠٠

وأحس أن البرقية لن تفهم ظروفها الحقيقية من الاسرى أنفسهم ، ولا مـن الذين يرون فيها بادرة تساقط ، ولا من الجميل ذاته الذي قد يجد فيها المنحى الاخير ٠ ومع قناعتي أن المسألة جائزة سياسيا بصفته رئيسـا للجمهوريـة ومخاطبته من هذا الموقع ، الا أن محاذيرها تبقى في كفة طاغيـة ٠ وتتحكم المحاذير بالاجواء العامة ، ويقال : لا للبرقية ، حتى مـن أبي عادل الـذي كتبت له وتوقعت أن يكون لديه موقف ايجابي ٠٠٠

ويستقر الرأي حزبيا لا للبرقية ، ويسود تعميم تنظيمي ٠ لكن أبا ابراهيـم

مع البرقية ، وأجيبه في رسالة تالية مبديا فهمي للدوافع وتخوفي من المحاذير وأطلب منه جس نبض معسكر الضباط لاننا لا نريد أن نلعب لعبة سياسية تنعكس سلبا وعدم فهم في أوضاعنا الداخلية ، حتى أبو ابراهيم فهم غلطا ، ولم يميز بين اللعبة السياسية والبرقية وتصور أنني مع ارسالها وشاع ذلك في المعسكرات٠

فجأة تصلني رسالة من أبي محمود ، في معسكر الضباط ، يستفسر عن رأيي ووجهة نظري في القضية الجديدة البرقية !٠ وأجيبه متوقفا عند المحاذير ، كما أكتب لصلاح ، الذي تثبت من وجوده ، أكتب الرسالة الاولى ، والتي أهيبه فيها وقف حالات التداعي والظواهر المرضية مما ينتاب أجواء المعسكرات من أفكار تشاع على غرار أفكار « الكومونة » ومشاعية انصار ٠

بوابة معسكر خمسة أو مدخله طبعا الرفيق أبي ابراهيم ، وقد أرسلت الرسالتين مرفقتين برسالة للاخير ، الذي عاد وكتب لي متحدثا عن مشروع تشكيل لجنة أسرى ، وطرح اسمي على قائمة المرشحين لها في معسكر خمسة ، حيث يجري النقاش والتداول بالشأن المذكور ٠

ولأعود وأبلغه موافقتي على طرح الاسم ، دون أن يعني ذلك الموافقة الكلية ، لان الامر يحتاج لمزيد من الاستشارات قبل التقرير ٠ وعلى أن يبقى التحفظ واردا بيننا ، بدون نقله للمعنيين في الخمسة ، والاكتفاء بنقل الاستعداد المبدأي للمشاركة ، مثلما عليه أن يعمل على خط العم لتقرير الموقف نهائيا ٠ وأباشر بكتابة رسالة فورية للعم ، لوضعه في الصورة واستشفاف رأيه ٠

الاستشارات تجري بصمت وبهدوء كلي ، وضمن حلقة محددة والقلم دائما شغال بكتابة الرسائل ، وموقعي على الشيك بات محجوزا وترد رسالة جديدة من أبي محمود ، مثل الرسائل السابقة ، على غلافات علب السيلون ، يتحدث فيها عن المشروع ويستجلي مدى رغبتي بالمشاركة في عضويتها ، على أن أبلغ لاحقا في حال الموافقة رقم الاسر مقدمة لخروجي من المعسكر مع صلاح والدكتور نبيل !٠٠

لجنة أسرى !؟٠٠ عضو مشارك بها !؟٠٠ اجتمع مع الصهاينة ؟٠٠ أخرج من المعسكر ؟٠٠ مليون نقطة ومليار علامة استفهام ٠٠ واتكىء ليلا على مخدتي ، رأسي الى عامود الخيمة وعيناي الى أبعد من الضوء الكهربائي ، تنظران في البعيد البعيد !٠٠ عضو لجنة أسرى ٠٠خروج من المعسكر ؟!٠٠٠ الى أين ؟٠٠٠

صديقي الدكتور وشريك التجربة ، وأنا نائم الى جانبه في العيادة منذ ليلة العاصفة ما رأيه ؟٠ والمختار الطبيب أيضا ، والذي ورطناه كلانا في أوضاع المعسكر ؟! وأعقد خلوة مع الحكيم وأتلو عليه مضمون الرسالة ويسود نقاشنا أجواء الحذر والتخوف من بادرة من هذا النوع ، مع أشخاص ليس من سابق تجربة معهم ، مثلما قد تتعثر هذه البادرة ويساء فهمها !٠٠

أحتفظ بالرسالة كوثيقة وأستأخر الجواب لمزيد من الاتصالات ، وأهمها

الاتصال بالعم الذي لم يرسل لي برأيه .
ومع الصباح كالعادة ، نتشمس في سطيحة الوحل وندردش ، يطل محيو من المعسكر المجاور ونتحدث سويا ، فيحدثني عن مشروع تشكيل لجنة الاسرى، التي سيعلن عنها قريبا وموافقة الجبهة العربية للمشاركة بشخص حسن. أخبرته عندها بالرسالة التي تلقيتها من أبي محمود فاستغرب عدم ابلاغ موافقتي قائلا: يكون بوجودك أيضا لنا اثنان في اللجنة .. وبنتيجة المناقشة تتوفر القناعات الكلية .

وأكتب للعم مجددا ، وأحظى بموافقته . حسنا توفر الغطاء التنظيمي منه وبالامكان ابلاغ الموافقة ووجدت نفسي توا أمسك قلما وورقة وأخط رسالة لأبي محمود متضمنة الموافقة ورقم الاسر .. وفي اللحظة ذاتها أتسلم التعميم الثاني الصادر عن معسكر خمسة لتلاوته على الخيم والمتضمن خلاصة جلسة عمل بين صلاح بصفته أعلى رتبة عسكرية بين معتقلي انصار والدكتور نبيل بصفته مترجما من العبرية الى العربية وبين قائد المعسكرات .

التعميم رقم أثنين ، يتحدث عن الجهود التي بذلها « فيليب » رئيس بعثة الصليب الاحمر في انصار لعقد اللقاء المذكور ، عملا باتفاقية جنيف ، كما يتحدث عن الحوار الذي دار بينهما كفريقين . لخص صلاح بنتيجتها وضع انصار ومحنة الاسرى والتعذيب من الصفا والراهبات الى الجورة فالانظمة ووضع اليدين على الرأس الى العري والمجاعة في ظل استمرارية التحقيق ، والابقاء على اعتقال المرضى وكبار السن وصغارهم والمدنيين . وتحدث التعميم عن تحسينات في القضايا الحياتية ، مثلما تحدث عن زيارة للمعسكرات الجديدة شمالي انصار !.. والغاء نظام « اقعد على طيزك » ابتداء من الغد .

حملت التعميم ، من خيمة لخيمة ، تاليا نصه ومضمونه وموضحا منذ البداية حسما للجدل ما يلي :

١ ـ انني لست المرجع الصالح لمناقشة التعميم سواء كنت موافقا على مضمونه أم معارضا له .

٢ ـ انني أكتفي بالتلاوة والشرح اذا استدعى الامر ، لقناعتي أنه صادر عن معسكر خمسة ، المعسكر الذي تصدى لقيادة الاسرى بشكل تنظيمي وأنا مع الشكل التنظيمي الذي يحكم علاقتنا لمتابعة النضال في انصار .

نام المعسكر من جديد على هاجس المعسكرات الجديدة ، والحديث عن تحسين الاوضاع المعيشية والتساؤل عن الافراجات ومواعيدها ، والتي توقفت في الاونة الاخيرة بعد عملية التدمير ، التي استهدفت بناية الحاكم العسكري في صور ، وعيون معسكرات انصار بكاملها متجهة ، نحو قيادتها الجديدة في معسكر خمسة ، تلحظ وتراقب وتتحدث وترصد كل حركة ، حتى زيارة قائد المعسكرات مساء لمعسكر خمسة وحديثه في الساحة مع صلاح ونبيل و « التمشاية » في المعسكر والرسائل الورادة بوكالة أنباء الحمامات حريصة على وصف تقطيب الحواجب أو بسمات الشفاه ، انصار تنام بين حذر وترقب ..!

ـ القسم الثالث ـ

١ ـ الاعلان عن تشكيل اللجنة وتثبيت القيادة المشتركة للاسرى وزيارة المعسكرات

٢ ـ ذكرى استقلال لبنان في انصار

٣ ـ تشكيل لجان المعسكرات ومجزرة معسكر عشرين

٤ ـ كانون الثاني ، شهر التحرك النضالي ، الانتقال لانصار الجديدة وتشكيل اللجنة الفرعية وبرمجة الاحتجاج ، برنامج التحرك لأجل المرضى ثم اللبنانيين ٠

٥ ـ تفجر مشكلة التحقيق ووقفه ، نهاية روزنفلد

٦ ـ الاعلام والمجلات ٠٠٠ جماهير انصار العربية

٧ ـ حادث انتحار فريد حامد

٨ ـ زيارة « امري » و « كابيئلياك » وأول حادث هرب واحتفالات تأسيس حزب البعث العربي الاشتراكي ٠

الاعلان عن تشكيل اللجنة وزيارة المعسكرات :

انتهى العد الصباحي باكرا ، بدون وضع اليدين على الرأس ، وقصدت « سطيحة الوحل » لمتابعة الاوضاع عبر حركة الرسائل الطيارة . عقدت المجلس الصباحي كعادتي ، الدركي وعكاشة وابو السرحان ، بالاضافة لمجاهد وعلي السوري ، بهاء له موقعه ايضا ليتحفنا بنظرياته وافكاره واحاديثه ، عن بني اسرائيل وقوم لوط وراسبوتين الجرثومة بعد اصراره المطلق على ذلك وحكايته معها !

الدكتور في العيادة يتابع شؤونه اليومية والى جانبه المختار ، بانتظار قدوم الصليب وغالبية الاسرى بين خيمهم والطقس مشمس .

في الجانب الاخر معسكر اربعة ، حركته شبيهة بحركة معسكرنا ، محيو وسامح وشلتهما لم يستانفوا نشاطهم بعد ، وزاوية حمامهم تنتظرهم . ومشروع لجنة الدفاع عن حقوق الاسرى والمعتقلين والتسميات المرشحة ، ما زالت طي الكتمان وفي كواليس الكوادر القيادية ، لم يصل لمسامع وكالة أنباء الحمامات او حكايا اشياك انصار . والخط بات سالكا وامنا بيني وبين معسكر خمسة عبر الرسائل الطيارة .

لا احد في معسكرنا يعرف المشروع سوى الدكتور ، الذي اطلع على رسالة ابي محمود ، ومع ذلك لم ابلغه جوابي على الرسالة . اما المختار فقد علم من تقاطع اخبار الخطوط السرية للتنظيمات وعرفته فقط بأنه مطروح على المشاركة .

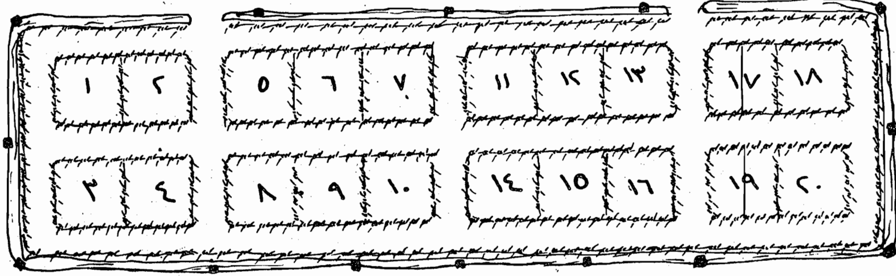
المخاوف لدى البعض قائمة ومن اي عمل مشترك ، خاصة بعد التعميم الثاني ، الذي صدر باسم معسكر خمسة وتحدث عن لقاء صلاح ونبيل مع قائد المعسكرات الصهيوني ، وتلمست هذه المخاوف غير المبررة بنفسي من البعض لدى قراءة التعميم .

فجأة حركة غريبة في المعسكر ، مشهد يشبه ، مشهد اطلالة الصليب ، وصوت على جانب الطريق الشمالية يقول : « بدنا أبو وضاح ... اندهوا على أبي وضاح ... » ويركض أبو هيثم واخرون باتجاهي ، نحو سطيحة الوحل قائلين : « صلاح بدو اياك .. قم .. صلاح قرب الشيك .. صلاح على البوابة »

حذاء عبدو اليمني ـ سهل الله امره ـ احتجته من جديد ، للخروج من المعسكر ، تناولته من جانبي ووضعته في قدمي بدون ربط شريطه وقفزت مسرعا الى البوابة والمعسكر بكامله ، كالحاجز في وجهي متسائلا « شو .. في .. شو .. في ... ؟» فعلا انهما صلاح ونبيل وصلا الى مشارف المدخل ومعهما ضابط ، اعتاد ان يأتي الينا مع قائد المعسكرات الجديد ، ولعلها







٣٩ ـ تقسيمات انصار بمعسكراتها العشرين عشية تشكيل اللجنة

اخر مرة يوم حادثة سعدو والشيـك ، الفعل الذي نسخته عاصفة الشتاء . وكثرت التساؤلات وازدادت مع فتح البوابة « ابو وضاح .. ابو وضاح .. الى أين ؟.. الى أين ؟.. » وأجيبهم ، سنتحدث لاحقا ... يتقـــدم الحكيم شريك التجربه مني معانقا وكذلك المختار ليقولا : ارجع لنا بأخبار . . واخرج مع ازدياد التصفيق في المعسكر وانطلاق الاصوات المنادية : صلاح ... صـلاح .. واصطفاف الجميع على الشيـك وليستقبلني اولا نبيل . انـــه نفسه الذي كان في صور وعرفته عندما زارني في المجلس السياسي وفـي معرض قضية ، ونتعانق ، وها هوذا صلاح بقامته الممشوقة الطويلة ، مكسور الخاطر ، يرفع شارة النصر باصبعيه ونتعانق بالرغم من طول قامته ونقبـل بعضنا وسط التصفيق الحاد ومواصلة المناداة ...

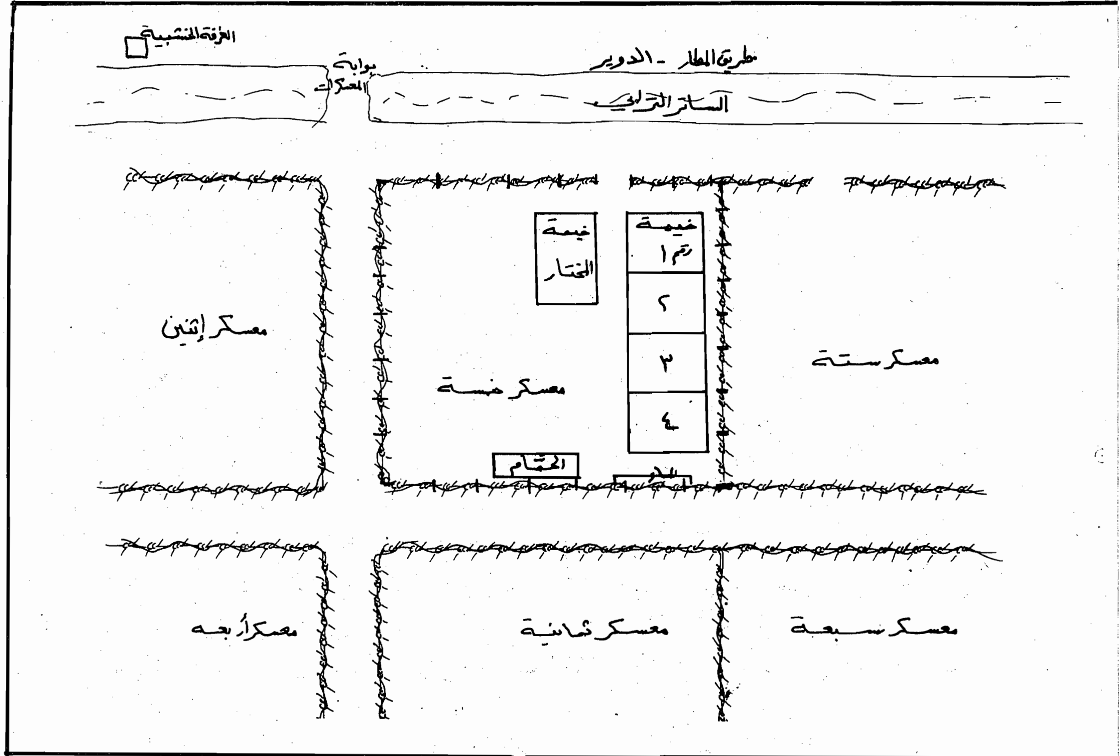
قبل اقلاعنا كانت الحمى قد انتقلت الى معسكر اربعة ، ومع سيرنا كنـا نشهد التراكض في المعسكر المذكور ، نحو المدخل بعفوية متناهية ، تشبـه احيانا عفوية الاطفال الصغار ، وعلامات الابتهاج بادية على محيو وسامح ، اللذان هما في المقدمة ، ولهما نصيبهما من المناداة والصيحات والتصفيق بحماس ونحن نحييهم بايدينـا ...

لدى خروجي من البوابة ، شعرت انني في عالم اخر . تذكرت حكايـة المحيطات والقارات وعوالم انصار وحبلة المختار ، التي كانت تنفذ الانظمـة لوضع هذا التصور . وها اناذا اكتشف مكنونات انصار بشكل حسي .. خرجت

للمرة الثانية من المعسكر ، المـرة الاولى لدى المحقق في خيمة مقابلة امـا الان فالـى اين ؟٠٠ واطرح السؤال على صلاح فيجيبني ٠ او لم يبلغك ابو محمود ؟٠٠ لزيارة المعسكرات ٠٠ وبعدها نتحدث ٠٠ كيف سنتحدث واين ؟ اسئلة كثيرة ، والاجابات عليها ، بحاجة لجلسة صفاء ٠ وهل بمقدورنا ان نجلس مع بعض جلسة صفاء ؟ زيارتنا لن تمكننا من الحديث مع بعض ، وجميع من في انصار فوجئوا بالحدث ٠٠ والحديث الان اليهم ٠٠ كل الحديث٠

كنت اتصور انني سأخرج من البوابة الى التحقيق او الى البيت ، وها انذا اخرج لزيارة المعسكرات ٠ هل يعقل ذلك ؟٠٠ انا في الطريق لزيارة معسكر ١٦ حيث ارسل احدهم رسالة لشارون ٠٠ واننا نحيي جموع الاسرى التـي ضربتها حمى انصار فتعالت الصيحات والنداءات ٠ لم اخرج الى البيـت ، انما خرجت باتجاه انصار ، جيد ٠ بالامكان رؤية الاحبة العم وقاسـم والدكتور عمـاد وابي عادل والغضبان وابي امين والثنائي كعور وابـي ابراهيم وكل الاحبة والمعارف والاصدقاء والرفاق ٠٠

على زاوية معسكر ثمانية يتكرر نفس المشهد السابق ، لا تقدر ان تميز بين الوجوه ، الجميع في تراكض وتدافع وتصفيق وها هوذا الغضبان ينـادي وأسأله عن أبي عادل وأبي أمين فاذا بهما الى جانبه يلوحان بأيديهما ، ونحن سائرون جنوبا ، والخبر قد سبقنا لمعسكر عشرة وللمعسكرات الاخرى ووكالـة انباء الحمامات بدورها ضربتها الحمى وباتت شغالة بفعل الحدث الجديد المفاجيء ، مثلما معسكر تسعة في الانتظار لابصر قاسم والدكتور عماد وابي قاسم ٠ في المخيم عشرة العم ومجموعته وابو الحسن وحتى سكران هنا ٠ انه رفيق الزنزانة في الجلمي ٠٠ والحمى ترتفع درجة حراراتها وتعبر عـن نفسها بالتصفيق والصيحات والصرخات العفوية ٠٠ الله اكبر ٠٠ الله اكبر ٠٠ ليبدأ ترديد الهتافات والشعارات، الصورة الكلية تبقى طاغية على الجزئيات٠٠ ويستحيـل تذكـر الاسـماء والصـور التفصيليـة ٠ كل مـا يجـوز قوله ان انصار في يوم طوفان جديد ، طوفان الفرح ، بل يوم قيامة مـن قياماتهما ، وقد تكون القيامة الاولى ٠ نشهد حدثا نعيشه بملء الجـوارح نعيشه من القلب الى القلب ، قلوب الجميع مشتاقة ليس فقط لرؤية الاهـل وتذوق الحرية وانما لرؤية البعض لبعضهم الاخر وشركاء التجربة متقاسمـي الجوع وضربات العصي ٠ الضابط معنا ، بالكاد حتى اتذكره ، لانني منفعل كليا مع الجو الطاغي ، اتصرف بعفوية وطنية ملحوظة من تعابيري وكلماتي مثل عفوية الاخرين ٠ واحس ان الرقابة علينا انعدمت ، الا رقابة المغلوبين والتجانس معهم اكثر فاكثر ٠ لقد بـت اشعر ان الرؤية قد تحققت والحلـم بات امـرا واقعا ، بالتحول من رقم كمي الى رقم نوعي ٠ لم اعد الان اسمي ٥٠٦٦٠ ، لقد عدت لاسمي الحقيقي ، وحتى بطاقة الاسر ليست في جيبي الان، لقد تركتها في المعسكر مع بقية البطاقات ليصوروننا اليوم ويضعوا الصـورة



٤ ـ تقسيمات معسكر خمسة والمعسكرات المجاورة

عليها . اننا الان في معرض التصوير السياسي لا الفردي آه لو كان في انصار صحافيون هذا اليوم لاخذوا لمدينة الشرطان صورا تاريخية ..

فتح بوابة معسكر عشرة بعد ان عدلنا وجهة السير ، ذكرنا بوجود الضابط ودخلنا ثلاثتنا المعسكر .

مباشرة من المدخل ، الواحد تلو الاخر ، على الاكتاف محمولون مع الهتافات والتصفيق ويسير الموكب باتجاه « سطيحة الوحل » لا بل « سطيحة الكرامة والشرف » والمعسكرات المجاورة تطل من خلف الاشياك ولا تمتلك سوى المناداة .. والهتاف بحماس .. ويبدأ معسكر عشرة بترديد انشودة « انا يا أخي ... » .

لا مجال لان نتحدث مع احد فرديا ، كل ما بامكانك ان تحدث الجميع ، والعيون وحدها تتكلم مع بعضها البعض ، مثلما تتكلم الشفاه المشتاقة معبرة عن حرارة الشوق وحرارة الشراكة الجديدة ، شراكة العذاب والالم . كل العيون تطرزها وتوشيها علامات البهجة والفرح والشعور بالنقلة النوعية في انصار .

هزمتنـــا الصهيونية مرات عدة ولم نستطـع أن ننتصر عليهـا ، وها نحن ضمن الاشياك نفرض النصر ونعلنـه ٠٠ ورب متسائل اي نصر حققتم ؟٠٠ النصر الذي حققناه هو تحرير ارادتنا ضمن الاشياك ، باعلان جمهوريـــة المغلوبين والمعذبين ، جمهورية مدينة الشرطان ٠٠٠

وقف صلاح والقى كلمة تعبوية اكد فيها على المبادىء والحق الوطنـــي والاصرار على مواصلة الطريق واعلن عن تشكيل لجنة الدفاع عن حقـــوق الاسرى والمعتقلين بموافقة كافة الكوادر من مختلف التنظيمات والانتماءات الوطنية في انصار واهاب بالجميع التمسك بالافكار والمعتقدات التي مـــن اجلها وضعنا ضمن هذه الاشياك ٠

واقف بعد صلاح ، لاتحدث ، ولدي مشاعر بأهمية الحدث التاريخي في انصار ولأركز على عطاء الدم والشراكة القومية للشعب الفلسطيني خدمة للقضية الاساسية والمركزية ، مثلما أكدت على الانجازات الانصارية التي كانت مقدمـة لولادة اللجنة واسقاط المشروع الصهيوني الذي أراد لنا التخاذل والتساقط فاذا بنا ومن تحت ركام العذاب والمعاناة نعود وهاماتنا مرفوعة مـــن جديد لنكون أكثر وفاء للدم وأكثر اصرارا على القناعات ، مثلما تحدثت عن العودة للارض والدير مرفوعوا الرأس ، نعتز بانصار وبحرصنا على ايماننا بها لنواصل متابعة مسيرة التحرير التي بتنا معنيين بها أيضا أكثر من أي وقت مضى باعتبار أرضنا محتلة الان وتستصرخ ضمائرنا ٠

وانتقل الحديث من بعدي الى الدكتور نبيل الذي تحدث في الجانب التعبوي والاجتماعي ، لنغادر بعدها معسكر عشرة باتجاه معسكر ١٦ والاناشيـد يستمر ترديدها ٠ بينما سكران يذكرني بحكاية الزنزانة على المدخـــل ، وزيداني يودعني بعبارة مشهورة لي في الجلمي « أين ديمقراطيتكم الكاذبة يا جيــش الدفاع ؟٠٠ » وبيضون ، وأبو قاسم يؤكدان موعدنا مع بنت جبيل ٠٠٠!

لاول مرة ، حقيقة أكتشف انصار ومعسكراتها ، عرفت ترتيبها سابقا مـــن حركة الرسائل الطيارة ، لكن لم أرها بأم العين كما أرى قيامتها المتواصلـــة المستمرة هنافات وأناشيد أينما وأنى أطللنا ، ونداءات بالاسماء لكل واحد منا في معسكرات ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، وقد بتنا على عتبة بوابة الاخير ، ندخله كمـا دخلنا معسكر عشرة وعلى رأس اهتماماتنا معالجة قضية الرسالة المرســـلة لشارون من أحدهم !٠٠

لم أفاجأ بصاحب الرسالة ، لانني كنت أعرف طبيعة العلاقة المصلحية التي تربطه بالوضع والمنافع التي حددت له ولاءه سابقا ٠ وها هو ذا الان يجد نفسه بصاحب الغرم ، متناسيا غنمـه الســـابق ٠٠٠ نعم انـــه أبـــو ملجم ٠

ونعقد في المعسكر ندوة مفتوحة نتحدث فيها عن الظروف النضاليـة ، التي آلت بنا جميعا الى انصار ، وضرورة حرصنا على القناعات التي وضعتنـــا على درب النضال، والتي تستبعد بشكل أولي استجداء الحرية من شـــارون

والتي لن يعطيها ، وحتى اذا أعطاها لن تكون حرية بل عبودية أقسى من عبودية السجن ، لانه لم يسبق لمحتل وعدوان أعطى الحرية للذين احتل أرضهم ٠

وننطلق بعد ذلك باتجاه معسكر عشرين حيث كان استقبالنا لا يقل شانا عن المعسكرات الاخرى وبنفس الحماس مباركا خطواتنا المعلنة ٠

زيارة معسكر عشرين كان لها الطابع الاستشاري لبعض الكوادر ، حيث كانت محطتنا الثالثة ، ولها أيضا علاقة بتشكيل اللجنة والاعلان عنها ومدى قدرتها على الاقلاع والخطوط الوطنية التي تحكم مسارها وتتحكم به ، وبمعنى اخر التطمينات اللازمة لاسقاط المحاذير ٠

في المعسكر التقيت بأبي أياد وحسن مثلما التقي صلاح بمسعود وكوادر اخرين ٠ مختار المعسكر ذاته مختار معسكر واحد سابقا وصاحب خطبة العيد وعبارة « حبايبي » والذي طالما اشتقت للتعرف عليه ٠

كان بتقديري أن المحاذير من زاويتي ساقطة والطريق ممهدة بموافقة العم على المشاركة كموافقة تنظيمية أولا وأساسا ، وكلام محيو سابقا لي عن اللجنة استطرادا بصفته أحد قياديي الجبهة والذي أبدى رغبة تنظيمه بالمشاركة بشخص حسن ٠

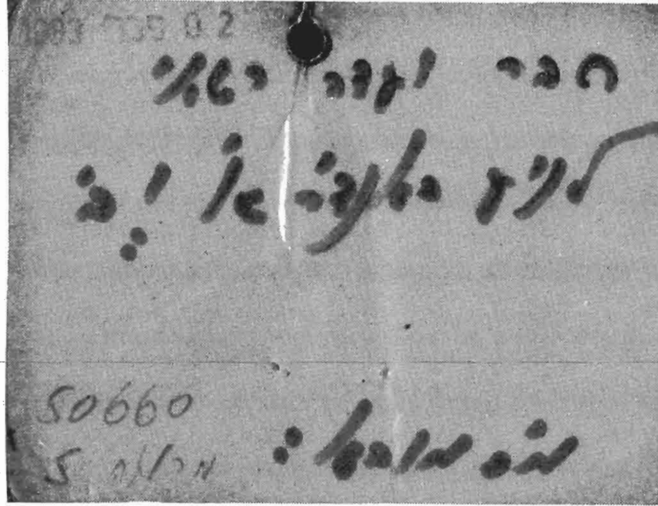
وكنت على قناعة كلية أنني بحاجة فقط للتأييد الحزبي لوحده وهذا متوفر لان طبيعة تمثيلي يستند لهويتي الوطنية اللبنانية أيضا ، بصفتي ممثلا للحركة الوطنية صاحبة السلطة في التأييد أو عدمه دون أي طرف اخر مع أهمية عدم وجود أطراف معارضة ٠

اللقاء مع حسن وأبي اياد ثنائي الجبهة كان ايجابيا ٠ أبدى حسن في الجلسة استعداده للمشاركة باللجنة بقدر ما تسمح بذلك ظروفه الصحية وبقائه أيضا في معسكر عشرين ٠ واعتبر تنظيمه ممثلا بي كما أيد أبو أياد ادعاءه ٠ غادرنا المعسكر ، وبعد أن أتيحت لي أيضا فرصة الحديث عبر الشيك مع معسكر ١٨ والمجموعة الصورية التي في داخله والحاحهم على زيارتنا لهم ٠

وعبر مرورنا بالجهة الاخرى الشرقية أصر نبيل على زيارة معسكر ١٨ مثلما أصريت على زيارة معسكر خمسة لأتعرف على معسكر الضباط والقيادات ونتفق أخيرا على تأجيل زيارة الاول لموعد اخر ونواصل مسيرتنا ٠

الحمى استمرت والقيامة ما زالت قائمة ونحن في الطريق والاصوات والنداءات والاناشيد تتعالى من كل معسكر ، حتى اذا وصلنا الى عتبة معسكر ١١ النزل الجديد للوافدين الجدد ، صرخ أحدهم قائلا : « عمو أبو وضاح وضاح بخير ، كنت معتقلا أنا واياه في بناية عزمي وقد أخلوا سبيله وعاد الى البيت ، « بدنا نشوفكم » وارفع كلتا يدي محييا الجميع ٠

معسكر خمسة ، معسكر هادىء وصامت ، تجمع البعض على البوابة قائلين: « رجع صلاح ٠٠٠ رجعوا » ويسالني الضابط الصهيوني : كم ستتأخر ؟ أجيبه:



٤١ ـ بطاقة المؤلف بصفته عضوا في لجنة الاسرى

عشر دقائق فقط ٠ واذا به يقول : اقعد قدر ما تريد ٠ اسالك لكي أعود اليك لترجع الى معسكرك ٠ وأجيبه مجددا : حسنا ، عشر دقائق ٠ وندخل ثلاثتنا المعسكر ٠٠٠

وجوه جديدة وأخرى منسية تصادفني ، أتعرف على أبي أدهم المختار،وأبي يوسف شاويش المطبخ وأبي عدنان نائب المختار وأتذكر بأننا نعرف بعضنا جيدا وأجد اخرين ٠٠٠ في وجهي ٠ وأسال عن أبي محمود وأين هو ؟٠٠ نسلم على بعض ونتحدث سريعا عن اللجنة وضرورة عملها ثم أجد نفسي متسائلا عن أبي ابراهيم والفران وابن أخ الحكيم ولكل واحد من الاخرين بحوزتي قبلات أحملها عن حكيمنا ومختار معسكرنا فألتقي بالجميع ٠

الدقائق العشر مرت بسرعة ومن بين الوجوه،كان الجبلي وأبو سليم ضيفنا في القاووش الكبير ٠ وفي معسكر ستة مجموعة ابن زريق على الشيك ، أحييهم وأعود للضابط الذي يناديني ، وأنا بالكاد استطعت أن أتكلم على عجل مع هذا أو ذاك ٠ خرجت معه آخذا طريقي الى معسكر ثلاثة دون أن يخلو الامر من مناداة أو صيحات من معسكري أثنين وواحد ٠٠٠

في الطريق كان لدينا متسع للحديث ، أنا والضابط الصهيوني ٠ قال متمنيا أن أعود قريبا الى استئناف حياتي الطبيعية ، وانه سعيد في هذا اليوم بلقائنا لرفاقنا الاسرى وأعرب عن ارتياحه لراحة الجميع وتفهمه للعقلية العربيةأكثر من سواه بحكم خدماته في الضفة الغربية ٠٠ واستطرد سائلا : هل أنت متزوج؟

ـ نعم عندي تسعة أولاد والطفل التاسع ولد قبل أقل من شهر ٠

ـ وما اسم ابنك الاكبر ؟

ـ وضـاح

ـ أنا ولدي اسمه ميخائيل ، أسميته على اسم ميخائيل نعيمة لانني أحبه .
ـ هل قرأت كتاباته ؟
ـ نعم ويعجبني .

ومع الكلمة الاخيرة كنا على زاوية معسكر ثلاثة ، حيث تحرك الجميع باتجاه المدخل لفهم حقيقة ما جرى ، وهم أولى بأن يعرفوا كل الامور بحكم وجودي بينهم ومعايشتي لهم .

الى سطيحة الوحل ، هناك نتحدث ، أنا منكم وبفضلكم شاركت في عضوية لجنة الاسرى !. أقول الى سطيحة الوحل لنتحدث كما اعتدنا .. وأسير بين الحكيم والمختار بعد أن حملت لكل منهما قبلة كنت حريصا على التسديد الفوري ، مثلما كنت حريصا على تسديد قبلات منقولة للاخرين .

جلسنا الى السطيحة دون أن أنسى بهاء الذي أشعلت له سيكارة وأجلسته جانبي وتحدثت اليهم عن ظروف تشكيل اللجنة وأوضاعها ووصفت لهم الزيارة التي قمنا بها والمشاعر التي لمسناها ، وأوجزت خلاصة موقفي وعدم بوحي سابقا بما حصل وتخبئته عنهم ، انني كنت أمام خيارات صعبة ، فيما مضى والان ، فيما مضى وأثناء تواجدي في المعسكر كان بامكاني السكوت على الظلم وعدم التصدي له ، وذكرتهم بما يعرفون عن معاناتي مع المختار السابق ليس من أجلي وانما من أجل المعسكر . أما الان فاما أن أبقي رأسي الى عاموذ الخيمة ملتصقا أو أخرج لخدمة كل الاسرى وتحمل أعباء الخدمة بما يترتب على ذلك من ابقائي حتى اخر معتقل في انصار وقد قررت الخروج وتحملت النتائج بالرغم من حاجة أسرتي الي حاجةملحة .

أما الاخبار هاجس الجميع ، لم يتوفر أي جديد من معلومات لانقلها، حتى انني لم اتمكن من رؤية الكثيرين من أصدقائي ومعارفي في المعسكرات وأنا حريص على أن أنقل كعادتي كل ما هو جديد ، وأنا بين أيدي الجميع ومعهم !

يتدخل المختار قائلا : أبو وضاح ما زال بدون غداء ، وعليه أن يتناول طعامه ولكن محيو على الشيك .

اتجه نحو المطبخ ، بعد مقابلة محيو السريعة ، وأجلس ليسألني المختار عن خاله والحكيم عن ابن أخيه وأتحدث عن روعة استقبالنا في المعسكرات والمشاهد المؤثرة .

الضابط الصهيوني أبو ميخائيل على الباب من جديد ، وبعد أقل من ساعتين طالبا المحامي وتحضير أمتعته الشخصية للانتقال الى معسكر خمسة..وجمعت أمتعتي ، التي كانت مودعة في عيادة الطبيب ، منذ ليلة العاصفة ، وقدمت الى البوابة التي فتحها فوراً ومقدرا من جديد انني بت رحالة انصار ، أدب في بقاعها الواسعة بنفوس نزلائها الاسرى ..

المعسكر من جديد فوجىء وخرج من خيمه واتجه نحو المدخل لمعرفة ما حدث مرة أخرى .. واتجهت الاسئلة لي : الى أين ؟ وأجيب الى الخمسة ...

الى معسكر الضباط . . ! لا تطيل علينا الغيبة . . ! سأعود اليكم سريعا ، صدقوني ان انتقالي ليس في خاطري ، أنتم في القلب وفي الوجدان . أنتم الاهل والاحبـــة . . .

أبو ميخائيل على البوابة في سيارة عسكرية مقفلة ، ويساعدني بحمل الامتعة وأجلس الى جانبه ، حيث يقود السيارة بنفسه ، ويقول لي : حضرت شخصيا لنقلك احتراما لك ، كان بامكاني أن أرسل الجنود ، انما فضلت أن آتي اليك بنفسي وأسأله : ولما النقل ؟! كنت أتمنى أن أنتقل الى بيتي وليس الى معسكر الضباط كما تقولون عنه . .! أنا لست عسكريا . . .

اجاب : هذه رغبة صلاح ونحن نلبي طلبه بنقلك . . ! بتنا على مدخل معسكر خمسة ، المختار على الباب يستقبلني والرفيق أبو ابراهيم يستـــلم أمتعتي ، وأنباء الحمامات ، نقلت الخبر بسرعة الى مختلف المعسكرات حيث وجـــدت مجموعة من معسكر ثمانية بالانتظار على الشيك . .

استأذن من قابلتهم في معسكر خمسة لأتحدث مع مــــن ينتظروني ولأعود فأستأذن من الاخرين لمقابلة غيرهم على زاوية التسعة فالستة ، والموعد القـــادم بانتظاري على شيك الاثنين فزاوية الاربعة .

تبدأ دورتي على الشرطان دون أن تجد لها نهايات . وعلي أن أقابل الجميع سيما معارفي وأتحدث الى الكل هنا وهناك ، والحديث متنوع الاشكال والالوان ، من الهموم الشخصية والعائلية الى الانصاريات فآخر الاخبار والتوقعات .

منامتي أصبحت في الخيمة رقم ثلاثة ، وما زال الرقم المذكور نجم الارقام من عتليت الى معسكري الاول في انصار ومنه الى خيمة المنامة الجديدة ، وها أنذا أصبحت ضيفا على أبي ابراهيم . أما العد الصباحي فهو في الخيمة رقم واحـد والاقامة شبه الدائمة في خيمة المختار ، بل الزاوية منها ، التي أعدت بشـــكل مقبول أكثر ترتيبا . الحاجز بين المطبخ وغرفة قيادة انصار أكيـــاس التموين من الرز « المكسر » والكرسنة أحدث أكلة منوا علينا بها ، وحرامات فاصلـــة بشكل جيد ، أخرجت وكأنها ديكور ، أضيف لذلك ، صناديق خشبيـــة وضعت تحت « خشبة النوم » بل الخشبات العائدة للمختار ونائبه وشاويش المطبـــخ وصلاح ونبيل ، ونظمت في الخلف أيضا على ارتفاع معين للكتب والدفاتر بحيث ظهرت كأنها غرفة نوم عصرية ومن الجهة الجنوبية طاولة ومقعد وحمام .

وأسأل ما هذا ؟ يجيبني المختار : حمام ، وهو يضحك ويستطرد : انهـــا مشاريع صلاح ، ويعلق أبو يوسف مازحا بدوره : يا أخي أنت لا تعرفه « شو جابك لهون ؟ . . تحط عقلك بعقله ؟ . . » صلاح يعمل وكأننا باقون هنـــا الى أبد الدهر ، لا يريد أن يخرج من هنا . . وأدخل الى الحمام لأتفحصه ، واذا به مفروش بدلا من الرخام أو البورسلين بخشب الصناديق وجدرانه وسقفه مـــن الحرامات المغلقة داخليا بالنايلون المسحوب من غلافات فرشـــات الاسفنـــج وتمديداته قناة محفورة في التربة تلتقي مع قناة المياه الممتدة من المطبـــخ .

ويعلق صلاح قائلا : يا أخي لم يفهموا علي في هذا المعسكر الا بعد « الصيحة » أتيت ووجدت نجمة داود في ساحة المعسكر مرسومة بالاحجار وسألتهم : مـــا هذا ؟ قالوا : نجمة داود ٠٠ ولما هنا ؟٠٠ وضربتها في رجلي فقامت الصرخة: صلاح مجنون ، يريد تخريب بيوتنا ٠ لو ترى في حينها ، كثـيرون تعلقوا بي قائلين : لا لا يا صلاح ٠ دعك من هذه الاعمـــــال ! نريد أن نخرج لأطفالنـــا وعائلاتنا ، لا تجني علينا٠ وكثيرون بعد ذلك حاولوا اقناعي بالتزام الصمت ! عندما وجدوني أخرج من الخيمة وأتمشى في ساحة المعسكر وعندما كنت أدعوهم لاعادة تنظيم الساحة بما يتناسب ومفاهيمنا ٠٠ وكان ما كان من أمرهم !٠٠٠ يا أخي عقلهم غليظ آمل ألا يكون عقلك مثلهم وهذا هو تقديري ، وعليـــك ألا يسهى عن بالك أحيانا أنني بدوي الاصل و « تعمري » ولــذا تراهم يتهمونني أحيانا بالجنون ٠ أسمعهم يقولون لبعضهم بعدما أتيت « صلاح خالص كازو ٠٠ صلاح بيجمع » ٠٠ صلاح له أقران في المعسكر ، الدكتور عياش وعلي نار ٠ أنت بدون شك لم تتعرف عليهما كانا في استقبالك عندما قدمت في كلتي المرتـــين ، ينتظران منك أيضا ان تفرج عنهما ٠ ويعلق أحد الموجودين ممازحا : لقد بات لهما صوتان ، صوت صلاح وصوت أبي وضاح ليسندا ظهريهما الى تبن !٠٠

وأجد نفسي للوهلة الاولى معاتبا صلاح قائلا : ما بك يا أخي « تعشيتنـــا قبل أن نتغداك » ٠ وهل صحيح أنك طلبت نقلي ؟ ولما لم تخبرني صباحا ؟! ويجيب : يا أخي هل توفر مجال في الصبــاح لنتحدث ؟ نعم أنـــا طلبت أن ينقلوك ٠ وقد استأنفت الحوار على الشكل التالي :

لكنني تخوفت من ذلك لعدم معرفتي السابقة ٠ ولم أحمل معي بعض الكتابات الشخصية والرسائل ٠ تركتهم في المعسكر ٠

ـ من حقك أن تتخوف لان العدو دائما عودنا على غدره ٠

معسكر ثلاثة ، وسط الزحمة ، ما زال له وقعه في الذهن ، بصورة الجماعة والافراد ، وخاصة الدكتور وبهاء وكافة الذين فوجئوا بالنقل مثلي ٠ لقد قلت لهم أنا منكم وبينكم ومعكم وصدى صوتي ما زال في الاذان ٠ وها هوذا الدركي والحكيم يرددان قول : تتركنا وحدنا وتذهب ؟ سنفتقد لك أكتب لنا دائما ٠ وأعدهم بالكتابة لدى وصولي الفوري الى معسكر خمسة ٠ وبهاء بدوره أيضـا كان في وداعي صامتا على غير عادته ، أعتقد أن نظرياته تعطلت بفعل الحدث الذي حصل اليوم وعقله غير قادر على تقبل ما حصل ، مع قناعتي أن ذلـــك لا تتقبله الا العقول الكبيرة مثل عقل بهاء !٠

وأجد نفسي على ذكر الجنون والمجانين وأبي نار وعياش واللذين حضرا للتو وسلما علي وتخلص منهما أبو سليم بقوله : « يا الله مع السلامة يا دكتور ٠٠ ويا ميجر علي ٠٠ أبو وضاح أخبرناه بوضعكما وهو جاهز لتبني قضيتكما » ! وأجد نفسي بجديتي المعهودة سائلا أبا سليم ، ما هي قضيتهما؟وماذا بمقدوري أن أفعل لهما ؟ ويجيبني بايجاز :

ـ على نار ، ضربه الصهاينة قائلين له أنت كابتن واستمروا في ضربه حتى قال لهم انه « ميجر » ويعلق صلاح :

ـ حضارتهم أوحت لهم ، أن علي نار بشكله البدائي الذي يشبه القرد ، يمكن أن يكون ميجرا · ويتابع أبو سليم :

ـ أما عياش فقد واصلوا ضربه حتى فقد ذاكرته · وأعود متسائلا وموجها حديثي لأبي سليم :

ـ ماذا تريدني أن أفعل لهما ؟! ليجيب الاخير :

ـ الليلة تتحدث بشانهما مع قائد المعسكرات في الاجتماع !··

وأحدث نفسي ··

اجتماع قائد معسكرات ···! جدية وعقل صغير !·· عقل سوي ·· جنون وعقل كبير·· وأحس أن رأسي قد برم، عقل بهاء لم يتقبل حدث اليوم الظاهر، فصمت ! ، فكيف يكون عقلي قادرا على تقبل الحدث الباطن ؟·· اجتماع قائد معسكرات ، يهود ، صهاينة ، أحفاد موسى ، عصي ، كلبشات ··· الخ ··· ولكن ألست مجنونا بخروجك من معسكر ثلاثة وقبولك بهذا الدور ؟··

ويبقى في مخيلتي بهاء لأتحدث عنه وعن فنونه ونظرياته ، وشوقي لـه وللحكيم ولمعسكر ثلاثة ، واعجابي بشقيق بهاء وأغانيه على الشيك لا سيما أغنية:«مين مين مين الثورة لم تنسى المقنعين»·· ويدخل أبو محمود ونسلم على بعض وأبلغه أنني سألت عنه وفهمت أنه كان يصلي ، فأجاب بالايجاب ، وبعد المجاملة الايمانية التحق بالحلقة ليدخل غوار قائلا :

ـ أبو وضاح مطلوب على الشيك · ويتدخل صلاح قائلا :

ـ يا أخي أصرفهم حديث الشيك ليس له نهاية · · نريد أن نرى بعضنا حتى الان لم نقعد مع بعض ، الدكتور نبيل ما زال في علاج المرضى ، وأوشك أن يصل · وهذا أبو محمود حضر وانتهى من صلاته · قل لهم مشغـول !··· وأجيبه تلبية لرغبة الجميع :

ـ سأتحدث اليهم لاحقا ···

وأعود مجددا للحديث مع نفسي وسط الجلسة الدائرة : معسكر خمسة اعتاد دائما على المفاجآت ، بالامس القريب حضر « روزنفلد » اليه و « تمشى » مع صلاح في ساحة المعسكر ، وبالامس البعيد حضر « أبو شريف » ، المحقق الشهير، وتمشى « بدوره قرب المعسكر · ومفاجأة اليوم كانت نقلي الى معسكر الضباط !

في المعسكرات الاخرى بعضهم قال عني : مجنون ! كيف يكشف نفسه لينقلوه الى معسكر الضباط ، وقد بات مركز قيادة الاسرى ! بالامس تعميم بمناسبة وعد بلفور باسم الخمسة وبعدة تعميم بشأن لقاء صلاح ونبيل بقائد المعسكرات بذات الاسم · فعلا اليوم يتدرج اكتمال تشكيل القيادة بقدومي الى المعسكر والحبـل على الجرار ، وعيون الجميع باتت باتجاه الخمسة ، فلا عجب ممن يقفـون على الشيك مقابل معسكر القيادة للتحدث معي أو مع سواي من المعنيـين ،

وأبرزهم من باتت أسماؤهم معلنة ومعروفة هم أعضاء لجنة الدفاع عن حقوق الاسرى والمعتقلين ٠

عنواني بدوره بات تلقائيا ، الخمسة ، بدون حاجة لابلاغ أي كان ، وكالة أنباء الحمامات ، تعهدت النشر والتعميم كعادتها ، وقبل مغيب الشمس كانت انصار بثمانية الافها عالمة بالحدث الجديد ، ألا وهو انتقالي، بعد حدث الزيارة في الصباح ، وباتت حركة الرسائل الطيارة متجهة بدورها تلقائيا على عنواني الجديد ، مثلما باتت تنقل لي،وأنا في خيمة القيادة مع الجمع الجديد نتجاذب أطراف الحديث ٠

حتى الان لم يتعد الحديث مع بعضنا اطار العموميات والتأهيل بقدومي ٠ أما برنامج العمل فلم نتطرق اليه ، وكل ما في الجعبة هذه الليلة لقاء قائـــــد المعســـكرات ٠

ظروف المعسكر الصغير ، الذي يحتوي على مايه وعشرة معتقلين لا تسمـــح بعقد أية خلوة وأين تعقد الخلوات ؟

أشارك في الحديث تارة وأستمع طورا وأنظر لأبي محمود من حـــين لآخر مبتسما ، مثلما يتطلع الي ، وكل واحد منا لديه العديد من الاسئلة والمواضيع، التي تشكل مادة للبحث ونفتقر لمكان الحديث ٠ حسنا لننتظر ونرى !٠٠ وماذا نرى ، سبق السيف العذل ، وبدأت أحس بالغربة من اليوم الاول !٠٠٠

ومع الانتهاء من العشاء الاول في المعسكر الجديد كان الضـــابط الصهيوني « روزنفلد » مع أبي ميخائيل ، ضابط الارتباط ، على البوابة٠ويدخل العريني على عجل قائلا : جاء قائد المعسكرات ٠ ونتحرك ثلاثتنا الى البوابـــة ، التي وصلها وفتحها من مفتاح في جيبه ٠٠٠!

« روزنفلد » ذاك الضابط الاشقر اللون على شاكلة الايرلنديين ، كبير السن ٠٠ هو نفسه الذي شاهدته على بوابة معسكر ثلاثة قبل انتفاضة الشتاء بيـــوم واحد ٠٠ تذكرته ، ومع وصولنا الى البوابة سأل قائلا :

ـ صلاح حضر المحامي الى عندكم اليوم ؟! فأجابه :

ـ نعم ٠ ثم أردف قائلا :

ـ أنا وعدت ويهمني أن أكون صادقا ٠ وتمتد يداه لمصافحتنا ٠ وأمد يـدي مضطربا !٠٠ ويعرفه صلاح علي ونسير شمالا مع بعض ٠٠

أنا ذاهب لاجتماع مع الصهاينة !٠٠ أنا أصافح صهيونيا ٠٠ لأول مرة فـي حياتي !٠٠ أنا أتحدث مع الصهاينة ٠٠ عمالة ٠٠ خيانة ٠٠ جرم كبـــير !٠٠ علي أن أعود للمعسكر ٠٠! لا بل لمعسكر ثلاثة !٠٠ لا يمكنني ذلك أبـــدا ٠٠ وأحدث نفسي وأنا مضطرب ومربك : لا تكن ضعيف الشخصية !٠٠ هربك هو ضعف بعينه !٠٠٠ الخطوة اليوم كان لها أهميتهـا ، فكن بالمستـــوى المطلوب وطنيا !٠٠ قد تأخذ موقفا في لحظة ما أهم بكثير من موقف الضعف هذا !٠٠ لما هذه الوساوس والعقد تابع وكن بمستوى المسؤولية الوطنية !٠٠ وقد أعتدت

أن تنجح في كل الامتحانات الصعبة !٠٠
نخرج من بوابة المعسكرات الشرقية لنسلك طريق انصار ـ الدوير ، قدماي لم تطئان الاسفلت منذ أمد طويل ،وأشتم" رائحة الجنوب الحزين ،رائحة الحرية التي حرمنا منها ، مع هواء الطريق العام الذي لي معــــه شريط كامل مــن الذكريات الشخصية في ذاكرتي !٠٠

ولا اتمالك نفسي ، وابدأ بالحديث عنها مقاطعا الضابط الصهيوني ابــي ميخائيل الذي كان يتكلم معي بالعربية عن ميخائيل نعيمـــة ، تتمــــة لحديث المساء بينما كان الاخر يتكلم تارة بالانكليزية مع صلاح وبالعبرية مع نبيـــل وطورا بالعربية التي لا يجيدها جيدا معي ٠ وينقل له نبيـــــل بعضا مــن ذكرياتي مترجمــــا ٠٠

المسافة قريبة جدا وتمتد الى ما قبــل البناية الشهيرة ، وسط الطريق العام، والتي يشغلها كقيادة معسكرات ، حيث وضعت غرفة خشبية منذ مدة طويلة ، وها نحن ندخلها ليجلس في الجانــب الشرقي منها ٠ خلف مكتبه والى جانبه ضابط الارتباط الصهيوني ، بينما نأخذ نحن الثلاثة مواقعنا في المواجهة ٠

الحديث عن لبنــان واوضاعه لــه حيز من بدايات الجلسة ، روزنفيلد يحمل عقدة الكتائب واحتقارهم ، ويتركز النقاش حول التركيبة الطائفيــة والاجتماعية للمجتمع اللبنانــي ٠

ومن حديث التعارف فالضيافة الى معرفة اخر الاخبار عن بناية عزمي ؟٠٠ يتناول من جانبه مجلة بالانكليزية « الجيروزاليم بوست » ويقول ان التحقيق الذي اجرته قيادته اثبت خللا في البناء وان التدمير نتج عن الخلل المذكور ، مثلما تم استجواب المهندس الذي وضع تصميم البناء واشرف على التنفيذ ، وبدا في المجلة صورة المهندس الصوري ريمون صالحة ٠

كان رأينا ان ذلــك يمثل المقولة الرسمية لدولته ، لانه من غير صالحهــا الحديث عن مقاومة ضد احتلالها في الجنوب ، خاصة بعد مظاهرات حركة « السلام الان » التي تطالب بالانسحاب الفوري من لبنان ، بقناعاتنا ، ان العمل عمل مقاومة ، كما اعلن عنه في لبنان ونبشرهم انهـــم اذا تأخـــروا بالانسحاب من لبنان سيغرقون في رماله المتحركة وستتواصل العمليات ضد قواتهم ٠ يصر روزنفلد على التفسير الرسمي لدولته ، مضيفا انــه من غــير المعقول أن يتمكن أحد من تنفيذ عملية في مقر الحاكم العسكري ، مثلما نصر على وجهة نظرنــا ٠

اللغة الرسمية ، التي اعتمدت في البداية هي الانكليزية ، واخذ صلاح دور المترجــم ليعود ويتخلى لنبيل عن دوره وليترجم الاخير من العبريــة واليها ، ويتخلل الحديث شيئا من العربية ٠

ومع العودة للحديث عن زيارة الصباح ، وضرورة تمكيننا من تكرارهــا والوعد بذلــك ، يعود روزنفلد للتحدث عن التغيير الذي طرأ على عقليتــه

وتفهمه لكثير من القضايا ، التي كان فهمها خاطئا في ذهنه باعتباره كـان يتلقاها من مصدر واحد ، وان رؤية الميجر علي نار وعياش جعلته يعتقـد بوجود كثيرين من أمثالهما في المعسكرات ، وبضرورة ليس الافراج عنهما فقط وانما عدم اعتقالهما اصلا ، وليوضح ان النية لدى دولته لم تكن باقامـة معسكرات دائمة بدليل طبيعة المعسكرات واشكال الخيم الصيفية ، التي كانت قائمة ، وتسيير الامور في المعسكرات كيفما كان ، من شهر لشهر اذا لم يكن من اسبوع لاسبوع ، وان المعسكرات الجديدة لاعلاقة لها بطول مدة الاعتقال او قصرها ، بقدر ما هي بغاية تحسين اوضاع المعتقلين ، مثلما وعد بتقديم « بطاين » للخيم الحالية ٠

ومع الانتهاء من حديثه تناولنا الموضوع من زاوية اخرى ، زاوية الحديث عن معاناة اليهود على يد النازية وضرورة توفر عقدة لديهم ، اسمها عقـدة الاعتقال ، خاصة بعد تجربتهم في « اوشفتز » فكيف سمحوا لانفسهم ، وكيف تقبلت عقليتهم اقامة معتقلات في انصار وعلى ايديهم ٠ ولنوضح ، ان فـي المعسكرات مرضى من كل الانواع ومجانين ، بشكل خاص ، يتوزعون في كل مكان في انصار ، وكبار سـن وصغارهم ومدنيون في طليعتهم اللبنانيـون المعتقلون على أرضهم ، وبضرورة استئناف الافراجات التي توقفت بعـد حادث بناية عزمي في صور ، ولننتقل الي المطالبة بتحسين الاكل والملابس والطبابة وتوفير التدفئة الشتوية ٠ فابدى تفهمه واستعداده للتلبية ، مثلما ابدينـا بضرورة ان يكون صاحب قرار الافراج اقرب لانصار من قيادته واكثر اطلاعا على حقيقة الواقع الذي بدأ يتلمسه ، قائد المعسكرات ، وتوقف النقاش مطولا حول التحقيق وضرورة وقفه بعد هذه الفترة الطويلة من الاعتقال ٠

مع نهاية الجلسة وعرض زيارة المعسكرات الجديدة ، لاطلاعي علـى اوضاعها ، توجهنا مع بعض سيرا على الاقدام شمالا بالاتجـاه المذكور ، لننعطف غربا بعد مسافة مئات الامتار من الطريق العام ، وبموازاة المعسكرات الحالية وندخل ضمن ساتر ترابي في مشروع مدينة شرطان جديدة ٠ الساعة قاربت العاشرة ليلا ، لا أحد سوانا في هـذه المنطقة المقفرة ، كل ما بالامكان رؤيته حمامات ، بدلا من الخيش بات الخشب والزنكو ، وفي الزاوية الجنوبية الشرقية معسكر قائم بذاتـه لديه مشروع تقسيمه الى قسمين ، الاول مستشفى بديلا عن خيمـة المستشفى الحالي في معسكر ستة والاخر حمامات مـاء ساخنة ليتمكن كل معتقل من غسل جسده وثيابه مداورة بين المعسكرات حسب قوله ٠ ولنقفل عائدين بعد جولة الاستطلاع هذه ، الى نزلنا القادم والمرتقب، باتجاه معسكر خمسة سالكين نفس الطريق التي حركت في ذاتي كل ذكريات الماضـي ٠٠٠٠

يوم السابع من تشرين الثاني ، لم يكن فقط يوم قيامة انصار ، بل كان يوم قيامتنا جميعا ، لا بـل بالاحرى يوم قيامتي بالذات ٠ انه يوم عمـل

-.

مضن وشاق ومع ذلــك لم يختتم ، بــل انتهت الفصول الاولى منه ، ليتبع ذلك الفصــل الاخــير .

نعود ليلا يرافقنا قائد المعسكرات وضابط الارتباط ، وندخل جميعا معسكر خمسة والارتياح العام باد على وجهي . لقد بات بمقدورنا ان ندخل اكثر في عمق انصار ، وتادية الواجب النضالي ، مدركا في الوقت ذاته ان الخطوة ، التي اقدمت عليها ليست خطوة مجانين بقدر ما هي خطوة انسانية وضرورية لتنظيم اوضاع الاسرى ، وبات لدي مزيد من الثقة بالنفس والشجاعة المطلوبة بمستوى الحدث ، بل بمستوى الموقــف .

المعسكر بانتظارنا ، ومتتبعو الامور في المعسكرات الاخرى على الاشياك ، ويدخل قائد المعسكرات ورفيقه الى خيمة مطبخ معسكر خمسة . المختار على الباب من بين المنتظرين وطاقم عمليات المخترة والمطبخ ، وابو سليم وابو اكرم وغيرهم مترقبون ، ويجلس الى الطاولة مع مرافقه ونتوزع نحن بــين الحاضريـــن .

الحقيقة انني الوحيد الذي اشهد هذا المشهد ، وجود قائد المعسكرات في مطبخ المعسكر خمسة ، اما هم جميعا فقد سبق لهم في ايام مضت مشاهدته ، وبقى أمــر وجودي الحدث الجديد الذي اخذ جانبا من الحديث ، تناول الشاي وودعنا منصرفا مع مرافقه ، لنبقى مع بعض .

فور مغادرتهما دخل أبو محمود وتبعـــه اخرون ، واستـــأذن المختــار الحاضرين طالبا منهمَ ضرورة مغادرة الخيمة . وبقي اعضاء القيادة المشتركة واعضاء اللجنة وهم بطبيعة الحال جزء منها . واخذ ابو محمود كامين سر لهــذه القيادة موقعــه ..

ابو يوسف الديمقراطية ، ابو عدنان النضال ، الجبلي الفلسطينية ، سمير القومي الاجتماعي كما تمثلت فتح بابي محمود وصلاح وابي سليم ، والشعبية بنبيل ، والبعث والحركة الوطنية اللبنانية بي .

اما التنظيمات الاخرى المرشحة لعضوية القيادة المشتركة ، والتي ليس لها تواجد في معسكر خمسة فقد سمت مندوبيها . حسن للعربية ، والخطيــب للقيادة العامة وابو الهيجاء للصاعقة وع.ف. للشيوعي اللبناني وابو امـــين اتحاد اشتراكــي .

استهل الجلسة ، ابو محمود بالترحيب بي وبقدومي وتمنى قدوم ممثل العربية قريبا لاخذ موقعــه في اللجنة والقيادة المشتركة وترك الحديث بعد ذلك لصلاح ، لكي يوجز وجهـــة النظر باختياري لهذا الموقع في اللجنة والقيادة المشتركة ، والمتلخص بميزات متوفـــرة فـــي شخصي من الحزبية الى الجبهوية الوطنيـــة الى ميزتي كمحـــام واصفـــا هذه الصفات بالايجابية التمثيلية ومتمنيا مشاركة العربية والديمقراطية ، التنظيمان اللذان حالت ظروفهما الذاتية دون المشاركة .

وعاد ابو محمود بعدها للحديث ، بشأن التمثيل التنظيمي ، موضحا ان التشكيل قد تم على قاعدة اعلى الرتب التنظيمية او من ينتدبه اعلى رتبة في تنظيمه ، وطلب في النهاية تثبيت عضوية كل واحد من المتواجدين ، اذا لم تكن تتوفر به صفة العضوية ، بالحصول على كتاب انتداب من اعلى رتبة في تنظيمه .

بعد ان شكرت الرفاق ، اعضاء القيادة المشتركة ، على ثقتهم بي وتمنيت ان اكون بمستوى تطلعاتهم وامالهم المعلقة على مشاركتي ، اوضحت انني لست اعلى رتبة في تنظيمي ، وان من تتوفر به الصفة المذكورة هو العم وموجود في معسكر عشرة ، ومع ذلك حصلت على كتاب انتداب منه .

وانتقل الحديث من تثبيت القيادة المشتركة ومسألة التمثيل الى بحث نشاطات اللجنة لهذا اليوم ...

أوجزنا موضوع زيارتنا الصباحية ، لان كل ما جرى فيها بات معروفا ، وقد تناقلته ، « انباء الحمامات » وحركة الرسائل الطيارة وانتقلنا لموضوع الجلسة مع قائد المعسكرات .

بدأ صلاح بمقدمة الحديث تاركا لي نقل وقائع الجلسة وملاحظاتي حولها . حيث عرضت منها الجوانب السياسية والاخرى المتعلقة بموضوع انصار ومتطلباتها بما في ذلك زيارتنا للمعسكرات الجديدة ...

النشاط اليوم كان مكثفا ، بلغ ذروته وامتد من الصباح حتى الى بعد منتصف الليل ، عندما رفعت جلسة القيادة المشتركة ، لاستئنافها في ليل اليوم التالي ، لمتابعة مناقشة الاوضاع وخطة العمل ، ومتابعة المهام واستكمال التمثيل وابلاغ المعسكرات نتائج جلسة اللجنة مع قيادة المعسكرات بتعميم يصدر باسم القيادة المشتركة بالذات .

معسكر ثلاثة خاصة الحكيم بانتظار اخر التطورات والاخبار مثله مثل كل المتتبعين للامور ، اعياهم الانتظار فاستسلموا للنوم مثلما استسلمتبدوري بعد نهاية الاجتماع الاخير ، ضيفا على الخيمة رقم ثلاثة .

مع الصباح كنا على موعد مع العد باشكاله الجديدة ، عد تقليدي ، تدخل فرقة الجند الى كل خيمة بخيمتها للحظات ، وبعدها كأن امرا لم يكن ، وتستغرق انصار بمعسكراتها العشرين فترة ساعة واحدة ، بعد ان كادت هذه المدة توشك ان تكون من نصيب معسكر واحد سابقا وفق نظام اقعد على طيزك واليدان على الرأس ، بشكل مذل . في الخيمة رقم واحد حيث موقعي في نظام العدو ، كل من أبي محمود وأبي يوسف وأبي سليم واخرين سواهم ، أبو محمود قرآنه بيمينه ، جاهز تحت رأسه يباشر القراءة منذ بداية العدد ، حتى قدوم الفطور يوميا وقد نزلت في ضيافته لتناول الفطور الاول ، والوجبة ملعقة مربى وقطعة جبنة مع الشاي . ونستغل فترة الترويقة للدردشة حول الاوضاع والتعليق على احداث الامس ، ويبقى معسكر ثلاثة

هاجسي وفي ذهني ، ولاضع في اعتباري كتابة الرسالة الاولى له مثلما سأكتب للمعسكرات الاخرى في طليعتهم محيو والعم ٠

الطقس مشمس ، وسطيحة الوحل متسعة بحكم قلة عدد نزلاء المعسكر ، واخذ زاوية مقابلة لمعسكر اربعة ٠ وابدأ بالكتابة في نفس الوقت الذي اكون فيه مضطرا للحديث مع هذا او ذاك او عبر الشيك ، مع المعسكرات المجاورة ، ولالتقي مع نبيل وصلاح ، مستفسرا عن برنامج يومنا ، وليعرب الاخير عن رغبته بعدم الخروج اليوم ، لاخذ شيء من الراحة بعد متاعب الامس ولتقييم الاوضاع مع بعضنا البعض باعصاب هادئة ٠ والفرصة باتت مؤاتية للتحدث مع من في المعسكر والتعرف عليهم ، من ابي عمر الى العريني فابي زمرين ٠٠ حتى ابي العمرين مرورا بعلي نار والدكتور عياش ٠

مع الصباح ، وانا في الطريق للخيمة رقم واحد ، التقيت احدهم وحدثني بصوت مرتفع : استاذ انا احبك ، منذ ايام « القنطرة » اعرفك ، دعك من هؤلاء القوم ، ثيابهم ممزقة وعتيقة٠٠ لا تدعهم يسرحوا بك ، بضاعتهم عندي مكشوفة ٠٠

ولاجيبه بدون ان اتعرف عليه مازحا : ما دمت تعرفني منذ ايام القنطرة وحانين فلا تخف علي ، انا شيطان اكبر منهم ٠٠

واتعرف على شخصيته ليبلغني ابا ابراهيم انه جوهر ، الذي ارسلت له رسالة من معسكر ثلاثة ، واستغرب الامر ! وكيف نسيته ؟ ولاقول له اعرفه بدوري جيدا ولكن لم اره منذ سنوات ، وها هوذا جوهر يعود من جديد للحديث معي بذات النفس الذي تحدث به صباحا ، وبجدية اكثر ٠٠ واتحدث بدوري الان وبجدية مؤكدا عدم الركون لمخاوف وهمية في الاسر والاعتقال ، وقدرتي على كشف كل الناس ٠ ويضحك ابو رياض ، ، ذاك الانسان الوقور الجدي ، من الحديث قائلا : جوهر يمزح ، لا تأخذ بكلامه ٠ولاتعرف بعدها على سمير القومي اكثر ، ونتبادل مختلف المواضيع في احاديثنا ٠

يومنا مر مسرعا خطاه ، وانا اتنقل من شيك لشيك ، ومن حديث لحديث مع هذا الشخص او ذاك ولنتفق ثلاثتنا على زيارة في اليوم التالي للمعسكرات بعد اجتماع جديد مع قائد المعسكرات ليلا ، لم يخرج عن اطار طبيعة النقاشات والقضايا التي نوقشت في الجلسة الاولى ، وبدون أن تجتمع القيادة المشتركة ٠

بعد انتهاء العد وتناول الفطور كنا ثلاثتنا جاهزين لاستئناف زيارة المعسكرات ، وها هوذا أبو ميخائيل الضابط على البوابة ، ونتجه ، بناء لرغبتي التي اعلنتها سابقا لصلاح ، نحو معسكريي ثمانية وتسعة ٠٠ بدأ بالثاني ، ونستقبل بحرارة ونلقى نفس الحماس السابق ٠

الشباب في الساحة تجمعوا ، والقبلات كان لها دورها ونصيبها ، خاصة من قاسم وعماد والدكتور ، وأبي حاتم ويسوع وشلة شباب صور والمعارف

والاصدقاء والرفاق واحرص ان استدل على خيمة ابي موسى الصديـق ، ممازحا البعض ومع التصفيق بات ترديد انشودة « انا يا اخي ٠٠ » وكانها نشيد انصار الجديد ، واطلقت معها الشعارات الوطنية والهتافات ٠

وقفنا ثلاثتنا في وسط الحلقة ، تطلع صلاح نحوي قائلا : هذا ابو وضاح يتحدث اليكـم ، كل من حضـر منا ينوب عن الاخر ٠ نحن ثلاثتنا جسمواحد ٠

تحدثت عن محنتنا المشتركة التي تمتحن ايماننا وقدرتنا على الاستمرار ، واكدت ان محنــة الرجال تزيدهم صلابة وقناعة بالموقف والمعتقد ، ولنعود يوما وكلنا صلابة ورسوخا في القناعات لاستكمال المسيرة التي من اجلها طوقنا بالاشيـــاك ٠

نغادر المعسكر بمثل ما استقبلنا به من حماس ، وبعد ان استحضرنا مـع البعض ، الدركي والحكيم والصقر ، وبهاء وعماد المختار وذكريات القاووش الكبـير ، نغادره باتجاه معسكر ثمانية ، وشلتي الشخصية هناك بالانتظار ، الغضبان وابو عادل وابو الامين ٠٠ نستحضر بدورنا بشكل جانبي ايام صـور وجلسات الشاي مع ابـي عادل ٠ ونتحدث الى المعسكر حيث التعبئة وشـد العزيمة والذي بات تقليدا من تقاليد الزيارات ٠٠ ونغادر باتجاه معسكر ١٨ لتلبية رغبة نبيـل ، الذي سيقابـل مسؤوله هناك ، ابو رمزي ٠

المعسكر ، مع الشلة الصورية في المقدمة ، في حالة استعداد وتأهب تلقائي وندخل المعسكر ونتحدث اليهم ، ونستحضر كل ما أمكن استحضاره من حقيبة الذكريات ونتناول طعام الغداء فيـه ضيوفا لدى المختار الحايك ٠ بعد خلوه نبيل وابي رمزي ، نقفل بعدها عائدين في اتجاه المعسكر خمسة مـــرورا بمعسكر ١١ ، مقر الوافدين الجدد ، واعطاء الوعد للمعسكرات الاخـــرى بزيارتها تاليا ، بعد التعرف على وجود « علي بك » في معسكر ١٩ وحسين شعيب في معسكر ١٣ وابي الرائد في معسكر ١٢ والكعور فـــي معسكر ١٧ واخرين غيرهم ، جرى تبادل الحديث معهم عبر الشيـك ٠

نصل معسكر خمسة لنجد « فيليب » مسؤول بعثة الصليب في الانتظار ، يجري التعارف ونعقد جلسة ، نبحث اوضاع الصليب وتنشيط دوره وتكثيف طاقمه ليكون بالامكان تغطية اوضاع معسكرات انصار والمتطلبات الراهنـة والمستجدة ٠ ويعلن « فيليب » عن ارتياحه لتشكيل اللجنة واستعداده للتعاون معها ، بعد الجهود المضنيـة التي بذلها مع الصهاينة بغرض الولادة والتشكيل ونركز طلبنا بالحصول على نسخة من اتفاقية جنيف ، واعتبار ذلك حقا من حقوقنـــا ٠

وفي وسط هذا النشاط المكثف والمعطيات الجديدة باتت تتضح في ذهنـي بدايات الخطوط العريضة للعمل وهـي ثـلاث :

١ ـ خط الاسرى ومسألة استكمال التنظيم الداخلي في المعسكرات الـذي تتوفر لـه المناخات دون ان تتاح له فرصة اخذ خطواته الاولية ٠

٢ ـ خط الصليب وبعد الاطلاع على اتفاقية جنيف لمعرفة ما يترتب لنا من حقوق سواء عوملنا كأسرى ام كمعتقلين والتمسك بهذه الحقوق لتحصيلها ٠

٣ ـ خط قيادة المعسكرات التي باتت الاجتماعات معها دائمة سواء على صعيد الحقوق المتفق عليها دوليا وبلورتها ، ام على الصعيد السياسي لحشر الصهيونية دائما ، ووضعها في زاوية المعتدي او المتهم وبلورة سياسة عامة تحكم علاقتنا بهم كأسرى او كمعتقلين ٠

وبالاضافة للخطوط العريضة التي تتشكل منها بدايات خطة عمل ، اشعر بضرورة ابقاء اوضاع المعسكرات مشدودة ومتيقظة باحياء المناسبات الوطنية وفي طليعة هذه المناسبات ، عيد الاستقلال الذي يصادف بعد اقل من اسبوعين وعلى ان تتحكم في كل خطوة من خطواتنا ، في الخطوط العريضة الثلاث، ذهنية وحدانية الاسر وعدائية الاسر ، واستبعاد اي تناقض وتلافيه في اطار الوجدانية النضالية ٠

واجد نفسي مساء متمشيا مع ابي محمود ، متحدثا عن الاستحقاقات القادمة ، ومنها التحضير لعيد استقلال لبنان ، كخطوة عملية من خطواتنا ، مثلما اجال علي بدوره موضوع حسم مشاركة حسن في اللجنة بضرورة تسريعه في تحديد موقفه من القدوم الى المعسكر خمسة والاستحصال على رقمه ٠

ومن أبي محمود الى صلاح ، لاتحدث في أهمية الخطوة التي أقدمنا عليها والتي وضعتنا شخصيا على المحك ، ومدى قدرتنا على الرهان الملقى على كاهلنا ، والخيار الصعب الذي نحن فيه ، ان نكون بمقدار المسؤولية واما ان نسقط شر سقطة مثلما تحدثت عن الاستحقاقات القادمة لجهة الخطة والعيد ، فأبدى التجاوب ولانطلق بعدها باتجاه نبيل ٠ ٠

ليلا جلسة « حلبي » مع « روزنفلد » ، كانت مليئة بالحديث عن السياسة ، وممارسات الصهيونية وعقليتها بشكل خاص ، وبالانصاريات العادية من علي نار الى كل المرضى ومعهم المدنيين ، دون أن يفوت عن بال صلاح مشكلة جمع الشمل ، شمل الاخوة والاباء والابناء والاقارب مع البعض ، ومن التدفئة الى الاضاءة الخيلية بوابير الكاز ، وللتموين نصيبه من الحديث خاصة الحلاوة ، التي يأكل منها روزنفلد بكثرة ويسميها « حلبى » وضرورة تزويد المعسكرات بالقهوة الى جانب الشاي ولو وجبة وأحدة بالاسبوع ويستدعي ضابط التموين فيجد عنده عشرة كلغ بمعدل نصف كلغ لكل معسكر ولا نمانع بذلك أو نعترض على حجم الكمية ما دامت المرة الاولى ، التي يشرب فيها أسرى انصار القهوة٠

وأحدث نفسي في الوقت ذاته بمرارة الحياة وضيقها ، نصف كلغ قهوة لأربعمئة شخص في معسكر ،يعتبر في لحظة ما انجازا ، فكيف اذا توفرت الحرية لهؤلا البشر ؟ وما حجم الانجاز المقدم لهم عندها ؟ مرارة الحياة ، نعم مرارة ، ليس لها حدودا ، مثلما ضوء الكاز بدوره انجازا !أماالحرية فثمنها كبير وكبير جدا

لا يمكن لانسان أن يشعر بقيمة الحرية الا اذا دفع ثمنها ٠٠ وها نحن ندفع الثمن باهظ التكاليف ندفعه حرمانا وعذابا وألما ٠٠

ومع الحديث عن التحقيق وعذابه ، وبطاين الخيم ، وضرورة استئناف الافراجات والزيارات العائلية والهدايا والحقوق المنصوص عليها في اتفاقية جنيف ، وخاطري الذي سرح مع مرارة الحياة ، انتهت جلسة « الحلبي » ورافقنا الضابط الى معسكر خمسة وتناول الشاي ومازح من مازح من رواد الخيمة ليلا ٠ وودعنا ، لنبدأ بعد العاشرة اجتماع القيادة المشتركة ومتابعة مناقشة جدول الاعمال التقليدي ، تناوبنا أنا وصلاح على عرض زيارة الصباح وجلسة المساء ، مثلما جرى الحديث عن نتائج الاجتماع مع فيليب ، ولينتقل البحث الى استكمال تشكيل القيادة والمشاريع المقترحة ٠ وليجري الحديث عن خطة العمل وصياغة خطوطها والاستحقاقات القادمة ، خاصة عيد استقلال لبنان ، وتشكيل لجان المعسكرات من القوى السياسية ، فلسطينية ولبنانية ، المتواجدة ضمن كل معسكر وبهمة لجنة الاسرى بعد استكمال زياراتها على أن يقوم أمين سر القيادة المشتركة بالتعميم على المعسكرات وأعضاء القيادة المتواجدين خارج الخمسة بقرارات القيادة وتوجهاتها ٠

ومع نهاية الاجتماع أجد نفسي جاهزا لأخذ نصيبي من الراحة ، بما تبقى من الليل، انتظارا لكل يوم آت ، وان غدا لناظره بقريب، والمسافة بيني وبينه لا تتعدى بضع ساعات ٠

ومنذ بدايات اليوم الجديد ، عودة لكتابة الرسائل الطيارة ، محيو بحاجة لمعرفة اخر المستجدات ولوضع حسن بالصورة ، وكذلك العم ، أما معسكر ثلاثة والحكيم حسابه محفوظ وحصته وافية ، لان الرسائل له ولمن معه من القلب الى القلب ٠ ووحيد بدوره جاهز لنقل الرسائل وتعميمها ، حتى أنني لم أعد أكلف نفسي عناء لف الرسالة وحشوها بحجر ، انه جاهز لكل شيء ومستنفر بشكل دائم ، وربما يكون مصدر راحته معرفة الاخبار والتطورات ٠ ولما لا؟ أوليس من حقه ؟! شاب نشيط وعملي موضع ثقة زهير ، وحسن ، ومحيو ، وأبي اياد والعم ، والذي تعرفت عليه فور قدومي للخمسة ، ثم أوليس وحيد صاحب الاقتراح بتوفير العناء علي باطلاع زهير على رسالة محيو وبعدها تأخذ طريقها ؟!٠٠ انه رفيق ويجب الحرص عليه ٠ ويأتني وحيد ، كعادته مع كل صباح ، حاملا البريد مسلما الرسائل الواردة ومستلما للصادرة ٠ وها أنا على وشك انجاز كل ما في ذهني ، وأتريثه قليلا لاكمال الرسالة الاخيرة ، وتأخذ الرسائل طريقها الى المعسكرات ٠

الجلسة الصباحية في خيمة قيادة انصار ، مع صلاح ونبيل وأبي سليم وأبي أكرم والمختار ونائبه وأبي يوسف ، مخصصة للدردشة والمزح والتنكيت ، أبو يوسف يفرك كفيه ببعضهما البعض ويضحك وهو يستند الى كيس كرسنه ويقول: «باطل باطل على هذا الزمان العاطل» والمختار ركب «مقلة» صلاح يوم قدومه

لمعسكر خمسة ، ولأنتقل بعدها الى الساحة والاشياك ووحيد يتابعني عارضـا خدماته ومبديا ملاحظاته ، على هذا أو ذاك المعادي لنا أو من الذين ارتادوا القفص الذهبي !٠٠

ومن وحيد الى أبي ابراهيم وتشتش الرفيقين الوحيدين في المعسكر ، وقد احتجا بالامس علي وقالا : بأن وجودي في الخمسة ليس من نصيبهما ، بل من نصيب غيرهما٠ ونلتقي في ساحة المعسكر ونتبادل أطراف الحديث من العم الى الرفاق ونستحضر صور والبازورية والايام الاخيرة ٠

وأسأل من حين لاخر عن اسم هذا الشخص أو ذاك ، من الذين تعرفت عليهم أو من الذين لم أتعرف حتى الان عليهم ٠ ومع كل اسم كانت ترد ملاحظـة ايجابية أو سلبية ، أحدهم قال عنه : « ملك التلفزيون » أفلا تعرف عنه شيئا ؟ ولا أجيب ، من أين لي أن أعرف ؟ لاول مرة أسمع هذا الاسـم ! وما سبـب تسميته ؟ قال رفيقنا : من كثرة ظهوره على شاشة التلفزيـون الصهيوني لقب « بملك التلفزيون » ، لقد شتم أبا عمار والمقاومة ومنظمة التحرير ! وأبـدي استغرابي للامر ليستطرد الرفيق بالحديث عن القفص الذهبي !٠٠ ولاقاطعـه قائلا : حدثني وحيد صباح هـذا اليوم عن القفص الذهبي ، ووردت هـذه العبارة التي لم أسمع بها قبل الان ! وها أنت تتحدث عنه ، وتردد على لسانك ذات العبارة ! ما هو القفص الذهبي ؟ وليجيب : مجموعة المتساقطين ، الـذين أوكل الي أمرهم مهمة المقنعين ٠ كان العدو يجمعهم مع بعض في غرفة ، أسماها المعتقلون بالقفص الذهبي ، من بينهم كان العدو أيضا يختار مـن يجري معهم مقابلات تلفزيونية فكان « ملك التلفزيون » ٠ وليستطرد الرفيق : انهم تحدثوا عن بعضهم البعض ، وكشفوا أسماءهم ، وهناك عـدد منهم كلهـم معروفون بالاسماء والاحاديث التي أجروها !٠٠

وأتذكر سليمان في معرض حديثه عن عزاز ، لقد اتهمه أنه مقنع ، لكن لـم أسمع بهذه العبارة الجديدة ، كما لم أسمع قبل الانتقال الى الخمسة بمقابلات تلفزيونية ، ويظهر أن هناك كثيرون تورطوا في أمور وأمور سيكون ثمنهـا باهظا ، يا الهي « قفص ذهبي !٠٠ » وأتذكر جوهر وكلماته لي قـد يكون صادقا وعلى دراية بهذه الامور ، لا شك أنني ضمن حقل الغـام ، مقـدار رجولتي على المحك ، وقدرتي على الاجتياز والعبور ٠٠

البومة لها حضورها الدائم ، لكن وقعها وتأثيرها الذاتي علي ، أقل مما كان عليه في معسكر ثلاثة ٠ زحمة الاحداث وتتابعها ، جعلتني أنسى مشهدهـا شبه اليومي ٠ ومع الصباح ، صباح هذا اليوم ، شاهدت المختار صارخا علـى أبي العمرين ، طالبا منه الاسراع ، ليخرج ومنشفته على رقبته ، وأسأله الـى أين ؟ ليجيب ضاحكا : الى التحقيق ، ويقول : « بعدما شفت شي » أنا مندوب دائم ويومي في كثير من الايام ، وكثيرون أمثالي ، وسيصلك الدور ما دمت قـد أصبحت في معسكرنا !٠٠ وأتذكر اثارتنا لموضوع التحقيق في اجتماع البارحة ،

معسكر خمسة ببستيانة الجديدة

مع قائد المعسكرات ، وضرورة العمل على ايقافه خاصة التحقيق الذي يجري داخل فلسطين المحتلة . ويتقدم صلاح باتجاهي وأنا في الساحة قائلا : أستاذي، افتقدنا لك ، منذ الصباح لم نر بعضنا ! لدينا كثير من الامور لنتحدث بها ، ومشكلتنا كما ترى أحاديث الشيك ورواد المخترة الذين لديهم دوام كامل وأعمالنا. علينا أن ننهي زيارتنا للمعسكرات ، علينا أن نضع خطة العمل ونفتش عن الوسائل والاساليب النضالية . أعتقد أن الاغنية هي من أفضل الوسائل، النشيد ، علينا أن ننشد دائما ونغني ، التحقيق الذي يجري في الداخل خاصة قد أرهقنا، يجب أن نعمل لايقافه ، عندنا مهمات كثيرة بحاجة لترجمة عملية ، المهم يجب أن نعمل ونفتش عن وسائل العمل ونحفظ الاناشيد . والنار لها دورها في لحظة من اللحظات ، أنا لم أطالب ببوابير الكاز من أجل الضوء فقط ، لقد طالبت من أجل استحصالنا على الكاز والمازوت . عندما تحدثت عن المطالبة بالضوء والتدفئة قبل تشكيل اللجنة ، سخروا من كلامي في المعسكر ، قالوا : سنبقى الى الشتاء هنا ! لم يقدروا عواقب الامور وليس لديهم بعد النظر ، أنا من الذين يؤمنون بقول الامام علي : « اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا واعمل لآخرتك كأنك ستموت غدا ». العدو وضعنا ضمن الشرطان ، كنا نبغي مقاتلته ، وقتاله الان بمتناول أيدينا ، وعلينا أن نناضل هنا ، لاننا لسنا في فسحة أو اجازة ، اننا بين يدي العدو ، الوسائل استاذي مهمة ، النشيد ، النار .. الوسائل متعددة سنلجأ اليها في أوقاتها وفي ظروفها المناسبة. آمل أن يسود علاقتنا ، فهم مشترك ، انك ابن حلال ، انما أنا سيء الظن بكثير من الناس ، بالمتفلتين خاصة ، بالذين يركبون الموجات في الظروف السهلة ويعتاشون على نضال الاخرين كالفطر ...

ـ جيد ما تقولوه يا عزيزي ، علينا أن نفتش على السبل والوسائل واتفق معك على كثير من النقاط التي أوردتها ، لكنني لا أفهم ماذا ستجدي الاغنية؟ ماذا سينفع النشيد ؟ والنار ، هل سيمكنوننا من استعمال النار ؟ أشك في ذلك !.. وعلى ذكر النشيد هل استمعت لشقيق بهاء في معسكر أثنين وهو يغني الاغاني الوطنية الجديدة ؟ كان يغني لنا على شيك معسكره ونستمع له من معسكر ثلاثة ، سأرسل للحكيم لكي يطلب منه أن يغني لنا على الشيك مساء ، كما سأعرفك على الحكيم . وعلى ذكر ذلك أشعر أن انصار يجب أن تولد شيئا جديدا ، تترك أثرا على ساحتها وعلى ساح الخارج مستقبلا ، دعنا من التركيبة السيئة ، انصار مملوءة بالطيبين والمناضلين ، الذين ينظرون للامور مثلنا ، ستفرزهم الساحة وطبيعة المرحلة .

وعلينا أن نزور معسكر ثلاثة في المرة القادمة ، المعسكر الذي اكن له محبة خاصة عايشت كل ظروفه ، وجعلني أعتقد بطيبة شعبنا وعطائه . معسكر لم أكن أعرف فيه الا القلة القليلة ، تفاعلت مع الطيبين فيه وتفاعلوا معي ، فكان ما كان من تجربة مشتركة على أرضه . وسأعرفك على محيو ، انه انسان طيب

ومناضل وصديق لسامح سنزور الاربعة أيضا · متى ؟؟
ـ عندما تريد أستاذي ، غدا ·
ـ عودة لموضوع اللبنانيين ، اتفقنا على الاحتفال بذكرى استقلال لبنان ، جيد ، بقيت مسألة البرقية لأمين الجميل · حتى الان استطعنا طي صفحتها ، لكنها على ما أعتقد قد تتحرك في الايام القليلة القادمة ، وكلما اقترب عيد الاستقلال · بقناعتي أن البرقية لن تنتج أثرا أو توصل الى نتيجة ، الحكم اللبناني الان بمنأى عن قضية انصار ، انه حكم الفئة الواحدة التي لا تهتم لنا بمنأى عن اللبنانيين والفلسطينيين ، حركة وطنية أو مقاومة ، غير أن البرقية يجب أن نبادر نحن لتحريكها ، بدلا من أن تتحرك بوجهنا ، ويجب أن تحظى بموافقة المشتركة ، وعليك تهيئة الاجواء ·
ـ حسنا كما تشاء ·
ويدخل نبيل على الخط قائلا :
وأخيرا تيسر لنا أن نجتمع مع بعض ولو في ساحة المعسكر لنتحدث ، ان قضية المرضى تضايقني وتأخذ الكثير من وقتي · من الضروري توفير طبيب للمعسكر غيري ، وتجهيز المستشفى في معسكر ستة · لقد تحدثت مع نجمة داود بهذا الشأن ، وهم على استعداد لتحضير خيمة وأسرة على أن نسمي لهم طبيبا ، واقترح الدكتور نظمي وهو اختصاصي انه جيد · فما رأيكم ؟
ـ ونجيب : حسنا ، ليكن ، وأعلق بدوري : الدكتور صالح جاهز ليكون مكانك هنا ، أعتقد بأنه يقبل الانتقال ، ويفضل ذلك لوجود ابن شقيقه هنا ·· ونحن بحاجة أيضا لزاوية في هذا المعسكر ، نأوي اليها ، نتحدث فيها ، لا يعقل أن نستمر كذلك · وعلي الان أن أكتب لمعسكر ثلاثة لنستمع الى شقيق بهاء على الشيك فاسمحوا لي · وسأعود اليكم سريعا ·
بعد كتابة الرسالة وارسالها بدقائق ، يتقدم مطربنا مع فرقته من الشيك ، ويبدأ بصوته الشجي احياء حفلة مسائية لمعسكرات ٢ ، ٤ ، ٥ ، ٨
بعد العشاء « روزنفلد » الضابط كان على الباب جاهزا ، وأخذنا طريقنا ، كالعادة الى الغرفة الخشبية ، لعقد جلسة جديدة بالاضافة « للحلبى » التي له نصيبه الوافر منها · كان الحديث عن المواضيع السابقة المطروحة والراهنة عن المستشفى وتجهيزه الى المطالبة بحقنا في معرفة الاخبار الخارجية عبر الاجهزة المعروفة والصحف والمجلات ، وتحدثنا عن تنويع التموين وزيادة كميته وكمية السجائر المقررة لكل أسير ، وتوفير بعض التجهيزات للمطابخ من سكاكين ومعالق كبيرة وخلاف ذلك ، دون أن يغيب عن بال صلاح التأكيد على بوابير الكاز للضوء والدفايات لغاية في نفس يعقوب · مثلما طالب لتنظيف الطناجر بـ « سيف » الالمنيوم ! ولنعود بعدها كعادتنا للقاء المشتركة واصدار التعميم اللاحق ، وابلاغ أعضاء المشتركة الذين هم في المعسكرات الاخرى ·

باتت الايام تمر بشكل تقليدي وتلقائي ، كل الامور موضع بحث ونقاش في معسكر خمسة وفي المشتركة من تشكيل لجان المعسكرات الى ازمة القيادات ولقاء روزنفلد وزيارته التقليدية بعد كل لقاء للمطبخ ، كل المواضيع مطروحة للنقاش الا مسألة الافراجات واطلاق سراح أنصار ، التي لا تأخذ الا هامشا ضيقا من الاحاديث بعكس ما هو جار في المعسكرات الاخرى ، الافراج هــو الهم الوحيد او الاوحد هناك والحديث عن اللجنة واخر اخبارها . حقيقــة استطاع صلاح تدجين المعسكر وزرع في الاذهان الهم النضالي ، وما عـــداه ليس بهم . وبات يطالب حتى « بسيف » الالمنيوم لغاية في نفسه لم يفصــح عنها ، وقد تكون مشروعا من مشاريعه في وقتها المناســب .

الايام تتابع ، أحاديث على الشيك ، وباتت الايام لها تواقيت مختلفــــة ، يعرف سبتها او احدها من غيبه روزنفلد والصليب ! وباتت طاولة مطبـــخ معسكر خمسة او مخترته او قيادته شاهدة على اجتماعات المشتركة تارة ، وحضور روزنفلد طورا ، و « فيليب » الصليب مرة اخرى ، وبالتناوب مثلما هي شاهدة على كل الاحاديـــث الدائـــرة ..

وأنتصبت في المعسكر الخيمة رقم خمسة ، مكان تواجد اللجنــة ، وطاقــم عملها ، الدكتور نبيل جهز عيادته في زاوية منها ، واقام فيها مع الممرض جوهر ، وابو ابراهيم تبعني مثلما تبع صلاح مجموعة من الاشبال والمرضى ، وضيفنا أيضا المصاب في بناية عزمي ، شقيق ناصر الممرض ، الذي نقلوه الينــا جثة من كثرة الكسور والاصابات فقذفنا قضيته ، في زحمة مشاغلنا وهمومنــا ، في وجه فيليب الصليب وروزنفلد ، كما كان مجيئه بأكيدا لحقيقة التفجـــــير الذي لحق بالبناء .

« خشبتي » الـــى جانب خشبة صلاح ، وهمنا ان ننظم مكان نومنا ليتحول نهارا الي مقاعد ، وضعت فراشي بالطول وفراشه بالعرض ، ليأتي الثالــث موازيا لي ، نسنــد الخشــب بعلب المربى الكبيرة والقديمة التي جمعناها من جوار سطيحة الوحل والاعداد لا تكفي لم يبق امامنا سوى البحص بكبـــيره وصغـــيره ..

العشاء الجاهز في الخيمة ، ذكرني بعشاء ليلة عيد الاضحى مع صديقى الحكيم ، وبليلة عيد ميلادي أيضا ، بطاطا مسلوقة لكن مع بصلة أبي السرحان ومع تقدم الليل وتواصل الحديث الدافىء في الزاوية الجديدة ، جانب المدفاه بدورها ، تنكة زيــت مفتوحة نشعل بها قطعا صغيرة مـــن خشـــب ارض الحمامات ، وكراتين الخبز ، ومن حين لاخر يعكر صفو الحديث الدخــان العابق في الخيمة مما يستدعي اعادة فتــح ابوابها .

وصاحبنا الجديد الكلش اخذ على عاتقه مهمة الحصول لنا على كباية شاي ومن حين لاخر صلاح يردد بعض الابيات الشعرية بصوت عاطفي حزين ٠

جوهر مشغول بتحضير العيادة مع نبيل ، واحذره مازحا ، من مغبـــة الانتقال الى هذه الخيمة ، لان من يدخلها لا يخرج الى بيته ابدا ، سيما وان الصهاينة يتربصون لمعرفة من يقيـم بها ، للحكم عليه بانه مع اللجنة ومنظم مثلنا ٠ وهم صلاح الدائم خلق الاجواء الملائمة لراحة الاشبال والمرضى ، الذين هم معنا في الخيمة ، ويخطط لمشروع حمام في زاويتها ، مثلما يفتش علـى وسائل التحرك في وجه العدو من النشيد الى النار « فسيف الجلي » ٠٠ حتى اذا اتى المختار برفقة « ابي يوسف المطبخ » متفقدا وسائلا عن مدى رغبتنا بتناول الشاي ، قلنا له : لم نحصل على شيء كي نشربه اما الكلش فقد ذهب ليؤمن لنا ذلك ، لكنه عاد خائبا ٠٠٠

ونسهر ونحن نضحك ونركب « مقلة » مشاريع صلاح ، احدثها مشـــروع غرفة النوم العصرية ، التي تتحول الى صالون نهارا ، مثلما نبدي تفهمنـــا لكل طلباته من الكاز والمازوت ، انما لم نفهم طلبه الاخير « سيف الجلي » والغرض منه ، ونحاول أن نستجلي دورنا من استعماله ٠٠٠ وليعجل أبـــو يوسف بالهرب من دخان الخيمة ، لعدم قدرة صدره المصاب بالربو علـى التحمـــل ٠

ومع الصباح صلاح يضحك كعادته ، ويبلغنا بما حصل له مع « خشبة » نومه ، انهار البحص تحتها فسقط معها ، القى بها جانبا ونام على الحجارة ، ويشتكي من اثر ذلك على ظهره ، ويضحك اكثر ، متحدثا عما اصابني ، قائلا : ان الشاي الذي شربته وارتحت لطعمه ورائحته كان مغشوشا ، ادخل اليه الكلش مواد جديدة ، اضاف اليــه دواء سعلة ٠٠ مثلما يحمل جوهـــر امتعته ويهرب عائدا الـى خيمتـه ٠

وليبدأ صلاح بمشروعه الجديد ، تحضير غرفة النوم المتداعية ٠٠ وطاقـم عمله ، من الاشبال ، جاهز « السوكو » احضر خشبة من الحمامات بعد ان صنع منشارا من علبة المربى ، وباشر بتحويل خشبة النوم الى سرير ، والغذاء جاهز ، وجبة محترمة لاول مرة اتناولها في انصار ، بطاطا مقلية بعد ان ادخر المختار بعض الزيت لعدة اسابيــع بغرض تقديم هذه الوجبة ٠

محمد الصائغ انجز تحفته الحرفية الجديدة ، غليونا من الخشب ، رصعه بقطع صغيرة من الالمنيوم استحصل عليها من طنجرة مهترئة ، ولوّنــه بالزيت والبهار ، مثلما يزين صدره بالعديد من التحف التي اتقن صنعها وتمتاز بصغر الحجم ودقة الصنعة ونعومة الحفر ، بعضها على شكل قلب والاخر على شكل قرآن صغير واشكال مختلفة اخـرى ٠

الطقس مشمس ، وابو عمر باليد والعين الواحدة يلعب الزهر في ساحة المعسكر على حرام مع ابي محمود ٠ ابو سليم وابو اكرم ، « وابو يوســـف

المطبخ » والمختار يأخذون فسحة من الوقت على شيـــك معسكر ستـة ، ويتحدثون الى جماعتهم في المعسكر ، وانصار بكاملها تأخذ نصيبها مـن حرارة الشمس الخريفية ، استعدادا للشتاء القادم ، لا بل للزوابع والعواصف الاتية على غرار العاصفة التي ضربت انصار منذ ايام وفجرت ثورة « الشتوة الاولـــى » .

ومنذ قليل تلقيت رسالة من الحكيم يستفسر فيها عن موعد زيارتي لمعسكر الاثة ويعرب عن الشوق، مثلما تلقيت رسالة من محيو ردا على رسالة سابقة لهي ، ووكالة انباء الحمامات ليس لديها سوى الاخبار الانصارية وحديث الشيك ، والقيادة المشتركة على جدول أعمالها القادم احتفالات عيد الاستقلال .

تتوالى الايـــام ، وتتفنـــن انصـــار أيضـــا في صنـــع المآكـــل بمـــا تيسر من المواد المتاحة لنأكل بعد افضـل وجبة في انصار ، الا وهي البطاطـا المقلية وجبة اخرى مفضلة بدورها وهي الفلافل . ومع الوجبة الاخيرة ، تجد المعسكر بكامله مشغولا بتحضيرها وتصنيعها منذ انتهاء العد الصباحي حتى الظهر ، بتقشير الفول والحمص المبلول وفركه ، وقد ابتدع الشباب مدقـة أيضا ، ومع انجاز كل حبة فول أو حمص تزقزق عصافير البطن الجائعة وتترقب مع مزيد من النهم والشهية قدوم موعد الغداء المنتظر على احر من الجمـر ، ولتتوالى زيارات روزنفلد كل مساء وبعد كل اجتماع او جلسة ، وحكايته مع « الحلبى » لمعسكر خمسة ، مثلما تتوالى اجتماعات أو لقاءات القيادة المشتركة بعد كل زيارة لمعرفة آخر التطورات والمستجدات ، تطورات الخـــارج الاخبارية ، او المستجدات الانصارية ، مثلما تتوالى زيارات فيليب مسؤول الصليب الاحمـر الدولـي المتحمس جدا جدا ، لتحسين الاوضاع الحياتيـة والاجتماعية للاسرى ، ومحاولاته الجادة للدخول في عمق انصار من المرضى وكبار السن وصغارهم والحديث عن الحقوق القانونية في اطار اتفاقية جنيف ونمتحن مدى جدية روزنفلد بما يدعي قوله من تفهم لبعض الجوانب ، بقذف مسألـة طلب جمع شمل بنقل اخ الى عند اخيه وهو على مدخل المعسكر فيلبي الطلب وينقل اخوة جوهر الى معسكر خمسة وتدب الحمى في وكالة انباء المعسكرات متحدثة عن النقل ، وتنهال الرسائل على الخمسة من كل حدب وصوب هذا المتحدث عن أبيه وابنه أو أخيه وقريبه ، أو ذاك المتحدث عن ابن بلده او ضيعته او الضيعة المجاورة او التابع لها ، وبين مدع ان زيدا اخوه لامـه وما اكثر الامهات اللواتي تزوجن اكثر من رجل .. زورا وكذبا على ذمـة اولادهـــن .

ونقف عند الحادثة ، بل واقف عندها ، واشعر ان ما حصل بحادثة النقل الفردي كانت خطأ في الاسلوب والطريقة . اذ كان ينبغي الا يحصل تفـرد بهذا الموضوع ، تفرد ليس في الطلب وانما في التنفيذ لجهة فائدة تحقيقه على واحد من ثمانية الاف اسير معتقل . واطلب التعامل مع موضوع كهذا بروح

المسؤولية الجدية وايجاد ضوابط موضوعيـــة له نتفق عليهـــا حتى لا تتراكم الرسائل كالشرطان المتراكمة فوق رؤوسنا وتترك مردودها السلبي علينا ، الرسائل التي باتت تتجمع في ارشيف ابي سليم « ومخترة » المختار .

وصبيحة احد الايام قبل عيد الاستقلال ، تتحرك انباء الحمامات ، متحدثة عن « فـرز .. فرز .. في المعسكرات » ولتجميع المفرج عنهم باعداد بسيطة انها الدفعة الاولى بعد عملية تدمير بناية الحاكم العسكري في صور ، ليجمعوا في خيمة الحراس المجاورة لمعسكر خمسة ولاتحدث مع نبيل لوداعهم ، فيرد علي بان الصهاينة لن يوافقوا ، واشدد عليه بالمحاولة من قبلنا بالطلب خاصة بعـد ان صاح ابو ابراهيم قائلا : « حيدر رفيقنا معهم » ثم يأتي ابو ميخائيل ضابـط الارتباط لاحقا مناديا على اللجنة لوداع المفرج عنهم ونخرج مـــن البوابة لوداعهم متنين لهم وللجميع الخير وطالبين ابلاغ التحيات لكل أهلنـــا في الجنوب اللبناني وكأني موجه حديثي لحيدر الرفيق الذي تصورت فيـه ناقلا رسالة شفوية ، ليس فقط لاسرتي ، وانما لصديقين والرمادية والشعيثة وجبال البطم وصور والرفاق ، رسالة ، رسالة تطمين تظهر انني بأعصاب مشدودة ما زلت على العهد ، لاستئناف المسيرة يوم موعدي مع الحرية ، التي لها طعم نضالي جديد ، اكثر صلابة وعزيمة ، حتى ولو كانت اكثر فقرا ومعاناة .

وتجتمع القيادة المشتركة اخيرا ، وتسبقها لقاءات ثنائية وثلاثية احيانا ، وبينها لقاء مع سمير القومي الذي بات يتكرر معه الحديث ولاكثر من مرة في كل نهار لسبـب وبدون سبـب ، نتحدث في الماضي والحاضر والمستقبـل ، المنظور وغير المنظور ، ومع الشيـــخ يوسف الطيب أيضـــا ، والذي تعرفت عليه في معسكر خمسة بعفويتـه المعتادة ، وانفعالاته ، التي باتت معتـادة أيضا بالنسبة لي . تجتمع القيادة المشتركة وتقرر برنامج عيد الاستقلال . احتفالات في كل المعسكرات تتضمن كلمة للحركة الوطنية اللبنانية ، وكلمـة للمقاومة الفلسطينية ، وكلمة المعسكر ، الهتافات وطنية وموحـــدة والاغاني والاناشيد كذلك ، النشيد الوطني اللبناني : كلنا للوطن ، والنشيد الشعبـي اللبناني : يا بحرية ، شدوا الهمة ، واناشيد اخرى ، انا يا اخي ، اناديكم .. انا يا رفاق من الجنوب ، رحالة .. اما الاحتفال المركزي فيجري في معسكر ثلاثة ، معسكري سابقا تعبيرا عن شوقي له ووفائي ، رغم قلة اللبنانيين فيه . واكلف بصياغة البرقية الموجهة لرئيس الجمهورية امين الجميل وجمـــع الاغاني الوطنية اللبنانية ، كما يكلف أمين سر القيادة بتعميم برنامج الاحتفالات بالمناسبة المهمة جدا وخاصة لي ، مثل اهميتها للجنة الاسرى التي تشكـــل الطلة الوطنية الاولى على المعسكرات ، وتوضح ابعادها وافاقها النضالية حتى بوجه الصهاينة . ببساطة انها المحك العملي والاختبار الجدي لمدى مصداقيتنا الوطنية والحقيقة اننا لم نكن بصدد الحسابات بقدر ما كنا بصدد الظهـور ، بعفوية ، على وجهنا الحقيقي .

وبعفوية ايضا اكتب لقاسم والحايك وسواهما ، طالبا تجميع الاغاني الوطنية اللبنانية ، وتصل بي الامور الى حد ايراد مقطع من الاغنية المطلوبة بالتحديد ، ولتصل هذه الاغاني وتعمم ابرزها اغنية رحالة « الصورية » بحسن العبارات والتأدية كما كنا نلاحظ على شيك الثمانية من خلال المجموعة ، التي كانت تجري تمارين التحضير كل مساء عشية عيد الاستقلال .

ليلة من ليالي ما قبل العيد ، روزنفلد يقول : ابو ميخائيل غدا يغادر ، لقد انتهت مدة خدماته كاحتياطي وسيأتي بعده امنون ويودعنا هذا لنستقبل غيره ، مثلما يأتنا غورو نائبا لقائد المعسكرات ، ان الاخير يجهل العربية والانكليزية والفرنسية ولا يتكلم سوى العبرية ، وينفذ تعليمات روزنفلد بحسن المعاملة بحذافيرها حتى لو تعارضت مع تعليمات قيادته وكأنه موظف جيد ، لدى من ذكرت ، وليس لدى المؤسسة الصهيونية .

وفي يوم اخر من ايام ما قبل العيد وفي معسكر ستة المجاور وخلال لحظات معدودة يقال : ابو عريضة ومعه اثنان رفعوا العلم اللبناني فوق الحمام ، ومرت الملالة كعادتها ، والزمته بانزال العلم ، وتضطرب اجواء الخمسة متحدثة عن فعل ابي عريضة .

واسأل من هو ابو عريضة ؟ لاول مرة اسمع باسمه ! لا اعرفه ! ولا تلقى جوابا عموميا انه مقنع متساقط . وأسأل أحدهم لمزيد من المعلومات..ولاعلم أيضا ان ابا عريضة كان بطل حرق كنيسة الموارنة في صيدا قبل الاجتياح ، وعندما تساقط أرشد الصهاينة الى مخازن التسليح في بيروت وصيدا مثلما عمل مقنعا وبطلا من أبطال القفص الذهبي ... وبعد أن استنفده الصهاينة رموا به في انصار يقيم في معسكر ستة يتربص الفرص ويتحينها للاطلالة برأسه على امل ان يجد الظرف المناسب ، لتنبيه العدو بوجوده واستئناف لعب دوره كعميل معهم ...

وليلا تجتمع القيادة المشتركة وتعمم من جديد محذرة من تصرفات مشبوهة مثل تصرفات ابي عريضة وواصفة عمله بأنه يشكل خطوة لتعطيل احتفالات عيد الاستقلال وتنبيه العدو لامر من هذا النوع ولفت نظره . واسأل لاحقا عي ابي عريضة لمعرفة شكله ، فاعلم انه اخذ زاوية الخيمة مختبئا ، مثلما اجد من يدافع عنه وعن تصرفاته في المعسكر ..

مما استدعى تنبيه الرفاق هناك الى خطورة اي عمل من هذا النوع ، حتى ولو كان على سبيل المبادرة وبالشكل الفردي ، لان التزامنا هو كلي ومطلق بعمل المجموع المنظم وحتى ولو كان لنا رأي اخر فيه ولانه هو العمل السليم تنظيميا والذي يؤدي لوحده ، النتائج من حيث المبدأ .

صبيحة يوم ٢٢ــ١٠ ، وصورة الاستقلال في الذهن ، رياض الصلح وبشارة الخوري معتقلان مع غيرهما في راشيا ، والمير مجيد مع غيره في بشامون ، ونحن في انصار بين يدي الصهاينة وملالات روزنفلد خليفة بن

شحار . مواعيدنا مع الذل الصباحي مع العد ، وبعدها ننتظر الخروج قبل العاشرة صباحا ليأتنا من يشاء سيان عندنا . موعدنا مع معسكر ثلاثة ، معسكر الوفاء كما اسميته ، والمهرجان المركزي بعيد الاستقلال ويأتي غارو ونأخذ طريقنا ، نحن الثلاثة ، باتجاه معسكر ثلاثة قبل العاشرة صباحا ، موعد البدء ، حتى لا ينتبه الصهاينة للامر .

المعسكرات تبدو عليها وتيرة الحياة الاعتيادية ، احاديث شيك ، وانباء حمامات وطقس مشمس أنعش حركة الجميع في ساحات الوحل ، والامور طبيعية ، لا شيء يبدو عليه انه ملفت للنظر ، وبتقديرهم اننا بصدد استئناف الزيارات التي انقطعنا عنها منذ اكثر من عشرة ايام وربما ساورهم الاحساس باننا خفيفو الظل ، قليلو الطلبات للخروج من معسكر خمسة . نسير ببطء ونحي الاسرى ، الذين افتقدوا حركتنا على الشوارع الترابية بين المعسكرات ، ونجتاز معسكر اثنين لنقترب من الاربعة مكان نزل محيو وسامح يتحرك بعض من في المعسكر ليناديهما : اللجنة في الطريق ، صلاح وأبو وضاح ونبيل في طريقهم الى المعسكرات ، الى الثلاثة ، ونصل وفترة الزمن قصيرة .

يا الهي جميع المعتقلين في المعسكر على البوابة ، تدافعوا للاستقبال ، الحكيم والصقر والدركي وابو هيثم وابو السرحان ومجاهد وسندباد و .. و.. وكلهم يتدافعون ، والبوابة فتحت وندخل المعسكر ونستقبل استقبال الوفاء في يوم الوفاء ، على الاكتاف ووسط الهتافات والاناشيد ، ويستقر المطاف بنا في « سطيحة الوحل » .

سطيحتي التي لي معها ، اولها مغي ، كل الذكريات الشخصية النضالية ما قبل اللجنة . انا بشوق للجميع ، مثلما الجميع بشوق لي ، انقطعت عنهم منذ يوم ٧-١٠ بعد ان قلت لهم انا بينكم ومعكم ومنذ ذلك اليوم لم نر وجوه بعضنا ، الا مرة واحدة .

من الخيمة المواجهة للبوابة لاحظت ، لدى دخولنا خروج اثنين ، احدهما يحمل العلم اللبناني والثاني يحمل العلم الفلسطيني ، العلمان مصنوعان من اكياس البصل ، المتعددة الالوان . وسارا بهما في مقدمة الموكب باتجاه السطيحة ، المعسكرات الاخرى ليست اقل حماسا من معسكر ثلاثة ، جميعها باشرت الاحتفالات في الموعد المحدد ، ويتقاطع النشيد الوطني مع النشيد الشعبي ، مع أغنية رجالة وأغنية أنا يا رفاق ، والهتافات ، المقاطعة ، بدورها ، للكلمات الحماسية الملقاة في هذا المعسكر أو ذاك تتقاطع وسط رفرفة العلمين اللبناني والفلسطيني وقد أخذا مواقعهما فوق كل الهامات في كل المعسكرات . . .

أين نحن ؟ ! لا أدري !! . . . في الطريق الجديدة أم في الجامعة العربية ! . . . في صبرا وشاتيلا والفاكهاني ! . . أم في صور وصيدا وعين الحلوة ! . . . لا أدري . . نسينا في يوم الوفاء اننا في انصار ! . . . كل

ما نعرفه اننا نحتفل بعيد استقلال لبنان في جمهوريتنا الجديدة ، جمهورية المعتقلين ، أصحاب الارادات التي اجتازت الظلم والقمـــع وتحررت منـــه بعد استنفاده ، لتشعر بنشوة الحرية الوطنية المتجـــاوزة للاشـــياك والشرطان .

سامح ومحيو على شيك المعسكر أربعة ، بحماسهما المعتاد والى جانبهما المعسكر الذي احتفل مع المعسكر ثلاثة ، والاخير الذي تعامل بعفوية وطنية مع المناسبة والزيارة ، مثلما تعاملت انصار مع الاعلام ، الحدث الجديد في هذا اليوم .

وقف مندوب المعسكر وألقى كلمته المشددة على تلاحم الدم والمصير المشترك والعداء للصهيونية ، كما وقف صلاح من بعده ليؤكد على وحدة الدم والوفاء للبنان شعبا وأرضا معددا التضحيات ، التي دللت على الاصالة القومية ، ولاعود من بعده متحدثا عن الاستقلال الذي عمدناه بالاعتقال وابعـــاد انصار على الساحة ، الى ما يتجاوز أبعاد راشيا ، مثل أبعـــاد الجنوب الاتي والقـــادم بتطهيره للارض من الاحتلال الصهيوني وتثبيت مقولة الاستقلال اللبناني على معادلات جديدة تسهم بصنعها انصار ، وأكـــرر الوفاء للدم الفلسطيني واللبناني كعربون لوفائنا القومي .

كفاح كان جاهزا لرفعي الى ما فوق كتفيه لمتابعة كلمتي ، بنـاء لملاحظة معسكر أربعة و « روزنفلد » كان على البوابة بانتظار انتهائها مع نائبه المطيع الذي نفذ تعليماته هذا الصباح بنقلنا الى معسكر ثلاثة ، مثلمـــا كانت الملالة تستنفر وتأخذ مواقعها على زاوية المعســكرات الاربعـــة مستفزة من رؤية العلمين ، وانصار الهادرة الهاتفة لاستقلال لبنان وللغد الاتي القريب . . .

ونتقـدم بعد انتهـاء الاحتفال الى البوابة ، روزنفلد مع قيادة أركانـــه ، تذكرته في نفس الوقت يوم حادثة سعدو ، وبادرنا بالقول :

ـ صلاح ما هذا ؟ ! . . . وليجيبه

ـ اننا نحتفل بعيد استقلال لبنان

ـ هذا أمر ممنوع نحن نحتل الارض وأنتم معتقلون !! . . . وما هذه الاعلام ؟ ! هناك أعلام فلسطينية ولبنانية في كل المعسكرات ! . . .

ـ يجيبك صاحب الارض المحامي ! وأتدخل لاجيب :

ـ الارض أرضنا ونحن أصحابها ! من حقنا أن نحتفل بكل مناسباتنا الوطنية والقومية عليها ، وهذه مناسبة عيد الاستقلال ، انه عيد استقلال لبنان ، عيد استقلالنا فماذا تريد منـــا ! اذا لم يعجبكم هذا الامر ارحلـــوا أنتم عن أرضنا ، والاعلام المرفوعة هي أعلام عربية من حقها أن ترفرف عـلى أية أرض عربية ، وهذه الارض أرض عربية ! . . . فيعود ويقول :

ـ صلاح ، أنزلوا الاعلام ! . . ويلتفت صلاح نحو نزلاء المعسكر قائلا :

ـ خائن من ينزل علم بلاده . ثم يتجه نحو روزنفلد قائلا : سنحمي أعلامنا بأجسادنا !..

يترك « روزنفلد » البوابة ويذهب مع أركانه من حيث أتى ، ونتابع احتفالاتنا ، وتدوي في أجواء انصار الاناشيد والخطب الحماسية وسط رفرفة العلمين المقدسين ، ويسحب « روزنفلد » ملالاته من داخل المعسكرات وتأخذ مدينة الشرطان مجدها الجديد ، كجزيرة حالمة وصادقة مع نفسها وسط ظلمة بيروت الخانقة وطنيا ، لا بل وسط الظلمة العربية التي ولدها وأفرزها الغزو الصهيوني للبنان .

مع ظهيرة اليوم كانت الاحتفالات على وشك أن تنتهي ، وبقينا لتناول طعام الغداء في المعسكر الذي غمرنا بعاطفته ومحبته فرادى وجماعات ، وبهاء صامت صمت أبي الهول يتطلع ويراقب ، ونودع الجميع في طريقنا من جديد الى معسكر خمسة ، وكلنا همة مع الاستحقاقات والمواعيد الوطنية الجديدة !. نترقبها بمحبة وشوق مثل ترقبنا لردة فعل الصهاينة ، وتحملنا مختلف النتائج والاحتمالات .

ليلا استدعانا روزنفلد لاجتماع كالعادة، مع بداية مطلع كل أسبوع وفي بداية الجلسة ، وعلى جدول أعمالها ، موضوع احتفالات العيد ورفع الاعلام، واعرابه عن تضايقه مما حصل خاصة أمام ضباط أركانه .

وندخل في نقاش مطول في هذا الشأن ، نتمسك فيه بحقنا ، وبالتأكيد على أننا لجنة للاسرى ، ونحن مع جماعتنا منحازون الى جانبهم ولو كانوا على خطأ بتصرفاتهم وتصرفات اليوم ليست بخطأ ، ولنؤكد حقنا بالدفاع عن أنفسنا بما في ذلك حماية معتقداتنا والتمسك بمناسباتنا الوطنية والقومية والاحتفال بها كحق مشروع ومقدس ، نحميه بالدم اذا دعت الحاجة ، وقد اضطر أن يطوي صفحة الحديث أمام تمسكنا بوجهة نظرنا ، وانتقل الى مواضيع أخرى، مواضيع انصارية تتعلق بالاحتياجات اليومية والامور الواردة من النقل الى « بطاين » الخيم ، ومن « الحلبة » الى الاحاديث السياسية بما في ذلك اخر أخبار الخارج ، ولنعود بعد ذلك وننقل للقيادة المشتركة تفاصيل ما حصل في جلسة اليوم ، وتعميم ذلك على المعسكرات .

تشكيل لجان المعسكرات ومجزرة معسكر عشرين :

انصار ، أمضت استحقاقها الجديد ، موعدها مع عيد الاستقلال ، والبرقية لأمين الجميل بصيغة الكرامة الوطنية أخذت طريقها عبر الصليب الاحمر ، بعد موافقة أعضاء القيادة المشتركة على مضمونها ، وكان على جدول أعمال اللجنة استئناف الزيارات وتشكيل لجان المعسكرات، لتضطلع كل لجنة بصلاحية ادارة سياسة المعسكر وتنفيذ تعليمات القيادة المشتركة ولجنة الاسرى ، وانهاء الاوضاع الشاذة ، التي ما زالت قائمة في بعض المعسكرات لجهة صلاحيات بعض المخاتير وتجاوزات مسؤولي المطابخ وبعض الثغرات التي قد تحصل هنا أو هناك وحسم مسالة الرسائل المقدمة للعدو بمنعها كليا وقطع صلة من يشتبه بأمرهم .

مخطط اللجنة والقيادة المشتركة ، أن تتحول انصار في لحظة من اللحظات الى كتلة بشرية ضخمة منتظمة ، تتحرك كجبهة مواجهة في وجه العدو ، جبهة جديدة متفجرة تتجاوز مسألة تعطيل المشروع الصهيوني ، الى مسالة خلق ارباكات وتحديات . انصار ، يجب أن تتحول الى موقع نضالي ، تاخذ حجمها المطلوب ، يجب أن تتحول الى جبهة قتالية عدتها وعتادها غير عدة وعتاد الماضي ، وسائل جديدة ينظر لها صلاح من النار الى الانشودة فسيف الجلي وجاقات الحمامات ببساطة أكثر يجب أن تتحول العفوية الى نار محرقة ، والعدو لن يجرؤ على مد يده الى النار الجديدة التي يستهتر بها ولا يهابها . ونسأل صلاح ليلة بينما دخان موقده الذي غرغر عيوننا بالدمع كيف ؟ليجيب : بوسائل حضارية !.. وسائل نبتدعها ، أنشدوا .. غنوا .. اضربوا على وجاقات المياه وانصار بكاملها يجب أن تتعاون على الطرق على الحمامات في لحظة ما ..! بتحييد جنود العدو وعدم استفزاز قوته النارية بالحديث المهذب مع الجندي الذي ربما يكون مغلوبا على أمره وينفذ تعليمات قيادته ليعتاش، وكذلك باللعب على عواطفه واثارة عقده من خلال الحديث عن النازية وتشبيه بيغن بهتلر وانصار بأوشفتز .. ليختم حديثه بالقول : أحبتي ، اخواني أنا بدوي تعمري وفي بعض جوانب البداوة حضارة ، من قال بأن الكرم والشهامة والكرامة والشجاعة والتضحية ومجموعة المبادىء الاخلاقية في عالم القبيلة تخلف . وعلينا أن نستلهم من قيم القبيلة ، لا بل أستلهم من قيم التعامرة وأتحدث ، حتى الماركسية أخطأت يا نبيل في هذا المجال ، برفضها كل القيم القبلية من خلال الحكم على العهد القبلي من حيث المبدأ ورفضها كل الافكار جملة وتفصيلا ، أخطأت ولا أحد يفهمني سوى أستاذي أبو وضاح وآمل أن يكون كما أتصوره ..

يتحدث صلاح ونتحدث معه، ونثير قضية سيف النجلي التي لم نستوعبها ولم نع الاغراض منها ، ويصر على أن عقله بدوي متخلف وعقولنا متحضرة وتطعمت بالماركسية والقومية ، وعجزت عن قدرة الاستيعاب ، دون أن ينفي عنه استيعابه للمسألتين وتوظيفهما فلسطينيا ولخدمة شعبه مع اصراره على الميزات الايجابية للبداوة .

ومع الصباح نستأنف زيارتنا للمعسكرات ، زيارة معسكر ١٩ ، لنعود مجددا باتجاه معسكري ٢٠ و ١٨ للمرة الثانية ، ونتحدث الى حسن بشأن مشاركته في اللجنة ، ولأعيش مع الاجواء الصورية في معسكر ١٨ من الحايك وشمس الدين وشرف الدين الى حاجو والبطل العاملي .. ولنعود بعدها الى معسكر خمسة وبعد تأكيدنا في كل لقاء على تشكيل لجان المعسكرات ، مثل اصرارنا على حضور اجتماع اللجنة في كل معسكر ، لمناقشة الاوضاع وسد أية ثغرة في التركيب والحرص على مشاركة « المزروعي الدكتور » عن الجبهة في معسكر ١٨ والتفاهم على دعمه من الحركة الوطنية ، لتخليصه من هاجس شبح عدم كشف نفسه ، مثل حرصي في معسكر ١٩ على تمثيل الحركة الوطنية بعلي بك الذي قابلته وشددت على أهمية دوره وطلبت منه التعاون مع أبي نضال .

ونعود من معسكر ١٨ الى معسكر خمسة ، وتتوالى الوتائر العادية للايام ، ويخرج نبيل يوميا لوحده للاطلاع على الوضع الطبي في المعسكرات مثلما بدأت أخرج لوحدي باتجاهات أخرى ، أغراضها اكتشاف مكنونات انصار ولأتابع الزيارات منفردا من معسكر ١٧ حيث الكعور الى معسكر ١٣ حيث بن شعيب الى معسكر ١٢ الذي أذهلني لدى دخوله ، وأبو الرائد فيه ، مرورا بمعسكرات ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ومعسكر عشرة حيث العم .

دخلت يوما معسكر عشرة واجتمعت بلجنة المعسكر أولا ، تحدثت عن الاوضاع السياسية واخر الاخبار وتحدثنا بعدها بأوضاع المعسكر ، لأنتقل بعد ذلك الى لقاء اللبنانيين . قرأت في العيون أشياء كثيرة تحمل علامات استفهام، وتمتد المسافة بين العلامات من قطعة الجبن وكباية الشاي الى الافراج والمسألة الوطنية . وأقطع الطريق على كل استحقاق متحدثا عن العطاء الكبير ، عطاء الدم للقضية الكبرى ، وعن الاستحقاق القادم، استحقاق تحرير الارض، ولأقول بعدها اننا لن نبيعها رخيصة ، لن نبيعها بقطعة جبن أو كباية شاي . من جاع منكم عليه بقضم شفتيه لتستير جوعه ، ومن عري منكم عليه أن يستر عورته بكف يده . واحمل النفس ذاته الى معسكر ١٥ وأتحدث مهيبا بالاستحقاقات القادمة والفواتير التالية ، التي تتطلبها منا مسيرة التحرير كمناضلين ازدوجت مهمتنا ، ولنكون غدا وبعد مطهر العذاب صفوة الآتي القريب ولم يكن معسكر ١٣ بأقل حماسا من معسكر عشرة أو خمسة عشر .

دخلت بعدها معسكر ١٢ ، وفوجئت ، فعلا فوجئت ، لا أحد على الباب كانني قادم من عالم اخر ولمعسكر غير معسكرات انصار ! دخلت وتوجهت الى

المخترة حيث وجدت أباالسعيد وكأنه سلطان زمانه والى جانبه شاويش المطبخ ونائبه ، الذي استقبلني على الباب مرحبا لمعرفتي السابقة بـــه ، وأجلس ، طالبا الاجتماع بلجنة المعسكر ، ليجيبني المختار :

ـ ولم اللجنة ؟ أفلا يكفي المختار ونائبه وشاويش المطبخ ؟ واتذكر مختـار معسكر ١٤ الذي قال لي : لم تشكل اللجنة حتى الان ٠ اذن هناك معسكران لم يشكلا لجنة فرعية ، والتنظيمات هي المسؤولة ٠

وأجيبـه :

ـ طبعا يعجبنا ، لكن هناك قرار للقيادة المشتركة ورغبة كل التنظيمـات في الانتظام وضبط الامور ضمن شكل تنظيمي موحد ، ومعسكركم جزء من هذه المعســكرات ٠

ـ ليس لدينا لجنة ولسنا بحاجة لذلك ، الهيئة الحالية كافية للعمل ، ونحن بأمر القيادة المشتركة !

لم أكن أعرف أن أبا السعيد كان برتبة نقيب ويرى بنفسه ، رأسا قياديا ، الا بعد عودتي للخمسة حيث طرحت الموضوع ٠ وتركت المخترة باتجاه شـــارع « أراكس » كما أسميته لاحقا الخيمة التي يقيم فيها اللبنانيون في المعسكر ٠

أدخلها فاذا هم ، عددهم محدود ، الطابع الانعزالي باد عليهم ، أتحـدث قليلا وأحس بضرورة نقلهم عند أول فرصة الى أي معســكر اخر غير هـــذا المعسكر التعيس ٠

وتجتمع القيادة المشتركة أغلب الليالي ، وفي كل مرة يتحدث صـــلاح عن وسائل وأساليب التحرك مثلما أتحدث عن المعسكرات وهاجسي شارع «أراكس» معسكر ١٢ وتقرر القيادة المشتركة في نهاية كل جلسة ضرورة استكمال تشكيـل لجان المعسكرات وتوكيل اللجنـــة بتنفيذ المهمـــة وضرورة حســم موضوعي الديمقراطية والجبهة العربية لجهة المشاركة في اللجنة وتواجد كل أعضـــاء القيادة المشتركة في معسكر خمسة وتجميعهم ، مع توقف الجميع عنـد مخاطر التجميع ، وتعليق أية خطوة تحرك قادمة لتنفيذ المهام ، من تحرك لأجـــل التحقيق أو المرضى أو كبار السن وصغارهم والمدنيين وفي طليعتهم اللبنانيـــون وخاصة الموظفون منهم وموظفو الانروا والنقابيون ٠٠ ومع انتقال الواحد تلـو الاخر الى معسكر خمسة بناء لمراجعة صلاح الفورية ، تلبية لالحاح زيدا وعبيد ، كلما قدم « روزنفلد » وتلبية للطلب ، تتساقط الرسائل على معسكر خمســـة طالبة النقل والانتقال ٠ والمختار مع أبي سليم يؤرشف الرسائل ، وينظم اللوائح ٠٠٠كما ترتفع الاسرّة في الخمسة وفي كل الخيم تقريبا بعد تركيب أرجل لألواح خشب النوم ، وتمتد « الصرعة » الى المعسكرات ، كما تتابع البومة دوراتهـا

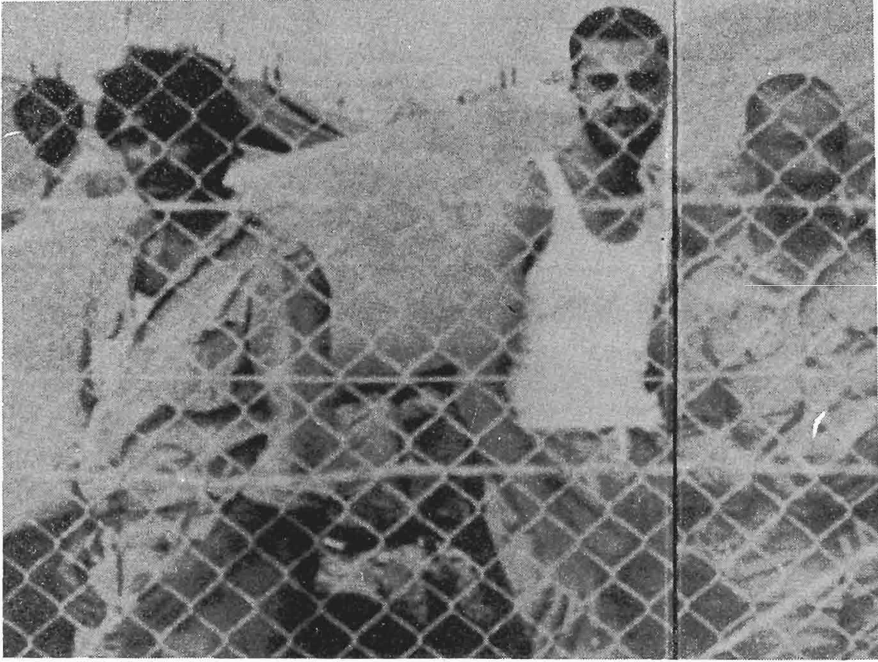
اليومية العادية ويتواصل الفرز الى البيت بالقطارة ، ومع فرز كل واحد من هذا المعسكر أو ذاك يسود الفرح بذهابه ويرث أمتعته أصدقاؤه ومعارفه بما في ذلك خشبة النوم للحاجة اليها لصناعة الاسرة أو المقاعد والطاولات .

أما مع روزنفلد فقد أخذ الحديث مواضيع جديدة ، حرية الحركة للاطباء بين المعسكرات ومسألة جمع الشمل ، ويوافق على حرية الحركة للاطباء وبدء مفعولها من اليوم التالي ويعد بجمع الشمل قريبا بعد استكمال المعسكرات الجديدة ، ويبقى الموضوع الذي نحفزه عليه ، استحصاله على صلاحية الافراج من قيادته تدليلا على ثقة قيادته به وانهاء مشكلة المرضى بشكل خاص ، والمجانين ، ومن بينهم من اعتقلتهم سلطاته من مصح الفنار بعد الاجتياح وهرب العاملين بالمستشفى المذكور ، وخروج مرضاه على غير هدى موزعين على المفارق والطرقات وتصيد « الشمبت » لهم ، وكأنهم اصطادوا كارلوس أو وديع حداد اذا لم نقل أبا عمار ...

ومن مشكلة النقل الى مشكلة المطابخ ، وتبدأ الرائحة تفوح . لقد حددنا للمعسكرات التي نزورها ، ان لجنة المعسكر هي نفسها اللجنة الادارية والسياسية ، وحذرنا لجان المعسكرات من مغبة الوقوع في وحل المطابخ ، لانه يفترض أن تكون مهمتها سياسية أساسا واستطرادا ادارية تتدخل حين يخل العمل الجاري في المعسكر بالتوازن العام ، دون أن يعني ذلك غرقها بالتفاصيل والجزئيات الصغيرة . والاشياء الاخيرة تبقى من صلاحيات المختار وشاويش المطبخ وطاقم العمل المحظر عليهم في الوقت ذاته التدخل في القضايا ذات الطابع السياسي ، المحددة ، من لجنة الاسرى والقيادة المشتركة ولجنة المعسكر . ورغما عن أن الامور ، يفترض أن تكون واضحة والعلاقات بحدودها الفاصلة متمايزة ، الا أن بعض المخاتير وأعضاء اللجان شاؤوا عن قصد أو غير قصد ، بدوافع ذاتية وتنظيمية عدم الفهم ، وبرزت مشاكل التموين واساءة توزيعه ومشاكل المخاتير وعلاقاتهم باللجان ، وكل الامور مرمية في ملعب لجنة الاسرى « تعالوا دبرونا » كما يقول صلاح مازحا . الحقونا والا افتقدتمونا .. ونركض لنبحث ، لنرى أن المشكلة مشكلة مطبخ .

بعض المعسكرات حسمت أمرها باكرا مثل معسكر عشرة ، لجنة المعسكر الممثلة لكل القوى السياسية ، وما للمختار ابراهيم من سمعة سيئة وسوء تصرف ، بادرت فورا الى عزله ، وتعيين جلال محله وصاحبنا سكران نائبا له . وباركنا الخطوة منذ بداياتها ببرقية طيارة موقعة مني ومن صلاح . ومعسكرات أخرى تفتقر لانسجام معسكر عشرة ، لكنها تصيح وفق عبارة صلاح ، من بينها معسكر واحد ، الذي لحقناه فعلا رغما عن وجود كوادره ، التي كانت تتطلع لقيادة انصار .

عجلة الزمن تتلاحق ، في معسكر ستة الدكتور نظمي يتابع أعماله في مستشفى انصار ، ومعه طاقم عمل ونتفق على عقد مؤتمر طبي مع قيادة



٤٢ ـ صامدون داخل الاسلاك بصمود مشروعنا الوطني !٠٠٠

المعسكرات للتداول بالشؤون الطبية ، واعداد لوائـــح بالمرضى واحتياجات انصار ٠ فرصة للقاء الصديق الحكيم وأكتب له أخبره بالامر ، وبالموعد المحدد، الذي سالتقي به كما سيقابل ابن شقيقه وكم تشوق لهذا الامر ؟٠٠

ويعقد المؤتمر في موعده المحدد بحضور الدكتور نبيل ومشاركتي كعضو لجنة وأقابل الحكيم مثلما أقابل زهير وبن زريق والرفاق، وأستدل على أبي عريضة٠

على جدول أعمال المؤتمر، بالاضافة للقضايا الطبية، مسألة مشاركة الطبيب في لجنة المعسكر بصفته المسؤول الصحي ، وأنا مع هذه الوجهة بحماس، لأهمية الدور التعبوي ، الذي لعبه العديد من الاطباء سابقا ، بالاضافة للمهام والادوار الاخرى، وهناك من قائل بأن الطبيب يجب أن يكون خارج لجنة المعسكر بعيدا عن الصراع السياسي والاكتفاء بلعب دوره الطبي المحض ، الهادف لخدمة الاسرى، ويتزعم هذا الرأي أحد الاطباء ، الذي يصل في اعتراضاته الى مسألة تمثيـــل نبيل في اللجنة كطبيب بصفته غير مختص ٠ وينفرد الدكتور المذكور في الاجتماع بوجهة نظره دون رأي الباقين من المشاركين ، ولينتقل الاطباء بعد ذلك ، بمـــا فيهم صديقي الحكيم الى معسكر خمسة للزيارة وسؤال خاطر القيادة المشتركة وأمين سرها ، ولقاء صلاح أيضا ، وتناول الغداء على مائدة مختارنا الـــذي أبدى تضايقه لقلة التموين ٠

الديمقراطية أخيرا ، بعد أن اجتازت مرحلة الاخذ والرد ، حسمت أمرها نهائيا وأبلغت مشاركتها في اللجنة بشخص أبي ليلى وزودنا برقمه ، لنبلغ قيادة المعسكرات في جلسة عمل ، اضافة رابع للجنة الثلاثة ، تحت عنوان عضو اداري ، بالاضافة لأعلى رتبة عسكرية وطبيب وقانوني ، وليحضر أبو ليلى جلسة عمل قادمة مع قائد المعسكرات مقدمة لخروجه لاحقا في أول زيارة له الى معسكر أربعة. ونذهب سويا لحل اشكال تمثيل الديمقراطية في لجنة المعسكر . وليبرر التأخر بالمشاركة ، تجاوز اللجنة لكل المطبات السياسية ، التي كانت في دربها واسقاط علامات الاستفهام ، التي طرحت وكسبها للرهان الوطني ، ودعوته لمنظمته في انصار بشد أحزمتها وحسم أمرها ومواكبة مسيرة التحول والتنظيم والعمل المشترك .

وأبحث مجددا مع محيو موضوع الجبهة ، وضرورة حسمه سيما وان التحفظات أصلا ليست في حسابها ، أطلب منه المشاركة شخصيا اذا بقي حسن على موقفه المتردد .

انصار اعتادت دائما على المفاجآت وتاريخها الطويل استند الى الحدث المفجر للاوضاع ، المعطل للمشروع الصهيوني ، بقدر ما بالامكان بلورته لصالح المشروع الوطني مشروع عدم التداعي والتصلب والامساك بالقناعات الوطنية ، امساك الام بطفلها بداعي الحرص عليه وعدم افلات الزمام . عمليا كل أسير معني وكيف لا يكون معنيا ؟ وهو مستهدف كفرد وكجماعة ، كانسان وتنظيم ، كقيم ذاتية ووطنية ، من هنا يتأتى مصدر حرص الجماعة على الفرد بقدر حرص الفرد على الجماعة .

انصار باتت محطة من محطا تنضالنا، لها وهجها وحرارتها المعمدة بدم الشهيد الشبل دحا بري ، أول شهيد على أرض انصار ، وبدماء شهداء المقبرة لجماعية في بنات يعقوب داخل فلسطين المحتلة ، من الذين تمت تصفيتهم باكرا ، والمقبرة الجماعية قرب راهبات صيدا . انصار مرشحة لان تتعمد بالدم في كل لحظة وفي كل حين .

هذه المحطة التي قامت على الحدث الصانع للبطولات ، تبدو ومع بداية كانون الاول ١٩٨٢ وكأنها حبلى ، ستولد توائم من الاحداث والتطورات . في هذا التقاطع الزمني المحدد ، تظهر ساحة انصار في جوها الخريفي المشمس ، وكأنها على مواعيد ، تنطلق صيحات الاسرى من هنا وهناك وتتعاقب متناقلة « أخبار الحمامات » والخارج ، وتحيات الاسرى لبعضهم البعض ، عبر الاشياك ، تتقاطع بدورها ، وتتصادم ، وتتساقط الرسائل الطيارة ، وكأنها قصف عشوائي وبتداخلها يتشكل كمبيوتر انصار .

لجنة الاسرى والقيادة المشتركة تتابعان بأعصاب هادئة ، تفيض حيوية ، استكمال البناء التنظيمي للمعتقلين وتشكيل لجان المعسكرات ، بعد أقل من

شهر على تشكيل اللجنة الام وانتزاع شرعية تمثيلها ، عملا باتفاقية جنيف ، والحيوية تبدو في الجانب التعبوي المشحون وتهيئة أجواء أكثر ملائمة للصمود الذاتي ، وأخذ زمام المبادرة للبدء بمرحلة المواجهة مع العدو ، بأشكال جديدة متطورة وفريدة .

انصار بمعسكراتها العشرين تحتضن الالاف الثمانية من المناضلين ، وتطوقهم في مدينة الشرطان آليات العدو العسكرية والسواتر الترابية ، ضمن كل معسكر شريحة بشرية مقطتعة من مجتمعنا العربي ، تمثل مختلف الانتماءات الطبقية والسياسية والتنظيمية .

الاجواء السائدة في أي معسكر ، هي أجواء التتبع للاخبار ومناقشتها وتحليلها وفق الافاق النظرية المطروحة ووجهات النظر السياسية المتعددة ، مع تغليب التناقض الرئيسي مع العدو على أي تناقض اخر ، عملا بتوجيهات الاطر القيادية ولجنة الاسرى ، وتبدو صورة أي معسكر وكانها مشحونة ومحتقنة ، مثلما يبدو أي معسكر وكأنه خلية نحل ناشطة في هذا المجال .

الصهاينة ، في الخارج ، يراقبون حركات الاسرى الغامضة وغير المفهومة ، ببساطة ، هم أمام عالم لا يعرفون عنه شيئا ، الا بمقدار ما تم غرسه في أذهانهم من معلومات صهيونية ،حللت لهم استباحة دمنا الطاهر .

في الزاوية الجنوبية الغربية من المعسكرات وعلى طرف معسكر عشرين وبمحاذاة البرج المراقب ، تستقر ملالة عسكرية بعد أن دارت دورة عصبية حادة على المنعطف ، وينطلق من رشاشها المحمول عدة زخات من الرصاص باتجاه احدى الخيم في المعسكر . تتعالى الاصوات وترتفع الصرخات مع رؤية الدم المباح ، يروي أرضنا الطاهرة ويتفجر احتقان الاسرى غضبا وجحيما على الصهاينة القتلة .

ومن بين الدماء التي سالت دماء الشهيدين سهيل أبي الكل ونعيم حميد والجريح الرفيق محمد ابراهيم ذياب ، الذي عاد واستشهد متاثرا بجراحه وجراح العديد بينهم الرفيق ابراهيم حطيط وأبو حسن سليم وعشرة اخرون .

تتعالى الهتافات والاناشيد الوطنية وترتفع حمى وتيرة الغضب لدى الاسرى في كل مكان ، ويقصف معسكر خمسة بالرسائل الطيارة ، التي أخبرت عن الحادث وتفاصيله بسرعة البرق ، مثلما تنهال الرسائل من المعسكرات الاخرى طالبة تحديد الموقف السياسي والرد النضالي على الحادث ، الحدث الجديد ، من معسكر قيادة المعتقلين في المعسكر خمسة .

تحت تاثير حمى المجزرة الجديدة ، التي سال بها الدم، وفي أجواء الهتافات « شارون وبيغن نازيين » وأناشيد « شدوا الهمة الهمة قوية .. » و « أناديكم أشد على أياديكم » و « حطم ضلوعي تحت أعقاب البنادق » وأغنية « أنا يا رفاق من الجنوب » ، سلم شهداؤنا الامانة بتسليم الروح ، وسمت روح رفيقنا محمد بالشهادة مثلما سمت روح كل من سهيل ونعيم ، وحلت جراح ابراهيم



٤٣ ـ انصار مدينة المجابهة الدائمة !...

حطيط ورفاقه الاخرين .

لجنة الاسرى ، قطعت كل أعمالها ، وصادف وجود أربعتها في المعسكر خمسة ، تتحرك في مختلف الاتجاهات والخطوط المتاحة ، وتبلغ قيادة المعسكرات الصهيونية استنكار الحادث الآثم وطلب الحضور الفوري للصليب الاحمر الدولي ، مثلما أبلغت الاسرى عبر تعميم فوري مواصلة الاناشيد الوطنية والقومية والهتافات الى حين حضور الصليب الاحمر ، مع اتاحة المجال «لنجمة داود » بنقل الجرحى حرصا على حياتهم والابقاء على من استشهد حتى مجيء « فيليب » رئيس البعثة الدولية وعلى أن يصدر عن القيادة المشتركة ، التي تعقد اجتماعا طارئا وفوريا ، برنامج تحرك نضالي واحتجاج يصدر في تعميم لاحق .

وسط صدى الاناشيد المنطلقة من أعماق الحناجر وثورة الغضب المزكومة برائحة الدم التي تملأ الانوف والنفوس ناقشت القيادة المشتركة في المعسكر خمسة بحضور اللجنة الحادث ، ووجدت فيه صورة من صور الغدر الصهيوني ، الذي يشابهه حرق المسجد الاقصى ، أو مجزرة صبرا وشاتيلا أو أي فعل صهيوني مماثل على كثرة الافعال والجرائم الخسيسة والدنيئة المرتكبة والمسجلة على لائحة تاريخها الدموي النازي الخبيث ولم تجد القيادة المشتركة من سبب لهذا العمل أو دافع له ، سوى الحقد الدفين والكامن في النفس الصهيونية وأفكارها المريضة .

ويأتي فيليب مندوب الصليب الاحمر الدولي ، ومعـــه روزنفلد ، بعد أن أخرج الاخير ملالاته وجنوده الى خلف السواتر الترابية ، وانقطع اجتمـــاع القيادة المشتركة لنتحدث عبر بوابة المعسكر خمسة . صلاح هائج والشر يتطاير من عينيه ويقول :

هؤلاء هم جنودك يا روزنفلد ، قتلة ، سفاكو دماء ، أربــــاب مجـازر صهيونيتكم النازية الجديدة عبأتهم بالحقد المريض ، فقتلوا أبرياء مغلوبين على أمرهم في خيمهم وضمن الاشياك ، انهم جنودك تلامذة بيغن وشـــارون والحاخام كاهانا ، الذي يتباهى بحقده وجرائمه . نتساءل عن الدافع والسبب والمبرر للقتل ؟؟ نتساءل أيضا عن مبرر وجود السلاح بين يدي جنودك داخـل المعسكرات ؟؟ نتساءل عن الضمانات التي تقدمها يا فيليب للابقاء على حياتنا المهددة في أيـــة لحظة بخطر الموت ، برصاص جنــدي صهيوني أبسط مـــا ستقوله قيادته النازية المجرمة عنه انه مجنون ،قياسا على حرق المسجدالاقصى ، فالى متى سنبقى تحت رحمة مجانين الصهيونية حسب زعمها ، وكلهم قتلة ومجرمون عن سابق تصوروتصميموليس للجنون مكانفي تصرفاتهم سوىجنون الصهيونية الغاشم . اننا نطالب بلجنة تحقيق دولية للتحقيق بمجازر صبـــرا وشاتيلا الجديدة وجرائم الصهيونية في المعسكرات وفي كل مراحـــل التعذيب والتحقيق ابتداء من الراهبات ومرورا بمقبرة بنات يعقوب « الجماعية وانتهاء بمبرر حصر المدنيين وفاقدي الذاكرة هنا على أيدي من تدعون أنهم مجانين . وحتى يتيسر التحقيق نطلب حمايتنا بقوات دولية ، ترابط في معسكرات انصار ونحملك يا فيليب ، مثلما نحمل المؤسسات الدولية مسؤولية أي فعل يحصل لنا قياسا على مجزرة اليوم .

فيليب يستمع وهو صامت وقائد المعسكرات يحاول تهدئة غضب صلاحالمحموم بغضب الاسرى الذين ينشدون حولنا ويعدنا بعدم سكوته على ما حصل ، ويطلب اخراج الجثث من معسكر عشرين ، ليجيبه صلاح :

اننا لا نريد أن نخرج قتلانا ! سنبقيهم في خيمنا والى جانبنـــا بدون دفن ، ليبقى فعلكم شاهدا حيا أمام اعيننا في كل لحظة وفي كل حـــين .. ولتبقى نازيتكم تزكم أنوفنا برائحة الموت الابدي ! ..

ويتدخل فيليب طالبا خروج اللجنة ، أو صلاح ، الى المعسكر المجنى بحقه لمعالجة الوضع وتدارك الامر واخراج الجثث فيلقىالطلب بالخروج الرفض منا ، ويذهب مسؤول الصليب الاحمر مع قائد المعسكرات الى مكان الجريمة بعد عدم ممانعتنا بنقل الشهداء وسط التهديد والوعيد بالغضب الانصاري العارم .

القيادة المشتركة تنهي اجتماعها وتقر برنامج التحرك ابتداء من صبيحـــة اليوم التالي وتباشر التعميم على المعسكرات وفقا لما يلي :

١ ـ اليوم الاول ٣ كانون الاول ١٩٨٢ :.اضراب الجميع عن الطعام لمدة يوم واحد وترديد الاناشيد صباحا لمدة عشرة دقائق أمام البوابات .

٢ ـ اليوم الثاني ٤ كانون الاول ١٩٨٢ : الاعتصام في الساحات لمدة ساعتين من العاشرة صباحا حتى الثانية عشرة وترديد الاناشيد والاغاني الوطنيـــــة والقومية .

٣ ـ اليوم الثالث ٥ كانون الاول ١٩٨٢ : اقامة مهرجانـــات تابين في كـل المعسكرات ومهرجان مركزي في المعسكر خمسة وقراءة الفاتحة عــلى النصب الذي سيقام في معسكر عشرين من قبل اللجنة

٤ ـ قيام مجالس تعزية وقراءة الفاتحة والقرآن يوميا في كل معسكر مـــن المعسكرات .

٥ ـ منع العد الصباحي طوال الايام الثلاثة .

٦ ـ تعليق يافطات وملصقات من وحي المناسبة باللغات العبرية والانكليزية والفرنسية على أشياك المعسكرات ، مشبهة انصار باوشفتز ، والصهاينة بالنازيين ومجزرة انصار بمجزرة صبرا وشاتيلا . والعبارات ، التي تحويها الملصقات مثل الاناشيد والاغان محددة في التعميم .

٧ ـ اطلاق سراح والد سهيل أبي الكل وكذلك الجرحى .

مثلما أقرت القيادة المشتركة تكليف اللجنة صياغة مذكرة تقدمها للصليب الاحمر الدولي متهمة العدو الصهيوني بالقتل المتعمد لغايات سياسية ، والمطالبة بلجنة تحقيق دولية للتحقيق في أوضاع معسكرات انصار ، وفضح السياسة الصهيونية ووضع المعتقلات بحماية قوات دولية حرصا على سلامة من فيها ، والتأكيد على المطالب الانصارية بالافراج عن المرضى وكبار السن وصغارهم والمدنيين وفي طليعتهم اللبنانيون والوقف الفوري للتحقيق .

ومع بدايات الليل في اليوم الاول لوقوع الجريمة ، كانت انصار على موعد مع الاعلام اللبنانية والفلسطينية ترفرف فوق كل المعسكرات شاهدة على دم التضحية ، مثلما كنا على موعد مع لجنة تحقيق صهيونية عسكرية للتحقيق بظروف الحادث .

قناعاتنا كانت ان تحقيقهم لن يجدي ، لان من أحرق المسجد الاقصى وصف بأنه مجنون فماذا يوصف من قتل أخوة لنا معتقلين ، تصفهم الصهيونية بأنهم على شاكلة قطاع الطرق ومعيثي الفساد ، ومع تمسكنا بمطلب لجنة دولية وافقنا على التحقيق العسكري ، واعتبرناه مناسبة لكشف تصرفاتهم . انتدبت من اللجنة للاشراف على التحقيق وتقديم قائمة بأسماء شهود بالحادث وعلى رأسهم مختار معسكر عشرين الطبيب المناضل ، وانتقلت بعد زيارتنا للجرحى وتفقد أوضاعهم الى التحقيق الذي استمر الى ما بعد منتصف الليل ، بحضوري الى جانب الشهود ، الذين أكدوا بالوقائع وحركة الملالة على الفعل المتعمد للجريمة ، في ظروف انعدمت فيها الذرائع والاسباب المبررة لحصـــول الحادث .

أنصار عاشت أيامها الثلاثة معبرة عن غضبها ، ونقمتها بتنفيذ برنامج التحرك النضالي ، العدو امتنع عن العد الصباحي ، وغابت فريضة الذل اليومية ، مثلما استمر بملالاتـــه وجنوده خارج السواتر الترابيـــة وشـــهدت مدينة الشرطان في يومها الاول ، أول اضراب عن الطعام مثلما قدمت المذكرة في جلسة عمل مع الصليب ، جرى فيها نقاش الوقائع والتحقيق والمطالب والضمانات المعدومة ومسؤولية الطرف الحامي بهذا الشأن ، مسؤولية تشعرنا بانعدام الحس الانساني وبعدم جدوى المؤسسات الدولية .

وتكتمل الصورة النضالية في اليومين التاليين ، الاول عندما اصطف جميع معتقلي انصار وهم يهتفون وينشدون على مدى ساعتين ، وسط رفرفة اعلام الشرف والكرامة وحزنها على ضحايانا ، والى جانبها الاعلام السوداء . كما اصطف الجميع أيضا في اليوم الاخير لحضور مهرجانات التأبين ، الافتتاح بالقرآن الكريم وكلمة المقاومة ، فكلمة الحركة الوطنية وأخيرا كلمة المعسكر .

في معسكر خمسة تحدث الاخ صلاح ، وكيف لا يتحدث عن شراكة الدم والوفاء اللبناني ؟! وقد ورد حديثا نبأ استشهاد رفيقنا محمد ذيـــاب . تحدثت من بعده ، لاحيي البنغلاديشي الذي شاركنا محنة العذاب والعطاء للمسألة القومية ، مثلما تحدثت عن العلاقات التي نرتقي بها وبالدم الجـــديد كحركة تحرر عربي وموعدنا مع الارض التي تنشد التحرير ليس ببعيـــد مثل موعدنا مع الحرية .

وننهي احتفالاتنا وبرنامج تحركنا ونؤجل زيارة العشرين الى موعد أسبوع الرفيق الشهيد محمد ذياب وأنصار تتحول من جديد وببعد جديد ، ثمنه الدم الى جمهورية المعتقلين مفروضة على العدو بالعذاب الطاهر المقدس . ويأخذ جسد محمد ذياب مع رفيقيه الطريق عبر الصليب ، شهداء الحرية المنشودة ، الى قراهم ومخيماتهم لرفد مسيرة النضال والتحرير وليعيد محمد للعافية الوطنية وهجها وتألقها ليس في انصار فقط وانما في بلدته الجنوبية الباسلة البازورية ، وليطلق هذا الدم النضالي المعطاء عقال جماهيرنـــا التـــي أزبكها الاحتلال ، فيغني جذور المقاومة الوطنية اللبنانية ويسهم في اطلاق جذوتها ، وليبلغ موسى وحاتم وعبد الامير رفاقه في الشهادة قدرتنا على مواصلة المسيرة .

انتهى برنامج التحرك بعد حادث معسكر عشرين بتوقيته المعلن ، لنتفرغ لملاحقة المطالب مثلما بدأت تتفاعل نتائج الاضراب عن الطعام الذي تخللته آثار سلبية ، بعدم اضراب البعض وحادثة رمي التموين خارج البوابات ومن فوق الشيك ، لاعادة سحب أرغفة الخبز بأسلاك طويلة امتدت من مختلف المعسكرات .

ومع بداية اليوم الاول لانتهاء التحرك كنا على موعد مع اطلاق سراح والد الشهيد سهيل أبي الكل ، مثلما تحركت أنباء الحمامات وتطايرت

الرسائل الطيارة وكثرت الاحاديث متحدثة عن أستمرارية التحرك والاضراب المفتوح عن الطعام حتى الافراج النهائي ·

كمبيوتر الاسرى دائما جاهز ، اضغط على الازرار الخاصة بي ، ليتضح لي وللجنة والمشتركة بعد دقائق ان التحرك مصدره معسكر ١٥ بايحاء من تنظيم ·· ونتدارك الامر بالتعميم المشترك والتنظيمي ، لكل طرف على حده ، بضرورة الالتزام بالعمل المشترك لوحده · ونغادر معسكر خمسة للقاء فيليب الموجود في معسكر واحد ، الجاهز لتسلم والد الشهيد ونقله الى عين الحلوة ·

يا الهي مفاجاة مذهلة ، بارودة « ام سكستين » مرمية على فرشة اسفنج في الزاوية ، ولا أحد في خيمة الحراس سوى أربعتنا ،نضحك وننظر اليها بعقلية العاقل غير المتهور ، نتحدث عن مغامرة نحن أبطالها ، لكن نتائجها مجزرة كبيرة اذا قتلنا حارسا او اكثر ، نضحك ويطلب صلاح من الجندي الذي ناداه قائلا : خذ سلاحك من وجهنا ··· ويتقدم الحارس ويأخذ البندقية والمفاجأة اذهلته بدوره ، وبدى عليه الارتباك والاضطراب ، ليقول : امل الا تخبروا قيادتي ، لانني القى عقابا قاسيا · ونضحك اكثر وكلنا سخرية من مستوى مسؤولية عناصر الجيش الذي لا يقهر ··

يأتي اخيرا امنون لينقلنا الى معسكر واحد القريب ويتركنا فيه مع فيليب ونخر جبعد فترة مع المفرج عنه بدون ان نجد الضابط ، فننتقل خمستنا بسيارة فيليب ، التي يقودها بنفسه نحو البناية الشرقية ، حيث قيادة المعسكرات · ليتركنا في السيارة لوحدنا ويصعد الى البناية بدون ان يأخذ مفاتيح السيارة ·· نضحك مجددا من المفاجأة الثانية ، ولكن ماذا بامكاننا ان نفعل ؟ انهرب ·· معاذ الله ·· نحن خوارنة الدير ·· فماذا يصيب الدير اذا تركناه ·· وهل باتت المشكلة كأشخاص ؟ ام مشكلة انصار ؟ وقد بتنا نعيش مشكلة انصار متناسين مشاكلنا الخاصة، وباتت انصار بالنسبة لنا كالدير بالنسبة للخوري أو الراهب ·· ويعود فيليب ومعه « أمنون » ونودع والد سهيل لترافقه السلامة حزينا بعد ان دخل انصار معتقلا مع ابنه وسبقه الابن الى البيت جثة شهيد ، مثلما اعادنا امنون الى معسكرنا ·· لمتابعة المطالب والضبط والربط ·

ونشعر مع الذي حصل صباحا اننا بحاجة لمزيد من الضبط والربط وفق تعابير صلاح،والموضوع بات يستدعي تقييم القيادة المشتركة للمرحلة والظواهر ويشتغل كمبيوتر أبا محمود بالرسائل الطيارة لاعضاء القيادة المشتركة خارج المعسكر خمسة ومباحثات جانبية مع من هم في المعسكر من اصحاب القرار ، لا بـ لاصحاب الضبط والربط ·

صلاح يحلم بانصار قادرة على ان تتحرك في لحظات وتهدأ في لحظات ، ضابط الحركة في كلتي الحالتين هو القرار السياسي ، وكلما انتظمت الامور

اكثر ، كلما كان بمقدورنا ارهاب العدو وارباكه ، ليكون اكثر تخوفا ، ونتحول الى عبء نثقل كاهله سياسيا وعسكريا . ويتخوف صلاح من حالات الانفلات ، التي قد تتحول الى حالات ابتزاز للقرار السياسي ، يحمل عبأها وينظر صلاح احيانا لاهمية الرياضة والركض وممارسة عمل من هذا النوع بانتظام وفي كل المعسكرات حرصا على الحيوية الدائمة ، الجسدية بلياقتها والذهنية بتفتحها ، مثلما يحس باهمية التوثيق فيلتفت الي كلما وجدني اكتب ، وفي غالب الاحيان امارس الكتابة ، طوال فترة وجودي في المعسكر خمسة ، يلتفت قائلا : استاذي وثق .. وثق ، كلما قدرت وثق لانصار .. وارد عليه نحن بحاجة لجداول علينا انتعامل مع الارقام والاحصائيات ، لا بد من جرد المعسكرات لنعرف العدد الكلي ، عدد المرضى ، عدد الطلاب والاساتذة والموظفين لا بد من احصاء شامل وكلي تقوم به لجان المعسكرات حتى اذا تحدثنا مع الصهاينة والصليب نتحدث بلغة الارقام واشاطره الرأي اننا مبتزون بين مشاكل المطابخ وطلبات النقل واشكالات المزابدين ، واننا فعلا بحاجة للضبط والربط .

الفرز بلغة انصار يتواصل بالقطارة وقد اعتدنا على وداع اصحاب الحظ السعيد في كل مرة ، كما طالبنا بتزويدنا بارقام المفرج عنهم قبل رحيلهم في جلسة من الجلسات مع قائد المعسكرات مثلما ابدينا تخوفنا من المعسكرات الجديدة لجهة تشتيتنا وابعادنا عن بعضنا وقطع الصلة فيما بيننا ، بتعطيل اللجنة مثلا ومنعها من الحركة ، او باستفراد قسم منا او اسماء معينة .

ويحسم الضابط الجدل باختيارنا نحن للمعسكرات المطلوب نقلها ، مثلما يحسم الجدل بموضوعة جمع الشمل بحصره بنا فقط ، وعدم نقل أي أسير من قبلهم كقيادة معسكرات ، ولنكلف على الطاولة ابا ليلى بصفته عضو اللجنة الاداري ، بتنظيم لائحة جمع الشمل ابتداء من الغد ، وليمازح ابا ليلى قائلا : بأنه لم يتعرف على تنظيمه السياسي كما تعرف على تنظيم صلاح ، ونستغرب سؤاله ونعلن عن مدى استغرابنا قائلين : لا يعقل ألا تكون سألت المخابرات . ويجيبنا بالنفي ، مع عدم قناعتنا بقوله ، وليجيبه أبو ليلى بانتمائه للديمقراطية . ويختلط الامر في ذهنه بين الديمقراطية والشعبية ويدور نقاش ، لفض الاشتباك الحاصل في ذهن الضابط الصهيوني بين التنظيمين ولاعطائه صورة عن « حبش » تختلف عن صورة الارهابي القاتل ، كما هو حاصل في ذهنه الصهيوني ، وليقطع صلاح الطريق عليه ، بالقول : انني والدكتور كلانا مدنيان ، لا علاقة تنظيمية لنا بمنظمة التحرير ، بعكس وضعه هو وأبي ليلى بصفتهما عسكريين .

ولنعود بعدها ، نتحدث عن مشكلة الفهم الخاطىء لدى اليهود ، بفعل الصهيونية ، التي غرست في العقول مفاهيم وحقائق خاطئة وزورت التاريخ ، وليعقب صلاح بعدها ممازحا : موسى نبيكم غلـّب الرب ، بقوله : أرني وجهك ،

وأنتم غلّبتم موسى عندما ترككم مدة أربعين يوما ، وبعد أن عاد اليكم ، قلتم له : أثبت لنا أنك نبي . فكيف يمكن ألا تغلّبوا العالم ، الذي سيتخلص من شركم . ويأخذ الحديث بعدها منحى تاريخيا ولاهوتيا من العهد القديم الى العهد الجديد فالقرآن . وأطلب نسخة من العهد القديم للاطلاع عليها ، ويعد بتلبية الطلب . ويزود كل واحد منا نسخة في جلسة تالية دون أن تخلو كلا الجلستين من الحديث بالمطالب والاستفسار عن الجريح حطيط الذي نقل لمستشفيات فلسطين المحتلة مثلما أكتب لمحيو بموضوع لمّ الشمل فيرسل لي لائحة بخمس وعشرين اسما أي بمقدار اللائحة التي سنتقدم بها بكاملها !... ولدى البدء بالتنفيذ تدب الحيوية في « أنباء الحمامات » ، نقل ، نقل ... ويقصف معسكر خمسة عشوائيا بالرسائل والطلبات الجديدة والقديمة الجديدة.

ومع حركة النقل ، وتزايد تحفظاتي عليها شكلا ومضمونا ، تصبح الطريق سالكةأمامأبي بكر وأبي هيثم وعطا وسواهمالى معسكر ٥ وليزداد عدد «كرادلة« فتح » في المعسكر وتكبر شلة من أسميته زيد بن شاكر !.. مثلما يصل الدور الى المرافقين لاحقا ، رغما عن تحفظ المختار وحرصه على ابقاء المعسكر صغير العدد ومحدودا ، ولتاخذ الخيمة ستة مكانها في الخمسة وتصبح مأوانا الجديد ، بعد أن امتلأت الخيمة خمسة بالنزلاء الجدد ، وليحقق صلاح مشروعه مع تركيب بطاين الخيم في انصار والدفايات ، بفصل الزاوية لتكون حماما ، حرص على ترتيب أوضاعه مثل حرصه على تركيب دفاية على الخشب والكرتون من « تنكة » أحسن صنعها لهذه الغاية . ومثلما حرص على تجهيز طاولة ومقاعد من انتاج فبركة « السوكو للنجارة » ورعاية « شرش نعناع » استحصل عليه عن مندوبة الصليب الاحمر الدولي وتحضير الفسحة الشمالية المجاورة للخيمة لزراعة الفول .

فيليب ، مسؤول الصليب الاحمر الدولي يتحدث عن تسفير الاجانب غير العرب الى بلادهم أخيرا ، بعد أن وفر الصليب الاحمر الدولي نفقات الانتقال ، واستصدر قرارا ماليا بتغطية ذلك ، ومن بينهم البنغلادش والباكستان والهنود والاتراك . ونشكر الصليب الاحمر بهزء وسخرية ، على حل المشكلة ، بدفع أجور الانتقال ، بعد أن مضى عليها أشهرا في انصار تنتظر من يدفع في العالم أو يتبرع بأجور النقل ، ونتحسب لمجابهة مشكلة أخرى ، مشكلة الذين يرفضون الذهاب الى بلادهم . أي أرض في هذه الدنيا مستعدة لاستقبالهم ؟ ونفكر في اليمن الجنوبية أو الجزائر أو سوريا أو الدول الاشتراكية باعتبار غالبية الرافضين للعودة الى بلادهم هم من الماركسيين . ونحمل فيليب مسؤولية متابعة أوضاعهم في الخارج مع المنظمة أو السفارات ، ويصل الطرح بنا أحيانا الى المطالبة بفتح معسكر خاص بهم ، ضمن مناطق القوات الدولية وتحت اشرافها ، في قبرص ، أو أي مكان اخر في العالم ، لتخليصهم من كابوس انصار . ونصدر أفكارنا لفيليب ، ونمزح بقولنا ضاعت حقوقنا السياسية والشخصية

بين « فيليب حبيب ، وفيليب الصليب » ، بدليل مراوحة مطاليبنا من لجنة التحقيق الدولية الى ضرورة الافراج عمن يفترض أن يفرج عنهم وخاصة على سبيل المثال ابراهيم حطيط ، المتردية أوضاعه الصحية والذي ربما لن يفرج عنه الا جثة بعد أن يفارق الروح ٠

وقبل رحيل البنغلادش وسواهم تم تجميع من يرغب بالرحيل في معسكر سبعة ، وقبل ليلة الرحيل الميمونة تم توزيع الامانات ، ومن بينها جهاز راديو « ترانزيستور » كبير الحجم ٠ ويسيل لعاب الكثيرين وتتفتح الشهية عليه ، ويصل الخبر الى معسكر خمسة ، ويغلّي صاحبه الثمن ، سبعماية وخمسين ليرة لبنانية ، ومن أين نأتي بالمهر الغالي ؟ من يمتلك في انصار سبعماية وخمسين ليرة لبنانية ؟٠٠ ويبدأ التجميع من هذا وذاك ، ويتجمع المبلغ ويصل الراديو بعد لفه بحرام وقذفه من فوق الاشياك الى معسكر خمسة ، الى قيادة انصار ٠

ليلا وفي جلسة « حلبى » وروزنفلد لوحده ، بغياب أركانه أو معاونيه يمزح وينكت كعادته ، وهمنا الراديو وقد اتفقنا أربعتنا أن نخبره ونستحصل على بطاريات ، وبقناعتنا انه لن يصادره ٠٠ وربما يلبي الطلب ٠

تحدث صلاح قائلا : اعتدنا أن نكون معك صريحين وواضحين ، عندما نضرب نقول لك : سنضرب وعندما نحتج نقول : سنحتج ٠ وأنت تعلم اننا نحن قيادة الاسرى ، كل الامور بيدنا ٠ تصرفت حتى الان معنا بأخلاق وتصرفنا معك كذلك ٠ رغم حرصنا على كوننا أعداء نقول الان : نحن بحاجة للاخبار ، ودائما نسألك عن الاخبار ، وتجيبنا ، وقد طلبنا منك راديو فلم تلب طلبنا ٠ وسكت صلاح ٠ وأجاب روزنفلد : غير قادر ، موضوع من هذا النوع بيد قيادتي٠ واستطرد بعدها صلاح قائلا : نحن استحصلنا على راديو ، لا تقل لنا كيف ؟! ولا من أين ؟ لاننا لن نجيبك ٠ كان بامكاننا استعماله أو تكسيره ، بدون معرفتك والى أن تكتشف الامر ٠

وستتهمنا عندها أننا أخفيناه عنك ، ونحن لا نريد ذلك ، بناء عليه نقول لك : عندنا راديو ٠ ويسكت صلاح وتبدو المفاجأة ظاهرة على وجه الضابط ، ليقول : « أنا ما سمعت ، ما شفت ٠٠٠! »

ويعود صلاح للحديث مجددا بقوله : نريد بطاريات ٠ روزنفلد يصمت ٠ ويتحدث عن مختار معسكر عشرين المصاب بكليته الوحيدة ، وتفهمه لوضعه وتخوفه أن يكون منظما ، لان المخابرات لن تفرج عنه ، ويتحدث عن افراجات جديدة ويزودنا بنسخة عن لائحة الارقام ٠ ونخرج بقناعة أنه لن يزودنا بالبطاريات ٠

القيادة المشتركة بعد جلسات التقييم ، تعطي اجازة للتحرك في انصار الى ما بعد ذكرى انطلاقة فتح ، ولتنظيم سلسلة برامج تحرك من أجل المرضى والتحقيق واللبنانيين ، كل برنامج على حدة ٠ على أن يكون شهر كانون الثاني شهر حيوية نضالية في انصار ، وعلى أن تتابع التنظيمات عملية تضبيط

الاوضاع التنظيمية عملا بمقولة الضبط والربط، وعلى أن تتابع اللجنة، المميزة بحركتها ، المبتزة لصالح حكايا جمع الشمل وصراعات المطابخ، استكمال تشكيل لجان المعسكرات وعلى أن تكون اللجنة الطبية قد أنجزت كشفها النهائي ، كما تكون فتح بدورها أنهت احتفالاتها التي تفرغ تنظيمها لاحيائها .

واللجنة في حركة متواصلة بين المعسكرات ، تنهي مشكلة مطبخ لتبرز أخرى. وتحمل لجان المعسكرات مسؤولية قصر النظر بالتصرف وعدم فهم الصلاحيات أو اساءة استعمالها . ويتوزع وقتها من المعسكرات الى اجتماعات القيادة المشتركة والصليب الاحمر وقائد المعسكرات .

وتبقى قضية ابراهيم حطيط ، شغلنا الشاغل أيضا في أي لقاء، ذاك الجريح، الذي أصيب في حادث معسكر عشرين ونقل الى مستشفيات الداخل للعلاج ، بسبب اصاباته البليغة . الانباء الطبية عنه تفيد استئصال قسم من معدته وأمعائه واصابة الطحال ، الذي بحاجة لعملية أخرى ، حالته في خطر وقد يفارق الحياة ونطلب الافراج عنه ولو كان شبه حي ، ليرى ذويه وينظرون اليه النظرة الاخيرة ، اذا لم يكن بامكانهم انقاذه . وتبقى مطالبتنا تصطدم بوعود كاذبة .

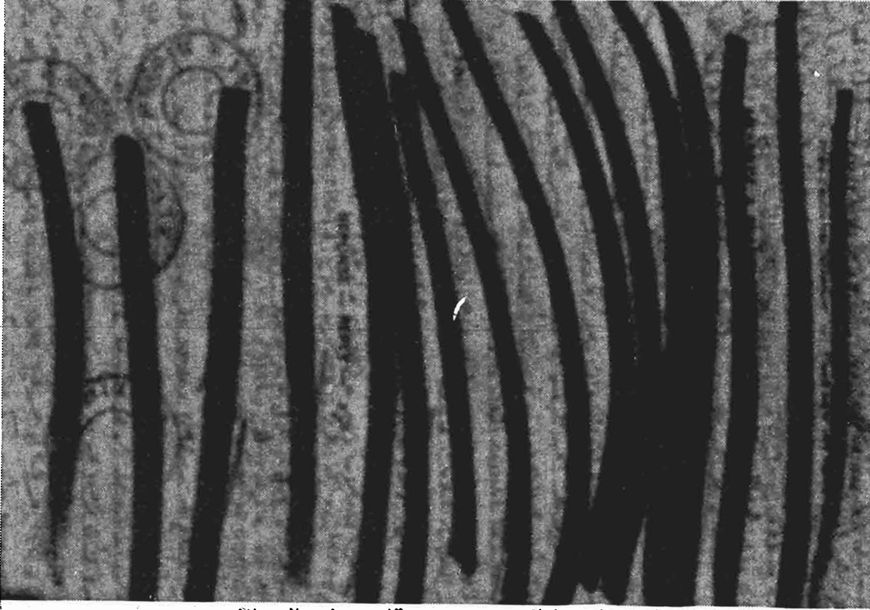
الشهيد الرفيق محمد ذياب أحيينا ذكرى أسبوعه في معسكر عشرين ، الجديد في هذه المناسبة النصب ، الذي أقيم في ساحة المعسكر تكريما من رفاقه واخوانه له وللشهيدين سهيل ونعيم . ألقيت الكلمات التقليدية وسلطنا الاضواء على شهر التحرك النضالي القادم ، كانون الثاني ، وشد الاحزمة والاستعداد . أما فيليب الذي حضر بعد المهرجان مع مندوب البعثة الدولية في فلسطين المحتلة ، ولحق بنا الى معسكر المجزرة الصهيونية ، أو معسكر « الوحدة » كما أسميناه فقد حدثنا عن موكب تشييع الشهيد الرائع في البازورية واستدلينا من ذلك على بداية مرحلة النهوض الشعبي في جنوبنا المناضل بعد الغزو الصهيوني .

المعسكرات بدورها كانت على موعد مع المناسبة ، ولم لا ؟ أوليس الشهيد البعثي الاول في انصار ؟ وشباب الحزب والجبهة يمثلون قوة أساسية ورئيسية في المعتقل من حيث الكثافة البشرية ، القوة الثانية بعد تنظيم فتح ، ووجودهم الانصاري تم تعميده بالدم ونالوا وساما جديدا من أوسمة الاعتقال .

القيادة المشتركة بتقديرها تاجيل التحرك النضالي حتى كانون الثاني كانت على حق ، ولديها وجهة نظر تعتمد على مزيد من الضبط والربط وصهر انصار لتحويلها الى قوة واحدة موحدة .

اللجنة هاجسها استكمال تشكيل اللجان لتضطلع كل لجنة بدورها ونتخلص من مشكلة الصراعات على المطابخ وجعل عجلة الامور الادارية تسير بشكلها التلقائي ، تعتمد على عدالة توزيع المواد التموينية والمساواة بين الجميع بدون امتيازات .

والصهاينة في الفترة الاخيرة بدأوا يلاحظون يوما بعد يوم أن انصار أخذت



٤٤ ـ حتى الافكار يصادرها العدو !... برقابته على الرسائل

تتحول باتجاهات جديدة ، باتت مغلقة في وجههم ومقفلة على نفسهـــا ضمن مدينة الشرطان ، مثلما بدأت تتوهج ككتلة وطنية تنذرهم بالخطر القادم .

سياسة « بن شحار » القمعية فشلت ولم تحقق نتائجها المرجوة وفشل معهـا مشروع الصهاينة ومخابراتهم بغسل أدمغة المعتقلين ، وما أن ولّـى « بن شحار » حتى ولّت سياسته معه شاهدة على اندحار مخططات قيادته بسقوط أنظمـــة الذل والمهانة وسلاطينهم بعض المخاتير ، الذين باعوا أنفسهم للشيطان . ولّت الحبلة وساحات الجلد وبدأت حلقات التعبئة الوطنية تمتد من زوايا الخيم الى سطيحات الوحل .

جاء « روزنفلد » بسياسته الجديدة ، لا بل بسياسة قيادته الصهيونية ليعكس وجها اخر مناقضا لـ « بن شحار » ومن أين له أن يعكس ايجابيات ؟ مهمـــا كانت ايجابية علاقاته التي ندركها ونستغلها لمصالح الاسرى والمعذبين ، مثلمـا ندرك مصالح قيادته ومخططاتها .

الصورة النازية للصهاينة باتت ثابتة وراسخة في الاذهان ، لا تقبل نقاشـــا أو جدلا ولا يغير أو يبدل من صورتها أي فعل ، راسخة رسوخ فقدان ذاكـــرة عياش وحراح ابراهيم حطيط واستشهاد محمد ذياب ورفاقه .

بعد « روزنفلد » ، الذي انحصرت علاقاته بنا كلجنة وبزيارات لمعســـكر خمسة ، جاء ديفيد ، ضابط جديد ، بدأ يتسلل الى زوايا أشياك المعســكرات مستغلا حاجة الشباب لمعرفة الاخبار فيحدثهم ويعقد جلسات وندوات سياسيـــة محاولا دس السم بالدسم .

ونتنبه سريعا لهذا الامر ، انه فعل مخابراتي ، أغراضه كسر جبل الجليد الذي تراكم فوق الشرطان ، تعبير جديد عن سياسة صهيونية جديدة غاياتها التسلل الى داخلنا لكشف مشروعنا الوطني وضرب مخططاتنا . وهو بالفعل صياد ماهر ، لكننا له بالمرصاد .

مباشرة نكتشف خبث ومكر ودهاء حركته ، ونعمم على المعسكرات محذرين منه ومن التعامل معه ، بل الحديث اليه . تقدم معسكرات على طرده عن الاشياك فيطور أسلوب عمله معلنا استعداده لقضاء حاجات أي صاحب حاجة ، من نقل أو زيارات ضمن المعسكرات ويباشر تنفيذ خطوته الجديدة لنعود فنعمم مرة أخرى محذرين من مخاطر عودة مد يد « الشمبت » الى انصار .

وليلا نلتقي بالضابط الكبير ، وعلى جدول أعمالنا قضية «دايفد» التي هي أهم من المواضيع الاخرى ونطرح القصة متسائلين عن مشاريع « الشمبت » الجديدة ودور منفذيها . وبكشفنا لهذا الدورنحشر روزنفلد ، فيعترف عنه أنه ضابط مخابرات ، لكن ما يقوم به من نقل وزيارات ليس من صلاحياته ويتعهد بضبطه ، ونهدد بدورنا في حال اصراره على مواصلة حركته بين المعسكرات .

ننتقل بجلستنا للمواضيع الاخرىوأبرزها الوضع الصحيفالنقل فالتمويني، ولدى عضو اللجنة الاداري بعض الملاحظات التموينية ، لا بل كل الملاحظات على التموين ، ويحضر ضابط التموين بدوره الجلسة . ويقطع النقاش « روزنفلد » قائلا له : الشباب لديهم أعمال ليلية ، يكتبون وينظمون لوائح ، وقنديل الكاز الذي عممناه على المعسكرات غير صالح للعمل ، يقصر النظر ، الا اذا كان المطلوب تعمية الابصار بعد هذا السجن الطويل . لدينا قناديل اضاءة على البطارية الناشفة ، اذهب وآتنا بأربعة لهم ، لانها تساعدهم أكثر على الكتابة .

كنا في حالة خلو الذهن من موضوع الراديو ، نسينا ما طرحناه في الجلسة الماضية . ذهب ضابط التموين وعاد بالقناديل الجديدة ، فرحنا بها كان عظيما ، يشبه فرح الاطفال . ونعود الى معسكر خمسة ، كل واحد قنديله بيده، وكأننا حققنا انجازا ، ما بعده انجاز ! ولما لا ؟!.. أو ليس بمقدورنا أن نستمع الى الاخبار ؟ وغدا نصدر أول تعميم اخباري الى المعسكرات !.. وفور عودتنا نربط أشرطة الراديو بأشرطة بطارية القنديل الناشفة ونستلقي تحت حرامات المختار ، نستمع بصوت خفيف ، متخوفين من أجهزة تنصت لدى الصهاينة ، يمكن أن تكون موضوعة قرب المعسكرات ، ونقلب الابرة من محطة لأخرى بحثا عن الاخبار ، لقد ولّت « بانوراما » مونت كارلو قبل حين ولم يبق أمامنا سوى استماع نشرة اذاعة الصهاينة في الحادية عشرة ليلا .

نستمع اليها بشغف ، ومن موجزها ، اكتشفنا ، أنه ليس بها ما يبل الريق الناشف والعطش المزمن !.

انصار تعيش على أزمتها ، أزمة الحرية المنشودة وعذابها الحياتي ، عذاب ثمانية الاف بشري ، كل واحد منهم قضية بحد ذاتها ، تحتاج لملفات عـــدة سياسية واجتماعية ، حياتية عائلية تتشعب وتتعقد يوما بعد يوم لتبلغ مـــع الكثيرين أزمة الوجود الذاتي ، بعد خروج المقاومة من بيروت واستمراريـــة الاحتلال في الجنوب وسيطرة العملاء ٠٠٠

انصار هذه ، وعلى عمق الازمة ، خلقت لنفسها هامشا ، بل مساحة مـــن الاتساع الوجودي بحجم محنتها ، تربعت عليها وجعلت منها مرتكزا وقاعـدة لمجدها الدائم ، الذي يسهم كل معتقل بصنعه من خلال العذاب بـــل والجوع والعرق والدم ٠٠٠

صلاح من جملة اقواله في جلساتنا الليلية ، انصار مركب يجب أن يصل بسلام الى شاطىء الامان ، غـير مسموح بالتخريب ، والمركب في البحر عرضـــة للتخريب من قبل أي راكب ٠ كل معتقل في هذا المركب له الحرية أن يفعل ما يشاء ما عدا تهديد سلامة المركب ووجهة السير الوطنية ، وان أية حركة تدفـع بباخرتنا لان تجنح ٠٠٠

تشبيه صلاح كان في محله ، حتى تحركنا هو عبارة عن حركة شغب ، بعرف الصهاينة ، والشغب يجب أن يسوده انتظام عام بعرفنا يجب أن يكون مبرمجا وفي تواقيت مناسبة ومحددة ، ليؤتى ثماره ونتائجه ٠ والانفلات الذي يحصل أحيانا يندرج تحت قائمة الشغب انما يفتقر للبرمجةوالموضوعيةوتنقصه الرؤية الكلية ، ويكون محكوما بجزئيات الامور ، بردات الفعل الآنية ، بالمزاجيـــة والذاتية والشخصية ٠ يعود بمردود عكسي وسلبي ، ويخلق حالة من الفوضى، التي يصعب لمّها ٠ الانفلات يعني تجزئة انصار ، تعدد المبادرات المنفذة على أرض الواقع ، تعدد القرارات السياسية ، بمعنى اخر ، عودة الساحة الى مـا قبل الاجتياح والغزو ، حالة تشتت جديدة ٠ أين ؟ في المعتقل ! في مدينـــة الشرطان !٠٠ والفوضى القائمة على غياب الوحدانيـــة ، وحدانيـــة القرار السياسي ، تعني غرق المركب في المحيط الهائج ، الذي يلفنا في كل الاتجاهات وعلى امتداد العالم الخارجي ، الجاهل كليا لحقيقة ما في انصار !٠٠

مقولات صلاح في الضبط والربط وحكاية المركب في محلها !٠٠ ولماذا غياب القرار الواحد ؟ ما دامت المشتركة قد تمثلت بها كل القوى السياسيـــة بدون استثناء ، ومثلت الوحدانية السياسية بوحدانية القرار ٠ افلا تكفي الشرطـان المحيطة لانضاج العلاقة وتغليب التناقض الرئيسي على ما عداه ؟ أولسنـــا بعيدين ؟ بل مقطوعين عن صراعات الخارج وافرازات الغزو ؟ وهل نحن في ربع الساعة الاخير من المسرحية كما يتصور البعض واهما لتسجيـــل البطولات الفردية على حساب الاخرين ؟ وهل مقولة القائلين بأن التنظيمات مسؤولـــة عن محنتنا وسبب اعتقالنا صحيحة ؟ ومن يكونوا أصحاب القول المذكور ؟ غير أناس منظمين يريدون الارتداد؟٠٠واذا سلمنا جدلا بمسؤولية التنظيمات عن

المحنة فلمن تترك الساح عملا بمقولة القائلين ؟ وهل يوجد غير الفراغ الكلي ؟ الفوضى الكلية ؟ التسليم بالامر الواقع للعدو ؟ وغرق المركب وعدم وصوله الى شاطىء الامان ؟!..

ببساطة محظور تخريب المركب ويجب أن يصل الى شاطىء الامان بمزيد من الضبط والربط .

لجنة الاسرى في كل مكان تفر وتفر من معسكر لآخر متحدثة عن المرحلة القادمة وممارسة مواصلة التعبئة والتنظيم ، من التنظيم الخاص الى لجان المعسكرات ، وبعض الاسرى يشعرون بشيء من الراحة كيف وبأي شكل ؟!.. أحيانا يحصل المضحك المبكي !.. تحصل أمور ذات طابع مسرحي !..

مع العد الصباحي هذا اليوم ، وزمن الاول قد تحول ، قصدت فرقة العد الصباحي ، معسكر أثنين ونادت على المختار كعادتها : « مختار عدد ... ، أيقظ الشباب ... » وليجيبهم قائلا : « الشباب ما زالوا نائمين .. سهروا البارحة كثيرا .. تغيبوا عنا مدة ساعة وارجعوا الينا .. نكون قد أيقظناهم !..» فعلا زمن الاول تحول ..

وفي معسكر خمسة انتصبت خيمة جديدة مقابل الخيمة ستة ، صغيرة الحجم والنية متجهة لجعلها ناديا ، ومع الايام تحولت الى مسجد ، وفي غير تواقيت الصلاة تجد بها من يكتب أو يدرس اللغات الاجنبية وتعليم الاميين القراءة والكتابة ، مثلما الاعمال الحرفية أخذت اتجاهات جديدة بعد أن توفرت مادة النحاس على ندرتها من فضلات أنابيب المازوت الممتدة من الخزان الرئيسي خارج المعسكر الى دفاية كل خيمة . وباتت أعمال الزخرفة متواصلة بالنحاسيات لأبزاز السيجارة والغلايين مثلما بات صنع الاساور والخواتم والاقراط عادة سائدة وتطرز كل قطعة مصنوعة بعبارات مختارة أو أجرف محببة .

ولجنة الاسرى بديناميكيتها العملية والذهنية تعمل جاهدة على ترجمة الاقوال الى أفعال ، ما أن تفتقد واحدا منها في معسكر ما ، حتى تجد الاخر له حضوره الراهن في المعسكر المجاور . وشعارها الجديد مقولة صلاح التي يرددها دائما : انسج من جلدك حبلا لصعودك ، لا بل لصعود انصار ومجدها الاتي الذي تنضجه نار المحنة والمعاناة سيما وان انصار تدور ضمن المساحة التي اقتطعتها لنفسها في هذا العالم كحلقة وحيدة وفريدة من نوعها ومستقلة عن باقي حلقات الخارج ليس بارادتها ، هذا الخارج ، المعزول بدوره عنها ، يعاني من افرازات الغزو الصهيوني ونتائجه ، ويترنح باعياء من هول الضربة وقوة الكارثة والمأساة ...

لم يبق أمامنا سوى دائرة انصار للفعل فيها ومقولة « انسج من جلدك ... » تجعلنا نحمل محنتنا مثلما حمل أيوب مرضه ، وعيسى خشبة خلاصه ، نحملها بعيدا عن العالم المشغول عنا وحتى القريب منا سياسيا ، والذي هو بمنأى عن انصار .

وتدور المطالب معنا في الحلقات الضيقة من الاســرى ، فالصليب الاحمر ، فالصهاينة ، وكأنها باتت اسطوانة لسنا بداعي التفكير بتأليفها لدى الحديث ، بل كما كنا نمازح بعضنا ونقول ، اشتغلت الاسطوانة على المسجلة ٠٠ ومـــا أكثر المطالب المتراوحة من اللقمة والسيكارة الى الحرية المنشودة أمنية الجميع٠

والاسطوانة شغالة في موضوع الحقوق القانونية ، بعد أن استحصلنا بجهــد جهيد على نسخة من وثيقة جنيف ، وروزنفلد بدوره يتحدث عن جهوده المضنية لاقناع قيادته بواقع انصاركما يراه:المجانين وفاقدي الذاكرة ويعجبه منظر علي نار وعياش وأبي عمر كلما قدم للمعسكر خمسة ، جاهزون دائما لقذفهم بوجهه أو بوجه سواه وبوجه الصليب الاحمر الدولي أيضا ، ليعود ويتحدث عن موافقة قيادته على تزويدنا بصحيفتي الانباء والشرق اللتين تصدران في القدس بالعربية وصحيفة الجيروزاليم بوست ، التي تصدر بالانكليزيــة ، ويتحدث عن لجنــة الاعتراض « اللجنة الادارية » المنصوص عنها في « اتفاقية جنيف » وبدء عملها قريبا بعد تقديم اعتراضات خطية من الاسرى والمعتقلين على قرار اعتقالهم !٠

ونتساءل عن الضمانات القانونية في الهيئة وتشكيلها ، وعدم وجود محامين، ونطلب الاستعانة بالمحامية « فلانسيا لاغنر » أو سواها شرط موافقتنا عــلى الاسماء ، كما نتساءل عن أصول المحاكمات وقواعد الاثبات ومختلف الجوانب القانونية ، ولنرى سلفا أنها لجنة خاضعة للقرار السياسي بل لقرار «الشمبت» بالذات وانت لا نرتجي منها خيرا ، ويعد بتزويدنا بنظامها في اليوم التالي مع نماذج الاعتراضات ٠

نعود الى المعسكر خمسة لتدارس الوضع مع القيادة المشتركة ، مــن جوانب عدة بما في ذلك جانب استغلالهم الاعتراض كوسيلة جديدة بديلا عن التحقيق ، الذي نطالب بتوقيفه ، أو وسيلة لشراء بعض من هم على استعداد للتساقط من أصحاب النفوس الضعيفة ٠ ومع أخذنا كل المحاذير بعين الاعتبار ، نجد فيــه حقا قانونيا لا يجوز التنازل عنه والامتناع عن ممارستــه ، ونقرر تعبئــة الاعتراضات بصيغتين :

ـ الاولى تتعلق بالمدنيين واللبنانيين بشكل خاص ٠ فمن اعترف بتنظيمــه ينظم اعتراضه على أساس أنه في حزب مرخص من دولته ، وان الصهاينـــة أعلنوا الحرب على منظمة التحرير ولم يعلنوها على الدولة اللبنانية وبالتالي عدم جواز اعتقال أي لبناني سواء كان منتميا لحزب أم غير منتم مع أخـــذ موضوعة الصفة الوظيفية أو النقابية بعين الاعتبار في اعتراض المدنيين وغـــير المدنيـــين ٠

ـ الثانية تتعلق بالعسكريين ، الذين اعترفوا بصفتهم ، ينظمون اعتراضاتهم مؤكدين على تمسكهم بقناعاتهم السياسية التي أدت لاعتقالهم ٠

كما أكدنا على ضرورة تعبئة الاعتراضات بعيدا عن أي منحى من شأنــه أن يستشف العدو ضعفنا وتراجعنا عن القناعات ٠٠وجرى تعميم توجيهات القيادة

المشتركة وقراراتها على المعسكرات .
وورد أخيرا نظام أصول المحاكمات لدى اللجنة الادارية . انه نظام لا يختلف كثيرا عن الانظمة الصهيونية المطبقة في انصار . المحكمة ، صحيح انه يترأسها قاض صهيوني ، لكنه لديه مستشارين أحدهما من المخابرات « الشمبت » والاخر من قيادة المعسكرات . هذه ثغرة ، الثغرة الثانية خضوع قرارات اللجنة لقرار الاركان الصهيونية من أجل التنفيذ وافتقارها لأي طريق من طرق المراجعة . أما على صعيد الاثبات وحق الدفاع فليس أمام المعترض من وسيلة سوى استجوابه الشخصي ، بدون قبول أية بينة أخرى وما ينفع الحديث ! وهل للظلم مكان بعد معتقل انصار ؟ ومع ذلك نحن مع الاعتراض كما قلنا كحق قانوني لا يجوز عدم ممارسته أو التنازل عنه ... أولسنا واضعين لمقولة : « انسج من جلدك حبلا لصعودك .. » قاعدة لنا ...
الشعبية مع ذكرى موعد انطلاقتها والمهرجان المركزي في معسكر ١٨ حيث يقيم أبو رمزي وقد أصبح متعارفا عليه أن تلقى كلمات المقاومة والحركة الوطنية بالاضافة لكلمة الطرف المحتفى بمناسبته .
وانصار تشارك الشعبية في عيدها ، ندوات في المعسكرات ومهرجان مركزي، اللجنة على الموعد والكلمة لصلاح عن المقاومة ولي عن الحركة الوطنية والهاجس الاكبر هو انصار بالمفهوم التوحيدي والعلاقات التي تشهد ولادتها الجديدة وارتقاؤها بمتابعة نضال المستقبل بمفاهيم «انصارية» تعكس اثارها.
حتى الهدايا لها موقعها في الاحتفال ، جرى توزيع لوحات فنية علينا من انتاج انصار بمناسبة الذكرى « وطاقية » لكل واحد حيكت بصنارة انصارية أيضا من خيطان كلسات الصوف والحرامات ، مثلما كان لبرقيات التهاني حضورها من كافة القوى السياسية الفلسطينية واللبنانية وأممي العالم الثالث .
لجنة الاسرى التي تعيش هموم انصار من جزئياتها الى كلياتها ومن صغائرها الى كبائرها يبقى هاجسها تمتين الوضع وخلق حالة من الضبط والربط مبنية على قاعدة صلبة . أدواتها في ذلك ديناميكيتها المعهودة والمتابعة الدائمة وتنتقل من مهرجان الشعبية الى معالجة مشكلة جديدة في معسكر واحد .
« البلنكو » شاويش المطبخ أخيرا تمرد على لجنة المعسكر ، يسرح ويمرح كما يشاء وكأنه في مزرعة « بن شحار » سابقا . أحاط نفسه بمافيا من المعتقلين المنتفعين وقدم لهم امتيازات من الجبنة والشاي والكرسنة على حساب الاخرين. وتطور وضعه الرأسمالي الى حدود تسليف المعسكر كيسا أو أكثر من الشاي ليعود ويسترده لاحقا .
من أين أتى « البلنكو » بالشاي الفائض ؟ وكيف امتلكه ؟ كيف أصبح متمولا ليسلف المعسكر ؟ قضية انصارية طريفة تستدعي التساؤل !. ونصل الى معسكر واحد ، لنستمع الى حكايته مع المعسكر ، وتخوف الكثيرين من مجابهته للسطوة والحظوة التي يتمتع بها . ونقرر نقله الى معسكر اخر رغما عن

ارادته ، بعد أن تعذر اقناعه من قبلنا ، وليكون القرار الوحيد من نوعـــه في تاريخ أنصار ونقله لاحقا الى معسكر ١٣ لدى أقاربه ، وحتى لا يعتبر موقفنا استفرادا بــه وانتقاما منه .

غير أن « ديفيد » كان بدوره لنا بالمرصاد ، يريد التشفي منا والانتقام خاصة بعد حفلة هتافات معادية جرت له على أكثر من شيك . ما أن حط « البلنكو » رحاله في معسكر ١٣ حتى أعاده في ذات الليلة الى معسكر واحد . وكانت عودته مفاجأة لنا وللمعسكر المعاد اليه ، الذي تهيبه أكثر من الماضي .

ليلا وفي جلسة مع روزنفلد ، أثرنا الموضوع ، وطالبناه بحصر النقل بـــين المعسكرات بنا لوحدنا وبامتناع ادارته عن نقل أي كان ، كما طالبناه بوعــــده بضبط « دايفيد » وعدم تدخل الاخير خاصة بموضوع النقل ، الذي خرقه بحادثة لن نسكت عليها وأخبرناه بها .

استغرب روزنفلد الحادثة ونفى أن يكون « ديفيد » قد قام بأي عمل بعـــد التحذير الذي أجراه له . وطلبنا التأكد من صحة الحادثة بمراجعة معســـكر واحد . أرسل أحد ضباطه وتثبت من حصولها بواسطـــة « ديفيد » فأعـــاد « البلنكو » الى معسكر ١٣ وأشعلنا فتيل حرب بين داحس والغبراء بين قيـادة المعسكر و « الشمبت » وصراعهما على الصلاحيات . وفي ذات الليلة اتفقنا معه على فتح معسكر سبعة لتجميع الاباء والابناء والاخوة فيه بموجب كشوفات جمع شمل نقدمها ابتداء من صباح الغد وتكثيف حركة نقل الاقارب بـين المعسكرات قبل بداية العام الجديد موعد الانتقال الى انصار الجديدة ومع حركة النقـــل هذه يسرب أبو رمزي الى معسكر خمسة من معسكر ١٨ ليسهـــم بنفســـه في اجتماعات القيادة المشتركة .

انصار حكاية الحكايات ، حكاية الخلق والابداع في كل نواحي الحياة ، كان لمحمود مع حبة الفاصوليا حكاية ولبهاء مع تاريخ اليهـــود حكايا وحكايـــا ولـ « هسع » وأماناته حكاية . لكل واحد مجالاته وآفاق تطلعاته . وكانت لنا حكاية مع الايديولوجية والاستراتيجية والى ما هنالك من الافاق . أبدعنا من البساطة ، من البديهيات التي عدنا اليها . وحدانية الاسر والعـــداء للاسر ، وحدانية التناقض وتغليبه على ما عداه ، الانشودة والمشعل وسيـــــف الجلي والحبل على الجرار في تعداد الوسائل والاساليب . ومع مراجعـــة ذاتية ذات ليلة ، أحس بضرورة تجاوز التعميم الصادر الى التوجيه والخلق خارج نطـاق التعبئة الخطابية والندوات ولما لا نصدر مجلة تحمل فكرنا الانصاري وتبشر به وقد بات لدينا حقيقة فكر ، لدينا نظرية واستراتيجية . بعملنا هذا لن نخترع البارود ولن نزيد شيئا الى ما هو حاصل ومتعارف عليه خارج الشرطان ، لكننا نخلق شيئا جديدا في انصار له رونقه وقيمته التاريخية ، مراجعة مع الـــذات في فراشي في الخيمة رقم ستة في معسكر خمسة ، والخيمة هادئة يسودها الصمت بعد العاشرة ، صلاح غائب ، لديه خلوة فتحاوية في خيمة المخترة وأبو ليـلى

نائم كعادته أغلب الاوقات يغالب حمى البحر الابيض المتوسط ، المرض الفريد والطريف الذي تعرفت عليه ، ونبيل له نشاطاته الجبهوية يتابعها مع رفيقه القادم حديثا الينا أبو رمزي • ويغالبني النوم مثلما غلبت الحمى أبا ليلى •

بعد ساعات من منتصف الليل استيقظ على حركة صلاح ، ويسألني قائلا : ما زلت سهرانا ، كان لدي عمل • وندردش قليلا وأقترح عليه مشروع المجلة • ويجيبني : فكرة معقولة • ويتركني قائلا : سأعود اليك بعد قليل •

تأخر في غيابه ، ونمت مجددا لأشعر بعدها بيد تمتد الي ويوقظني قائلا : استاذي •• استاذي ••• استيقظ ••! سألتني عن المخرج للمجلة •• انه هنا ، أبو هيثم ، تركتك وتحدثت اليه وأخرجنا هذا الشكل • وأجيب بعد الاطلاع عليه : جيد ! انما الاسم يجب أن يكون انصاريا أيضا ! ليس لدي مانع أن تكون باسم فلسطين الثورة ، لكن يجب أن يضاف اليها عبارة « انصار » نتفق على الاسم مثلما اتفقنا على تشكيل هيئة تحرير لها من كافة القوى السياسية •

وتجتمع القيادة المشتركة لاحقا ، وتقرر اصدار العدد الاول بمناسبة انطلاقة « فتح » ونتوزع أبوابها لأحتفظ لنفسي ببابين : الاول « شراكة الدم » ، والثاني « لبنانيات » كما أحتفظ لرفيقنا حسين شعيب بالزاوية الشعرية ليزينها بقصيدة انصارية •

انصار في الاسبوع الاخير من عام الشؤم عام الاسر ، هيأت نفسها للعام الجديد من بداياته ليس باحياء عيد رأس السنة وانما باحياء ذكرى انطلاقة فتح ،ولا يوجد على قائمة نشاطاتها سوى وضع برنامج الاحتفالات بعد اقراره من قبل التنظيم المعني الذي اجتاز « قطوع » احتفالات الشعبية وولى هاجس تخوفها من تأثير ذلك على احتفالاتها مما استدعى تأخير اعلان برنامج يوم فتح ، الذي أقرته القيادة المشتركة أخيرا وسط تواصل المنظمة المعنية لتمريناتها واستعداداتها •

وفي جانب اخر تستشري بانصار حمى النقل بين المعسكرات ولنودع في اليوم فالاخير من العام مختار معسكر عشرين برفقة فيليب فينقله برفقة السلامة الى بيته ليعيّد مع أسرته التي أذهلتها المفاجأة • أما احتفالي فكان مع شريط تناولته من أرشيف الذاكرة للسنة الماضية استمر حتى العاشرة ، استرخيت بعدها للنوم مثلما سهرت انصار مع فرقها الفنية المتعددة والمتنوعة في كل معسكراتها •

أقبل عام ١٩٨٣ على انصار ، مثلما أقبل على كل بقاع الدنيا ، لكن في انصار له طعم خاص ، طعم اعتقالي مرير ، وحرية لم تستطع الاشياك تكبيلها ، بل زادتها شراسة ورهافة وعشقا ووجدانيات •

منذ الصباح الباكر باتت جهود شهر بكامله تؤتي ثمارها ، وتأخذ طريقها الى خيم انصار وساحاتها بأشكال ونماذج تعبيرية • وفي وسط كل ساحة عرضت الثمرة المشتركة مجلة « فلسطين الثورة انصار » على لوح من كراتين الخبز ،

بمواضيعها المختلفة الشاملة من الافتتاحية الى الزاوية الشعرية ومن الانصاريات الى شتى مواضيع الخارج بساحاته الفلسطينية ـ اللبنانية والعربية ٠

وفي زاوية أخرى وعلى الشيك علقت الحرامات ، كلوحات جدارية ،وانتظمت فيها الملصقات والبوستورات وأحدث ما أنتجته انصار من لوحات فنية ، من وحي المناسبة والافكار والاعتقال ،. مثلما انتظم الطابور العسكري بدوره مؤديا التحية للعلمين الفلسطيني واللبناني تمهيدا لبدء الاحتفالات ٠

برقيات التهاني الطيارة ،بالمناسبة لها مكانها وموقعها ،انهالت على قيادة فتح ، في المعسكر خمسة من كل المعسكرات ، تحمل الانفاس الانصارية ومعسكر القيادة جاهز لبدء احتفالاته مثل المعسكرات الاخرى ٠

لوحة تحمل صورة أبي عمار جاهزة بيدي ، أقدمها لقيادة فتح عربون مشاركة وتقدير ، ليتحدث صلاح وأنا ، موضوع الحديث بات بمضمونه معروفا ينسجم مع المبادىء والعلاقات الانصارية التي يجب أن تنضج وتتهيأ لتشهد ولادتها الجديدة على ساحات الخارج أيضا وروعة المشاهد الانصارية بلغت ذروتها مع بدايات الليل ، الطوابير عادت لتصطف ، وأفكار صلاح ومشاريعه تأخذ مجالاتها في الترجمة العملية ٠ مشاعل من شقف البطانيات ، محمولة على أعمدة الحمامات ضمن الطابور ، كلما خمد مشعل أو أوشك أن ينطفىء ، الكاز والمازوت المدخر يولع جذوتها من جديد وليرافق المشاعل حفلة الاسهم النارية ٠

عدد من الشباب أفواههم مملوءة بالكاز ، ينفخ أحدهم ما في فمه في الهواء ويشعله ليمسك اخر بسيف الجلي المغمس بدوره ويحركه مشتعلا وتنطلق النيران منه مثلما تلتهب انصار بكاملها الى ما بعد منتصف الليل وتتلون الاضواء بربطات مرص الخيم التي تشتعل على درجة حرارية معينة وتبعث لدى اشتعالها أضواء فوسفورية٠ وتتحول بذلك في يوم العام الجديد الى مدينة اللهب والنيران للمرة الاولى في حياتها وسط ذهول جنود الصهاينة الذين يراقبون عن السواتر الترابية بدهشة ملحوظة واعجاب يحتفلون بالعيد الجديد على طريقتهم الخاصة غير طريقة عقلاء انصار ، بل مجانينها ٠

كانون الثاني شهر التحرك النضالي ...

الانتقال الى انصار الجديدة ، وتشكيل اللجنة الفرعية وبرمجة الاحتجاج : المرضى ثم اللبنانيين ....

انصار ، التي كانت ولادتها مفاجئة للجميع ، خطواتها وتطوراتها بدورها كانت مفاجأة المفاجآت . لم يكن يدور بخلد أحد أن نستقبل العام الجديد وننتقل لمعسكرات جديدة ، ونصبح جزءا من عملية تبادل الاسرى ، بعد أن بات في حكم المؤكد وجود سبعة جنود صهاينة لدى منظمة التحرير .

وانصار المشروع الصهيوني تداعت ، لتحل محلها انصار الوطنية بمشروعها الوطني الذي يشهد ويشهد ولاداته كل يوم وعلى أرض مدينة الاشياك .

اللجنة تشكلت أيضا ، وبدأت الوقفات الرائعة ، في الحالات الطارئة والمستجدة أو في المناسبات الوطنية ، والتي باتت تدلل على حسن التنظيم ، بالرغم من الثغرات الملحوظة ، وكانون الاول سلم أوراق اعتماده لكانون الثاني ، الشهر الموعود ، شهر المجابهة والتحديات واظهار مدى قدرة المشروع الوطني للتعبير عن نفسه .

الحرية المنشودة هي مبتغى الجميع وموضع تطلعاتهم ، ومن أين لنا بقرار يحقق لنا حريتنا المطلوبة ، أمر كهذا يستدعي وضعا سياسيا جديدا ، خارجا بدوره عن ارادتنا ، وكل ما في أيدينا وسائل نضالية ، ابتدعناها ، توفرت وباتت تؤتي ثمارها ، من النشيد الى الحريق ووجهة توحيدية للاسرى ، وفق مقولة « انسج من جلدك حبلا لصعودك ... » وعلينا أن ننسج من جلدنا حبالا ، لنخطو خطوات ، الالف ميل ، الخطوات النضالية .

ببساطة كانت تتحكم بنا مقولات ، بديهية أحيانا ، لكنها بحاجة للترجمة العملية ، مقولة تقول ان علينا أن نناضل ، لا بل كثيرون يتكلمون عن شوقهم لمتابعة النضال ، وما يضير النضال ضمن الاشياك ؟ أوليس بامكاننا جعل انصار جبهة قتالية جديدة تتحدث عن نفسها في ظل صمت الجبهات الاخرى ؟ ببساطة أكثر ، ليس بالسلاح وحده يقاتل الانسان ، هناك وسائل أخرى مثل وسائلنا ، وبقناعتنا ان أي تحرك في انصار منتظم ومبرمج قادر على تحقيق غاياته السياسية بل قادر على تحقيق غايات عسكرية ، أيضا ، لان العدو عندها ، مضطر لان يدفع بقوات اضافية ، تحسب ألف حساب لتحركات الاسرى وتتخوف منهم . ان عملا من هذا النوع يحمله أعباء اضافية ، وتصبح انصار عبئا جديدا على كاهله ترهقه بنفقاتها .

أنصار المملوءة بالمرضى وكبار السن وصغارهم وبمدنييها ولبنانييها، كلها عناوين صالحة لرفع يافطات الاحتجاج بشأنها ، وها هي لجنتنا الطبية تأخذ دورها وتنظم لوائح المرضى بالتعاون مع الصليب ، تمهيدا لرمي اللوائح الجاهزة بوجه قيادة الصهاينة ممثلة بنجمة داود ، وبامكاننا بقدر حرصنا على دقة هذه اللوائح ، كسب الصليب الاحمر الدولي الى جانبنا .

وتبقى انصار التحقيق ملفا كاملا قائما بذاته . الجورة دائما شغالة ومملوءة بالزائرين الذين قد يشكل البعض منهم طعما للشمبت لمعرفة أوضاعنا الداخلية وتحركاتنا ومشاريعنا والامور الى هذا الحد مقبولة اذ لا يعقل استمرار التحقيق الذي يجري مع البعض في أماكن تحقيق الداخل من عتليت الى غديرا فالمجدل فالجلمي . علينا أن نتحرك فعلا لوقف التحقيق ومرحلته أولا بايقاف الحاصل منه في الداخل حتى اذا تيسر ذلك نوقفه نهائيـــا .. ونوقف مفعول عروض العملاء الجارية مع بعض المنقولين الى مغاور التحقيق في صور وصيدا وعاليه.

ببساطة أكثر اذا لم نكن نملك قرار الافراج ، فانه علينا أن نضغط ليخف حجم انصار ، ويكون العدو مضطرا لفتح باب الافراجات الواسعة كمخرج مـن مأزقه الذي نوقعه به .

على صعيد أوضاعنا الداخلية وبعد استحداث المعسكرات الجديدة، هناك ما يعرقل خطواتنا بخصوص مسألة الاتصالات، ونشعر بضرورة الاتفاق على حركات تدلل على وجوب التضامن مع بعضنا وقد حاول البعض استعمال المقلاع ، فلم ينجح لبعد المسافة ، واقترح البعض ، مازحا ، استعمال المنجنيق ، والمسألـة برأينا تحل استثناء بالوسائل التقليدية أيضا ، بالرموز المتعارف عليها، الاغنية نهارا والمشعل ليلا ، مع ضبط استعمال الرمزين المذكورين في التوقيت المناسب فقط والحرص على تأدية ذلك بدقة .

وفي المقابل نشعر بضرورة ايجاد صيغة قيادية للمعسكرات الشتوية ، بالاضافة لتشكيل قيادة مشتركة فرعية ، تابعة للقيادة الاساسية كما نرى ضرورة تشكيل لجنة فرعية أيضا ، تمتلك حرية الحركة والتنقل ضمن نطاق تواجدها مضافـا لذلك حرية حركة الاطباء التي امتلكوها سابقا . وهذه الاخيرة من الاهميـة بمكان في حال انقطاع الصلة بين جناحي انصار ، عبر القيادة السياسيـة ، اذ يكون بالامكان توفيرها عبر حركة الاطباء والا فالانشودة والنار .

وتجتمع القيادة المشتركة وتقر الخطوط العامة للسياسة الانصارية ، مع بداية العام الجديد ، والتي شكلت في احدى جوانبها التنظيمية مخرجا لوضع أعضـاء القيادة المشتركة الذين سيصبحون في المعسكرات الجديدة ، مثلمـا حالت دون توسيع لجنة الاربعة أمام الضغط الحاصل ومن قبل كافة الاطراف السياسية من خارج دائرتها ، والمطالبة بحقها بالتمثيل في لجنة الاسرى ، كما وضعت القيادة المشتركة في الوقت ذاته على عاتق اللجنة مهمة الاخراج والتنفيذ للسياســـة الجديدة في لقاءاتها عبر الخطوط الثلاثة : قيادة المعسكرات ، الصليب الاحمر،

انصار بجناحيها القادمين ·

الاسرى مع الصباح ، وفي كل صباح على الحمامـــــات ، يقضون حاجاتهم الجسدية وتنظيف الثياب والاجساد ، ويتحادثون ضمن المعسكر الواحد ومـــن معسكر لاخر ، ويتبادلون الرسائل الطيارة والطرود الانصارية ، من «السيلون» الى التحف والمصنوعات المحلية طبعا ، والمعسكرات الواقعـة في طرفي انصار ، الشمالي والجنوبي ، يحضرون أمتعتهم للانتقال الى الجناح الجديـد ويتبادل نزلاء المربعات المعنية ، التحيات والوداع مع اخوانهم ورفاقهم ملوحين بالمناشف أو « الطواقي » المحاكة محليا ويتبادلون الشجون من فوق أعمدة الحمامات ، دون أن يخلو الامر من صوت يتجاوز أكثر من معسكر لتحية رفيق له في البعيد وينطلق مخترقا كأنه راجمة صواريخ ، وشاحنات النقل الصهيونية تعيد مساء من سبق لها وأقلتهم الى انصار الجديدة لنصب الخيم هناك وتركيب الدفايات·

لجنة الاربعة بكامل أعضائها في معسكر خمسة لديها همومها القادمة تتابـع التحضير للمرحلة الجديدة ، ويصل نبأ تجميع معسكر ١٦ خارج البوابـــة ووجود قائد المعسكرات بنفسه هناك ، للتحقيق في حادث حصل هذا اليوم ·· خلاصته أن بعضا ، من هذا المعسكر ، الذي كان يقوم بنصب الخيم ، قد أقـدم على تمزيق البطاين الداخلية وتخريب تمديدات المازوت والميـــاه وشـــوادر الشاحنات التي أقلتهم ·

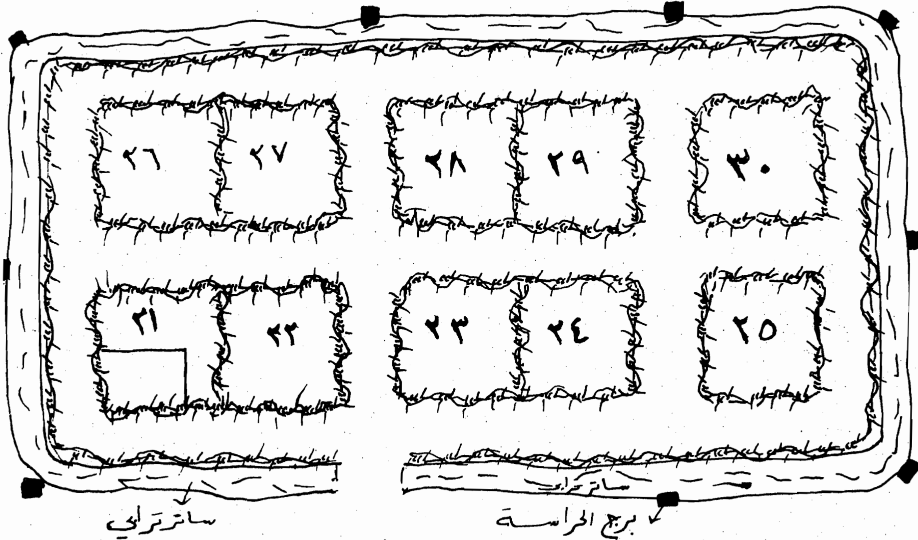
« روزنفلد » جن جنونه للحادث ، يريد التعرف على من فعلوا ذلك، وتمسك المعسكر بمجيء اللجنة لمعالجة الوضع · وقدم أخيرا مختار المعسكر « أبـــو محمود » مع جندي الى معسكر خمسة للاتصال بنا · دخل المعسكر وأبلغنـــا بالحادث وتفاصيله لنخرج بعدها بالاتجاه المذكور ·

فور وصولنا ، أخذ صلاح موقعه بين أسرى المعسكر المصطف أرضا ، وجلس يتحدث اليهم ، متسائلا : ماذا فعلتم ؟·· من قال لكم ان عملا من هذا النـــوع وبهذا الشكل ، يعتبر عملا نضاليا ؟·· صحيح ان علينا أن نخرب للعدو كـل ما يقع بين يدينا ··· ، وهل الخيم وخدمات المعسكر ، موضوعة لخدمـــــة اخواننا الاسرى أم العدو ؟·· أولم يكلفنا الاستحصال عليها دما وعذابا ؟··· وليضيف : كنت أتمنى أن آتي مع اخواني في اللجنة ، والذين قدموا رغما عن ارادتي ، لمعالجة قضية قتل جندي صهيوني !·· لا لمعالجة عمل من هذا النوع فيه تخريب علينا وليس على العدو · ونحن كما تعلمون على عتبة مرحلــــة جديدة لمجابهتها في انصار ، نحضر لها ، مرحلة ستكلف من جديد دما وجهودا مضنية ، وبعملكم هذا تعطلون برامجنا ، ويحشرنا الفاعل منـكم في مواقف لا نريد ولا يجب أن نحشر بها ··! ما هو المطلوب ؟ معاقبتكم كمعســـكر ، لن نسمح به لانه يعني العودة مجددا الى حكم « بن شحار » ولن نسمح بالعقـاب حتى كأفراد !·· هل المطلوب أن نرجو قائد المعسكرات ؟·· لن نفعل ذلك ·· لقد فرضتم علينا فتح معركة في غير توقيتها المناســب وحملتمونـــا نتائجهـا

وسنتحملها حتى ولو كنتم على خطأ فيما أقدمتم عليه ، لان شعارنا نحن مع الاسير حتى ولو كان على غير حق ، حرصا على سلامة وحدتنا !٠٠ ويلتفت نحوي متجهما وقائلا : أبلغه اننا نرفض العقاب ٠

تحدثت أنا ونبيل مع قائد المعسكرات، أبلغناه خلاصة موقفنا ومعارضتنا للعقاب ان بصيغته الجماعية أو الفردية ، مما اضطره تحت وطأة اصرارنا على أعادة الجميع الى داخل المعسكر فأبلغناهم تحمل نتائج عملهم بالانتقال الى معسكر ٢٢ والاقامة فيه بديلا عن معسكر ١٨ ، ليكونوا أكثر حرصا في مرات قادمة على مصالح الاسرى والعناية بالخدمات المشتركة ، وفي قناعاتنا الذاتية أنه بامكاننا توفير بديل عما جرى تخريبه ، ومعالجة الوضع ٠

وتبدأ صبيحة اليوم الثالث من العام الجديد رحلة الرحيل الجديدة نحو انصار أو انصار « الشتوي » وفق عبارات الاسرى ، ومن المربع الشمالي والمربع الجنوبي من المعسكرات ما عدا معسكر ١٨ الذي أخذ موقعه لاحقا في مكان معسكر ١٦ ، وتتوزع المعسكرات الثمانية المنتقلة على معسكرات انصار الجديدة أو « الشتوي » وفق تسمية الاسرى ٠



٤٥ ـ تقسيمات معسكرات انصار الجديدة

ليلا وفي جلسة جديدة مع روزنفلد ، وهاجسنا معسكر ١٦ وخدماته ، نطرح المشكلة وضرورة التوفير ، ويعدنا بزيارة معسكر ٢٢ في نهاية الجلسة بعد أن تكون الخدمات قد اكتملت · ونتحدث في هموم انصار ومتاعبها ونفتـــح الملف الكبير ، أو نركب الاسطوانة ، كما كان يقال ، ونذكره بعهوده التي قطعهـــا وبعجزه عن استحصاله حتى على صلاحية الافراج ولو عن بعض المرضى وكبار السن وصغارهم ، مثل الحالات التي يعرفها شخصيا ، ونتحدث عن عدم كوننا لقمة سائغة في فم « الشمبت » ولحمنا المر الذي لا يؤكل ، حتى لو أرسلوا لنـــا أكبر من « ديفيد » ولو عاد « أبو شريف » المحقق الشهير بنفسه ، ولنضيف أننا لسنا على استعداد للتنازل عن أية قناعة وطنية كما لن نسمح باستغلال ظروفنـــا وأوضاعنا النفسية والاجتماعية الصعبة ، ولن نسكت على ما تكتبه الصحف سيما مقال « الجيروزاليم بوست » الذي فبركته المخابرات لمزيد من الاساءة · منطقنا كان بداية وتمهيدا ، للخطوات القادمة ، حتى اذا انتهينا من استعراض عناوين الملف ، الذي بات محفوظا عن ظهر قلب وانتهت الجلسة كنا في طريقنا لزيارة معسكر ٢٢ للتثبت من حسن سير العمل وصحة تقديم الخدمات المعطلة ·

وليلا كعادتنا نعود للتشاور ، نقيّم ونتدارس من الصغيرة الى الكبـــيرة ، ونحس بضرورة الاسراع بعملية الانتقال الحاصل بين معسكر واخر ، وقفل هذا الملف نهائيا ، لنخرج من حالة الابتزاز الجديدة ، بعد أن أقفلنا ملف صراعات المطابخ · وضرورة الاسراع باستكمال اعداد لوائح المرضى من قبل اللجنـــة الطبية ، تمهيدا لعنوان التحرك الاول ، واخراج التشكيلة القيادية في المعسكرات الشتوية ، الى حيز الاضطلاع بمهام الحركة ، واعداد العدة لفتح ملف التحقيق و ··· ، والصليب الاحمر ومهماته ، اذ يجب أن يكون أكثر فاعلية وتواجـدا في المرحلة القادمة ··

أما مقال « الجيروزاليم بوست » صحيح اننا لم نكترث له في المعسكرات ، لكن علينا أن نتمسك بحقنا بالرد عليه عبر الصليب الاحمر ، والمطالبة تحت هذه الذريعة ، بمقابلة الصحافة لمنع التجني اللاحق بنا كمعتقلين واستغلال المخابرات لظروفنا وفتح ملف انصار على صفحات الصحف العالمية ···!

ونلتقي لاحقا بفيليب ، الذي يبدو عليه الحماس بعمله من أجـــل انصار ، ويعد بالتواجد الدائم لطاقمه حتى يومي السبت والاحد ، مثلما يعـد بتكثيف النشاطات ضمن النظرة التحسينية لأوضاع المعتقلين وتوفير الخدمات · ونلتقي بقائد المعسكرات ونمرر لجنة الشتوي بتسميتها بعد تركيب الاسطوانة التقليدية بعرض واستعراض ملف انصار بعناوينه المعروفة مضافا اليها المستجدات ومـع مزيد من ارتفاع « نبرة » ووتيرة التهديد والوعيد ·

ولنعود ليلا نمزح مع بعضنا ونتساءل قائلين : بما نهدد ؟·· وماذا نمتلـك نحن الاربعة ؟·· هل لدينا الحزب الشيـــوعي الصيني ؟ أم الفيتنامي ؟·· ونضحك مطولا !·· من اللعبة ، وتبقى ضحكة صلاح ، طارح التساؤلات ، لها

طابعها المميز !٠٠

في نهايات الاسبوع الاول من عام ٨٣ تبصر لجنة الشتوي النور ، فتعقد اجتماعها الاول بحضور لجنة الاربعة ، اللجنة الام ، في معسكر ثلاثين مركز قيادتها والقيادة المشتركة الشتوية التابعة للقيادة المشتركة الام ولتضم من أسميناهم ، مجيوء عن العربية والخطيب عن القيادة العامة وأبو الهيجاء عن الصاعقة وأبو علي مسعود عن فتح وأبو فادي عن الديمقراطية وأبو سلوان عن حزب العمل العربي ٠

نتحدث معها في المهام والتوجهات الجديدة للسياسة الانصارية والمرحلة المنتظرة ونتركها لتتدبر أمرها وتتابع الشؤون والشجون في الجناح الشمالي من انصار ، وبعد أن امتلكت حرية الحركة وبات بامكانها اللف على المعسكرات الجديدة ٠ ونعود الى معسكر خمسة محملين بالرسائل والسلامات ومزودين بالقبل لنقلها الى أصحابها في المدينة القديمة وعلى امتدادها بمعسكراتها الاثني عشر المتبقية ٠

وتجتمع القيادة المشتركة مجددا لوضع أول برنامج تحرك من أجل المرضى يليه برنامج من أجل اللبنانيين ، ونبدأ بتحضير انصار لمرحلة المواجهة التالية، مثلما يغيب روزنفلد ، ليعود الينا باستئناف الافراجات وانتزاعه صلاحية الافراج عن حالات مرضية محددة بعد الموافقة الطبية من قبل طبيب نجمة داود ٠

تحط طائرة الهليكوبتر ، التي أقلته ، وينتقل توا الى معسكر خمسة ليخبرنا بصلاحيته الجديدة ، فنبلغه بدورنا أن ثلاثة من مرضى معسكر خمسة ، حالتهم الصحية متردية ، نتابع أمرهم ، وهمهم شغلنا الشاغل ، وننتقل بعدها لاحباط همته من بدايتها معتبرين أن ما منحته له قيادته ليس بمستوى حجم ملف انصار ولا يمكن أن يكون تحقيقا لمطاليبنا بحدودها الدنيا ، أو ملبيا لغاياتنا التي هي بحجم الثمانية الاف معتقل بشؤونهم وشجونهم الكبيرة والصغيرة ٠٠ وان ما استحصل عليه بعد الحاح كبير من شأنه حل مشكلة أفراد معدودين من المرضى وليس كل المرضى عدا عن مشاكل انصار التحقيق ، والصغار والكبار ، واللبنانيين والمدنيين ٠٠ والزيارات العائلية ٠٠ الخ ٠٠

يتركنا ، على أن نلتقي ليلا ، ومباشرة يستدعي صلاح المرضى الثلاثة ، الذين تتراوح اصاباتهم بين أمراض القلب والربو ، ويطلب منهم الركض في الساحة حتى الاعياء مقدمة لاستدعاء نجمة داود ٠

ويزداد المشهد طرافة عندما نجد صلاح يصيح بهم أو بمن تباطأ منهم:اركض! اركض !٠٠ مثلما يصيح على المختار مكررا الطلب باستدعاء نجمة داود قائلا : يا مختار أين هي ؟٠٠ اطلبها مجددا ؟٠٠ ولتصل مع بلوغ الثلاثة الدرجات الدنيا للاعياء ، وهم قد باتوا بحالة صحية سيئة ، ارتفعت نبضات القلب لكل واحد منهم وأخذوا يعانون من كثرة الشهيق والزفير أو من ضيق التنفس !٠٠٠

يكشف الطبيب الصهيوني عليهم ويقرر انهم بحالة تستدعي نقلهم للمستشفى. ونصيح : أي مستشفى ؟ حالتهم في خطر ، خطر الموت ! لقد كشف الدكتور نبيل على وضعهم وأبلغنا ذلك . منذ ساعة ونحن ننتظر قدومكم وتأخركم زاد من الخطر على حياتهم ، كدنا أن نحرق انصار من أجلهم ، ونجعل أصواتنا تبلغ في مداها حدود السماء !.. نريد قائد المعسكرات ، لا نسمح بنقلهم الى المستشفى ، بل الى بيوتهم مباشرة ، حتى اذا ماتوا أو مات أحدهم تتحملون النتائج على جرائم نازيتكم وعلى اهمالكم !..

ويحضر قائد المعسكرات مجددا ، ويبحث الوضع مع الطبيب ، الذي أبلغه بأنه سبق وكشف عليهم ووقع على لائحة المرضى الموصى بالافراج عنهم والتي تنتظر القرار السياسي بعد احالتها من قيادة المعسكرات . ويتدخل روزنفلد معنا لنقلهم الى خيمة المستشفى المجاورة في معسكر ستة ريثما يحضر فيليب ويتسلمهم ، وانه سبق له وأرسل في طلبه ويحتمل حضوره بين لحظة وأخرى .

يأتي فيليب مسرعا ويدخل علينا مبديا استغرابه للاستدعاء الطارىء وتخوفه من ذلك ، ويخبرنا أنه مر على قائد المعسكرات وأبلغه الامر بقراره الفوري بالافراج عن المرضى الثلاثة ، ويبدي استهجانه لأمر من هذا النوع ويشكك بصلاحية قائد المعسكرات للافراج .

نحيط بمسؤول البعثة وقد أبدينا بدورنا استغرابنا لموقفه ، وطلبنا منه نقل الثلاثة الى بيوتهم عملا بقرار قائد المعسكرات ، والا فاننا سنفتح النار على الصليب الاحمر ونعتبره طرفا منحازا ضدنا ، خاصة وان الشكليات التي يتذرع بها لا تعنينا ، سواء أبلغه مندوب تل أبيب أم لم يبلغه بقرار الافراج ولوائح المفرج عنهم .

يجمع فيليب أوراقه ويتجه لمعسكر ستة وينقل الثلاثة المعنيين بسيارته الى صور ، والسلامة برفقته ورفقة الثلاثة ، الذي حالفهم حسن الحظ . وألعن في الوقت ذاته سوء طالع أبي عادل الذي قدمنا اسمه في لائحة من خمس وعشرين شخصا ، لائحة يتيمة لغير المنظمين ، ولم تتحقق غاية الافراج منها كما تحقق كذب الادعاء الصهيوني والوعود العرقوبية . ولتعود قيادة الصهاينة في اليوم التالي وتنتزع الصلاحية الجديدة من « روزنفلد » بعد أن أذهلها موقفه .

برنامج التحرك لأجل المرضى :

صحيح أن بهاء سبق له وأطلق سراحه من معسكر ثلاثة ، وقيل أنه بكى في حينها وجرت له حفلة وداع افتقدوني بها ، وصحيح أن « الخنتريش » بدوره كان قد سبقه ، غير أن انصار ما زالت غاصة ليس فقط بالمجانين ، وانما بأصحاب الكلية الواحدة ومرضى القلب والربو والسكري والمعاقين والقرحة والروماتيزم ... الخ ..

حقيقة لا أدعي معرفتي لأكثر من المعلومات العامة في الشأن الطبي ، بقدر معرفة اللجنة الطبية المشكلة من الدكتورين عماد وعلي عبدالله بالتعاون مع الدكتور نظمي مدير المستشفى في معسكر ستة المجاور وعدد من الاطباء النشيطين بينهم صالح وعينتباوي وعطايا وحنينه وسواهم .

هذه اللجنة هي المرجع الصالح ، وقد انجزت مهمتها بتنظيم اللوائح بعد الكشف وبالتعاون مع دكتور الصليب الاحمر الدولي . واحتفظت اللجنة بنسخة عنها كبيان احصائي ، استند اليه برنامج التحرك في منتصف كانون الثاني .

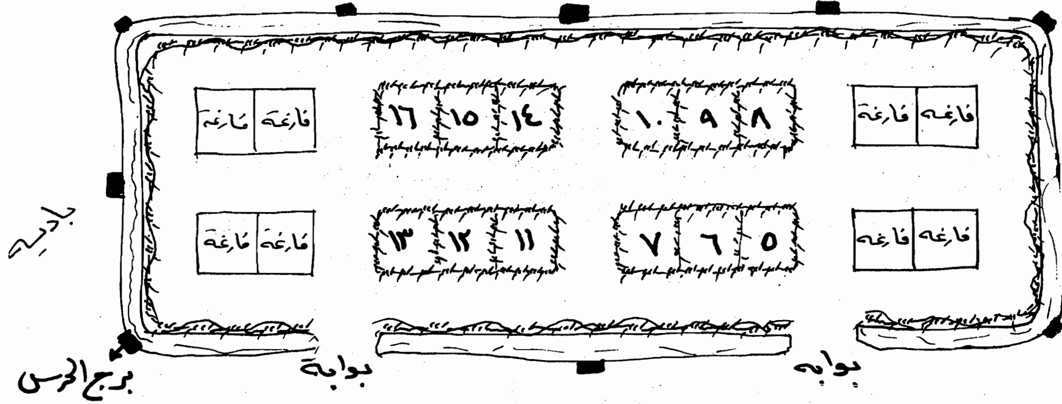
تعميم القيادة المشتركة أخذ طريقه الى المعسكرات بهذا الشأن وبدأ تنفيذ البرنامج يوميا ولمدة أسبوع كامل حتى مساء ١/٢٢

في شكل من أشكاله اصطفاف المرضى كل يوم قبل العد الصباحي على البوابة وفي مختلف المعسكرات ، ويضع كل مريض على صدره « كرتونة » كتب عليها نوع مرضه باللغة الانكليزية .

الاشكال الاخرى من الاحتجاج ، مذكرة للصليب الاحمر الدولي وملصقات وشعارات ، على الاشياك ، مستوحاة مضامينها من المناسبة ، باللغات الانكليزية والفرنسية والعبرية ، واعتصام في الساحات أو على البوابات أو داخل الخيم ويترافق ذلك مع ترديد الاناشيد والاغاني الوطنية .

في جلسة مع الصليب الاحمر الدولي ، يتحدث فيليب عن تحركنا ويصف وضعنا قائلا : لديكم استراتيجية واضحة ، تعرفون ماذا تريدون .. وتطالبون بما تريدون بكفاءة عالية .. بينما معتقلوكم لا يعرفون ماذا يريدون من انصار ! جمعوا أسرى ومعتقلين وبات عملهم عبئا عليهم ...!

نعم نعرف ماذا نريد ؟!.. من المرضى . التحقيق .. المدنيين .. انصار كمشروع صهيوني .. يقابله مشروعنا الوطني .. انصار كجبهة حرب متفجرة دائما .. وقد بتنا نحن نفجرها .. بعملنا ، بقرارنا ، بفعلنا وبات العدو في موقع ردة الفعل على عملنا . نعمل بتنظيراتنا وتنظيرات صلاح القائل : اجعل عدوك دائما مربكا ومتوتر الاعصاب . وعامله مع الحدة في الموقف والتشدد بالبرودة الضرورية أحيانا التي قد تفقده صوابه وينظر لذلك على سبيل المثال



أنصار في أول عام ١٩٨٢ "أنصار القديمة"

٤٦ ـ تقسيمات معسكرات انصار القديمة

بحفلة ازعاج في الخيم بعد منتصف الليل بطرق الاحجار ببعضها !..

وقبل أن ينتهي برنامج المرضى كانت القيادة المشتركة جاهزة للتحرك من أجل اللبنانيين بشكل يلي التحرك الاول ومن الفترة الممتدة من صباح ٢٣ـ١ـ١٩٨٣ حتى مساء ٢٧ـ١ـ١٩٨٣

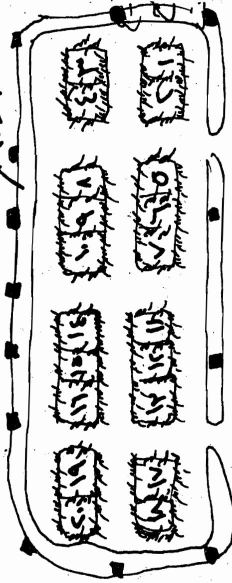
قبل العد الصباحي يتجمع اللبنانيون في كل معسكر على البوابات ، كل واحد لديه يافطة معلقة الى صدره ، يقول فيها أنا لبناني معتقل على أرضي ، وتتحرك بعدها الانشودة والاغنية والاعتصامات في برامج لاحقة ويومية وتأخذ الملصقات والشعارات الجدارية أماكنها على الاشياك .

ومع ترديد النشيدين اللبناني والشعبي ، كلنا للوطن ، ويا بحرية ، تتمجد انصار وتسمو مع أرواح الشهداء وقادتنا المناضلين من كمال جنبلاط الى موسى شعيب فمعروف سعد وسواهم . مثلما كانت المذكرة التي أعددتها بهذا الشأن جاهزة بدورها ، وسلمت للصليب الاحمر وتختصر وجهة النظر القانونية والسياسية لظروف اعتقالنا ، وعدم مشروعية هذا الاعتقال استنادا لنصوص جنيف ، ومناشدة المؤسسات الدولية للتحرك لحمايتنا والعمل على اطلاق سراحنا .

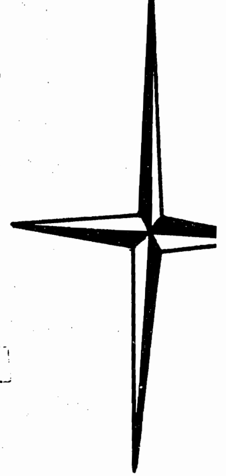
وتأخذ انصار فترة راحة يومين فقط لتعود برامج الاحتجاج متابعة دورتها . في ٢٩ـ١ ولمدة يوم واحد ، كانت العودة المجددة لموضوع المرضى والاعتصام كان بشكل جديد ، صامت وداخل الخيم ، لمدة ساعتين صباحا ولينفجر الصمت

بعدها أناشيد تبلغ حدود السماء ، أصوات كل المعتقلين في انصار .
ابتدأ الاعتصام الصامت في العاشرة صباحا وانعدمت الحركة كليا في الساحات وحتى الى المراحيض ووقف الصهاينة على السواتر ، يراقبون الحدث الجديد ، السكون المخيف والصمت المرعب . حاولوا الحديث مع مختار هذا المعسكر أو ذاك ، للاستطلاع وذهبت محاولاتهم سدى ، لا أحد يرد عليهم أو يخاطبهم .
وعند الحادية عشرة والنصف حامت طوافة عسكرية فوق معسكر خمسة ليصل بعد دقائق قائد المعسكرات الى بوابة المعسكر المذكور ويطلب المختار للحديث اليه ، ويجيبه المختار من داخل الخيمة قائلا : ممنوع « كولونيل » ممنوع . لا أقدر أن أخرج من الخيمة ، عندنا اعتصام ، عد بعد الثانية عشرة . فيرد عليه قائد المعسكرات : طيب أعطني صلاح ، اعطني اللجنة لأتحدث اليهم ، حضرت من تل أبيب لمعرفة الامر ، وليجيب المختار مجددا : قلت لك ممنوع ، حتى صلاح والشباب لا يتحدثون مع أحد الان ...
ويذهب « روزنفلد » خائبا ليعود مع انفجار غضب انصار ، بخروجها الى الساحات تغني ، تهتف ، تنشد ، وليشهد منظر الغضب الانصاري العارم وولاداته المتجددة كل يوم ، وليعرف سبب صمت انصار الذي أربك قيادته .
ويذهب يوم المرضى الاخير ، كي يليه ابتداء من ٣٠-١ ولمدة أسبوع عودة للتحرك من أجل اللبنانيين ، ويتخلل الاسبوع يوم اضراب عن الطعام بالاضافة للمشاريع والطروحات التقليدية .
قائد المعسكرات باتت غيباته عن انصار تقليدا متبعا ، وعلى غير عادته في البدايات ، وكلما عاد الينا نراه يتحدث عن مقابلاته ولقاءاته الصحفية ويعرض علينا بعضا منها ، مثلما يتحدث عن مقابلات مع قيادته وطرحه لمشاكل انصار ، وفي كل مرة يعود ومعه لائحة افراجات .
ليلة ، فعلا افتقدنا لديفد ، الذي ذهب الى غير رجعة ، ضحك « روزنفلد » بطرف شفتيه وقال : خلصتكم منه . وفي نهاية الجلسة لدى عودتنا لمعسكر خمسة انحرف في سيره شرقا وقال اتبعوني ، لحقناه واعتبرنا هناك صرعة من صرعاته . وصل الى « جورة » انصار وقال : « انظروا !... بعد في شمبت ؟ » اجبناه : لا .. قال : لقد رحلوا نهائيا !.. نظرنا لبعض وضحكنا ، واستانفنا الضحك في خيمتنا !.. متوقعين له أوخم العواقب !..
ويغيب روزنفلد مجددا في فترة برنامج التحرك الاخير وأخرج كعادتي صباحا الى المعسكرات ، وكان موعد زيارتي في معسكر ثمانية . الطقس مشمس ، بالاذن من شباط ، وموقعي عند العاشرة على الشيك ، مقابل معسكر خمسة . على سطح البناية صحفة عالمية ، طلبوا الاتصال بنا ، ورفضت قيادة المعسكرات تصوير نلاحظها من مكاننا ، وانصار مع الصباح مسترسلة على طريقتها الخاصة .
وفجاة صلاح في وسط ساحة المعسكر خمسة يصيح : أنشدوا ! أنشدوا ..

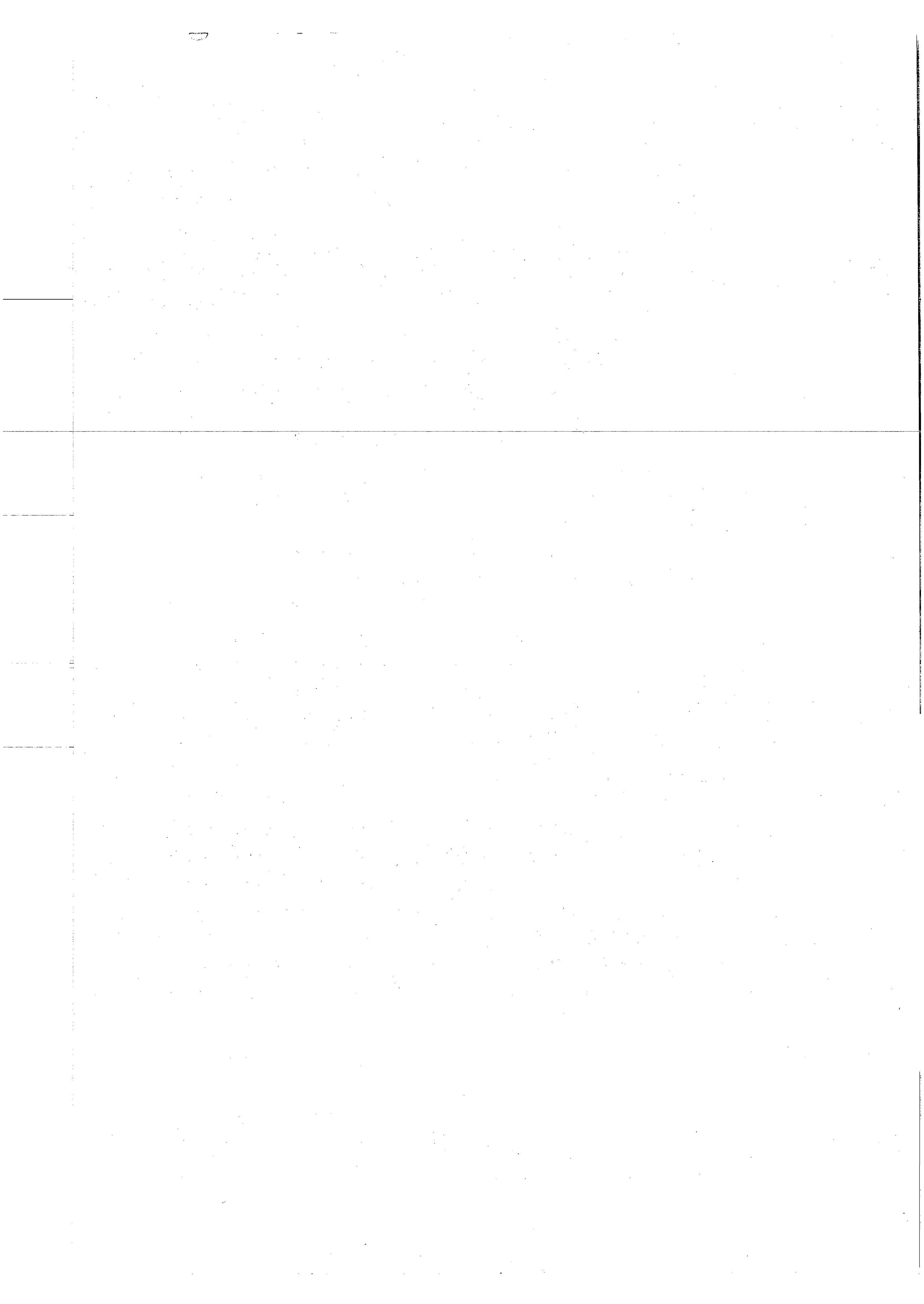








٤٧ ـ انصار بجناحيها الصيفي والشتوي



ويصرخ : أناديكم أشد على أياديكم !٠٠ ويردد من حوله معه ، وفي يده عامود حمام وقطعة من بطانية ويحمل له البعض المازوت ٠٠ ثم يلتفت نحوي ويقول: على سطح البناية صحافة عالمية طلبوا الاتصال بنا ، ورفضت قيادة المعسكر تلبية الطلب فيليب أخبرني ، هذه فرصة لمقابلة الصحافة حرك الشباب من عندك واتصل بالعشرة ليتحركوا ويحركوا ، حضرنا مشعلا وعلينا أن نلوح لهم بأيدينا ٠

وخلال دقائق تتحرك انصار على طريقة صلاح ، ومع النار ، وفي وسط كل معسكر أغاني وأيدي وأيادي تلوح ، وبدأ التلويح يتجاوب معنا من الصحفيين٠ ليعود فيليب ثانية الى معسكر خمسة ويخرج صلاح لوحده بعد أن سمح بالمقابلة المنفردة ٠

تحدث صاحبنا لدى عودته عن المقابلة الصحفية الاولى التي جرت ،والاطلالة العالمية لانصار عبر صحيفتي « الواشنطن بوست » و « الهيرالد التريبيون » جرى فيها فتح ملف انصار وكشف سياسة الصهاينة وسط حالة السخط التي انتابت بعض الضباط والاستياء البادي على تصرفاتهم ٠ كما تحدث عن محاولات الصحافيين الخائبة وجهودهم الحثيثة للوصول الى انصار والتي بلغت في عمرها ستة أشهر في ظل مماطلة الصهاينة ووعودهم الكاذبة والتي أحبطها هذا اليوم تحرك الاسرى ورغبتهم باللقاء ٠

عاذ روزنفلد قائد المعسكرات بعد الغيبة الجديدة وبرفقته من اسماه مساعده الجديد ، موسى ، الذي وصف نفسه بأنه يطبق تعليمات قائده الحرفية في حضوره وغيابه ، وتعشاه صلاح في الجلسة ، قائلا : نفذ ما شئت٠ لم تعد الحياة تعني لنا شيئا ، اننا اخترنا الموت ، كان علينا أن نموت في الخنادق قبل اعتقالنا ، ذلك أفضل لنا ، اننا لا نريد حياة الذل التي نعيشها مأسورين ومعتقلين ٠ اننا لا نخاف منك ولا من قيادتك لاننا اخترنا الموت بارادتنا ولو كنا قد تأخرنا بالاختيار ٠ ونريد منك أن تظهر على حقيقتك المظهر الذي عرفه اخواننا الاسرى في صيدا عنك ، يوم كنت حاكما عسكريا ، وقد تعرفوا عليك اليوم ، ولدينا ملفك بكامله مثل ملف قيادتك ، لن يكون بامكانك أن تخدعنا٠

يسكت المساعد ، ويتدخل روزنفلد لترطيب أجواء الجلسة ، ممازحا صلاح وفاسحا المجال لموسى الجديد للحديث بالعربية عن حكاياه مع بدو سيناء يوم كان حاكما عسكريا بعد حرب ١٩٦٧ ٠ يتحدث ببلاهة تثير القرف والضحك ، وتبعث على الامتعاض وتدلل على بدائية مستواه وعقليته الاجتماعية ٠

تفجر مشكلة التحقيق ونهاية « روزنفلد » :

الصليب الاحمر الدولي ، كمؤسسة لها دورها في ظروف الحرب ، استنادا لشرعة جنيف ، كان لها حضورها في انصار منذ الزيارة الاولى في ١٨ تموز ١٩٨١ ٠ غير أن الحضور شيء والفاعلية شيء اخر ، لان دور مؤسسة من هذا النوع يجب أن يتجاوز اطار الرقابة وساعي البريد السيء ، باتجاهات الدور المدافع والحامي للاسرى والمعتقلين من ظلم وارهاب الاسر ٠ كما عليها أن تتجاوز عقلية النظرة الذاتية لرئيس البعثة والمندوبين ومدى كثرة حماسهم أو قلته للعمل وتحسسهم للمسؤولية أو عدمها نحو سياسة ثابتة خاضعة لمقولات ثابتة ٠

جوزيف التعيس ، رئيس أول بعثة للصليب الاحمر الدولي لم يكن له أي دور يذكر ، مثله مثل بعثته باستثناء بعض الاختراقات التي كان يسجلها هذا المندوب أو ذاك نتيجة لوعيه المستند لحس سياسي ، يدفعه للتعاطف ليس أكثر مع الاسرى ، وفهمه لبعض الظروف واستيعابها بالاطار الذاتي وضمن مجالات عمله كمندوب ٠

أما فيليب فله موقف اخر ،موقف المتطلع للانسجام مع دوره بحس اجتماعي ، وقيل بحس أكاديمي ، لانه يتطلع للكتابة عن انصار والاستفادة من موقعه خارج دائرة وظيفته ، مما استدعى تجديد مدة ولايته لأشهر اضافية فأسهم بشكل فعال في ولادة اللجنة وابصارها النور ، كما أسهم بمتابعة كافة التطورات ، وغاص في عمق انصار كملفات وقضايا اجتماعية وسياسية ٠

ولم يكن طاقمه أقل حماسا منه ولدرجة أن « آن » مع مندوبة أخرى قصدت انصار ، عصر يوم أحد ، وفوجئنا بقدومها لمعسكر خمسة ، فأبلغتنا أنها اشتاقت الينا وفضلت أن تمضي « ويك اند » معنا !٠٠

فيليب عمليا كان « البارومتر » الامين ، نتباحث معه في مختلف العناوين ونتشارك الرأي أحيانا في المواقف والتفاصيل، كما ينقل الينا ردة فعل الصهاينة ومداها على أي حدث أو موقف ٠ وها هوذا كعادته عشية مشكلة « روزنفلد » و « الشمبت » وذروة صراعهما على الصلاحيات ، ينقل الينا الصورة ٠

في اخر أيامه دخل علينا في معسكر خمسة متجهما ، الغضب يحتقن في وجهه ويقول : ماذا فعلتم ؟ لقد أخطأتم كثيرا ٠٠ وضعتم رأسكم برأس هذا المجنون «روزنفلد»الذي تورط أخيرا مع قيادته!٠٠لم تكف مؤتمراته ومقابلاته الصحفية في تل أبيب والقدس وحديثه عن المرضى وكبار السن وصغار السن والمدنيين في انصار ، وبشكل أثار حفيظة قيادته عليه،حتى أقدم أخيرا على طرد «الشمبت» واقفال مكاتبهم !٠٠ لقد بقيتم تدفعونه حتى حشرتموه ، وغدا سيأتيكم قائد معسكرات جديد مثل « بن شحار » يضرب كل انجازاتكم ومكاسبكم التي

حققتموها ، هذا قائد معسكرات « مجنون لا يحسن الا أكل الحـــلاوة ! ٠٠ » مستطردا في وصفه لروزنفلد ٠

ونجد أنفسنا مدفوعين للرد عليه ، اذا كانت هذه قناعته ، فماذا تطلب منا؟ تشكيكه بهذه القناعات ، أم دفعه نحو المزيد !٠٠ واذا أقدم على طرد «الشمبت» ضمن لعبة صراع القوى والدفاع عن صلاحياته ، ماذا تطلب أن نفعل ؟! أنرجوه التمسك بالشمبت ؟ وحتى لو كان القادم « بن شحار » وأسوأ منه ، ذلك أفضل لنا ٠ لاننا نريد قائد معسكرات شرس في تعامله معنا لنزداد شراسة ٠ ونتمنى أن يستبدل « روزنفلد » بأسوأ من « بن شحار » ٠

يتركنا فيليب ليعود الينا بعد فترة قصيرة مودعا وبرفقته المسؤولة الجديدة عن البعثة « كلير » التي تتكلم العربية ، وليشهد عهده تقديم هدية من المؤسسة الدولية لكل أسير في انصار ، « حفاية بلاستيك » جاءت في محلهـــا وتوقيتها المناسب لحاجة الجميع اليها !٠٠ وما أكثر حاجاتنا بعد كفايتنا من «الحفايات» التي تبلغ في حدها الاقصى حاجتنا لحريتنا المصادرة وفي هذا السياق ومعرض استعراض الاحتياجات بين الحدين الاقصى والادنى ، بات لدي احتياجات من نوع جديد ألا وهي اللف والدوران على المعسكرات ٠

لحظة خروجي من معسكر ثلاثة ، حاملا أمتعتي ، وصفت نفسي بأنني رحالة انصار ! ، اذ لم يعد بمقدوري العيش والاقامة في معسكر واحد ٠ ومن اليـــوم الاول في معسكر خمسة أصابني الضيق وأحسست بالغربة ، وازدادت غربتي يوما بعد يوم خاصة بعد أن أخذ صلاح يبتعد عنا ليقيم في خيمة المستشفى في معسكر ستة ، وليصبح الخمسة معسكر « الكرادلة » من كل التنظيمات ، التي تجيد فن اللعب على التناقض وتركيب « المقالب » و « التشبيح » التنظيمي٠ وللهرب من الضيق والغربة ، همت على وجهي في المعسكرات ، لمتابعة القضايا اليوميـــة وعلى هامشها قضاء سهرة « جلاجيق » (١) في معسكر تسعة بامكاننا خلالهـــا استحضار صور أو سهرة طرب في معسكر عشرة مع أبي العبد كعوش وفرقتـــه وزيارات لكل المعسكرات ما عدا معسكر « شارع أراكس » لعدم ارتياحي للاقامة فيه ، مع غارات مفاجئة لمعسكر ١١ تحصل كلما جاء وفد جديد ومع كل وفـــد حكايا صورية أو أخبار عائلية أو بعثية أو وطنية ، فبعد كلود جاء عـــلي ثم وسام ومع كل وفد لنا نصيب وبين الوافدين الجدد والملتحقين بالركب من لـــم يخف تشوقه لانصار ، منذ لحظة دخوله من البوابة ٠

كلود زودنا بأخبار الخارج والسمعة الوطنية التي اكتسبتها اللجنة وأخبـار الرفاق أما علي فقد بدا التخوف غالبا عليه ، منذ الوهلة الاولى ، لم يستوعب الصورة وخاف من كشف أمره بحديثه معي ٠ رغم طمأنته واسقـــاط مبررات الخوف ، استمر في الجلسة متوجسا وكأن التحقيق بانتظاره من جديد ٠

يوما ، بعد زيارة لمعسكر ١١ قابلت فيه من ذكرت والقادم الجديـــد عاطف الدنف بناء لرغبة سمير القومي ورفيقه حسين ، غادرت المعسكر ويممت وجهي

سهرة "جلاجيق" - سهرة شعبية

قاصدا الجناح الشمالي لانصار . تتوقف السيارة عند بوابة المعسكرات ليتحدث الي ضابط الارتباط « ايلي » حديث مجاملة وفجأة يصل الينا نبيل مضطربا وانفجر بحديثه قائلا بعد أن تركنا «ايلي» : حذرنا كثيرا من مطب الاعتراض ، عبثا ودون جدوى ، لم يستمع أحد لرأينا وتحذيرنا ، وتصور البعض وكأننا نحول بينه وبين الطريق الى البيت . اليوم، طلبوا تحت اسم الاعتراض مجموعة من الاسماء بينهم أبو سليم ، وتبين أن القضية ليست قضية اعتراض بل تحقيق ، وفي الداخل . وها هم في الباص كما ترى. اتصلت بقائد المعسكرات وأبلغته الامر واعتراضنا على أسلوب استدعائهم وأنا ذاهب لمقابلة صلاح لنحتج على ذلك .

وأجيبه : أنا ذاهب الى المعسكرات الشتوية ، حسنا ، سأولعها هناك الا اذا رفضوا نقلي .

وتتحرك السيارة باتجاه انصار الجديدة وأنا في داخلها ، وأدخل معسكر ثلاثين مستدعيا من تواجد فيه من اللجنة وأبلغهم الامر ، مثلما أبلغت محيو الموجود في معسكر ٢٤ .

ومع دخان الخيمة الاولى المحترقة في انصار ، كنا جاهزين للبدء بالاناشيد الوطنية والهتافات واللهب المتصاعد من المشاعل والبطانيات المحروقة على الشيك ، تضامنا مع معسكرات الجناح الجنوبي التي كانت تنشد بدورها وتضرم اللهب لمدة ساعة كاملة اعتراضا على التحقيق ، توقفنا ، بعد أن هدأت الحال مقابلنا في انصار القديمة ، ووصول نبيل وسط حالة الذعر والارباك التي انتابت العدو ، والملحوظة من حركة ملالاته العصبية واستنفار جنوده . وصل نبيل الى معسكر ثلاثين ليقول : صلاح كعادته ثارت ثائرة غضبه ، أحرق خيمة الحمامات في معسكر خمسة كحفلة استقبال أولى لـ « كلير » التي حضرت مع قائد المعسكرات ، والذي بدوره أخذ يصيح على صلاح راجيا تهدئة الحال في الوقت الذي أصيبت فيه « كلير » بحالة من الذعر لدى مشاهدة النار . وقد تعهد « روزنفلد » بعدم اساءة معاملة أي واحد من الذين تم استدعاؤهم ، ووعد بصورة قطعية عدم السماح بتكرار أسلوب ما حصل واعتراضه بدوره على ذلك ومفاجأته بالحادثة التي لم يكن على سابق علم بها وتعهد بعودة الجميع خلال أسبوع كحد أقصى وبضمانته الشخصية وضمانة « كلير » رئيسة بعثة الصليب . وليضيف نبيل ، أن صلاح هدد بحرق انصار، وبات الامر يستدعي موقفا محددا من موضوعي الاعتراض والتحقيق، وعلى القيادة المشتركة التصدي بحزم لحسم أمر كهذا بموقف واضح ومحدد وعلى لجنة الشتوي باعتبارهم أعضاء في القيادة المشتركة ، ابداء وجهة نظرهم خطيا لتبلغ لأمين السر ، ونعود بعدها سويا الى معسكر خمسة .

ليلا جلسة مع روزنفلد لمناقشة القضية ، الاعصاب متوترة ، والكيل قد طفح.

نقصد الغرفة الخشبية برفقة « ايلي » الذي أخبرنا أن مسؤوله قد ارتفع ضغطه لدى رؤية النار ، وتضايق من الحادثة وظروفها وانه طريح الفراش .

يذهب صلاح لوحده لمقابلته برفقة « موسى » مساعد قائد المعسكرات ، ونبقى مع « ايلي » للتعرف عليه بعد أن لمسنا طراوة في حديثه وليعرفنا على الاسم الحقيقي للمساعد الجديد ، عطية ، التونسي الاصل .

سحب « ايلي » الدكتور الجامعي من جيبه صورة له مع « كرايسكي » ، باعتباره واحدا من أعضاء الوفد الصهيوني المفاوض في عملية تبادل الاسرى، وأبدى أمله بنجاح المفاوضات الدائرة واتمام الصفقة ، لانهاء المأساة ، مثلما حمل نبيل صورة « وسيم » التي كان يعلقها في رقبته ليقول : كيف يجوز أن يولد لي ولد ولم أره ؟ مثلما ولدت لي سابقا ابنة في غزة ، تركتها في يومها الاربعين وقد باتت ابنة احدى عشرة سنة ! . .

ليعود الينا بعدها صلاح ، واصفا حالة روزنفلد وتعاسته واستغرابه للتضامن الفوري من قبل انصار الجديدة معنا ، وعدم فهمه كيفية معرفتهم بالحادث .

ولننقل الصورة الى القيادة المشتركة ، ونطلب اليها ضرورة وضع خطة عمل لمجابهة التحقيق .

الاعلام والمجلات ، جماهير انصار العربية :

شيئا فشيئا ، بدأت تتسلل أجهزة الترانزستور الصغيرة الى انصار ، أول الغيث قطرة كما يقال ، وأول المتسللين كان الى الخيمة ستة ، وقد بات بالامكان الاستماع للاخبار ساعة نشاء ، مشكلة البطاريات باتت محلولة بتزويد كل طبيب بـ « أنتريك » بداعي عمله الليلي في الخيم ، مثلما باتت المادة الاخبارية هي العصب السياسي في انصار موضوعة المواضيع ،وحتى فترة معينة بقيت حكرا على معسكر خمسة ٠

كل المحاولات لصياغة التعميم الاخباري بقيت دون مستوى الطموحات ، واللجان المشكلة بهذا الغرض تحكمها الاهواء وتوجهاتها السياسية ٠ تجنبا لذلك طلبت عدم ايراد أي خبر في التعميم حول الحرب العراقية ـ الايرانية ، وهربا من ورطات أصحاب النوازع والاهواء ، وكان البديل تعميما اخباريا خاص أحيانا ، يعتمد على النقل الموضوعي للخبر ٠ من جهة أخرى اللجنة المكلفة تستهويها أخبار منظمة التحرير ولديهم الحس الفلسطيني ٠ كثير من الاخبار اللبنانية ، التي أسمعها وأجد من الاهمية تعميمها ألحظها غير معممة ، ليس عن قصد وانما عن قلة دراية ، فكنت مرات كثيرة مضطرا لان أتجول في المعسكرات للحديث عن هذه الاخبار ونقلها ، مثلما كنت مضطرا أغلب الليالي لكتابتها وتعميمها عبر قنواتنا ٠

« فلسطين الثورة انصار » توقفت عند حدود العدد الاول ، مثلما توقفت أمام حاجة رفاقنا لنشرة خاصة بهم ٠ المحاولات الجادة بذلتها بداية معتمدا على معسكر عشرة ،ولم تفلح وبقيت الاخبار التي أرسلها للتعميم وكأنها ملك شخصي لمن تصل الى يده !٠٠

وأترك العشرة لمعسكر ١٥ بعد أن توفر راديو لدى بسام الجبهة٠ حاول رفيقنا جاهدا تلبية الطموح ، وقدر الامكان ، وبقدر امكانيته ، فخطى الخطوة الاولى بالتعميم وان كان ليس بالمستوى المطلوب ، بما تتضمنه النشرة من أخبار ، يجب أو يفترض تعميمها ٠

أخيرا ، كان رفيقنا حسين شعيب ، خير من يقوم بالمهمة ٠ قصدت المعسكر باكرا وتحدثنا سويا واتفقنا على شبكة الاتصال الليلي ، مثلما اتفقنا على محطات التوزيع في كافة المعسكرات وأخذت توا أتنقل من معسكر لآخر للابلاغ واخراج المهمة ٠

خلال أسبوع ، انتظمت العملية وصدرت جماهير انصار العربية كنشرة اخبارية موجهة ، الاعتماد على « بانوراما » مونتكارلو العاشرة والنصف بشكل أساسي ، ولألقي عبر شبكة الاتصال لرفيقنا ما استطعت توفيره من أنباء مصاغة

مع تعليق يومي غالب الاحيان له علاقة بموضوع الساعة وعلى صلة بقضيتنا الانصارية . وتتعزز النشرة وتتكثف بما توفر من أخبار لدى معسكر ١٥ ، يلقي بها يوميا اليه . واذا بجماهير انصار العربية كنشرة اخبارية يومية مع التعليق تتحول الى نشرة انصار الرائجة والمطلوبة وليصدر معها ملحق أسبوعي يتضمن تعليقات ومقالات مع غلاف تم اعداده في معسكر ١٥ بناء لتصوري له على شكل نجمة داوود بأسلاك شائكة ، مزقها العلمين اللبناني والفلسطيني ، لدى محاولتها احتواء خارطة المعتقلات .

ومع جماهير انصار العربية والى جانبها كانت تصدر الهدف والحرية والى الامام وطلائع حرب التحرير الشعبية وفلسطين الثورة كنشرات أسبوعية مثلما بدأ رفاقنا في الجبهة يأخذون استعداداتهم لاصدار الثائر العربي .

انصار ، مدينة الشرطان ، بحيوية من فيها من تنظيمات وقوى ، من بشر بانتماءات سياسية واجتماعية مختلفة ، يحكمها منطق الاسر والتطور والابداع ، لم تتوقف عند الجوانب التنظيمية البحتة بل تعدتها الى نواحي الفنون .

للشعر موقعه وأربابه ، وللحرف روادها وفنانوها وللرسم مكانة مرموقة وقد باتت بطاين الخيم تحمل أجمل اللوحات الفنية التي تختصر التجربة وتوجزها برسوم معبرة ، بعد أن وفر الصليب مع « الحفايات » ، علب التلوين التي حلت محل التلوين الطبيعي البدائي سابقا بالتراب والبهار الاحمر . ولم لا؟ أوليست انصار شريحة اجتماعية كاملة فيها مختلف الهوايات ومن بينهم أصحاب النكتة اللاذعة انما بشكل مسيس .

في جلسة مع روزنفلد ، مرة ، في مطبخ الخمسة ، وكانت «التقليعة» الاخيرة لنا ، المطالبة بزيارة العائلات والهدايا العائلية ، بعد هدية الصليب الاحمر الدولي « للحفايات » ، وكذلك جمع شمل الاسر التي ليس لها معيل . حقيقة لم تكن الغاية من الطلب ، سوى استطلاع المدى الزمني للسجن ، ورمي كرة ارباك جديدة في حقل الصهاينة ، وحتى يشكل هذا المطلب مدخلا لتنفيذ مطلب استطرادي ، ألا وهو فتح باب الافراجات وتكثيفها ، وبقناعتنا أن الصهاينة لن يوافقوا على الطلب لألف سبب وسبب ولكونه بشكل خاص بمثابة فك للعزلة المفروضة على انصار .

روزنفلد ، حسب ادعائه ، نفى الجانب السياسي وتحدث عن الجانب التقني وأعبائه ، وتوقع في حينها عدم اطالة أمد السجن التي يراها لن تبلغ العام الجديد ، وعلق الامور بالانسحاب من لبنان أو الاتفاق على التبادل ، وكلا الموضوعين باتا حديث الساعة وعلى النار .

في جلسة في معسكر خمسة ، نخبر أبا سليم مختصر الحديث ، بحضور روزنفلد الذي عاد وتحدث عنه ، وليقاطعه أبو سليم قائلا : نحن كما ترى ، عاطلون عن العمل ، وسجننا طويل أكثر مما تتصور . ليس لدى عائلات البعض منا مشكلة في الخارج ، سيما نحن المنظمين هنا ، وتبقى لدينا فقط مشكلة البطالة ،

نريد أن نشتغل ونتسلى • وبدلا من أن نتسلى بكم دائما ، دعونا نتسلى بتربية الصيصان ، أتونا بصيصان نربيها وتكبر وتبيض وتفقس ضمن هذه الاشيـاك فنأكل من لحمها وبيضها ، وأنتم كمـا تعلمون لا تقدمون لنـا اللحم • نحن بحاجة لتربية أي شيء فاذا لم تلبوا طلبنا سنربي الفئران المنتشرة في المعسكرات لتكبر وتصبح جراذين ونحرضها عليكم لتصيبكم بمرض الطاعون ، خاصة وان الخوف من اصابتنا ساقط ، لاننا سنوفر لانفسنا المناعة اللازمة ضـد المرض المذكـور •

ومن حكاية أبي سليم الى حكاية أبي زمرين في الاعتراض ، التي يرويهـا ضاحكا ويده تلامس سماعة أذنه ويقول :

قبل أن أدخل الى الاعتراض نزعت السماعة من أذني ، ومشيت بشكل يظهر أنني أطرش ، كما تصرفت كمجدوب • ودار الحوار مع رئيس اللجنة عبـر جندي نقل الي الاسئلة بصوت عال كما يلي :

ـ أنت « مخرب » ؟

ـ لا أنا « مش مهرب » ، ما عندي « فلوكا » حتى هرب فيها ، ولو كـان عندي «فلوكا» لهربت فيها الى قبرص من الحرب • المهرب بيشتغل بالحشيش، أنا طول عمري ما شربت عرق •• »

ويصيح الجندي بصوت مرتفع وفي أذني :

ـ سألك أنت مخرب « مش مهرب »

ـ آه فهمت ! « أنا ما بعرف عمّر ولا خرّب » مرة واحدة عملت عمليـة مع عمار ووقعت عن « السقالة » •

ـ انت عامل عمليات ؟!

ـ نعم ثلاث عمليات • الاولى عندما وقعت عن السقالة ، « انكبرت » رجلي وجبّرتها في مستشفى صيدا الحكومي • والثانية عملية « فتاق » في مستشـفى حمود • صوري في المستشفيين وأريد أن أعمل العملية الثالثـة لأذني ، لانني أطرش كما ترى سأعملها في الجامعة الاميركية وصوري هناك ، طلبت مـن الصليب الاحمر الدولي احضارها •

ـ انت « مش مجدوب » لكن تحاول أن تجدبهـا ، معلوماتنا انك مـع « جبريل » •••

ـ جبريل ! انت « مش » مع جبريل ؟ انت « مش » يهودي ؟ جبريل « ما نزل على سيدنا موسى مثل ما نزل على سيدنا محمد » كلنا مع جبريل اسلام ويهود ، وكيف لا نكون مع جبريل ؟!•••

ـ انت مع جبريل « المخرب »

ـ من هذا جبريل المهرب ؟ أنا قلت لك أنني « مش مهرب » وما عنـدي « فلوكا » ولا أعرف أي مهرب •

ومثلما لأبي زمرين وأبي سليم حكايتهما ، كان لعطا حسين حكايته أيضا •

مرة صاحبنا تعمد فتح الشيك بين معسكري ١٤ و ١٥ ، ليس بقصد فتح الشيك والعبور للمعسكر المجاور ، وانما لغاية في نفس يعقوب . وحدد توقيت العملية ، لدى مرور دورية الحرس ، التي استدعته الى البوابة فلبى الطلب شاكرا . لكنهم نقلوه الى زنزانة .

عند عدم اعادته الى معسكره ، أثرنا الموضوع مع روزنفلد ، في ذات الليلة فقال : يتظاهر بأنه مجنون وأقدم على عمله لعرض وضعه وطالب باطلاق سراحه . سأبقيه في الزنزانة الى موعد قدوم الطبيب النفساني في الاسبوع التالي .

تذكرت صاحبنا لدى اثارتي لموضوعه ، وحادثتي معه في معسكر عشرين الذي كان فيه سابقا ، وعندما وقف في جمعٍ يخاطبني قائلا : نحن لبنانيون ولا علاقة لنا بمنظمة التحرير ، أحزابنا مرخصة من الدولة ، أقدمت اسرائيل على اعتقالنا .. الخ .. لما لا تطالبون باطلاق سراحنا ؟ وحاولت التحدث يومها حديث المنطق والاقناع دون جدوى وقد تشبث بموقفه حول لبنانيته .. حتى اذا أعيتني الحيلة ، اضطررت أن أجيبه : يا عطا .. بارودتك كانت في الخارج أطول مني ، وشعارك قومية المعركة ودحر الامبريالية والصهيونية حتى التحرير . فما الذي استجد الان سوى اعتقالك ؟ ان ما تقوله لي الان هي اسطوانتي ، معزوفتي ، أكذوبتي الكبرى على الصهاينة والتي طلبنا جلدهم في طلبات الاعتراض بها فاذا بك تجلدني بها أنا شخصيا ... ماذا تطلب مني الان ؟ تصديق أكذوبتي ، لا والله لن أصدقها ولن تكون حكايتي مثل قصة جحا مع أكذوبته ، ولن أكون جحا انصار . واذا كنت تخاطبني جادا بهذا المنطق ، بعد تحول طرأ عليك ، فانني أخاطبك بمنطق بندقيتك التي أعرفها وتعرفها وبمنطق حزبي الذي أنتمي اليه وحزبك الاخر بدوره الذي ما زلت تنتمي اليه .

ومع تذكر هذه الرواية قلت لروزنفلد ، كيف تبقه في الزنزانة ؟ حتى اذا لم يكن مجنونا فعلا فقد يصاب بالجنون . انني أعرفه وأعرف صعوبة وضعه الذاتي وظروفه النفسية . أرسله الى المستشفى وفي الموعد المحدد يكشف طبيبكم عليه .

ولدى انتهاء الجلسة وقفت على شيك المعسكر ستة ، فتأكدت من نقله الى المستشفى وأخبرته بما حصل ، وطلبت منه أن « يجدبها » أكثر لدى الطبيب .

وفي اليوم التالي باكرا وقف عطا على الشيك يلح بطلبي . قابلته ودار بيننا الحوار التالي :

ـ عطا ، كيف حالك ؟ ما بك ؟

ـ أستاذ أريد أن أطلب منك طلبا صغيرا . وتوقعت أن يكون بحاجة لسجائر أو أكل اضافي أو مراجعة الصليب أو أي شيء مشابه بامكاني تلبيته . وقلت له:

ـ قل . ماذا تريد؟

ـ أريد منك أن تطلب من قائد المعسكرات أن يسمح لي بمقابلة عائلتي لمدة

خمس ساعات ، فقط خمس ساعات ! ٠٠٠
ـ ماذا تريد ؟ أنا أطلب لك مقابلة عائلتك ٠٠ هل أنت جاد بقولك ؟٠٠ ومن أنا ؟٠٠ انني جاهز لتلبية طلبك ! اذا حققت لي مطلبا مقابلا ٠
ـ ما هو ؟
ـ أرجوك أن تطلب لي أنت من قائد المعسكرات السماح لي بمقابلة عائلتي لمدة خمس ثوان ، فقط خمس ثوان !٠ وقائد المعسكرات جاهز عندها للتصديق انك مجنون ، فيلبي طلبك بالافراج عنك وليس فقط زيارة عائلتك ٠ أنا قلت لك يا عطا : « اجدبها » على الصهاينة ، واني أراك فعلا « تجدبها » لكن علي٠ أنا معك في ممارسة « الجدب » لكن ليس علي بالذات !٠٠ تريد مني الان شيئا اخر ؟٠٠ جهز حالك لمقابلة الطبيب ٠٠٠
ضحك عطا بطرف شفتيه ضحكة معبرة وأدبر مديرا ظهره لأضحك بدوري ، وأتحدث مع من حولي ، على قدرة البعض على حسن التمثيل واجادتهم لتعميمه ٠٠
هذا جانب من حكايا عهد ثاني قائد معسكرات في انصار ، العهد الذي ضربته العاصفة الطبيعية من بداياته ليشهد عاصفة سياسية ، وينتهي بالنار والحريق وكسر طوق الشرطان ٠ قائد المعسكرات الذي تصارع مع « الشمبت » على صلاحياته ، ومن دون شك لن يكسب الصراع ونتوقع عزله ، انه ذهب منذ حين ولم يعد ، علما أن أبا سليم ومجموعته قد عادوا في الموعد الذي حدده وكانت لهم حفلة استقبال بالاناشيد والاغاني والخطب والهتافات ٠
ذهب روزنفلد ، بعد أن فتحت كل ملفات انصار ونضجت كقضية سياسية واجتماعية ، وأخذت تطرح نفسها على محافل الرأي العام العالمي ، وبقي مساعده عطية ، الذي فوجيء بمعرفتنا باسمه الحقيقي ، وأحلنا ذلك على الملف الشخصي ، الذي نمتلكه عنه والذي سمعناه من أسرى انصار وانه لا يدري بأن الضابط « ايلي » هو الذي تلفظ باسمه أمامنا ليلة ارتفاع ضغط روزنفلد ، يوم استدعاء أبي سليم ومجموعته للتحقيق ٠
وقبل أن يولي روزنفلد كنا على موعد مع حسم قضية الاشياك الداخلية بين المعسكرات ٠ فكيف تم حسمها ؟٠٠
راوحت مسألة التسلل بين المعسكرات المتلاصقة كثيرا في مكانها ، ومضى عليها وقت لم يدفع أحد جزية التسلل سوى عطا حسين ، الذي زار الزنزانة لساعات ، وكان الزائر الاول في عهد «روزنفلد» لكن زيارته كانت لغاية في نفس يعقوب كما ذكرت ٠ ولولا هذه الزيارة السريعة لكانت زنازين العقاب تلعن حظها السيء مع هذه المرحلة لعدم قدرة الصهاينة على سوق أي أسير اليها ، ولبقيت معطلة وبدون استعمال مثل حمامات « روزنفلد » التي بقيت أثرا انصاريا في زاوية معسكر ٢١ المرشح لان يكون مستشفى ٠
كنا نتذرع لتغطية التسلل بداية ، بقضية الاباء والابناء والاخوة ونصر على

حركة الانتقال بين المعسكرات وجمع شمل العائلات في معسكر سبعة ، الذي بات معروفاً باسم « فاميلي بيتش» أو معسكر العائلات ،وبعد أن التأم شمل «القبائل» فيه أخذنا نتذرع بضيق« الخلق » من السجن والاطباع الحساسة ورهافتها . ومرة تضايق « روزنفلد » وقطع نفس ضيقه صلاح بقوله : « سآتيك بحل جذري ونهائي بعد ثمان وأربعين ساعة » . اعتبرنا قول صلاح على الطاولة تأخيرا للمشكلة ، وفي قناعتنا أن الحل الوحيد الاقرار بشرعية التحرك ضمن المعسكرات المتلاصقة ، بحكم الامر الواقع ، وبعد أن أصاب انصار طوفان جديد في هذا الشأن يشبه طوفان الخروج من الخيم باتجاه سطيحات الوحل . الان طوفان باتجاه المعسكرات المتلاصقة . ومن أين للصهاينة ان يوقفوا الطوفان الجديد ؟ من أين لهم وقف الانفلات في معسكر العائلات ومعسكر الوافدين الجدد في الـ ١١

حقيقة لم نتحدث مع بعض في الحل ، ولم نبحث الموضوع كعادتنا في القيادة المشتركة ، انما عاد للذهن لحظة بدء الجلسة المحددة ، وعلى جدول أعمال روزنفلد ، هذه النقطة . وسأل بداية ماذا فعلتم بموضوع الاشياك ؟ هل أتيتم بالحل ؟

نظرنا لبعضنا ، وتبادلنا البسمات ، وبدأ صلاح يتحدث قائلا :

كولونيل فعلا أنا وعدتك بالحل ، وقد أتيتك به ، بعد أن فكرت طويلا ، والحل هو شرعية الانتقال ضمن المعسكرات المتلاصقة ، ابقاء الوضع على ما هو عليه ، أفلا يكفي احتجاز حريتنا وعزلنا عن هذا العالم الكبير ، حتى تفرقنا الاشياك عن بعضنا البعض في هذه الزاوية الصغيرة وتضيق بنا الدنيا أكثر مما هي ضيقة . الحل هو شرعية الانتقال وابقاء الوضع على ما هو عليه . ليضيف : بأنه من حقنا مقابلة بعضنا البعض ونتمسك بهذا الحق .

ويتخوف روزنفلد من الخطوة ، لانها ستليها خطوة أخرى ، ويعلن عن تخوفه من فتح الاشياك نحو الطرقات الترابية الداخلية . ويقر أخيرا بشرعية التنقل . وما أن عدنا الى المعسكر خمسة وأبلغنا المشتركة بانتزاع هذا الحق ، حتى كان ليلتها أول عابر للطريق الترابية الداخلية من معسكر ١١ باتجاه معسكر ١٤ ليمضي السهرة مع رفاق له ويعود لاحقا ، ونرفض في الوقت ذاته انزال أي عقاب به .

غاب روزنفلد ولم يعد وقبل أن يولي رسميا ، كنا نستمع لاذاعة مونت كارلو كعادتنا نشرة العاشرة والنصف ، لتنقل في نهايتها نبأ عزل روزنفلد من قيادة معسكرات انصار . ولننقل النبأ في التعميم الاخباري في اليوم التالي ، مثلما نشرته جماهير انصار العربية . وليأتي بعد ذلك للمرة الاخيرة مسلما صلاحياته لعطية ، الذي ورث التركة الصهيونية في انصار .

ولى « روزنفلد » وفي ذمة قيادته الواسعة أربعة شهداء ، ثلاثة منهم شهداء معسكر عشرين في مجزرة ٢-٢-١٩٨٢ والرابع هو الشهيد أبو حسين عطية ، الذي أنهكه المرض في انصار وما أن وطئت قدماه منزله بعد أن أعياه المرض

وأفرج عنه ، حتى فارق الحياة ٠ أما الجرحى فهناك عشرة جرحى من معسكر عشرين بينهم ابراهيم حطيط ، الذي ينتظر الموت في مستشفى معسكر ستـــة أو الافراج عنه وهو شبه حي يعاني من شدة وطأة اصاباتـــــه بعد أن أعيد مـــن مستشفيات الداخل ٠

حادث انتحار فريد حامد ووقف التحقيق :

عطية ، قائد المعسكرات الصهيوني الجديد وارث التركة المثقلة بالديون ، ليس عنده ما يتحدث به سوى تعليمات قيادته وثقافته لا تتعدى حكايته مع بدو سيناء ، الحكاية التي يرويها لنا كلما التقى بنا ويسخر منه صلاح ، بقطع أنفاس حديثه ، ليريحنا من روايته بتذكره لبداوة التعامرة ، ويجلده بتركيب « الكاسيت » الدائمة « كاسيت انصار » عن المدنيين واللبنانيين والمرضى وصغار وكبار السن والتحقيق والشمبت والصهيونية ٠٠ والتموين والزيارات العائلية ، الخ ٠٠٠ ومختلف المطالب ، وليجيب عطية :

أنا قلت لكم انني لست بسياسي ، أنا موظف أنفذ تعليمات قيادتي ، كل ما تقولونه صحيح ، انما الحل والربط ليس بيدي وانما بيد قيادتي ٠

من اللحظات الاولى شعرنا بضعفه وعدم قدرته على ضبط الاوضاع ، فأخذنا نكيل له التهديد والوعيد الى أن استجدت حادثة جديدة ٠

الاسير فريد حامد أبو ستة ، من معسكر ١٢ ، يئس من حياته وانتحر بتناول مادة « اللزول » التي كانت تستعمل كمبيد لتطهير الحمامات ، وفارق رفيقنا الحياة بعد أن تم نقله الى المستشفى ، الذي كان يديره الاطباء الصهاينة خلف قيادة المعسكرات ٠

الحادثة حصلت مع بداية تسلم عطية لقيادة معسكرات انصار ، وشعرنا أنه لا بد لنا من توظيفها لخدمة الاسرى ، والتقينا به ، ونقل نبأ وفاة فريد ٠ وسألنا : ماذا ستفعلون ؟ انه يعرف اننا لا نسكت على صغيرة أو كبيرة ، دائما نطلب الثمن ولو كان الثمن دفعة افراجات أو تحقيق مكسب ٠ سكتنا جميعا وقلنا له : لا ندري ! دعنا نرى الشباب ، لجنة المعسكرات الشتوية ، هذه الليلة ونبحث معهم الوضع ٠ لن نفعل شيئا فقط نريد أن نجتمع بلجنة المعسكرات الشتوية ٠ آتنا بهم الى معسكر خمسة لنتحدث بهدوء ، بعيدا عن المعسكرات ، وقبل معرفة الاسرى بحادث الوفاة٠ ويوافق عطية على ذلك ويرسل أحد ضباطه برفقة نبيل لاستدعائها ، ونعود نحن الثلاثة الى معسكر خمسة مباشرة يرافقنا قائد المعسكرات ٠ وعلى البوابة يبدوا أكثر ضعفا ويستغيث ، طالبا التمهل وعدم حصول ردة فعل ٠ ونعده بأننا لن نفعل شيئا بأصوات باد عليها التأثر والحزن٠

يعود نبيل مسرعا وبرفقته لجنة المعسكرات الشتوية بكاملها ، ما عدا الرفيق أبو سلوان الذي كان موعده مع الحظ سابقا بالافراج عنه ، ونؤخر نبأ اعلان استشهاد فريد ليصدر تعميم عن القيادة بالحضور الشخصي للذين يشاركون في اجتماعاتها للمرة الاولى ٠ لكن من أين للنبأ أن يبقى سرا ولو لدقائق ٠ لقد فاحت رائحته من مطبخ المعسكر خمسة بعد لحظات من وصولنا ، وتسرب الى

المعسكرات عبر الاشياك وتلقفته وكالة أنباء الحمامات ، مثلما تلقفت نبأ قدوم « كرادلة » الشتوي وباتت تنظيماتهم مستنفرة بالانتظار .

محيو ، كانت فرصته للقاء رفاقه في الجبهة ، وهذا هو اللقاء الاول بامكانه التحدث الى الجميع في انصار القديمة . أخذ زاوية معسكر سبعة ، وأطل من خلالها على الزوايا الثلاث الباقية بعد أن تجمع فيها رفاقه من مختلف المعسكرات وبات الانتقال من معسكر لاخر ملاصق انتقالا مباحا للجميع .

مثلما كانت الفرصة متاحة ، لمحيو كذلك كانت من نصيب رفاقه الباقين ، أعضاء لجنة المعسكرات الشتوية ، وغطى قدومها على حادث الانتحار ، الذي اضطرت القيادة المشتركة لتعميمه بدون اجتماع وعبر أمين سرها أبو محمود ، واعدة بتحديد موقف بعد اجتماعها التالي .

ومع المغيب كانت الخيمة رقم ستة ، بانتظار حدث تاريخي جديد ، اجتماع القيادة المشتركة حتى مطلع الفجر .

ترأس أبو محمود الجلسة ، بالاضافة للاعضاء المتواجدين في المعسكر خمسة ، صلاح وأبو سليم وأبو هيثم ، وأبو علي مسعود ، عن فتح ، منير وأبو ليلى وأبو فادي عن الديمقراطية ، أبو رمزي ونبيل عن الشعبية ، الجبلي عن الفلسطينية وأبو عدنان عن النضال ، ومحيو عن العربية ، والخطيب عن القيادة العامة وأبو الهيجاء عن الصاعقة ، وسمير عن القوميين بالاضافة لتمثيلي وحضوري .

لم يبق من أعضاء القيادة المشتركة خارج الاجتماع ، سوى أبو الامين عن الاتحاد الاشتراكي في معسكر ثمانية ، و (ع.ف.) عن الحزب الشيوعي في معسكر عشرة . والاتجاه سائر نحو عدم كشفهما واستدعائهما من معسكريهما بناء لرغبتهما الدائمة .

اختير الرفيق الخطيب مقررا للجلسة وافتتحت لتكون جلسة تقييم للمرحلة السابقة واعداد برنامج عمل للمرحلة التالية .

مفاجأة الاجتماع الثانية كانت وقوف صلاح في زاوية الخيمة ، وأخذ الصورة التذكارية ليعود ويجلس وتؤخذ للقيادة صورة جديدة . ها قد بات في انصار « كاميرا » تصوير هرّبت بعد تهريب الراديوات .. والصدور الكبيرة اتسعت مرة أخرى سعة القلوب والعقول المتعاطفة .

المقرر نظم محضر جلسة دون فيها أقوال الجميع وملاحظاتهم على التجربة واقتراحاتهم بشأن المرحلة القادمة ، وللمرة الاولى يدون محضر خطي .

تحدث الجميع ، وجرى تبادل مختلف وجهات النظر ، من المبادىء الانصارية العامة الى وسائل التحرك ومن برامج الاحتجاج الى الاحتفال بالمناسبات الوطنية ومن الاغنية والمشاعل والنار والصمت الى فتح الاشياك وحرق الخيم ومن النقل والانفلات والتموين الى المرضى .. والمدنيين واللبنانيين ومن لجنة الاسرى ولجان المعسكرات الى تركيبة القيادة المشتركة وفاعليتها بما في ذلك مشروع حلها واستبدالها بلجنة الاسرى بعد

توسيعها . وتوقف أعضاء القيادة المشتركة أمام مسألة الاعلام وتعدد المجـــلات والنشرات التنظيمية ، كما جرى التوقف أمام خدمات الصليب الاحمر الدولي.
واستعرض أعضاء اللجنة والقيادة المشتركةالمنجزاتالمحققة لمكاسب المنتزعـة وتوقف الجميع أمام مسألة التحقيق وضرورة وقفه ، مثلما توقفوا أمام مشـكلة ما تبقى من المرضى والطاقم الطبي واللبنانيين وضرورة التحرك للافراج عنهم وعن المدنيين .
الجلسة استمرت حتى مطلع الفجر واتخذت بنهايتها المقررات التالية :

١ ـ في المجال التنظيمي :

الابقاء على القيادة المشتركة بصيغتها الراهنة وعلى لجنة الاربعـــة بدون توسيعها ولجنة الشتوي لتأدية مهامها الموكولة اليها وتعزيز أوضاع ودور لجـان المعسكرات بمفهوم أكثر جبهوية وتلافي الثغرات الفئوية التي تكون دوافعهـا مكاسب تنظيمية .

٢ ـ تفويض لجنة الاربعة اتخاذ المبادرات والقرارات المناسبة التي يقتضيها الظرف الآني وفق معطيات المناسبة الطارئة والمستجدة على أن تعود للقيـادة المشتركة لاحقـــا لمناقشة التدبير أو التصرف الذي ارتأتـــه وعلى أن يكون هذا التفويض شاملا للقرارات المهمة والمصيرية بما في ذلك حرق انصار .

٣ ـ في المجال الاعلامي :

الابقاء على المجلات والنشرات التنظيمية الداخلية لكل طرف على أن يكون فى اخراجها الالتزام الذاتي بالحرص على وحدة انصار وعدم نشر أو كتابة مـا سيء الى هذه الوحدة وعلى أن يصار لاعادة اصدار مجلة رمزية جديدة .

٤ ـ في المطالب :

تكليف لجنة الاسرى العمل على وقف التحقيق وقفا نهائيا ومواصلة سياستها بتحسين المطالب الحياتية وتحقيق مزيد من المكاسب ومواصلة العمل للافراج عن بقية المرضى وكبار وصغار السن والمدنيين واللبنانيين .

٥ ـ في حادث الانتحار :

تحميل الصهاينة مسؤولية الحادث واعطاء اللجنة هامشا عريضا للمنـاورة بالتهديد والوعيد لتوظيف الحادث في السياسة العامة الانصاريـــة وتحقيـــق افراجات جديدة والاحتفال بالمناسبة في المعسكرات .

٦ ـ توجيه التحية للمجلس الوطني الفلسطيني الذي سينعقـــد في الجزائر ومناشدته العمل على حل مشكلة انصار واستغلالها بوجه الصهاينة عالميا .

في صبيحة اليوم التالي ، كانت المحـــاضر والصور والارشيف المجمـــع في المعسكر خمسة بما في ذلك لوائح وكشوفات انصـــار ومجموعة الملصقـــات والبوسترات والمجلات والنشرات والتعاميم تأخذ طريقها الى الجزائر ، عبر قناة خاصة مثلما كان « كرادلة » الشتوي في طريقهم الى معسكراتهم .
عطية يراقب ويتطلع متوقعا ردة الفعل الفورية كما اعتدنا كعرب ، يتوقـع

أن تتحرك الاغنية مثلما تلتهب المشاعل أو البطانيات على الاشياك ٠ وقد اعتاد المشهد من هذا النوع لاي سبب مهم أو تافه خاصة بعد تصرفات معسكري ٧و١١ المتكـــررة ٠

كان عطية ينتظر على أعصاب محروقة ولم يحصل شيء في انصار ، ويصاب بالدهشة بعد أن عادت لجنة الشتوي وبانت المعسكرات بأنها تعيش حياة عادية باستثناء رفع الاعلام السوداء ٠ ويمر اليوم التالي لاجتماع القيادة المشتركـــة وهو يراقب ويسألنا مساء : ماذا ستفعلون ؟ لنقول له : لا شيء ، لا شيء أبدا ! نحن قوم نعاني من الغلبة ، نعاني من اليأس !٠٠ حصلت حادثة فريد وستليها حوادث بالعشرات لا بل بالمئات ٠ كثيرون أصيبوا باليأس كيــف نمنع حوادث الانتحار ؟ كيف نوقفها ؟

ويقترح عطية ببلاهة ، عدم اعطاء الليزول للمعسكرات ، برأيـــه هذا هو الحل ، ونجد أنفسنا مدفوعين للحديث عن وسائل أخرى ، مثل الانتحار على الطريقة البوذية وماذا ينفع عندها قطع الليزول ؟ ونستطرد في الحديث لنبدي تخوفنا على جنودهم من عمليات قد يقوم بها من يصابون بحالة الجنون أو مـــا يشبه ذلك ونحس أن الضرورة تقضي باطلاق سراح بقية المرضى ومن تبقى من كبار وصغار السن فورا ، وحتى عملية من هذا النوع لن تجدي ، فماذا نفعــل بالمدنيين واللبنانيين ، الذين ليس بمقدورهم التصور انهم سجناء على أرضهم لنصل الى نهاية القول بأن انصار تتهددها الكارثة من الداخل وعلينا أن نمنــع وقوعها ونحن نعمل لذلك بقدر ما نستطيع حرصا منا على سلامة حياة رفاقنا وليس لدينا برنامج احتجاج ٠

ونترك عطية مضطربا ومربكا ومستغيثا لدى مفارقته ، لنلتقي بعدهـــا بالصليب الاحمر الدولي ، « كلير » أتت بعد فيليب ، حسها لا يتعدى التبرج والتزين اليومي كأنها على موعد مع حلبة رقص أو حفلة كوكتيل بعكس الاخير ، الذي كان يطفح احساسا بالمسؤولية فهما وعملا ٠

ونلتقي « كلير » في معسكر ستة ٠ نتحدث عن انصار الكارثة والمصيبة انصار التي ستحترق بين لحظة وأخرى ، وستخرق الاشياك نحو الخارج بفعـــل الهستيريا الجماعية التي تضرب كل مـــن في مدينة الشرطان ، ومثلما ستكون انصار على موعد مع النار واختراق الاشياك سيكون الصهاينة على موعد مع صبرا وشاتيلا جديدة ٠ والصليب الاحمر والمؤسسات الدولية على موعد أيضا مع الفضيحة التاريخية ، فضيحة عدم تحمل المسؤولية ٠

وترتعب كلير من الحدث الذي نصوره لها وتزداد ، رعبا عندما تلمس أية حركة يبدو فيها جانب الغرابة في التصرف ٠ وها هوذا أسير ٠ اجتاز أمام عينيها شيك معسكر ١١ ، عاري الجسد ، وخرج يتمشى على الطريق الترابية لتلحق به الملالة محاولة اعادته الى معسكره ٠

وعطية بدوره يزداد رعبا لدى مقابلته كلير ، وتنقل له حديثنا ليهرع الـــى

المعسكر خمسة محاولا استشفاف ردة فعلنا ، لنعيد له نفس الحديث بأننا لن نعمل شيئا ! وليس في نيتنا القيام بأي عمل ضدهم !.

المعسكرات تعيش وتيرة الحياة العادية ، يتخللها احياء ذكرى فريد بجلسات تعزية مقتصرة على قراءة القرآن . وتثار التساؤلات حول ردة الفعل على الحادث والموقف منه ، وسط شعور عام أن الوسائل التقليدية للاحتجاج قد استنفدت وباتت بمثابة معاد ومكرر .

مذكرة قدمت للصليب الاحمر قاسية اللهجة تحمله في الوقت ذاته مسؤولية ما سيحدث في انصار ، مع الاتهام للصهاينة بقتل فريد . ومع المذكرة طغى على السطح حفلة نفذها الفتيان في المعسكرات تحت اسم « طابور ازعاج » كوسيلة جديدة من الوسائل .

في كل معسكر اصطف مجموعة من الشبان على « وجاق الماء » بيد كل واحد منهم وتد من أوتدة الخيم ، وبدأ قرع الاوتاد على « الوجاق » بالتناوب بين معسكر واخر . مثلما أخذ اخرون بالصفير بواسطة الشفاه أو بصفارات تم صنعها ، والصفير عند الصهاينة له معنى مؤداه أنه غير مرغوب فيهم !

انتابت انصار حمى من نوع جديد ، حمى الازعاج والطرق على الوجاقات والصفير وتواصلت الحفلة المسائية لساعات وحتى المغيب والصهاينة على السواتر وفوق سطح البناية يراقبون « الهستيريا الجماعية » التي هي مقدمة « لماسادا » انصار كما سماها صلاح ، أو يوم انصار الذي سيدخلها التاريخ . وقد بات في ذهنهم أن الامور سائرة في اتجاهها الجاد .

أفضل تعبير عن احتقان أجواء الصهاينة وتخوفهم ، اقدامهم على فتح باب الافراجات مجددا بدفعة كبيرة بالمئات من بقية المرضى وكبار وصغار السن والطاقم الطبي تلت ذلك دفعات من المدنيين ، وحديث « كلير » لنا عن الخط الهاتفي الذي بقي مفتوحا طوال أيام ثلاثة بين جنيف وصور وانصار وجنيف تل أبيب وتل ابيب انصار ، لمعرفة اخر أخبار المدينة وتطوراتها المستجدة . كما كان للصهاينة تدبير من نوع اخر ، تدعيم قواتهم المحيطة بنا بلواء « جولاني »

أخبار الخارج نتابعها عبر أجهزة الراديو ، التي باتت متوافرة في المعسكرات والنشرات الاخبارية فقدت قيمتها سيما نشرة المعسكر خمسة والتي بات اصدارها بحكم التقليد ، وباتت الراديوات بمتناول اليد في المعسكرات التالية :

الشتوي : ٣٠ ، ٢٩ ، ٢٨ ، ٢٧

الصيفي : ٨ ، ١٠ ، ١٥ ، ١٦ ، ١١ ، ٦ مضاف لذلك راديو في خيمة المستشفى واخر في خيمة اللجنة ومخترة المعسكر خمسة والراديو الاول الذي دخل انصار . وقد لعب « كابتن الحمامات » دورا في التسريب اذ أخذ الشباب يبتاعون منه خلسة أجهزة كلما توفر لديهم المال بسعر يتراوح بينماية وخمسين ومايتين وخمسين ليرة لبنانية للجهاز الواحد .

و « جماهير انصار العربية » ، بعد افتتاحيتها الشهيرة تحت عنوان : « في

فمنا ماء » ناقدة « للتشبيح » السياسي الحاصل أحيانا وسكوتنا عنه لأولوية التناقض خرجت بموضوع اخر تحت عنوان «حدث في انصار» من وحي برنامج « حدث غدا » الذي تبثه اذاعة مونتي كارلو ، ونقلا عن حلقة كانت مخصصة للقضية اللبنانية وليحمل عدد اخر مطالعة بشأن الفلسطينيين اللبنانيين وحقوقهم القانونية ، وعدد خاص بذكرى استشهاد المناضل معروف سعد ، وافتتاحية بعنوان من قمة انصار الى خيمة نيودلهي ، بمناسبة انعقاد مؤتمر عدم الانحياز ولتتوقف بعدها عن الصدور كنشرة يومية تستبدل بمجلة أسبوعية ابرز موضوعاتها عدد خاص عن الرفيق حاتم مقلد ، مفسحة المجال للاعلام الموحد من جديد وموعدنا مع المجلة المركزية « انصار الثورة » التي كتبت افتتاحيتها وتوزعت أبوابها بين أطراف القيادة المشتركة .

في مجال اخر ، وقد بات بحكم التقليد ، ومنذ مدة طويلة ، تعليق يافطات من نوع جديد الى بوابات المعسكرات . كلما ذهب أسير للتحقيق تبادر لجنة المعسكر الى الكتابة على لوح من كراتين الخبز : صاحب هذا الرقم (...) ذهب بتاريخ (...) الى التحقيق ولم يعد ، حصته الغذائية بانتظاره هنا ، مثلما أطفاله الذين عددهم (...) بالانتظار أيضا في المنزل .

نعلق اليافطة على الشيك وبمواجهة الطريق الترابية كما توضع حصته التموينية وتتراكم من وجبة لأخرى على طاولة خشبية أنتجتها فبارك للنجارة من خشب الحمامات .

ومع ذهاب أبي سليم للتحقيق، زينت طاولته بصورة أطفاله وعممت التجربة ونال الاخ سامح نصيبه منها باستدعائه يوم ٩-٢-١٩٨٣ والذي طال أمده لمدة واحد وعشرين يوما .

الخيم بدورها باتت مطرزة بشعارات ضد التحقيق . كل خيم انصار حملت عبارة:«وقف التحقيق»(١) بخط كبير وعلى طول الخيمة وفي عدة جوانب مواجهة منها وبالكلس الابيض ، مثلما حملت العبارة الواح كرتونية علقت على أشياك المعسكرات .

قبل استدعاء مجموعة أبي سليم للتحقيق عممت القيادة المشتركة على الاسري رفض الذهاب الى التحقيق ، وعند خروج المطلوب من البوابة ابلاغ المعسكر خمسة . ومع استدعاء المذكور ومجموعته باسم لجنة الاعتراض أعادت القيادة المشتركة لتعميمها ، ونبهت الى اساءة استغلال العدو لمسألة الاعتراض واعتبارها وسيلة تحقيق جديدة .

ونتيجة عدم حسم مسألة الذهاب للاعتراض لوجود من يرون مصلحة بذهابهم لعلها تشكل لهم مدخلا لاطلاق سراحهم ، عادت القيادة المشتركة وعممت من

وقف التحقيق : STOP INTERROGATION

جديد ، ان من يذهب الى الاعتراض برضاه يتحمل مسؤولية خيـــاره اذا أدى ذلك لسوقة للتحقيق المجدد لان من يرفض التحقيق نؤمن لـــه الحماية مـــن معسكره ، ومن انصار بكاملها .

مع بدايات اذار يقف أحد ضباط العدو على باب معسكر خمســـــة مستدعيا مجموعة من الارقام بحجة الافراج عنهم ، في مقدمتهم عضو القيادة المشتركـــة أبو رمزي . تقدم الدكتور نبيل من الضابط واستفسر منه : الى أين ؟ فأعاد له التأكيـــد !..

توقفنا أمام الحادثة الجديدة واستبعدنا من معرفتنا بأصحاب الارقام المطلوبة امكانية الافراج عنهم لألف سبب وسبب ، ورأينا الذريعة الواهية مدخلا جديـدا لسوقهم للتحقيق بهذه الحجة . فورا أبلغنا المعسكرات بالحادثة وطلبنا التنبـه للاكذوبة الجديدة وحملنا أي شخص تنطلي عليه ، تحمل مسؤوليـــــة خداعـه وأبلغنا أصحاب الارقام المعنية ، بعد أن استحصل نبيل عليها مـــن الضابط . مثلما أبلغنا الضابط عدم استدعاء أحد وارسال قائد المعسكرات للتباحث معه .

حضر عطية على عجلة من أمره ، وانفجرنا بوجهه عـــلى بوابة المعســـكر خمسة منددين بالمكر والخداع الصهيوني ، ومعربين عن فهمنا لســـوء نواياهم وأكاذيبهم ، التي لا يمكن أن تنطلي علينا وأبلغناه رفضنا للتحقيق مع أي كان واحتجاجنا على أسلوب وطريقة الاستدعاء ، تارة باسم الاعتراض وطورا باسم الافراج ، مثلما حملناهم مسؤولية ســـوء تصرفاتهـــم التي تدفعنا لمشـــاكل دائمة معهم .

ذهب عطية دون أن يتمكن من الدفاع عن الخديعـــة الجديـــدة ، متذرعـا بتعليمات قيادته واصرارها على التحقيق ، ومفاجآته بالقرار ، الذي نقلته فرقة من الشمبت قدمت خصيصا من فلسطين المحتلة لهـــذه الغاية مع باص لنقـــل المطلوبـــين .

ذهب وبحوزته قرارنا برفض التحقيق وعودة فرقة الشمبت الى حيث أتت ، خاوية اليدين ، وبدأنا نأخذ استعداداتنا لمواجهة قادمة ..

الافراجات من انصار تواصلت وتابعت مسيرتها ، لكن ليس بالحجم المطلوب وأنباء انعقاد المجلس الوطني الفلسطيني نتابعها بشغف ، نرتاح لـــكل شاردة وواردة ، ونعلق الامال الكبار عليها ، على أمل أن تتم صفقة التبادل ، خاصــة بعد حضور أحمد جبريل المؤتمر .

عطية واصل اتصالاته ، مؤكدا رغبة قيادته في تنفيذ قرارها ، بشأن التحقيق مثلما واصلنا اتصالاتنا بالصليب الاحمر الدولي لاستطلاع مـــدى ردة الفعـــل الصهيونية وحجم اصرارها على تنفيذ القرار .

وندعى يوما لحضور اجتماع كالعادة والجلسة مخصصـــة لكل المواضيـــع الانصارية ، وعلى رأسها مشكلة التحقيق ، يتنصل عطية كعادته من المسؤولية ، ويلقى بها على عاتق قيادته ليدخل بعد ربع ساعة من بـــدء الجلســـة صهيوني

مربوع القامة ، متوسط السن برتبة جنرال ، ومعه أربعة مرافقين ، أسلحتهم بأيديهم .

دخل الصهيوني بدون تحية وأحاط الجنود بنا من الخلف ، نظرنا الى بعضنا نظرة سريعة تبادلنا فيها البسمات المعبرة عن استعدادنا لمختلف الاحتمالات المرة والصعبة ، وظل واقفا ينظر الى الاربعة نظرة اختبار ، ملؤها التحدي ، وساد الصمت لأكثر من لحظات . جلس بعدها وطلب منا أن نجلس .

بدأ عطية الحديث قائلا : هذا « جنرالي » قد أتى ، بامكانكم التحدث اليه ، المشكلة عالقة معه . لنجيبه نحن نعرف دائما أن مشكلتنا مع قيادتك ، التي هي أكبر من جنرالك .

بدأ الجنرال بقوله :

ـ كيف الطقس اليوم في انصار ؟

ـ الطقس مثلج كما ترى !..

ـ لا أقصد المناخ ..

ـ لكن ماذا تقصد ؟

ـ الطقس السياسي ؟ حديث انصار ، أوضاعها ومشاكلها ..

ـ وأية مشكلة تريد ، انصار أكثر من ملف ، ملفات ، لا بل مجلدات ، أي ملف موضوع الان للنقاش ، وبما نتحدث ؟ انصار المرضى والاوضاع الصحية ، والطاقم الطبي ، انصار المدنيين واللبنانيين المسجونين على أرضهم ، انصار التموين والقضايا الخياتية .. انصار التحقيق ، حدد الموضوع الذي قدمت لأجله لنفتح ملفه .

ـ انصار التحقيق .

ـ أي تحقيق ؟ نحن قررنا وقف التحقيق

ـ وقف التحقيق تقرره الاركان ! فمن أنتم ؟..

ـ نحن قيادة الاسرى في انصار . نتحمل مسؤولية قرارنا ولن نسمح باستئنافه

ـ دعونا نتحدث بقضية التحقيق .

ونتحدث في انصار التحقيق دون أن يغيب عن بالنا النظرة للموضوع بأفقه الشمولي وتداخله مع المواضيع والملفات الاخرى ، ونتناول الجانب القانوني والسياسي والنفسي منه ، واعتمادهم على وسائل غير مشروعة في الاستدعاء للتحقيق وأخذ البعض منا بالخديعة تارة باسم اعتراض وطورا باسم الافراج ، مثل اتباعهم لأساليب غير مشروعة أثناء التحقيق بالاضافة للطقس المخابراتي ، ابقاء المحقق معه أياما بالعصبة والكيس والكلبشة عدا عن معاملة « الكباتنة » له أثناء نقله واعادته للارض المحتلة واتباع وسائل الترغيب والترهيب عليه ليبقى مستفزا ومستنفرا ، عصبيا ونفسيا ، طوال فترة التحقيق هذا اذا لم تتبع معه وسائل غير مشروعة كالتعذيب على الكهرباء والتنويم المغناطيسي ومختلف الاساليب المحظر استعمالها دوليا بدون حسيب أو رقيب ، لنضيف أنه توفرت

لدينا القناعة بأن المسألة باتت بدافع التأثير النفسي علينا واستغلال ظروفنـــــا الصعبة ، أكثر مما هي بدافع جمع المعلومات ، سيما وأن المعلومـــات المطلوب جمعها باتت بدون جدوى بعد خروج المقاومة من بيروت بحكم كونها معلومـات قديمة ، ومع عدم تهمنا لابقاء التحقيق سيفا مسلطا فوق رؤوسنا بعد ثمانيـــة أشهر من الاعتقال ٠ مما استدعى قرارنا بوقف التحقيق ، واذا كنتـــم جادون باستئنافه ، نقول لكم : مفاتيح المعسكرات بأيديكم جربوا استدعـــاء أي كان للتحقيق لنرى اذ كان بامكانكم أم لا ، ونحن نقول ليـــس بمقدوركم لاننا لن نسمح باستئناف لتحقيق الا على جثثنا ، على أنقاض صبرا وشاتيلا الجديدة ٠

تختتم الجلسة والجنرال يستمع الى حديثنا ليقول في النهاية بعد أن تراخت حالة استنفاره الذهني ٠ جيد انني أتيت واستمعت اليكم ٠ سنرى لاحقـــا !٠٠ ويتركنا ، لنأخذ طريقنا الى معسكر خمسة ٠ نأخذها على عجـــل من أمرنـــا لتحريك انصار وجعلها تنشد وتحتج قبل تركه لها ٠ والامر لا يستدعي أكثر من اشارة بدرت منا لدى اقترابنا من بوابة المعسكرات ، حتى اذا اجتزنـــا باب معسكرنا كانت مدينة الشرطان بجناحيها ملتهبة بالاناشيد والهتافات الوطنيـة المتراوحة بين وقف التحقيق وانصار « أوشفتز » والصهيونية النازية !٠٠

حقيقة في هذه الفترة افتقدنا لفيليب الديناميكي نقيض « كلير » المتبرجـــة والتي لا تهمها الا زينتها ، افتقدنا لفيليب الذي كان بمقدوره أن ينقل الينـــا صورة حية عن أجواء الصهاينة ولم يعد أمامنـــا ســـوى دفع رئيسة البعثـــة وتحريضها للعب دور من هذا النوع ، ولتعود بعد جلسات عدة بوجهة نظر فيها تسوية للمشكلة العالقة ، خلاصتها أن تكون الدفعة المطلوبة للتحقيق هي الاخيرة وبضمانة ، الصليب الاحمر ، ليس فقط بوقف التحقيق ، وانما بعدم ممارســـة الارهاب على المجموعة المطلوبة وعودتها خلال أسبوع ٠

وتجتمع القيادة المشتركة لدراسة الاقتراح ، التسوية للقضية ، وتقره بعـــد أن أصر صلاح وصمم على مرافقة المجموعة بصفته المعنوية المتمثلة بكونه رئيسا للجنة الاسرى وبعد أن بات معروفا لدى الصهاينة أن اللجنة جزء مـــن الطاقم الفني في الوفد المفاوض من أجل عملية تبادل الاسرى ٠

وتذهب المجموعة الاخيرة المطلوبة للتحقيق ، ويرافقها صلاح ، ليمضي فترة في زنزانة اختيارية لمدة أسبوع في الجلمي ، وفي ذهني صورة أحدهم ومخاوفه التي عبر عنها لدى استدعائه بقوله : أبو وضاح « دخيلكم » لن أذهب للتحقيق مجددا وأعلق بين أيدي هؤلاء الارهابيين ٠ ٠ ان زجاجات الكولا ما زالت اثارها في مؤخرتي ٠٠ أفضل الموت قبل الذهاب ٠

وتعود المجموعة لاحقا لتستقبل في انصار بالاناشيد والهتافات مثلما «ركب» صلاح « وجاق » معسكر ستة للحديث الى المعسكرات مشيدا بانصار وانجازاتها٠

المعسكرات تعيش على سجيتها ، التي حددتها لها الاشياك ٠ سجية من نـــوع خاص ٠ « كلير » ومؤسستها الدولية تتفقدنا مرة أخرى وتشملنا برعايتهـــا ولا يجوز أن يكون عهد فيليب أكثر جودا وكرما من عهدها بهديـــة « الحفايات » ،

وها هي تغمرنا بالمربى حتى أطلق عليها اسم « مسز جم » وبات حديثنا معها في العمق وبعيدا عن « الجم والحفايات » يأخذ اتجاهاته نحو الزيارات العائلية والحقوق القانونية المنصوص عنها في شرعة جنيف ، بـاب الاسرى ، والخطوط الحمر التي حددناها بالدم والعذاب والتي لا نسمـح باجتيازهـا بالعودة الى استئناف التحقيق ووضع اليد عـلى الرأس والعقـاب الفـردي والجماعي ومختلف أنواع المذلات والاهانات ومس المكاسب المحققة ، ولتبـدأ بعدها الوفود الزائرة والمتفقدة والمستطلعة آخذة طريقها الى انصـار مـن « ايريا الياف » الى رئيس بعثة الصليب الاحمر في تل أبيب فلجنة الشـؤون الخارجية في الكنيست الصهيوني مثلما تدرج « باك » ضابط الشمبت آخـذا طريقه الى انصار .

ومع كل وفد حفلة أناشيد وهتافات وجلد للصهيونية بملف انصـار وقضاياها .

الجنرال «طبيخ» (١) القادم كان همه عيد «المصة»(١) الذي يستغرق أسبوعا ومشكلة الخبز ، لان اليهود لا يأكلون الا ما هو محضر بدون خميرة وعلى طريقة أصحاب العهد القديم زمن موسى وانتشار جماعاته في سيناء . والخبز بالنسبة لنا يشكل أكثر من المادة الاساسية في الوجبة الغذائية ، ونجد أنفسنا مدفوعين للمطالبة بتنويع التموين وادخال مواد جديدة عليه من اللحوم الى النباتات مرورا بالزيتون ، ودون أن يسهى عن البـال ممارسة سياسة « الجلد » السياسي بحق الصهيونية كعناوين انصارية وغير انصارية ولنلبس كل قادم الثوب المناسب لمقاسه . زائر اخر هو الجنرال مسؤول القوى البشرية وهاجسه كان مقابلة أي كان حتى ، ولو من الصحافة العالمية ، للاسيرين اللذين هما بحوزة القيادة العامة ، وتخوفه عليهما ، ويظهر بأن أم «نسيم» والدة أحدهما قد أقضّت مضاجع الكيان الصهيوني بقضية ولدها . ويعد بتخفيف انصار واطلاق سراح العدد الاكبر منها ، اذا لم يكن اطلاق سراح الجميع في حال تيسر الاطمئنان لهم على حياة الاسيرين . والجنرال له حظه الوافي والكافي من حفـلات « الجلد » السياسي التي يتقنها صلاح . لنعود ونتساءل : أوليس لنا أمهات وزوجات وأهل؟! أوليست هذه القوى البشرية التي نحن جزء منها وتنظيماتنا السياسية خائفة علينا ؟! . . أولسنا نمثل شيئا بالافنا المؤلفة كافراد أو كوادر وجماعات ، لملايين أمتنا العربية ، وعلى الاقل ، بمستوى « نسيم بن أم نسيم » .

كنا نقول ذلك ونتساءل مع كبير اعتذارنا من سفيرتنا في الخارج دينـا عبدالحميد التي باتت هائمة على وجهها من عاصمة عربية الى عاصمـة

الجنرال طبيخ : مسؤول الاغذية في جيش العدو

عيد المصه : اعتقد بانه عيد « المسه » كما يفهم من التوراة سفر الخروج وللمزيد مـن المعلومات مراجعة الاصحاح الثاني عشر والسابع عشر من السفر المذكور

أوروبية ، حاملة على ظهرها خشبة انصار وملفاتها وقضاياها ، ولتتحدث في رسالة أخيرة لها عبر القناة الخاصة عن حضور مدينة الشرطان في اجتماعات المجلس الوطني الفلسطيني والتقييم الايجابي للتجربة والتوجهات المأخوذة لحمل ملف انصار وطرحه عالميا ، بالاضافة لمتابعة المباحثات الجارية عبر النمسا ورئيسها « كرايسكي » لاتمام صفقة التبادل . مثلما حملت الاذاعات اخبار انصار في دورة المجلس وتحيات قادة الثورة الفلسطينية وعلى رأسهم ياسر عرفات لمدينتنا ولقائدها صلاح ... ولنعود ونرسل عبر ذات القناة رسائل الى مسؤولي الثورة الفلسطينية ، بينها رسالة للدكتور عبد المجيد الرافعي موجهة مني ، أتحدث فيها عن انصار التجربة والبطولة والقضية ، بما في ذلك قضية المفرج عنهم والذين لم يجدوا لهم مأوى في هذه الدنيا سوى انصار ولاهيب به بقدر ما تسمح الظروف اللبنانية والقومية وحدود دورنا العمل لاجل انصار البطولة خوفا عليها من الانهيار والتحول الى كارثة مع اصرارنا على حماية التجربة بلحمنا وأعصابنا ودمنا .

أما حديث صلاح مع « ايريالياف » فهو ذو طابع مميز ، فالاخير مندوب « حركة السلام الان » في الكيان الصهيوني ، الحركة التي لها موقف معروف ومحدد من غزو لبنان ومعتقلات انصار ، يصل الى حدود الادانة الكليـــة لكيانهم . والوافد الزائر نراهن أن يكون أكثر تفهما بطبيعة الحال من أي صهيوني آخر والنظرة التي يكونها عن انصار ، مدعومة بالارقام والوثائق والحقائق ستأخذ طريقها الى الصحافة العالمية .

قلت ان كل وافد له ثوب قدر مقاسه ، ومقاس لجنة الشؤون الخارجية هو الحديث عن « أوشفتز » وتشبيه انصار بها ، مثل تشبيه الصهيونية بالنازية وملفات انصار بدورها لها حضورها بما في ذلك معسكر ٣٢ ، معسكر اعتقال النساء الملف الجديد وتتوقف نائبة صهيونية عند حكاية « أوشفتز » ويضيق صدرها بالحديث وتنفجر بوجه صلاح ، بعد ان تشنجت أوردة رقبتهـــا وانتصبت ، فتقاطعه قائلة : أنت تتجنى علينا كثيرا ، أمي كانت في «أوشفتز» وتحدثت لي عنهـــا ليست كأنصار ، ان انصار معسكرات احتجـــاز . « كونسترايشن كمب » أنا لم أعد قادرة على تحمل هذا الكلام ... ويرد عليها صلاح . هذه رواية مسنودة لامك وانصار ليس بينها وبين « أوشفتز » من فارق سوى غيبة أفران النازية ، وأنتم لكم أفران من نوع خاص ، جديدة ومتطورة ، أفران نفسية أمر وأدهى مـــن أفران النازية ، انها أساليب مخابراتكم واستغلال مختلف الظروف النفسية المعروفة ... و « كلير » بعد هدية الـ « الجم » أخذت تنقل الهدايا العائلية الى الاسرى وبات كل أسير يتباهى بسيكارته « المفلترة » من المالبورو الى الكانت مثلما كنت على موعد مع « الجيتان » دخاني المحبب والمفضل .

معسكر خمسة والقيادة المشتركة لهم هموم من نوع خاص ، هموم لوائح

المفقودين وسيل الزوار الوافدين والمحصلة السياسية ، ومع كل زائر يجري التقييم والدرس والتمحيص لقول هذا أو ذاك والنتائج العملية المرجوة من هذه الزيارات ومردودها السياسي والافراجي · ومن بين الزائرين مندوب الصليب الاحمر الدولي في تل أبيب الذي استقبل بحفلة أناشيد وهتافات وطنية ، وفتح معـــه ملف انصار في جلسة عمـــل في معسكر ستة مقر صلاح الجديد ·

الاسرى كلهم تتوزعهم الهموم كل معسكر على طريقته ، بعد مقـــــال « الواشنطن بوست » عن عملية التبادل التي قطعت أشواطا متقدمة وصلت على ذمة الصحيفة الى حدود تجهيز طائرات النقل ، سادت الفرحة بين الجميع ، وبمجرد وصول الصحيفة الى أول معسكر ، تحركت حكايا الشرطـــان والحمامات وكثرت الاجتهادات والتصورات · القيادة المشتركة لم تبخل بدورها بالتعميم عن كل حادثة تحصل أو لقاء يتم ·

يستحضرني في هذا السياق حادثة طريفة أتوقف عندها حصلت مع رفيقنا علي في معسكر ١١ · كتب لي المذكور يوما رسالة يقول فيها · بلغنا نبـــــأ اجتماعكم مع قائد المعسكرات ولم نعرف شيئا عن نتائج الاجتماع المذكور ، سيما وانه جرى مناقشة مشكلة اللبنانيين وجرى الاتفاق على فرزهم نأمل أن تزودنا بنتيجة ما توصلتم اليه ·

وصلت ليدي الرسالة في الوقت الذي كان فيه قائد المعسكرات غائبا خارج انصار ولم نجتمع به أو بسواه منذ مضي ثلاثة أيام ، كما لا يوجد على جدول الاعمال موعد اجتماع محدد ·

تناولت توا قلما وورقة وأخذت أكتب للرفيق ، مستهلا رسالتي بمقدمة مطولة ومشوقة ، لأعرب بالنهاية عن استغرابي واستهجاني للخبر الذي نقله ومصدره فقط أوهام حكايا حمامات انصار ولأشتكي في النهاية مـــن تلفيق الحكايـــات والروايات واتقان صنعها في وقت تكون فيه غير مطروحة للنقاش ، وأهيب بـــه عدم تصديق أي خبر مصدره وكالة « أنباء الحمامات » والاشياك ما دمت أبلغه بكل شاردة وواردة تحصل · وقبل أن أختتم رسالتي كان موعدنا مع الاجتماع الفوري ، فأبلغته دعوتنا للاجتماع ، دون أن يعني ذلك صحة ما ورد في رسالته أو تشكيله مادة للنقاش على جدول الاعمال ·

وكان يومها لقاؤنا مع الجنرال « طبيخ » وعيد « المصة » لدى الصهاينـــة · وفور عودتي كتبت للرفيق المعنيْ توا أخبره نتيجة الاجتماع ، برسالة تتضمن مقدمة شيقة تفتح الشهية ولأختتمها بأن الجنرال القادم هو جنرال « طبيـــخ » باعتباره مسؤولا عن التموين وان أهم قرار اتخذ هو تخزين الخبز بمناسبة عيد « المصة » وان مطالبتنا بتنويع التموين وصلت الى حدود ذكر « الكوسا » كمادة غذائيـــة ·

وقبل أن أكمل الرسالة أرسلت له ، لينتظر على الشيك ، ولتصل اليه أخيرا ،

فيتلقفها بشوق لمعرفة اخر التطورات المستجدة ، خاصة بعد أن تسربت رائحة لقاء الجنرال من مطبخ معسكر خمسة وفاحت باتجاه المعسكرات ، امسك صاحبنا الرسالة ومع تشوقه ، مقدمة تفتح الشهية ليصدم بنهاياتها في حديثي عن الطبيخ والمصة والكوسا . يلملمها ويطويها في جيبه ويقفز الى معسكر ١٣ للشكوى لحسين شعيب من هذه المعاملة غير اللائقة ويكتب لي حسين وأخبره بأنني قصدتها ، لانه لم يقبل نصيحتي بالامتناع عن تصديق حكايا حمامات انصار وأوهامها ، مثلما استغربت فهمه للرسالة ما دمت أنقل له الحقيقة لكن بشكل ساخر واصفا الجنرال بالوصف المناسب ، ذاك الذي قدم الينا بمناسبة عيد المصة .

وتتفاوت درجة الهموم والاهتمامات ، فمع اتساع دائرة المحرمات التي حددتها قيادة انصار وعبرت عنها بالخطوط الحمراء الغير مسموح تجاوزها من قبل الصهاينة بضم مسألة التحقيق الى الدائرة ، باتت سلطة الصهاينة مقتصرة على العد الصباحي بالدخول التقليدي الى المعسكر للحظات ، وباتت مدينتنا تعيش على طريقتها الخاصة التي حددتها لنفسها .

المشاكل بوجه الصهاينة تتفجر لأي سبب كان ، حتى ولو كان تافها ، ورفض استلام التموين أوشك أن يصبح عرفا سائدا أو متبعا وامتدت الامور الى الوسائل . طابور الازعاج يتحرك ، كلما انقطعت المياه أو تأخرت سيارة نجمة داود لنقل مريض ، أما معسكرا ٧ و ١١ فقد فتحا على حسابهما .

المعسكر الاول ، معسكرالعائلات ، بسبب التموين ، ألهب نيران الحرامات على الشيك أخيرا ، وتجاوب معه الشتوي ، مما استدعى لاحقا ، أن نبلغ الجناح الشمالي بالتحرك فقط اذا شوهدت النيران من معسكر خمسة . ومعسكر سبعة جدا في مرة أخرى حذوه ، ولدرجة أن مصطفى فياض ، كاد مرة أن يلهب الصيفي ، وقفنا في الخمسة ننظر للمشعل الذي أضرم في انصار الجديدة ، وتريثنا لاستماع الاناشيد وعودة نبيل حتى اطفىء سريعا . وعندما عاد نبيل أخبر أن مصطفى فياض فتح على حسابه وأضرم المشعل طالبا مقابلة مندوب الحركة الوطنية في اللجنة .

أما معسكر ٢٣ فله تقييم مختلف عن تقييم الخمسة لكل شيء . يعتبر القيادة الانصارية قيادة يمينية رجعية أفرزت برامج تحرك بمستوى فكر القيادة ، وكنا نمازح بعضنا ، متحدثين عن معسكر حركة التحرر العالمي الذي يريد البدء بالتحرير من معسكر ٢٣ .

أما معسكر ١٤ فله تقييم مناقض كليا ، لتقييم معسكر حركة التحرر العالمي يعتبر كل ما يصدر عن المعسكر خمسة وقيادة انصار يساريا متطرفا من شأنه ابقاء المعتقلين الى ما شاء الصهاينة ، لوصم انصار بالطابع الوطني المنظم والمؤدي لخراب البيوت .

ونتحدث عن أبطال الربع ساعة الاخير مع خبر تنشيط التباحث لتبادل

الاسرى ، منهم المتسيب ومنهم المزايد يمينا ويسارا ، مثلما يتحدث صلاح عن الابتزاز الذي نتعرض له من الاطراف ، التي لم ينضج حسها الانصاري . ونلقي باللائمة على الصهاينة ونرمي بوجههم كافة القضايا المرئية والملحوظة .

« أبو الروس » بطل عملية في معسكر ٢٦ ضرب رفيقه وآذاه فنقل نبيل الاول معه لمعسكر ثمانية بينما نقل الثاني الى المستشفى ، أقول نقل نبيل الاول تجنبا لمشاكل تحصل بوجوده ، ولاننا نحتار ماذا نفعل اتجاه حادثة كهذه ؟ نعاقبه كيف ؟ وبأية وسيلة ؟ حتى الان لم تنضج هذه المسألة !.. نسلمه للصهاينة ؟ لا وألف لا ! ويبقى المأزق قائما لان المجرم لا رادع له .

في جلسة مع عطية الضابط الصهيوني بعد أسبوع من الحادثة ، نرمي بوجهه ووجه قيادته كل مشاكل انصار ، ونحملها المسؤولية مثلما حمّلناه مسؤولية أبي الروس أيضا . ووصلت الامور بنا الى حد اتهامهم أنهم يفتعلون لنا المشاكل ويحرضون عليها بواسطة من لهم في المعسكرات؟! وكأن لهم أحدا في المعسكرات! ونجلده بحادثة أبي الروس متذرعين أننا طلبنا معاقبته ورفض تسلمه وألبسناه أخيرا ثوب الرفض،وهو لم يجرؤ على المطالبة به في حينها وصرح الان في الجلسة عن استعداده ، فرفضنا . ومع ذلك لبس الثوب ، مثلما ألبسناهم ثوب تحريض أبي عريضة سابقا في معسكر ستة لافتعال مشاكل بقصد ارتمائه في أحضانهم فتصيدوه وجعلوه مختارا لمعسكر ٣١ الذي يضم العملاء والجواسيس والمقنعين .

ونبقى على موعد أيضا مع ذكرى كمال جنبلاط ، مثلما كنا على موعد مع ذكرى معروف سعد سابقا وفي نهايات الاسبوع الاول من اذار وقبلها كانت ذكرى سعاده .

القيادة المشتركة أصدرت تعميمها بالمناسبة ، ومعسكر ١١ يستعد لمهرجان مركزي عريفه عاطف الدنف وشاعره حسين شعيب وكلمة لجنة الاسرى من نصيبي وكلمة الحزب التقدمي من نصيب (...)

المهرجان في الساحة التي امتلأت وبحشد حضره أسرى معسكرات ١١ ، ١٢ ، ١٣ وسط رفرفة العلمين اللبناني والفلسطيني ، وتحدثنا عن لبناننا الذي كان يتطلع اليه شهيدنا بفكره ونضاله حديثا سادته المفاهيم الانصارية .

وأترك معسكر ١١ ، لأنتقل لمعسكر ثمانية وموعدي مع أمسية شعرية ، من وحي المناسبة ، افتتحها مستحضرا مع كمال جنبلاط وموسى شعيب ومعروف سعد وصادق الحمزه وأدهم خنجر والاخضر العربي ومع الجنوب وجبل عامل ومؤتمر الحجير ، الصيادين وحانين والقنطرة والراهبات ومزارعي التبغ لتأخذ انصار موقعها الجديد بين المواقع النضالية .

انصار ، يا مدينة العذاب ، يا مدينة مصطفى البقري ، أسير معسكر ثلاثين الذي قدر أنه ميت لا محالة ، فكتب رسالة لزوجته بمثابة وصية وفارق الروح ، قبل قدوم الصليب الاحمر الدولي ، بين رفاقه الاسرى . وتلقفنا الرسالة لنجلد بها الصليب الاحمر وحمرة شفاه « كلير » ، مثلما اعتبرناها مستندا بمثابة شاهد

حي على استشهاد مناضل في انصار ، مستندا أخذ طريقه الى الخارج عسى أن يكون ، فاعلا مع غيره ، في تحريك المشاعر الانسانية ٠ ويأخذ شهيدنا طريقه الى أهله عبر الصليب الاحمر الدولي مثلما نأخذ على عاتقنا احياء المناسبة بالحزن والسواد الذي اعتدنا عليه وبالاناشيد والاغاني وآيات الذكر الحكيم ٠

وقبل أن يودع اذار ، وينهي خدماته لصالح نيسان كنا مع نبأ قدوم«امري» مندوب كرايسكي الى سوريا فتل أبيب حاملا ملفاته من أجل عملية التبادل ، نبأ بدأنا نتتبعه ، نتعقب خطوات « امرى » وتصريحاته المتفائلة بعد مقابلة الاسرى السبعة بمن فيهم أسيري القيادة العامة ٠ ونبدأ «نزن» على أكذوبة جنرال القوى البشرية الذي وعد بالافراج عن انصار أو غالبيتها ، مثلما بدأنا نطالب بحقنا كلجنة في زيارة معسكر ٣٢ وتبني قضايا ومشاكل كل المعتقلات في الريجي والتي كنا نحصل عليها من رسائل واردة من بعضهن أو من الصليب الاحمر ، مثلما تنقل الينا اخر الاخبار وصول « امري » الى تل أبيب ٠

« باك » كما قلنا تدرج باتجاه انصار ، حضر مرة جلسة مع عطية ، وبدا كالمحامي ضابط الارتباط « ايري » صهيوني فج وغليظ ، يتكلم العربية جيدا ٠ لم يعجبه منطقنا الذي نعامل به قائد المعسكرات ، ولا طريقة طرحنا للامور ، وتصادمنا معه من الجلسة الاولى ٠ قال : نحن نحتل أرضا بالقوة ، لن أناقش بالحق التاريخي أو سواه ،قولوا عنا ما شئتم ، صهاينة نازيين ، كل هذا وغيره لا ينفع نحن بالقوة امتلكنا ، وسنبني الدولة العبرية الكبرى من الفرات الى النيل ، امتلكوا قوة مثلنا لنبارك لكم ونسلم ، وبغير ذلك لن نسلم ، حقوق ، قوانين ، لا فرقعندنا أنتم « مخربون » واذا أخذنا بقرار المحكمة العليا نقول « مدنيون » حولكم « شبهة » حتى اتفاقية جنيف بشأن المدنيين خاضعة لتقديرنا الامني ونحن نقول اننا أمنيا لن نطبقها ولن نطبق أيّ بند من بنودها نحن صهاينة نحن نازيون قولوا ما شئتم وانصار « أوشفيتز » كما تدعون ٠ ٠ ٠

تحتدم الجلسة ، ويشحن الجو ويتدارك عطية الموقف بالحديث عن بدو سيناء ومن أين له أن يتدارك ؟ و « باك » حرف لا يقرأ ٠

نعود الى المعسكر خمسة ونتحدث عنه ويضحك أبو هيثم مطولا ويقول « ردحتم » كثيرا لـ « روزنفلد » وغيره وتردحون لعطية الذي استضعفتموه والان جاء من يردح لكم ويعرفكم أنه يعرف بضاعتكم ، يقول ذلك ممازحا ، ويضحك ونضحك معه ، لأعود واصفا « باك » بأنه حرف لا يقرأ ، يتركنا أبو هيثم لنتدبر أمر سهرتنا في الخيمة ٠ كل واحد منا على طريقته الخاصة ، وطريقة أبي ليلى المفضلة باتت الاهتمام بتوائمه الاربعة ، الذين استقدمهم من الشتوي وحصنهم بكراتين علب المارلبورو ليرمي اليهم بلب الخبز غذاء دائما ، انهم فئرانه ، اخر تقليعة من تقليعات انصار السائدة ٠

ومع متابعتنا لاخر أخبار « امري » وتصريحاته كنا على موعد مع يوم الارض ، يوم الانتفاضة ضد الصهيونية في الجليل ، ونتطلع الى يوم الارض

وانتفاضة شعبنا في الجنوب اللبناني ضد الغزاة ٠

منذ الصباح الباكر حاولنا الخروج من المعسكر كعادتنا ، لنستأنف نشاطاتنا التقليدية في المعسكرات ، ولم يلب الطلب ، وعلى غير عادة وللمرة الاولى منذ تشكيل اللجنة ، ونتساءل عن السبب فلا نجد المبرر ٠ الاجواء السياسية السائدة أجواء انفراج مع قدوم « امري » وزيارته للاسرى الصهاينة لدى المنظمة ، وحتى المشاكل التقليدية العادية لا وجود لها ، في الايام الاخيرة الماضية ، حتى مشاكل رفض التموين غابت عن المسرح ٠ ونتصور أن لديهم تدابير جديدة ، تدابير ادارية تتعلق بهم ٠

ونلح بالطلب دون جدوى ودون جواب وتمر صبيحة النهار بكاملها ٠ وتقوم الصيحة في المعسكرات الشتوية ، أناشيد وأغاني ومشاعل ٠ نتريث حتى نرى ، ونطلب من المعسكرات التريث ، حتى دوريات الحرس غابت عن الطرقات الترابية ولم يبق الا حارس البرج المقابل ونطلب منه ارسال قائد المعسكرات ، ولا من يجيب !٠٠

تجتمع القيادة المشتركة وتقرر التضامن مع المعسكرات الشتوية وقبل انتهاء الاجتماع ، يحضر قائد المعسكرات طالبا اللجنة ٠

نخرج ونستفسر عن سبب ممانعتهم بخروجنا اليوم ومنذ الصباح ، كما نستفسر عن الاحتجاج في الجناح الشمالي ، ليقول :

ليس من مشكلة تذكر تدابير نريد تنفيذها صادرة عن قيادتي ، تدابير عادية في معسكر ٢٧ ، لكنهم رفضوا الا بحضوركم ٠ ونقاطعه لنحمله المسؤولية ، بسبب منعنا من الخروج ، مما قد يؤدي الى حادث لا مبرر له ٠ ونستفسر عن طبيعة التدابير ليقول انها تفتيش المعسكر فقط ، طلبوا لجنة الشتوي ، أتينا لهم بها ، ثم عادوا وطلبوكم أنتم ٠

ونجيبه : هناك خطوط حمراء حددناها لا نسمح باختراقها أو تجاوزها وما عدا ذلك نحن أسرى ، نعرف ما لنا وما علينا ، وبشأن التفتيش لم نتخذ قرارا بمنعكم وفي حال اتخذنا قرارا كهذا نمنعكم ، مثلما قررنا وقف التحقيق ٠ وما دمتم تدخلون الى المعسكر يوميا برضانا في فترة العد الصباحي فاننا لا نمانع بدخولكم الان ، شرط عدم تجاوز الخطوط الحمراء ، التي حددناها كلجنة وتعرفونها ٠ واذا كان في نيتكم تجاوزها فلن نسمح بذلك أبدا ، سنحرق انصار ، كما اننا نرى عدم وجود أي مبرر لما حصل اليوم ، من استنفار ومنعنا من الخروج ٠ يأخذ صلاح وأبو ليلى طريقهما الى القسم الجنوبي ، بعد جلسة سريعة ، كما أتوجه أنا ونبيل الى القسم الشمالي ونلحظ حجم التدابير العسكرية المتخذة لتنفيذ هذه الغاية ٠

حملة الدروع بعصيهم والملالات التي لا عد لها ولا حصر بالقسم الشمالي وفي طرقاته الداخلية ٠ ببساطة نحن في قلب جبهة حرب غير متكافئة بالعدة والعتاد ولكنها صلبة وصامدة بالتحدي والارادات ٠

على باب معسكر سبعة وعشرين فقط ، أربع جنرالات ، ومن الرتب الاخرى حدث ولا حرج وقد بدأ التصفيق منذ اللحظة التي وطئت أقدامنا فيها الارض. وتلاقت العزائم المشتتة . القسم الشمالي بكامله خلعت فيه القمصان ، باللحم ، وكل أسير الى جانبه عامود خيمة أو وتد وأحدث ما أنتجتـــه فبارك انصار للحدادة من سيوف وسكاكين وكرابيج من الشرطان المسننة ، ببساطة أكثر نحن في غابة . ومع التصفيق ، تعالى النشيد ودخلنـــا معسكر ٢٧ . لحظـــات ، وتختصر القصة كما يختصر محيو الموقف قائلا :

طلبوا التفتيش ، عارضنا ، أحضروا لجنة الشتوي بناء لطلبنا ، تضامنا مع بعض وطلبنا حضوركم ، ماطلوا في ذلك وبقي اصرارنا على الموقف ، حتى أتوا بكم . أنتم قيادتنا تتحملون مسؤولية القرار والموقف .

ونجيب : لم نمنع العد وبامكانهم التفتيش شرط عـــدم تجـــاوز الخطوط الحمراء ، وعدونا بذلك وبأن يجري التفتيش تحت اشرافنا . وفي حال حصول خلل سنحرق انصار بدءا بالشتوي ، وسنبلغ ذلك لرفاقنا هنا ليكونوا على استعداد عند أول اشارة .

ويجيب المعسكر مع محيو : أنتم قيادتنا وعلى مسؤوليتكم تصرفوا. واستفهم من محيو عن الراديو فيخبرني بانه مؤمن ولا خوف عليه .

لحظات استغرقها الحديث ، وتوجه نبيل طالبا فتح البوابة والبدء بالتفتيش مثلما توجهت الى شيك المعسكرات المجاورة منبها الى انتظار أية اشارة للبـــدء بحرق انصار في حال حصول أي خلل .

خرج المعسكر بكامله الى الطريق الترابية وخرجت معهم لمراقبة الوضع مثلما بقي نبيل يشرف على التفتيش .

أحد الجنود الصهاينة ، حاول ان يمنع أحد الشباب من الحديث مع رفيقه . ناديت على عطية طالبا عدم توجيه أية ملاحظة ، لانني أعتبرهـــا من نـــوع الاهانة ، ولا أسمح بها وفي حال وجود أية ملاحظة ، تفال لي . ويتدخل عطية مع الضابط بافهامه ضرورة عدم توجيه ملاحظات .

الجنرالات الاربعة ينظرون بعيون حاقدة ويراقبون الوضع . وادخل بعـــد فترة الى المعسكر لتعجيل عملية التفتيش ، يقترب مني عطية ويتحدث ببلاهته المعهـــودة .

ـ الشباب زرعوا عدس وحمص كما ترى !...

ـ وما وجه الغرابة ؟! شيء طبيعي ..

ـ نظموا أحواضا بالتراب الاحمر . من أين أتوا به ؟ المعسكرات مفروشـة بالتراب الابيض .

ـ ليكن همكم التفتيش من أجل التراب الاحمر ! احفر في الارض على عمق خمسة سنتيمترات تصل الى التراب الاحمر ، والاحواض جرى جرفها منذ بداية العام لحظة قدوم المعسكر .

ـ لا ! انما أسألك ٠

وتنتهي حفلة التفتيش دون أن نسمح لهم بمصادرة البوستورات والصور السياسية المعلقة في الخيم ولنعود ونلتقي ليلا بعطية متحدثا عن دفعة افراجات جديدة في اليوم التالي وعن أمله بتكثيف الدفعات ، مثلما نتحدث عن مشكلة اللبنانيين بشكل خاص وضرورة الافراج عنهم وتقديم لوائح بأرقامهم في جلسة أخرى ٠ وبات عنده هاجس رعب جديد ، هاجس التراب الاحمر الذي أرهبه وأرهب قيادته ٠



٤٨ـ أنصار المجابهة

زيارة « امري » « كابيلياك » واول حادث هرب .
وعيد تأسيس حزب البعث العربي الاشتراكي :

يطل نيسان حاملا الدفء للاسرى ، الجو صحو ، والاعشاب على السواتر الترابية تزهو بحلتها الخضراء وبالنمو الملحوظ ، وأبو ليلى يرعى فئرانه في زاوية من « فولة » صلاح ، والمطابخ بدأت حركتها باكرا ، لتحضير الفطور .

الاخوة والرفاق الاسرى في حل وترحال الى حمامات انصار ، مناشف على الردفين وحرص زائد على نظافة الاجساد ، والبعض يمارس رياضته الصباحية . عطا بسنه الخمسيني ، يركض بشكل بهلواني ويزيد من درامية المشهد ، وجود أبي سليم وأبي أدهم ، وأبي أكرم في خلبة الملعب ، ساحة معسكر خمسة ، ويتندر أشبال صلاح على المشهد ، ويدخل السوكو الخيمة ستة معلنا دخول أمين سر القيادة المشتركة طرفا في لعبة الركض .

الصيحة في الخيمة كعادتها مع نبيل ، وأبي هيثم نديم طاولة الزهر ، والدفء ، من الدفاية ، نفتقده لدى قيام جواد برفع أطراف الخيمة لتعريض داخلها لاشعة الشمس ، وأبو سمرا يناقش نبيل في كل شاردة وواردة سياسية أو طبية ويقيسها بمقياس « مازورة » الجدلية التاريخية ، التي يتسلح بها دائما كجزء من عدته السياسية الى جانب العدة الطبية .

يمارس الصهاينة لعبتهم التقليدية بدورهم ، لعبة العد ، اخر ما تبقى لهم من سلطة على المعسكرات . نأخذ جميعا مواقعنا في الخيم ، لتدخل ثلة من الجنود الصهاينة وهم يرتدون الثياب الواقية من الرصاص ، ومن أين لنا بالرصاص ، وتبدأ اللعبة من معسكر خمسة ، بارومتر الحالة السياسية في معسكرات انصار .

صلاح أخذ موقعه الاخير في زاوية من زوايا المستشفى ، تحيط به مكتبة جمعها من كتب استحضرها من أماناته ، وبعض اللوحات الانصارية مرسومة على « بطاين » الخيم ، وأوراق شخصية تتضمن جملة من المذكرات المرفوعة للصليب وكتابات عن التجربة وملف انصار .

وأنا بدوري مع هذا الصباح المشمس ، أنظم أرشيفي من كتابات ورسائل وصور ولوحات فنية وتحف ومستندات انصارية ، أتحين الفرص لتسريبها كدفعة ثانية الى البيت بعد الدفعة الاولى التي أخذت طريقها في شباط الماضي.. وأفتقد كتاب « شرعة جنيف » الذي كنت أحتفظ به وأسأل عنه فلا أجده ، أتضايق وأتهم « الفئران البشرية » في انصار بقضمه وهضمه .. ولأتجه بعدها الى معسكر تسعة وألاحظ عبر طريقي مزيدا من الحيوية الدافقة والناشطة في



٤٩ ـ امري ، مندوب كرايسكي في انصار وقد بدا خلال اجتماعه باللجنة كما ظهر المؤلف في الصورة الثالث الى اليمين

الاسرى عبر حركة تبادل الرسائل والاحاديث الشخصية والسياسية عبر الشيك واستعراض اخر تطورات الموقف السياسي ٠ وعبر حركة غسل الثياب والاجساد والتأهب لاستقبال الصليب الاحمر الدولي ٠

السائد في وسط الاسرى أن « امري » بات في تل أبيب ، وعملية التبادل باتت على قاب قوسين أو أدنى ، والانظار في انصار متجهة لحركته واخر أخباره نتتبعها أيضا عبر معسكر خمسة ، قبلة الجميع ومركز تطالعاتهم والمحظوظ بين باقي المعسكرات لحيازته على اللجنة والمشتركة ، فيه مصدر الاجابة على التساؤلات ، بحيث ينقل أي خبر عن لسانه مباشرة أو لسان ناقل بصورة غير مباشرة ٠

والمتحدث أو الناقل ليس من داع لان يكون محسوبا على اللجنة والمشتركة بل تكفي اقامته في المعسكر المذكور ، حتى يعتبر عالما ببواطن الامور كما يفترض ذلك بعرف جمهور الاسرى ٠

حقيقة المعسكرات ناشطة بحيوية وكأنها خلايا نحل كما تراءت لي ، ويحكمها منطق التفاؤل ، وأدخل معسكر تسعة ، لنأخذ زاوية جانب العيادة في الهواء الطلق ، مع الدكتور عماد والمختار وجمهور « صوري » ملحوظ ، وأبدأ الحديث عن اخر الاخبار الواردة ٠٠ وتطاردني مع حديثي عقدة « الفئران البشرية » التي قضمت شرعة جنيف هذا الصباح ٠

دقائق تمر ويقطع حديثي خبر وارد عبر الشيك بقوله : اللجنة طلبت على عجل ، وخرجت مسرعة من المعسكر لمقابلة رسمية !٠٠ ولينتقل الخبر كانتقال النار في الهشيم ويجري تداوله على كل لسان ٠٠

وعلى عجل من أمري ، وجدت نفسي متحدثا على شيك الخمسة لأتأكد من

الخبر وضرورة الالتحاق بها ، وبحيوية المعسكرات ، أعود الى خيمة العيـــادة وأطلب من المختار استدعاءالجنود للخروج . ومن أين ناتي بالصهاينة ؟ ! . حتى دورية الحرس العادية لا أثر لها !.. وننتظر على جمر الصبر ، مستنجدا بالمختار من حين لحين وقائلا له : لتبقى عينك على الشارع ، على البوابة !. الصهاينة قد ذهبوا !. ليتهم يذهبون الى غير رجعة ! وأهيب بالمختار أيضـــا الاستنجاد بالبرج والتحدث اليه . وأطلب النجدة حتى وصلت أخيرا سيـــــارة « جيب » توقفت على الباب ووجدت المختار بالانتظار !.

ترجل الضابط الصهيوني « ايلي » منها قائلا : مختار « بدي العـير وخديم عضو الفاعادا » (١)

فأجابه : انه بالانتظار ، وحاولنا الاتصال فلم نجد دورية الحرس !.. مـــع انتهاء كلمة المختار كنت على البوابة في الطريق الى « الجيب » .

ابتسم « ايلي » وقال : « صلاح بدو اياك ، فتشت عنك كل المعســــكرات ، صلاح بدو اياك ، الاخبار مليحة » أجبته : ان شاء الله ، تفضل !.. وعـــلى طرف معسكر ثمانية علمنا أن صلاح قد عاد الى معسكر خمسة . فانحرفنا آخذين ذات الوجهة ...

دخلت لأجد صلاح في خيمة المخترة متجهما ، على وجهه الجدية المعروفة ، يتحدث الى « كرادلة » فتح ، وهم صامتون ، ليلتفت نحوي قائلا : أين كنت ؟ لم لا تخبرنا بخروجك ، الدكتور نبيل يبلغك بما حصل لانشغالي الان كمـــا ترى مع الاخوان ...

أتحرك أنا ونبيل ، ليقول لي ان « امري » في انصار !.. التقينا به سريعـــا لم نجدك في المعسكر ولم تترك لنا عنوان توجهك ، اضطررنا للخروج . كـــان اللقاء موجزا واتفقنا معه على جلسة عمل في الساعة الحادية عشرة ، سنعود اليه ونحمله رسائل ردا على رسائل نقلها الينا ، وستجتمع المشتركة الان لوضعهــا في الصورة ، هيا الى الخيمة ، صلاح آت وعلى القيادة المشتركة أن تجتمـــع الان لضيق الوقت ...

سرت الخبرية سريعا في المعسكرات ، وازدادت معها الحيوية أكثر فأكثـــر ، وعلى شيك المعسكر خمسة ناقلو الاخبار بموازاة الاشياك المجاورة يؤكدون صحة النبأ . وأسمع أحدهم من معسكر تسعة يقول : كذبة نيســــان لا تصدقوا !.. ويصرخ اخر قائلا : أبو وضاح ! هل الخبر صحيح أم كذبة نيسان ؟!..

أتقدم من الشيك قائلا : الخبر صحيح ، والنتائج ستتبلغوها بعد جلسة عمـل معه!. الخيمة رقم ستة ، مقر اللجنة السياسية في انصار ،وفد اليها بعضاعضاء القيادة المشتركة ، وها هوذا صلاح وأمين سر القيادة المشتركة وبقية الاعضـــاء على مدخل الخيمة في طريقهم الينا . ويلتئم الشمل ، شمـــل رواد اللعبـــة

عيروخديم ـ عاي با لعربيه
فاعادا ـ لجنة

وأركانها ، ويعلق أحدهم قائلا : « النيكرو » كان في الساحة يسير مزهوا ، من حقه ما دام مسؤوله يورد اسمه في اللائحة للمرة الثالثة ، للبحث عنه ، وهل أن « النيكرو » أهم بكثير منا ؟! لم يرد اسم أي واحد من القيادة المشتركة في لائحة المفقودين !٠٠

افتتح الجلسة أمين سرها ، موجزا الوضع قائلا : الصهاينة استدعوا اللجنة سريعا هذا الصباح وقد التقت بـ « امري » مندوب « كرايسكي » الذي حضر لانصار ٠ اقتصرت الجلسة على التعارف وزود اللجنة بلائحة أسماء جديدة للمفقودين ورسائل نقلها من قيادتنا في الخارج على أن يتبلغ الاجابات لاحقا في جلسة تالية ٠ وترك الامر لصلاح ليخبر بما عنده ٠

استهل صلاح حديثه بالاعتذار للخروج بسرعة وبدوني ، وتابع : « امري » معه « ايري الياف » وبعثة اعلامية نمساوية ، وقد قابل الاسيرين اللذين لدى القيادة العامة مقابل السماح له بزيارتنا وأعتقد أن مقابلة الاسيرين اللذين لدى القيادة العامة شكلت مدخلا وبداية جدية للحل ٠ وقد حمله الاخيران رسائل الى ذويهما ٠ كما قابل « الختيار » وأبو جهاد « الوزير » وأبو جهاد « أحمد جبريل » وحملوه بدورهم رسائل الينا ، رسالة من جبريل الى مسؤول القيادة العامة في انصار مع لائحة أسماء جديدة لمفقودين وذلك للتاكد من وجودهم بيننا ٠ سنعود ونلتقي به حاملين اجاباتنا وسنقابله مع ثلاثة من القيادة العامة طلب التثبت من وجودهم شخصيا ٠ عرضنا عليه زيارة معسكر خمسة فأبدى استعداده ، غير أن الصهاينة يتخوفون من حصول تحرك ضدهم ، ونحن نريد حصول ذلك ٠

تعهدنا لهم أن نستقبله بهدوء ، وعلينا أن نعد الترتيبات ليكون التحرك مفاجئا حتى لا يتنبهوا للامر ويحولوا دون زيارته ، التي هي فرصتنا الثمينة ٠ علينا أن نناقش مسألة ترتيبات استقبال « امري » في المعسكرات والتحضير لذلك بدون ملاحظة الجنود حتى لا يفوتوا علينا الفرصة ٠

علق أحد الاعضاء قائلا : عدنا للوائح ٠ حتى الان ما زلنا في هذه المرحلة آ

ويتدخل أمين السر ، بعد مداخلة صلاح ، الذي أبدى تفاؤله للمرة الاولى ، تدخل طالبا ، اختصارا للوقت مناقشة ترتيبات زيارة « امري » وما كادت مناقشاتنا تكتمل بكيفية تحضير المعسكرات بصمت وهدوء ، وقبل وضع اللمسات الاخيرة على الخطة الموضوعة ، حتى كان موعدنا مع جلسة العمل ٠

خرجنا أربعتنا سيرا على الاقدام باتجاه الغرفة الخشبية ٠ ومع وصولنا كانت الغرفة معدة سلفا ٠ طاولات بشكل زاوية تتسع لنا وللمبعوث وثلاثي القيادة العامة ، الذين وجدناهم في الانتظار ٠ ومع دخولنا وأخذ مواقعنا أخلى عطية وياك المكان ليجري التعريف بيني وبين « امري » من قبل صلاح ، وليعقب ذلك حديث بالفرنسية معه ، مبديا فيه أسفي لعدم تمكني من الحضور صباحا ، مثلما أبدى أسفه وتمنياته بالافراج السريع ٠

تقدم مصور صحفي وأخذ الصور التذكارية كما تقدم مصور تلفزيوني ، سبق له وجهز عدته وتمديداتها المطلوبة ، وباشر بالتصوير !٠٠

يا الهي !٠٠ ما هذا ؟! تصوير تلفزيوني في انصار ؟ الذي يحصل أمر غير معقول ؟٠٠ وكيف ؟٠٠ سنظهر بثياب الاسر ؟٠٠ وأحس بالعزة والفخار ، منذ زمن افتقدت لهذه المشاهد ، واشتقت للكاميرا بعد فراق قسري ٠ وها هي قد عادت مع أشرف وقفة عز في حياتي ٠ يكمل المصور مهمته ويغلق الباب ٠

على الطاولة ، حلويات « بتى فور » متعددة الاشكال وشراب المشمش ، وغلاية قهوة كبيرة ، وحلبة « روزنفلد » أكلته الشهيرة ٠ كل شيء أعد سلفا لاجتماع له الطابع الرسمي بصفتنا جزء من الوفد المفاوض عن المنظمة ، بصفتنا خبراء انصار ٠ الباب أقفل ، وبقينا مع الوسيط النمساوي ٠

اجتماع رسمي ؟! نعم ، واستهل حديثه بالقول : ان المنظمة أصرت على اشراك اللجنة في مفاوضات التبادل ٠٠ وبهذه الصفة يعقد اجتماعه معنا ٠ ومع اعرابه عن امنياته وأمنيات رئيسه بنجاح مهمته واجراء عملية التبادل ٠٠ استطرد طالبا اضفاء الطابع العملي على الجلسة ، ولنجيب على المسائل المطروحة من قبل منظمة التحرير ٠

وتناوبنا على الحديث قائلين :

١ ـ بشأن لائحة مفقودي القيادة العامة واستفساراتها والتطمينات المطلوبة، يجيبك عليها مسؤول القيادة العامة ، الذي باتت اللائحة بحوزته ، وبخط يده يضع ملاحظته عن كل اسم من الاسماء الواردة فيها ٠

٢ ـ بشأن أوضاعنا ، نصر على زيارتك لمعسكر خمسة ونقل صورة حية من خلال الزيارة كما نتمنى باصرار ، حسم مسألة التبادل لاسباب نفسية واجتماعية تتعلق بوضع أسرانا ٠ وسنحملك ، اذا لم يكن لديك المانع ، رسائل بمثابة رد على الرسائل الواردة الينا ، كما أن مسؤول القيادة العامة يريد أن يرد الجواب لامينه العام ٠

وبعد التداول مع بعضنا ، على الطاولة ، اتفقنا على تحميله رسالة بنص واحد على نسختين ، واحدة لأبي عمار والاخرى لأبي جهاد أحمد جبريل ، وموقعة ، بالاضافة للجنة الاسرى ، من مسؤول القيادة العامة ٠ وكانت كتابة الرسالة في الحال لنتمنى فيها ضرورة الاسراع بعملية التبادل وتجاوز كافة العقبات الشكلية المعيقة للاتفاق ، كعقبة كثرة لوائح المفقودين والاستفسارات التي في غير محلها عن معسكر ٣١ ، الذي يضم خيمة واحدة تأوي عددا محدودا ممن هم غير نظيفي الكف وطنيا وعلى عكس الصورة المطروحة والمتداولة في الخارج ٠

ومع تمنياتنا للمبعوث النمساوي بالنجاح بعد خلوة استمرت ساعة كاملة ، خرجنا لنجد بالاضافة لقائد المعسكرات وضابط مخابراته ، النائب السابق في الكنيست الصهيوني « ايري الياف » ، مثلما وجدنا بعثة تلفزيونية صهيونية ٠

أبلغنا ضابط المخابرات موافقة « امري » على زيارة معسكر خمسة ورغبتـه في ذلك ، غير أنه عاد بدوره لمخاوفه التي بددناها بحديثنا عن عدم معرفـــة المعسكرات أصلا بموضوع الزيارة ٠

جرى تعارفي مع « ايري الياف » أثناء مسيرتنا ، وتوجهنا جميعا باتجـــاه معسكر خمسة ٠ وكلا البعثتان الاعلاميتان تتابعان التصوير منذ خروجنا مـــن باب الغرفة الخشبية حتى مدخل المعسكر المقصود، الذي بدت فيه الامور طبيعية باستثناء المشهد التقليدي لبعض المنتظرين عودة اللجنة ٠

مع فتح البوابة ، عاد ضابط المخابرات للاعراب عن تخوفه ، مثلما عدنـــا بدورنا لممارسة لعبة « الكذبة البيضاء » مستدلين من عـــــدم وجود أي تصرف ملحوظ ، ينبىء بحصول أي شيء !٠٠

ويدخل « امري » الى معسكر خمسة !٠٠ ومع تقدمه بضع خطوات في الساحة واذ بالاسرى خلال لحظات ، يقفزون من خيمهم ويتدافعون ، وفق الخطــــة الموضوعة ، كالسيل ٠ الاعلام اللبنانية والفلسطينية في الايدي مرفوعة ترفرف ، والمبعوث محاط بأسرى معسكرات زاويتنا ، الخمسة والستة والسبعة ، ومـــع التصفيق الحاد وبحرارة وحماس الشباب ، ارتفع « امري » مع أعضاء اللجنـة على الاكتاف وسار الحشد باتجاه « وجاق » الماء المطل على المعسكرات الاخرى، التي تجمعت بدورها وفقا لما يلي :

معسكرات ٨ و ٩ و ١٠ في الثمانية مقابل الخمسة

معسكرات ١١ و ١٢ و ١٣ في الـ ١١

معسكرات ١٤ و ١٥ و ١٦ في الـ ١٤

ومع حرارة الامل والشعور بالأقتراب من موعد الحرية ، التي طال انتظارها قامت الصيحة وتعالت الاناشيد الوطنية والهتافات : « أناديكم» ، « شـدوا الهمة » و « أنا يا أخي » ٠٠ وانصار تصيح وأصوات المتعشقين للحرية تبلـــغ عنان السماء ٠٠٠

منبر اليوم كان « الوجاق » ، أحطنا أربعتنا بـ « امري » الذي أخـذ بكلتي يديه يحيي تجمعات الاسرى في الزوايا الثلاث المرئية له من خلال مكانه ، مثلما كانت الايادي تبادله التحية مع هتافات الحناجر الملتهبة والتلويح بالعلمـــين الوطنيين اللذين شكلا رمزا لانصار في مسيرتها البطولية ، ويدي تتأبط العلم اللبناني يرفرف فوق هاماتنا المرفوعة ٠

ارتجل صلاح كلمة وطنية تعبوية من وحي المناسبة وعاد امري وبيـده صورة لأبي عمار ، أصر على حيازتها ونقلها للختيار ، الصورة التي أهديتها باســم الحركة الوطنية في يوم انطلاقة فتح ٠

في الخارج تابعت البعثتان الاعلاميتان التصوير للمشاهد الانصارية ، بكاملها ووقف عطية مع باك وجنودهما والغضب والامتعاض باد من العيون ، وودعت انصار « امري » متمنية بقدومه فرجا قريبا وأملا جديدا ٠

كذبة نيسان ؟! ربما تكون كذبة نيسان !٠٠ لكن الاسرى عاشوا يوما جديدا ومشهودا من أيامهم ٠ يوم الحدث الجديد ، صادف مع الاول من نيسان ٠٠٠ ، فماذا بامكان أصحاب هذه الاصوات أن تتكلم وتقول الان ؟!٠٠

القيادة المشتركة كانت جاهزة للاجتماع ، والخيمة ستة دائما بالانتظار وعلى موعد ، وقد التأم الشمل واكتمل النصاب بحضور امين السر ٠

نقلت لهم الصورة وسقطت محاذير البعض ومخاوفه من رسالة القيادة العامة الجوابية ، وأبدوا ارتياحهم لصيغة الرسالة الموحدة ولموقف المنظمة من موضوع اشراك اللجنة في الوفد المفاوض ، ومع التفاؤل الذي ساد الجميع جرى التمني على أمين سر القيادة المشتركة ارسال تعميم حول مضمون الاجتماع مع امري ٠

أبو محمود يباشر بصياغة التعميم ، والطاقم الكتابي جاهز للنسخ ، وعلى الشيك ، المتحدثون الى المعسكرات يمارسون هوايتهم باستباق التعميم ، وانصار تنام ليلتها على حلم الاستماع للاعلان عن اتفاق التبادل بين يوم واخر ٠٠

وقبل أن يفتر وهج زيارة «امري» كنا في صبيحة اليوم التالي مع زائر جديد٠

بعد العد الصباحي ، استدعي صلاح من معسكر ستة للخروج ورافقه الدكتور نبيل ليعودا بعد مضي أكثر من ساعتين ٠

لقد حضر « أمنون كابيلياك » الصحفي اليهودي الفرنسي ، صاحب كتاب عن مجزرة صبرا وشاتيلا ٠ التقيا به وسلمهما رسالة جديدة من « أبي اياد » تتعلق بمعسكر ٣١ بشكل خاص ، كما قاموا بزيارة المعسكر المذكور واطلعوا على أوضاعه ، لتبديد الصورة المكونة في الخارج عنه، الصورة الواهية التي انعكست بأنه معسكر تجميع الكوادر والقيادات وعزلها !٠ وقد حمل الزائر الجديد رسالة جوابية وشريطا مسجلا بصوت صلاح ومجموعة من الصور على بوابة معسكر خمسة كما أهدى الى اللجنة نسخة عن كتابه ٠

وغادرنا « امنون كابيلياك » لتجتمع القيادة المشتركة كعادتها ونغادر المعسكر بعد ذلك باتجاه الجناح الشمالي من انصار لوضع من فيه بصورة اخر التطورات المستجدة على ساحتنا لاهميتها ولكونه قد بقي بمنأى وغربة عن مشاهدتها والتعرف اليها ٠

نيسان الحقيقة ، الذي تبدل وضعه في انصار ، وحمل الصفة المعاكسة لصفته التقليدية ، كان موعده في اليوم الثالث مع مفاجأة من نوع اخر ٠

مع بدايات الشروق ، وصلت رسالة « طيارة » من معسكر ١٦ تتحدث عن هرب محمد نصرالله ليلا وتمكنه من اجتياز الشرطان والاسلاك الشائكة والسواتر بدون ملاحظة الابراج ودوريات الحرس ، سلاحه « سكين » حادة صنعها بنفسه وزوادته بعض الارغفة التي أدخرها مع بعض قطع الجبن ٠٠

جلسنا في الخيمة ، نستمع للخبرية الجديدة ، التي طغت على سطح اليوم الثالث من نيسان في مدينة الاحداث والمفاجآت ، وليعود لنا ضابط العد لاحقا ويخبرنا بالحادث الذي اكتشفه من نقصان العدد في المعسكر ٠

هرب محمد نصرالله متجاوزا أحلام الحرية التي ضربت انصار ، واختـــار طريق المخاطر مسجلا أول حادث هرب بتاريخ مدينتنا ، صانعا مفاجأة اليـوم الثالث والحدث الذي شكل حديث الجميع ووضع قوات الصهاينة في الجنوب في حالة استنفار للبحث والتفتيش عنه · ومن أين لهم ولعدتهم الحربية من سبيـل لالقاء القبض عليه مجددا ؟! لقد اجتاز كل الوعود والامنيات ، وهرب في حالة يأس بعد استنزافها ، تجددت في ذاته ولادة الحريـــة الصعبة المحفوفـــة بكل المخاطر ، اجتاز الاسلاك والسواتر والشرطان والعدة الحربية وقوات الغـــزو ليضع سالبي حريته أمام المزيد مما ذكرت حول انصار ، ويختار الحرية عـلى طريقته ، مثلما اخترنا وعلى طريقتنا متابعة تأدية استحقاقاتنا الانصاريـــة والموعد مع الاستحقاق الجديد المهم ،عيد تأسيس حزب البعث العربي الاشتراكي في السابع من نيسان ·

مع الاحتفال الاول في انصار للشعبية كان لنا حضورنا ومشاركتنـــا ، وكانت الجبهة أيضا وكذلك كان الحال مع فتح في ذكراها والديمقراطية ، نؤدي واجبنا بذهن توحيدي وبفكر نضالي ، زاد اختماره اختمارا في انصار · ولم لا ؟ أوليس البعثي هو الذي يمتاز بفكر قومي بعيد عن القطرية وتوابعها وملحقاتهـــا ؟ وبالتالي هو العامود الفقري والعصب الرئيسي والحساس في تركيبة بشريـــة وسياسية كتركيبة انصار · نعم انه ملح انصار واذا افتقدناه فبم نملح الارض ونلم الشمل ونغلب التناقض الرئيسي على ما عداه ·

مرة مازحت محيو وقلت له : لن نخرج من انصار قبل احتفـــالات الحزب وسنبقى لاحياء الذكرى ورد قائلا : سامحك الله ، أتبقينا حتى السابع مـــن نيسان ؟!·· وها نحن بقينا ليقينا الله شر الزمن القادم ·

ومع تجدد حلم الحرية في مدينة الشرطان أخذنـــا نشحذ الهمم ونأخـــذ استعداداتنا للاحتفال بالمناسبة القومية وليترافق ذلك مع لم شمل الذكريـــات الانصارية والامنيات للغد الآتي والهدايا المصنوعة محليا لكل الاحبة والمنتظرين في الخارج ·

البعثيون ، في الحزب والجبهة يتابعون تمريناتهم على حفظ وتأدية الاغاني القومية التي تم تجميعها من أرشيف ذاكرة العديدين ، وبطاين الخيـم جاهزة لتحضير اللوحات الفنية مثل أكياس البصل بألوانها المتعـــددة لقصها واعـــادة تركيبها اعلاما عربية ولبنانية وفلسطينية ·

معسكر عشرة بما احتوى من كوادر حزبية يعمل بشكل متواصل لاستنســـاخ العدد الاول والمشترك بيننا وبين الجبهة من مجلة « الثائر العربي » التي صدرت بمواضيعها اللبنانية والفلسطينية والعربية والدولية ، بما في ذلك زاوية عن قمة عدم الانحياز الاخيرة في الهند ، وأساس الدعوة للمجموعة الدولية فكريا عـلى يد الحزب قبل قمة « باندونغ » الاولى ·

وفي معسكر ١٣ تواكب مجموعة أخرى استنساخ العدد الخاص لجماهير انصار

العربية الذي سيصدر بمناسبة عيد البعث ، مثلما نتابع تحضير الاجواء لاقتلاع الاشواك والالغام وازالة العقبات التي قد تحول دون بهجة الذكرى ورونقها الملائم والمتناسب ٠

أول هذه العقبات الاتفاق مع منظمة الصاعقة لسد الطريق أمام أية ثغرة قد تدفع البعض للاصطياد في الماء العكر ٠ وأجد نفسي طارحا فكرة المهرجانات الموحدة في كافة المعسكرات ، وتلقى هذه الدعوة التفهم والتعارض في الان ذاته لكن على قاعدة الايجابية ٠ ويلقي صلاح عبء مشاركته على كاهلي ويشترط لذلك حصول اتفاق على مهرجانات موحدة فأرد اليه الشرط وأحمله العبء وأكلفه باقناع الصاعقة والجبهة ويأخذ طريقه الى المعسكرات الشتوية للاتصال بمحيو وأبي الهيجاء ويعود متعثر الخطى وليس بالامكان أكثر مما كان ٠ نحتفل في اليوم الاول وتحتفل الصاعقة باليوم التالي ٠

وأخذ تعميم المشتركة المتضمن للبرنامج ، مع برقية التهنئة ، الطريق الى لجان المعسكرات المحلية ، مثلما أخذت طريقي باتجاه الشتوي لنقل مجلة « الثائر العربي » ٠

فجأة يتوقف الجيب ، الذي ينقلني أمام قيادة المعسكرات ، يحضر عطية ويتحدث الي ويتبعه جنراله ، وتحصل حادثة من حوادث انصار الطريقة !٠٠

بعد أن استفسر عن وجهة سيري ، مد يده الى المغلف الذي كان بيدي وتناوله سائلا : ما به ؟ أجبته ، بعد أن فتحه ، هذه قصص وحكايا للشباب !٠٠٠ ثم ما لبث بعد تصفح أحد الاعداد ، أن استدعى جنديا يعرف العربية ٠

تدخلت عندها قائلا : هذه مجلة « الثائر العربي » لا داعي لان يخبرك جنديك ما بها ، أنا أقول لك : هذه مجلة لحزب البعث وجبهة التحرير العربية وبها مقالات سياسية ، كل ما بها معاد لكم !

سكت بعدها ليسأل : من ينظمها والى من تنقلها ؟ فأجبته : أنا أنظمها وأنا المسؤول عنها ، ليس لك علاقة مع أحد ، علاقتك معي شخصيا وأنا المسؤول الاول والاخير !٠٠٠

ويستكمل الحوار دورته بيننا بحضور جنراله كما يلي :

ـ سأعيد لك المجلات ، لكن أريد عددا واحدا ٠

ـ لن أسمح لك بالاحتفاظ بأي عدد ، أنت تصادر حريتي بحكم كوني معتقلا ، وما دامت حريتي مصادرة ، فبامكانك مصادرة كل المجلات ، وليس عددا واحدا ٠ قلت لك انني المسؤول وأمامك خيارين لا ثالث لهما ، بعد مصادرتك لكل المجلات ، الخيار الاول محاسبتك لي وأنا جاهز للزنزانة والخيار الثاني اعادتي الى معسكر خمسة ، وكلاهما مر بالنسبة لك ، لانك ستدفع الثمن ، والثمن باهظ ومكلف كما تعهد ! ٠ ٠ ٠

ـ تهددني بالنار والمشاعل ؟! « اسطوانة » اعتدت عليها ، أنا لا أخاف منكم انني أصر على أخذ عدد واحد ٠

ـ انني بدوري أصر على استعادة كل الاعداد والا فالخيار لك ، احسم أمرك وأعدني الى الخمسة أو الزنزانة .

وأعود الى معسكر خمسة لأجده قد سبقني الى المستشفى ، حاملا المغلف بكامله ، وسلمه لصلاح وتضطرب انصار ، وتتهيأ للتحرك ، مع انتشار خبر اعتراض طريقي ، في المعسكرات .. ويشتعل الشتوي وتبدأ الاناشيد والاغاني وحرق البطانيات مع خبر احتجازي عبر ناقلي الجرائد اليهم !...

ويطل السابع من نيسان ، يطل الموعد مع رفرفة الاعلام العربية في مختلف المعسكرات الى جانب العلمين اللبناني والفلسطيني ، وتنشد الاناشيد البعثية والقومية بمشاركة الجميع بعد أن تم تذليل العقبات وتجاوز التناقضات، ونعيش عرس البعث في مدينة الشرطان ، على مشارف قرية الشرقية حيث يجثم رفيقنا القائد موسى شعيب ويرفرف بروحه مزهوا ومعتزا بعرسنا .

وتفتقد انصار الشاعر حسين شعيب ، في الوقت ذاته ، فقد أفرج عنه في صبيحة اليوم السادس من نيسان ، تركنا مودعا الى عالم الحرية ، ومخلفا فراغا أحسسنا به منذ يوم خروجه ، فراغا تسبب في تعطيل الامسية الشعرية التي كان سيحييها في القسم الشرقي الجنوبي من انصار ، وقد أخذ الرفيق كلود موقعه في احتفالات السابع من نيسان بالقاء كلمة الحزب والجبهة ، مثلما أخذ الرفيق علي بك موقعه في القسم المقابل ، وأبو دمر في القسم التابع له في معسكر ستة ، ومحيو في انصار الشمالية مع الرفيق علي الرمادية .

في القسم المتبقي من انصار وفي معسكر ثمانية كان موعدنا مع المهرجان المركزي ، في الموعد المحدد قصدت مع أعضاء اللجنة المعسكر المعنى ليتحدث صلاح باسم لجنة الاسرى وأترك المجال «للعم» تقديرا لمواقفه بالقاء كلمة الحزب والجبهة ولـ « ع.ق » مندوب الحزب الشيوعي اللبناني بالقاء كلمة الحركة الوطنية اللبنانية تثمينا لمواقفه فتعيش انصار يوما مشهودا مع البعث والعروبة ودور الحزب في تثوير وخلق حركة التحرر العربي ، وليتواصل وهج البعث لليوم التالي في احتفالات الصاعقة ومبادلة المشاركة بالمشاركة بذهن انصاري توحيدي ولأوجه برقية باسم الحركة الوطنية اللبنانية تهنئة بالمناسبة قياسا على البرقية التي وجهتها لرفاقنا في احياء المناسبة .

القســم الرابــع

١ ـ أسبوع التحرك من أجل اللبنانيين وابعاد اللجنة عن انصار
٢ ـ عودة اللجنة وحرق انصار
٣ ـ فتح المعسكرات على بعضها وحفر الانفاق ، ذكرى موسى شعيب
٤ ـ نقل القسم الصيفي الى وادي جهنم
٥ ـ انصار في أسابيعها الاخيرة
٦ ـ عملية التبــادل
٧ ـ في الطريق الى الجزائر

أسبوع التحرك من أجل اللبنانيين وابعاد اللجنة عن انصار

كان موعدي مع الراحة والاستراحة في المعسكر ، وموعدنا مع التبادل قائم و « امري » بعد تل أبيب عاد مجددا الى دمشق ، وموعدي مع الهموم الانصارية أوشك أن يكون معدوما ، هذه هي خلاصة المفكرة الانصارية ٠

أمضي يومي في المعسكر ، مع الاخوة والرفاق نتحدث في مفاجآت الامس القريب وأتبادل الحديث مع سمير بشأن الغد اللبناني القادم ونفترق لتناول الغداء ، ومتابعة الاخبار ، لأعود بعدها الى الساحة ، واذ بنبيل يقفز من الخيمة كالمجنون ، يتبعه أبو سمرا ، ويتجه نحوي معانقا وقائلا : مبروك ، لقد تم الاتفاق على التبادل ، سمعت النبأ من مونت كارلو ، والتصريح لبسام أبي الشريف ٠

وقبل أن يكمل حديثه ، كانت خيم الخمسة فالمعسكرات ، بكاملها ، تتراكض نحو الساحات والاشياك صائحة ، الله أكبر ، الله أكبر ، وانتصبت حلبات الرقص والغناء ، في كل مكان ، وساد الفرح الجميع ٠

الصهاينة أخذوا السواتر الترابية ، ينظرون للاسرى ، الذين أصابتهم فجأة حالة من الهستيريا الجماعية ، ينظرون بعيون الدهشة والاستغراب لما أصابنا ٠

نعود الى الخيمة لنستمع الى التصريح تتناقله مختلف الاذاعات ، باستثناء اذاعة الصهاينة ، التي نقلت النبأ أولا عن اذاعة مونت كارلو ، وليعود بعدها ناطق رسمي وينفي الاتفاق مع المغيب ٠

لم أتمالك نفسي بالبقاء في معسكري، بل توجهت الى معسكر تسعة، لاحتفل بالفرح الذي غزا انصار ، مع « الصوريين » مثلما ذهب صلاح الى معسكر سبعة وعشرين وتحدث الى المعسكرات هناك ، مشاركا في الاجواء السائدة، رغم عدم اطمئنانه للنبأ لدى خروجه من المعسكر لعدم صدور التصريح عن لسان الناطق الرسمي للمنظمة « أبو ميزر » ٠

ومع بدايات الليل عادت مدينتنا من جديد لازمتها بعد أن انتفى الخبر وتبدد التفاؤل واستسلم الفرح الغازي لانصار مجددا لمصلحة الحزن ، ونامت أم الاحداث المتلاحقة باكرا مع أزمتها وهاجس الصهاينة معرفة دوافع الهستيريا الجماعية ، التي ضربت المدينة في اللحظات الاولى من بدء الساعة الثانية بعد الظهر من يوم ٨ نيسان ، وللمزيد من الحرص على مسألة الراديوات وتجنب الظن بوجودها لدينا ، ألقينا كعادتنا الكرة في مضرب العدو وجنوده ، بالقاء اللوم على جندي زعمنا أنه كان يستمع لاذاعة مونت كارلو ونقل النبأ فورا الى المعسكرات لوضعنا في حالة اضطراب ولنضيف قائلين لهم ، اذا لم تكونوا أنتم تتقصدونها ، فانها صادرة عنه عن سوء نية ، وبفعل روحية العداء التي تعبئون جنودكم بها للتلاعب بأعصابنا ٠

حقيقة ، طويت صفحة التبادل بعد أن بلغت ذروتها في الاهتمام ، برعايتها من رئيس دولة غربية بشكل مباشر ٠ طويت ، وطوي معها ملفنا بالهموم والجراح المتعفنة وأخذنا نبصر بعد أزمتنا ومدى ازدياد تعقيداتها على مختلف

المستويات الذاتية منها والسياسية ٠

أحدهم يلتفت نحوي ويقول: نحن دخلنا لعبة الشرق الاوسط، لعبة الخلافات العربية العربية ، والفلسطينية الفلسطينية ، يقول ذلك جادا ، ومع قناعتي بقوله ، أجيبه ممازحا وللاستهلاك : وهل وضعنا متأثر بلعبة الوفاق الدولي ؟! ليعقب مرة أخرى : ولم لا ؟ وأستفسر مع ضحكة كلها مرارة ، عما اذا كان للخلافات السوفياتية الصينية وللتقارب الصيني الاميركي تأثير علينا ؟٠٠ طالبا منه الاسترسال والمتابعة في تحليله لربطنا كجزئية صغيرة بالاطر الكلية العالمية٠

يلتفت صاحبنا نحوي ليقول : دعك من المزاح، هذا وضعنا بكل أسف ومرارة أترك جانبا تساؤلك الاخير !٠٠ ليس أمامنا سوى أن « نمسح » بهم الارض من أجل حريتنا لم يعد يهمنا من يستفيد من أي عمل نقوم به ، المهم أن يؤدي هذا العمل الى تحريرنا حتى ولو كان المستفيد عدونا بالذات ٠ ويخرج من جيبه العريضة التي وقعها من معسكره والموجهة الى القيادة الفلسطينية، يحملها فيها مسؤولية تعطيل مباحثات التبادل ويعرب عن رغبته بارسالها عبر الصليب الاحمر الدولي ٠

وأحدث المعني مقترحا تطوير صيغة الرسالة ، وتوقيعها من كوادر في انصار لابقاء اللعبة في متناول أيدينا،وارسالها عبر القناةالخاصة وبصيغة أكثر حدة من صيغة رسالته ، قياسا على ما أرسلناه سابقا ، ولأحصر اعتراضي فقط بمسألة تمريرها على الرقابة الصهيونية ، في حال ارسالها عبر الصليب الاحمر الدولي واستغلال الرقابة للرسالة كورقة سياسية بوجهنا ، كأسرى وبوجه منظمة التحرير ، وليبقى محدثنا على اصراره ٠٠ بدون أن يتجرأ لاحقا على ارسالها بسبب حفلة « شدشدة » من أبي سليم ، الذي اشترك في المناقشة ، وبعد الاعياء ارسال الرسالة ٠

ولأختم حديثي معه بالقول جادا : هذا وضعنا بكل مرارة ! ماذا بيدنا ؟! حتى وسيلتك لا تجدي ! ماذا تريد ؟ افصح عنه !٠٠ والحديث طويل وأطول منه فترة بقائنا في انصار !٠٠

بين جنبات معسكر خمسة وزاوية معسكر محدثنا، اكتشف مدي ذكاء صاحبنا وقدرته على التحليل وربط الامور ببعضها البعض في اطار كلي ، ولأجزم أنه وراء كل أعمال الانفلات التي حصلت هنا وهناك ، نظّر لها وأعد وسائلها وأدواتها وبقي بمنأى عن التأشير المباشر نحوه ، حتى اذا أعيته الحيلة وجد الظرف المناسب بتوقيت معين للاطلالة برأسه همه الأوحد كما قال مرة : أريد أن أخرج من انصار ولو على حساب حرقها بمن بها !٠٠

عملية التبادل تعرقلت ، تعطلت ، « امري » عاد الى النمسا بعد أن تم تصريفه بالقول : عدلنا بعد عشرة أيام لنبلغك الجواب !٠٠ « امري » جمع حقائبه وسافر بدون أن تكون فكرة العودة واردة لديه ! هذا ما وصلنا عبر القناة الخاصة ومحدثي وهو يحدثني لا يدري بذلك ، ولو على دراية لقال أكثر مما

قاله لي ، ولغاص في عمق التحليل !٠٠

وتعيش معسكرات انصار أزمتها من جديد ، أزمة انتظار المجهول ، بعد أن كان شعور أي أسير ، أنه قاب قوسين أو أدنى من بوابة الفرج ، بل من بوابة الحرية ، تعيش انصار أزمتها وتبدأ حالة الاحباط والركود ، كحالة سيطرة ٠٠ ونتحدث في زاوية معسكر خمسة ، أنا وصلاح ، عن حالة البؤس ، بل اليأس السائد ، ويلتفت صلاح نحوي قائلا : قاتلهم الله ، لقد تعبنا كثيرا من أجل الاسرى في انصار ، من أجل ابقاء المعنويات مرتفعة ، وحفظ ماء الوجه والكرامات الذاتية والوطنية وها هم يضيعون تعبنا الان٠ ويضرع صلاح بحرقة قائلا : الله يضيع تعبهم مثلما ضيعوا تعبنا ٠ ومع الاياب والذهاب شرقا وغربا ونحن نستعرض الوضع في ساحة معسكر خمسة ونتحدث حديث القلب للقلب ، حديث المعاناة ، التفت اليه مجيبا وقائلا: اعتدنا دائما أن نلقي الكرة في مضرب العدو ، ونحمله مسؤولية وجودنا ، بل مسؤولية كل ما يحصل ، وقد أجدنا اللعبة ، ومن هنا علينا أن نعاودها مرة أخرى ، بقذف الكرة الى ملعبه ٠ ذلك أمر متيسر ، وورقة اللبنانيين هي الورقة الرابحة والضاغطة ، فلنعد الى طرحها من جديد ببرنامج شامل ، مستفيدين من كافة التجارب السابقة ٠ لنقذف هذه الورقة مجددا ومعها كل التناقضات والقضايا المستجدة بوجه العدو ، وعندها نخرج انصار من أزمتها كبديل عن المأزق الراهن الذي يتمحور حول من عطل التبادل ؟ ومن المسؤول عن بقائنا في انصار ؟٠٠ واذا تفجرت انصار عندها على رأسنا فلن نخسر شيئا لانها ستنفجر ، وليكن تفجيرها بوجه الصهاينة بدلا من تفجرها بوجه بعضنا البعض !٠ وانني أرى أن يكون برنامج التحرك عنيفا هذه المرة لتفادي أية ردات فعل داخلية ، ولتجميع الكل حول البرنامج المطروح بوجه العدو ٠

ومع موافقة صلاح على الطرح وتمنياته لو كان البديل برنامج التحرك تحت عنوان زيارة العائلات ، لانه أكثر شمولية ، والذي يصطدم بفهم مغلوط من قبل بعض الاسرى ويلقى المعارضة ٠ يوافقني صلاح على هذا التوجه ونبدأ بالعمل على ترجمته في خطوط ثلاث :

١ ـ خط الصليب الاحمر بالتركيز بشكل أولي على موضوع كونهم محتجزين على أرضهم وضرورة اطلاق سراحهم ومن باب الاستطراد طرح قضية المدنيين من غير اللبنانيين والذين ليس لهم صفة الانتماء العسكري لمنظمة التحرير ٠

٢ ـ خط قيادة المعسكرات بذات الاتجاه حيث سبق لها وتبلغت لائحةأعددناها بأسماء وأرقام اللبنانيين وبلغت خمسماية وخمس وعشرين شخصا من أصل أربعة الاف وسبعماية وخمسين فردا في معتقلات انصار في حينها ٠

٣ ـ خط القيادة المشتركة لوضع برنامج تحرك من أجل اللبنانيين وجرى ذلك بالفعل في جلسة عقدت بتاريخ ١٠ـ٤ـ٨٣ ، وأبلغ البرنامج الى لجان المعسكرات لتهيئة الاجواء وتحضيرها بما يتلاءم وانجاحه ، سيما وانه يتضمن

حمل كل أسير لعلم لبناني يعده بنفسه ، كما يتميز بتعطيل اخر سلطة من سلطات الصهاينة على المعسكرات ألا وهو العد الصباحي العامود الفقري لنظامهم .

في المعسكرات الصيفية لم تطفو على السطح اية اشكالات تذكر ، منذ البدايات بوشر التحضير باعداد الملصقات والشعارات والاعلام ، كما بوشر بتأدية الاغاني لمجموعات معينة في كل معسكر . فكنا نشاهد الحماس بالتحضير لفرقة معسكر تسعة ، « الصورية » وهي تحضر اغنية « رحالة » بمستوى الحماس البادي لدى الفرق الاخرى في باقي المعسكرات .

ووجد البعض صعوبة تحضير « ارزة » العلم اللبناني ، واذ بصلاح كما عودنا بذهنه المبدع ، يحضر حبة بطاطا ويحفر عليها الارزة ولتطبع وسط العلم ، بعد تلوينها باللون الاخضر من علب تلوين زودنا بها الصليب الاحمر بدون معرفته لمبتغانا المحدد منها ، واذ بهذه الطريقة ، تشق طريقها وتنتشر بين المعسكرات بعد ان عممناها ، ولتشكل اساسا لصناعة اختام خاصة بالتنظيمات ويصبح لدى كل تنظيم خاتمه الخاص .

وللاستفادة من دروس وعبر مرت لدى تأدية تجربتنا ، عدنا للحديث عن الهستيريا الجماعية في جلساتنا مع الصليب الاحمر وكان الحديث بالعموميات بدون التطرق للوسائل والسبل ، ليأخذ عنصر المفاجأة دوره وتأثيره . وكيف لا يستفاد من ذلك ؟ ! بالامس القريب كانت ظروف الاستفادة من حادثة انتحار فريد حامد واستثمارها الى المدى الاقصى ، وبالامس الاقرب كان خروج انصار من الخيم بشكل مذهل وملفت للنظر لدى الاستماع لتصريح بسام ابي الشريف ، كيف لا يتسنى لنا الامر ، والوسائل بايدينا متاحة من التصفير وطابور الازعاج الى اخر المبتكرات الحديثة . والابتكار الجديد هو الوصايا والاضراب المفتوح عن الطعام .

طلبنا من لجان المعسكرات ، في يوم محدد مع بدايات الاسبوع الثاني من نيسان ، تحضير مجموعات تعطى لها الافضلية في كل معسكر تتقدم من مندوب الصليب الاحمر ، طالبة رجل دين او كاتب عدل لتنظيم وصايا ! ! .. نعم وصايا ! .. لكون الموت المحتوم يهدد الجميع وينتظرهم ، حتى اذا تذرع المندوب برفض الصهاينة لحضور رجل الدين او كاتب العدل ، او احد أفراد أسرة من يراجعه تمتد اليد عندها الى الجيب ، لتخرج وصية معدة جاهزة وتسلم للصليب الاحمر الدولي .

وتتفشى « الصرعة » الجديدة وتنتشر ، لتأتي « كلير » حاملة « رزمة » وصايا حائرة بها وبأمرها معها ، ونناقش المسألة لاخراجها من حيرتها ، بتوقيع كافة ما في حوزتها بصفتي القانونية وبصفتي عضو اللجنة ، ومع ذلك لم استطع اخراجها من حيرتها بشأن رسائل ابدع اصحابها في اعدادها بعضها مألوف وموجه الى امين عام الامم المتحدة وامين عام الجامعة العربية

ورؤساء دول غربية وشرقية وبعضها غير مألوف لكونها موجهة لرب العالمين والرسل والانبياء ... وليس في امور كهذه اية غرابة ، مــا دامت عواميد الخيم وسطيحات الوحل وزوايا المطابخ ، مصادر وحي وابـــداع انصاري وقعها كوقع الاشياك لها نفس المفعول والتأثير !..

وأيمم وجهي شطر المعسكرات هادفا تعبئة كافة الجهود لانجـــاح التحرك ومراقبة مستوى الاعداد والتحضير ، وادخل الى معسكر ١٤ ، المعسكر القائم بذاته ، نوعا ونشازا ، معسكر رفض ويرفض تشكيل لجنة محلية لان التنظيـــم يعني الوطنية ، والوطنية تعني الورطة ! ... ادخل وبتوقعي ان خطوتنا تلبي رغباته بحدود معينة واذ بأبي «غاشم» يتبعني توا الى المخترة قائلا للبعض: هذه هي العريضة. كل من لا يوقعها يكون حزبيا ، نحن في هذا المعسكر لا علاقة لنا بأي عمل تنظيمي . رجاؤنا فقط « شارون » و « ضابط العد » ، هذه عريضة موجهة له .

ويخرج « أبو غاشم » ليدخل « خواف » منظرا من موقع الاعتراض على الموقف السياسي في معسكرات انصار ، وكدت اتلمس بداية ، ان لديه وجهة نظر يقتضي الامر مني الاستماع اليها ، واذ باعتراضه ينحصر في مسألة ابراز الموقف الوطني ! ! ... ادركت عندها مراده ، وتأكدت من ندمـــه على انتمائه السابق ، الذي يريد الخلاص منه بأي ثمن . واسترسل مع « خواف » عن الطريقة المناسبة للاحتجاج او الاعتراض على اعتقالنا ، قائلا له : دع نفسك مكاني ومكان لجنة الاسرى والقيادة المشتركة فماذا تفعل ؟ ! ويجيب :

– لا شيء ، لا شيء ابدا ، سوى الصمت وعلي ان اسند ظهري لعامـود الخيمة حتى اسمع رقمي على البوابة ... واخرج الى البيت ! ...

– يا عزيزي «أخاطبه مستبعدا كلمة رفيق أو أخ لتحسسه منها» هذا الاسلوب يناسبك انت بالذات . هذه وجهة نظرك ! ... وانت ، فرد واحد ، تصـر على عدم الانتماء حتى لتنظيمك السابق ، وعندنا منظمون يريدون متابعة النضال حتى في انصار ، فماذا ترانا نفعل بهم ؟ ! نقول لهم : ناموا «نومة» اهل الكهف . حتى تلاقوا فرج الرب ! هناك معسكر ٢٣ ، معسكر حركـــة التحرر العالمي ، كما اسميناه ، يصف طروحات لجنة الاسرى والقيـــادة المشتركة بالرجعية ويرى عدم تناسبها مع متطلبات المرحلة . فماذا ترانـــا نفعل بمعسكر من هذا النوع اذا وضعنا له استراتيجية الصمت ، والصمـت فقط كما تقول ؟! .. ماذا ترانا نفعل بأبي العلاء وهيثم وأبي عياش الذين يطلبون مزيدا من الثورية في طروحاتنا ! ...

– انهم مجانين ! ! ...

سهرتي عمليا انتكست ، واشعر بضرورة العودة الى معسكر خمسة ، هربا من « ابي غاشم » « وخواف » وغيرهم ممن يتدافعون باتجاه التساقـــط ، ويرون في رفع العلم اللبناني او ترديد النشيد الوطني ، خطرا عليهم . لا بد من العودة لمعسكر خمسة واطلب من المختار الذي يجيد العبريـــة ،

استدعاء الجنود لاخراجي .
ويقف المختار على الباب ملحا بالطلب ، والجنود مع مزيد من الاستمهال ، على غير العادة ، بحجة الاتصال بقيادتهم ! واقول للمختار : لقد ركبنا النحس ، انني بحاجة لهمتك ، اريد ان اعود ! ...
وينظر المختار لي قائلا ! : ان الناس في هذا المعسكر همهم الافراج . لا شيء غير الافراج . ومن هنا تسمع كلام « خواف » و « أبي غاشم » ومن هنا كانت معارضتي لتشكيل لجنة محلية بالرغم من خلافي مع الكثيرين هنا لاننا نريد ان نخرج من هذه الاسلاك ، واجيبه : كلنا ننشد الحرية . لكن اية حرية ؟ ! وبأي ثمن ؟ ! ومن قال بانها تعطى لنا اذا التزمنا الصمت ؟ وفق نظرية « خواف » او سلكنا وفق نظرية « أبي غاشم » وكيف تسمحون لشخص « كأبي غاشم » ان يتصرف هكذا ! .. ويسوقكم خلفه بشكل مذل ومهين ، وبعمل كله حقارة ، انعدم اثره منذ زمن بعيد ! ... ومع ذلك ، من قال : بان الاحتجاج سيخرجنا ؟ ! انما هناك فارق بين الاستكانة والنكوص والارتداد والى ما لا نهاية من العبارات التي لها مدلولاتها السياسية والنفسية وبين ان نجعل قضيتنا ، ولو على الاقل ، وبحدودها الدنيا متحركة ، اذ بتحركها يكون فرجنا وخروجنا ، وأنا الان بصدد الخروج ، يا مختار ، الى معسكر خمسة وليس الى البيت، رجائي أن تنادي مجددا على الجنود الصهاينة .
ويعود المختار مجددا للحارس ويتحدث اليه ، طالبا اخراجي ، ويسأله الاخير مستغربا وجود اسير من معسكر اخر لديه ، ليخبره انني عضو « فاعادا »[1] فيستعصي عليه الفهم اكثر ، ويطلب منه بقائي لليوم التالي ، حتى يحضر « الكابتن الكبير » .
واحس بثقل الورطة ، بين نار « خواف » ونار الصهاينة وتقارب الساعة منتصف الليل وانا محصور في مكان ، لا ارتاح لوجودي فيه . واشعر ان علي ان ارسل رسالة لمعسكر خمسة ، طالبا النجدة . وباشرت بالكتابة للاخ صلاح ما خلاصته أنني محصور في معسكر ١٤ بسبب رفض الصهاينة اخراجي منه ، معلنا عدم قدرتي على تحمل البقاء هنا، آملا الاتصال بالجنود المجاورين لمعسكر خمسة من اجل العودة ...
خطوط الاتصال بين المعسكرات كعادتها سالكة ليلا نهارا ، ويكفي انتطلب محطة اتصالك في المعسكر المجاور وتزوده بالرسالة « الطيارة » حتى تأخذ طريقها الى المحطات الاخرى فمعسكر خمسة .
وخلال دقائق كان الجواب بحوزتي ، يقول صلاح : ان الصهاينة في عطلة ليلة سبتهم ، كما اعهد ولم يجد احدا منهم مجاورا لمعسكر خمسة .

فاعادا : لجنة بالعبرية

وليس بيده من حيلة ، غير « الخلند » (١) الرابض تحت فراشي . لقد تم التفتيش عليه ايضا ، فلم يظهر له اثر ، اذ غاب منذ خروجي وربما لديه مهمة ، عندما يعود سيتبلغ الامر ، ليتيسر لي العودة من خلاله . . .

رسالة طريفة ، وقد افتقدت لغة التخاطب برسائل كهذه ، والتلذذ بمتعتها منذ ان نلت حرية الحركة . ومع تعطيلها الليلة ، اجد نفسي مفتوح الشهية للكتابة . اقرأ الرسالة واضحك والبسمة بادية على ثغري ، وعلى زواياها ظل « خواف » الثقيل ونظرية صمته ، واجد نفسي تلقائيا ، مشدودا لاعادة قراءتها قبل استكمالها ، وبصوت عال على الحاضرين وتحضير الجواب الفوري الجاهز ، قائلا : والله لن أدع صلاح يغمض له جفن الليلة ، أعطني ورقة يا مختار ، وابدأ بالكتابة :

الاخ صلاح ، تحية الثورة وبعد . كنت ابغي عدم ابلاغكم واقع الحال حرصا على سلامة اغماض اعينكم الليلة ، وراحة اجفانكم ، وعدم تعكر مزاج ابي ليلى ومتعته بفئرانه ، ولابقي نبيل مسترسلا مع صورة وسيمة ومليكته ، ويظهر انكم تريدون معرفة حقيقة الامر ، وقد جنت على نفسها « براقش » .

اختصارا انا في معسكر افريقيا الجنوبية ، عاصمة الرجعية في انصار ، مضطهد ، وكأنني زنجي بين قوم « بيض » وعلقت بين فكي كماشة ، « خواف » ونظرية « صمته » المبتكرة اخر الابداعات ، بل البدع الانصارية الجديدة ، والتي تستند لمعيارين ، الاول اسناد الرأس بعامود الخيمة ، والنوم الى حين الخروج الى البيت ، حتى ولو ادى ذلك الى نوم يشبه نوم اهل الكهف ، والثاني هو معيار الصمت والصمت فقط ، حسب تعبيره ، ليشكل ذلك ارضية وقاعدة صلبة لراحة الرأس والتمكن من النوم . اما الطرف الاخر من الكماشة فهم الصهاينة ، الذين لهم مع كل يوم مناسبة او عيد ، وغلبونا ايضا كما تدعي بكثرة اعيادهم ، لن اتحدث مطولا عن نظرية الصمت ، لانني سأنقلها بامانة الى اللجنة المشتركة ، كما وعدت « خواف » لمناقشتها واستطلاع مكنونات مضمونها وابعادها وليبقى للحديث عن النظرية طابع الحيوية والجدة ، وانما سأتحدث الان عن ازمة هذا المعسكر ، الذي يمثل الرجعية فعلا ، وهو بالمرصاد ، من دون شك لكم ، ولاية حركة ، من حركاتكم ، المسيئة لنظرية الصمت والمعكرة لاجوائها ، سيما اخر مبتكراتكم « طابور الازعاج » وتقليعة « الاعلام » .

وحتى الان سآخذ جانب التحريض عليكم ، من هنا ، اذا طالت مدة بقائي ، اطلب منكم ، تجديد السعي لاطلاق سراحي ، لانني محتجز فعلا ليس لدى الصهاينة ، بل في افريقيا الجنوبية بين البيض حيث اخاطبكم ،

الخلند : حيوان يعيش تحت الارض ومحفر التربة حجمه بحجم الجرذ

اطلقوا سراحي بالعودة لمعسكر خمسة ، والا فانني سأبدأ بالتحريض، والعدة والادوات جاهزة لدي ، مضافا اليها يسارا ، معسكر حركة التحرر العالمي ، وانتم تدركون ان ابا العلاء وابا عياش وهيثم وابا السعد لكم بالمرصاد ، وقد اعذر من انذر .

أنام ليلي يائسا بائسا مطارد من الليل وخواف وأشباهه ويطل الصباح لابدأ برنامجي كما أعددته في ليلة الحشر الجديدة ، وبعد العشرة وشيء من الراحة ، أدخل معسكر ثلاثين ويستقبلني على الباب أبو علي الساحلي بعفويته المعهودة ، معترضا على الفقرة المتعلقة بالاضراب المفتوح عن الطعام ، لعدم شموليتها كل أسرى انصار ، مثلما اعترض على عدم توقيف العد الصباحي كليا في الايام الاولى .

جلست ، بأعصاب هادئة وبطول أناة ، في زاوية احدى الخيم أشرح له ولسواه ، وممن تجمعوا حولي كعادتهم ، مسألة الاضراب عن الطعام ومعاناتنا منها سابقا ، وفشلها في حال تعميمها وجعلها شاملة قياسا على اضراب اليوم الواحد سابقا ، ومن هنا كان رأينا أن يكون الاضراب المفتوح اختياريا ، لان الذين لديهم القدرة على الاستمرار ، في حالة كهذه قلة قليلة ، واستعنت في حديثي باستعراض نماذج وتجارب الاخرين في هذا المجال ، وبشكل خاص تجربة « ايرلندا » كما بدأت أشرح مخاطر منع العد وضرورة مراقبتنا لردات فعل العدو ، بالتدرج فيه ، خاصة وان أوضاعنا لا تحتمل ضربة قاسية . كما قارنت بين طروحات صاحبنا المحدث وأفكار معسكر ١٤ المحتقنة بالتخوف والمحاذير حتى من رفع العلم اللبناني ، فكيف يكون في اضراب مفتوح وشامل عن الطعام ! . . .

ومن الجلسة الجانبية ، الى لقاء لجنة الشتوي لمناقشة التعديل الذي طرأ على البرنامج بشأن شموليته لاوضاع المدنيين ، وحصول ذلك بالتراضي والتوافق مع اللبنانيين ، الذين يمثلون أقلية هناك ، لا يتجاوز عددهم المئة ، موزعين على عدة معسكرات .

حقيقة الامور سائرة في شكلها المخطط والمرسوم ، بالرغم من ثغرة هنا ومزايدة هناك ، يمينا أو يسارا ، والاستعدادات آخذة مداها ، عملا بمقولة صلاح . سيكون السابع عشر من نيسان يوم اللبنانيين في انصار ، يوم الوفاء لهم والذي سيذهل الصهاينة ، من خلال أربعة الاف وسبعماية وخمسين علما لبنانيا ، والصليب تسلم المذكرة باكرا وحملناه مسؤولية ما سيحدث ، والشباب اضافوا للبرنامج ، ابداعات فنية جديدة ، تحضير القمصان الداخلية البيضاء ، لليوم الموعود ، تحمل شعارات ورسوم لها الطابع اللبناني من الارزة الى اعمدة بعلبك فقلعة الشقيف وقصر بيت الدين ... الخ ومن صور موسى شعيب وكمال جنبلاط الى معروف سعد وكافة الرموز الوطنية .

ويبدأ أسبوع التحرك لاجل اللبنانيين مع بداية يوم السابع عشر من نيسان، ميزاته تأخير العد الصباحي في اليوم الاول خمس دقائق في كل معسكر وترك الجنود ينتظرون على البوابة ، المدة المحددة ، ليؤذن لهم بعدها بالدخول ، وفي اليوم التالي عشر دقائق ، في اليوم الثالث ربع ساعة ، وليتوقف العد نهائيا في اليوم الرابع .

ميزة أخرى ، الاضراب المفتوح عن الطعام ، و « الصرعة » ، استحوذت على تقبل الكثيرين لها ، وباشروا بصيامهم في مختلف المعسكرات قبل الموعد المحدد وبأيام ، وباتت الشغل الشاغل للصليب الاحمر الدولي ومراجعة كل مضرب على حدة وتنظيم محضر بوضعه ، وتجميع وصايا جديدة . الميزة الثالثة ، ميزة الاعلام اللبنانية بآلافها المؤلفة بعدد الاسرى ، اذ بعد الاعتصام الصامت في الخيم أو الناطق في الساحات بالنشيدين الرسمي والشعبي اللبنانيين، ترتفع الهامات بارتفاع الاعلام اللبنانية وظهورها .

الميزة الرابعة ، طوابير الازعاج لحفلات بعد الظهر ، وبالتصفير و «الطرق» على « وجاقات » المياه وأعمدة الاشياك ، ويتراءى لكل مراقب أن انصار ضربتها الهستيريا الجماعية بشكل مفاجىء .

الصهاينة ، تابعوا العد الذي بات مضنيا بالنسبة لهم ، في اليومين الاولين ، وتوقفوا من تلقاء ذاتهم في اليوم الثالث . أما الصليب الاحمر الدولي فلم يظهر له أثر في المعسكرات وغابوا جميعا بمن فيهم « كلير » المتبرجة ، كذلك ، نحن اللجنة امتنعنا عن الخروج . وينقطع البرنامج لحساب حادث حصل في معسكر خمسة في اليوم الاول ، كنا نتناول فطورنا في الخيمة رقم ستة ومعنا أبو هيثم، صامت على غير عادته ، افتقد لروحية المرح التي يتحلى بها . وفجأة يصرخ : « دخيلك يا نبيل !.. دخيلكم يا حكيم !.. رأسي .. » ويقع أرضا ، نحمله الى سريره ، ويحضر الدكتور نظمي ويشرف على علاجه وهو مضطرب . لقد توقف قلبه عن الحركة ويعمل جاهدا لانقاذه ، كما يهيب بنبيل والمختار التعجيل بحضور نجمة داود . لقد أصيب بجلطة في رأسه .

الصهاينة ، باتت لديهم مخاوف من الحضور وتأخرت السيارة ، وأخذنا ننشد على البوابة بعصبية ملحوظة وبحماس ، نشتم الصهاينة بالباسها لبوس النازية ونتهم قادتها بالقتلة ، ونصيح ، بأن لدينا مريض يوشك أن يفارق الحياة !...

ننشد وقد بدت أجسادنا عارية ، باللحم ، خلعنا قمصاننا ، ونصيح ، وتنشد معنا باقي المعسكرات ، وتحضر « نجمة داود » وتنقل أبي هيثم الذي فقد وعيه وعادت النبضات الى قلبه ، وبتقديرنا جميعا أنه أصيب بعطل دائم في رأسه اذا تيسر انقاذ حياته .

نجتاز اليوم الاول والثاني ، نراقب الوضع ونترقب النتائج ، وردات الفعل في ظل عدم اتصال عطية بنا وانقطاع الصليب الاحمر الدولي عن الحضور ،

ومع الايام اللبنانية في انصار ، بمزاياها البارزة ، والاشيـــاك باتت مطرزة بالشعارات والملصقات الوطنية من وحي المناسبة ، ويأتي اليوم الثالث .

مع توقف الصهاينة عن العد ، نشاهد علما صهيونيا جديدا بموازاتنا ، خارج المعسكرات ، فنرفع العلم اللبناني ، فوق الخيمة ستة ، مثلمـا ارتفعت الاعلام في مختلف المعسكرات ، بعدها ردا على التحدي بالتحدي .

لقد تم سحب الحراس ، واستعيض عن ذلك بتكثيف عدد الملالات التي كانت، تتحرك بعصبية ملحوظة ، تدلل على فقدان صوابهم ، وتمر احداها على زاوية خيمتنا ، وتلف بسرعة ، تكاد تحسها أنها ستجتاز الشيك باتجـــاه المعسكر ، والهدير يتواصل في كل مكان ، كأننا في جبهـــة حرب ، ويترافق مع كثافـــة طائرات الهليكوبتر التي تقصد انصار ، أكثر من الظروف العاديـة ، وفي الجو طلعات لطيران العدو وغارات وهمية فوق المعسكرات ، وفي أجواء انصار .

نبيل يحاول الخروج كعادته ولليوم الثاني ويلقى طلبه الرفض ، بحجـــة مراجعة قيادة المعسكرات لتأذن بذلك وعلى غير ما اعتدنا عليه ، وعلى زاوية الخيمة خلوة بيني وبين الشيخ يوسف ، يعرب فيها عن استيائه ، لما حصل في اليوم الاول ، من خرق للبرنامج بسبب حادثة أبي هيثم المستجـدة والطارئة ، ويعتبر أمرا كهذا ، يؤثر على برنامج التحرك ويجهضـه ، ويطلب مني دعوة القيادة المشتركة لاجتماع جديد ، ولوضع برنامج تحرك أكثر عنفا .

وأجد نفسي مدفوعا للاجابة ومتسائلا : حتى الان لم ينته البرنامج ، ما زال في يومه الثالث ، ردات فعل الصهاينة نتلمسها من الحركة العصبية للملالاتـــه المرئية منها وغير المرئية ، من حركة طيرانه ، من امتناعه التلقائي عن العـــد هذا اليوم ، من عدم السماح لنا بمغادرة معسكر خمسة ، من انقطاع الصليـــب الاحمر الدولي بشكل مفاجىء عنا ، من كافة الظروف والاجواء المحيطة بنـــا وحتى الان استعملنا أعنف سلاحين بأيدينا ، الاضراب المفتوح عن الطعام ومنع العد ، لم يبق سوى السلاح الاخير حرق انصار ، فاذا كانت لديك أسلحة ، أكثر عنفا وتشددا اهدنا اليها !.. ونكون شاكرين !..

نترك ، بعد الجدل ، بعضنا وكلانا غير مقتنع من الاخر ، كأننا في حوار طرشان ، واتجه نحو المستشفى لمقابلة الرفاق في اللجنة وزيارة أبي هيثم الـذي أعيد اليه في الحال . اتجه وتمر فجأة « آن » وبرفقتها جندي ، تمر مسرعة من أمام بوابة الخمسة ، دون أن نعرف وجهة سيرها المحددة، والمختار ينادي عليها ولا تجيب ، ويعرب عن حاجتنـــا اليها وللصليب ، وقـــد بدت أنها مربكة ومضطربـــة .

وأدخل خِيمة المستشفى ، صلاح في زاويته المعهودة ، مع الاشبال ، في جلسة عن حديث الاسعافات الاولية ، ويتطلع نحوي قائلا : أين الدكتور نبيل ؟! لم لا يحاول الخروج ؟ قيل لي بأنهم استمهلوا لرد الجواب !.. ليطلب من جديد ! ويدخل نبيل على الخط ، ليبلغنا أنه طلب مرات عدة اخرها قبل نصف ساعة ،

دون أي جواب ويلتفت الدكتور نظمي نحونا ، ممازحا بقوله : « ناوين عليكم! الله يكون بعونكم !... »

أتوجه نحو أبي هيثم لأجده مستمرا في الهذيان والى جانبه أبو سليم وأبو أكرم ، ويستقبلني متعرفا علي ، قائلا : « أبو وضاح ! حالتي تعبانة ، أكلناها ، ويضحك أبو سليم من العبارة ، لانها كانت تتردد دائما على شفاههما » ويتابع: « أوصيك بالفلسطينيين اللبنانيين ، ليس لهم سواك ، ولك عندهم معزة خاصة غير الباقين ، وأنت تعرف معزتك عندي ، أنت غير الكل . شو هالمصيبة التي أصابتني ، ما كان فيها تصيب عبدالعزيز أو أبو سليم ».. وليعود بعدها مرددا أبياتا من الشعر وأمثالا وحكما من وحي مصابه ومعاناته .

أبو أدهم مختار المعسكر خمسة على البوابة يصيح : صلاح ، واللجنة « مطلوبين ، حضروا حالكم.. ! » يقفز صلاح من مكانه مسرعا ونتحرك ثلاثتنا الباقون ، ويودعنا أبو سليم بقوله : «لا تنسوا أبا هيثم!... » وعرض وضعه . ويتدخل الدكتور نظمي ويقول : « خليهم بحالهم ، الله يسهل أمرهم ، ممكن ألا يعودوا الينا !.. » مثلما يتحدث اخرون عن عملية اعادة نقل انصار الى داخل فلسطين المحتلة !

تفتح البوابة وأمامها ثلاثة جنود مسلحين ، وأحدهم يقول وهو متجهم : « لديكم اجتماع » ونسير برفقتهم باتجاه بوابة المعسكرات ، فالغرفة الخشبية .

تساورني الريبة ، لماذا لم يحضر عطية أو « باك » على غير عادتهما ؟ ولماذا ان الجنود بأسلحتهم ؟ وما اجتزنا بوابة المعسكرات ، حتى بدت لنا طلائع الاستعدادات العسكرية .

الارض مليئة بالجند والاليات ، خلف السواتر ، وعلى طول الطريق الممتدة ، وفي الجنبات ، هنا وهناك ، بمن فيهم حملة الدروع ، ببساطة نحن أمام مشهد يقارب مشاهد الغزو ، مشاهد الاجتياح !.. نتبادل النظرات ونبتسم لبعضنا ، بسمات لها معاني كثيرة ومعبرة ، ونصل الى عتبة الغرفة الخشبية .

في داخلها عطية و « باك » و « أبو الشنب » الذي قدم حديثا كنائب لقائد المعسكرات ثلاثتهم بدورهم يسودهم الوجوم ، وندخل لنجلس كعادتنا في مقاعدنا المواجهة .

يتحدث عطية ، ببلاهته المعهودة قائلا : « أنا بدي قلكم ، انصار ما عادت تنطاق ، نحن أسرناكم ، صرتوا انتو الآسرين ونحن المأسورين ، أنا قلتلكم من زمان أن الامر مش في ايدي ، ما عاد فيي خبي عن قيادتي . كل يوم اعلام وثار واضطرابات وشغب ، قلتلكم طولوا بالكم ، ما كنتو تردوا علي ، قلتوا فش تحقيق ، وفتحتوا الشرطان ، واليوم منعتوا العد ، قلتلكم طولوا بالكم ما رديتو علي !... »

ونقاطعه قائلين : ماذا حصل بموضوع اللبنانيين ، أنت وعدتنا بحل مشكلتهم وطلبت منا لوائح ، وقدمنا لك ذلك . ان المشكلة هي مشكلة اللبنانيين في

انصار ، لانهم محتجزون على أرضهم ، وأنتم أعلنتم الحرب على منظمة التحرير وتستهدفونها ، وليس على الدولة اللبنانية وشعبها ، فلم اعتقال اللبنانيين ؟ .. ولم الابقاء على اعتقالهم ؟!

ويقدم صلاح مداخلة بقوله : أنا بصفتي ضابط في منظمة التحرير ، أتعهد مقابل اطلاق سراح اللبنانيين وغيرهم من المدنيين ، فرز كل الذين ينتمون الى منظمتنا من الفلسطينيين والابقاء عليهم وعددهم لا يتجاوز الالف اذا لم نقل الخمسمئة في مختلف الحالات ، لانني أنا وأمثالي نعرف لماذا أنتم تعتقلوننا ؟! ونتحمل ، أما اللبنانيون فلا يعرفون لماذا هم قيد الاعتقال ؟ انهم مشكلة لنا ولكم في المعسكرات فأطلقوا سراحهم .

يتدخل « باك » قائلا : « لسنا في جلسة نقاش ، ولا وقت لدينا وأنتم شو خصكم باللبنانيين ، دولتهم غير سائلة عنهم !.. نحن سنعالج قضية اللبنانيين كقضية انسانية !... »

حلت دون استمرار حديثه ، وقاطعته بقولي : « قضية انسانية !.. وهل لدى دولتك مشاعر انسانية ؟ واذا نحن لم نكن معنيين بوضع اللبنانيين وأنا واحد منهم وممثلهم ، فمن يكون معنيا ؟!.. دولتي غير صحيح أنها لا تسأل عنا ، انما لديها من البلاوي والمصائب ما يكفيها ، بسبب غزوكم واجتياحكم لبلدي . وهذه المعزوفة سبق لنا واستمعنا اليها ، عندما سربتم مع أحد مندوبي الصليب الاحمر الدولي ، أن الدولة اللبنانية تعتبرنا ارهابيين ، ولا ترغب في بقائنا على أرضنا !.. فأقلعوا عن معزوفا تكهذه ، لانها لن تؤتي ثمارها !.. »

يعود « باك » للحديث ويقول : الان ، بات موضوع انصار بيد « قيادة الاركان » فقد اجتمعت بعد أن طفح « الكيل » وقررت جملة تدابير ستنفذها بالقوة . لدينا خمسة الاف جندي ، قوة قائمة بذاتها مضافة للقوة العادية ، استقدمنا « حراس الحدود » « انهم لا يعرفون ربهم الا بالاشارة » القوة جاهزة للتنفيذ ، كما تشاهدون ان لم يكن برضاكم فرغما عنكم !..

ونقاطعه مجددا قائلين : نريد أن نعرف من منكم قائد المعسكرات ، لنتحدث اليه ، أنت أم هو ؟ ويجيب عطية : أنا قائد المعسكرات ، و « باك » يتحدث اليكم !...

ويتابع الاخير قائلا : معكم مهلة خمس دقائق للتفكير والجواب ايجابا ، مقرراتنا هي التالية :

١ ــ استئناف التحقيق
٢ ــ تفتيش المعسكرات ، بحثا عن الراديوات والاجهزة الاخرى والممنوعات
٣ ــ فرز اللبنانيين
٤ ــ فرز عناصر القيادة العامة
٥ ــ اقفال الشرطان
٦ ــ منع الحرق ورفع الاعلام وكافة أشكال « الشغب » التي تقومون بها .

ويعقب قائلا « زمن الاول تحول » لا مجال امامكم الا للتنفيذ، واذا اجبتم لا ، سنعطل اللجنة ونمنعها من الحركة ، وها هي قوة التنفيذ تحركت في طريقها كما ترون للبدء بمعسكر خمسة ، مركز « الشغب » في انصار .

نقاطعه عن حديثه ، لنبلغه الجواب سلفا وبدون تفكير ، لا ، لا لانسمح بتنفيذ مقررات كهذه ، ونقول : عطلوا اللجنة وحركتها ، لان شرعيتها تستمدها من الاسرى وليس منك ، افعلوا كل ما تقدرون عليه ، لقد جاء يوم حرق انصار ، جاء يوم فتح الاشياك الخارجية واجتيازها ، صبرا وشاتيلا اليوم من نصيب انصار ، ارتكبوا مجزرة جديدة ، وكيف ستبررونها للرأي العام ، لا كتائب هنا حتى تتحمل عنكم « اللطخة » التاريخية ، اليوم يوم انصار الاسطورة ...

ومع تحرك القوات البرية والجوية يحتدم الجدل ويعصف النقاش ويعنف، وبعد ان رفضوا اعادتنا الى معسكرنا ، ونتهمهم بالخديعة والجبن لانهم لو كانوا غير ذلك لسبق لهم وابلغونا امرا من هذا النوع وفي معسكرنا .

ويسود الصمت حينا ، وفي الخارج ، يحيط بالغرفة دورية مسلحة ، الباب مفتوح ويستمعون لما يدور ، ونترك لوحدنا ، والقهوة على الطاولة لم تمتد لها يد او تمس .

نقف على الباب ، نراقب تحرك القوة العسكرية ، وفي مقابلنا معسكر خمسة حتى الان لم يبدأ تحركه واصوات المعسكرات تتشابك مع بعضها بأحاديث الاشياك ، ويصرخ أبا ليلى بأعلى صوته :

« بهاء !.. معسكر خمسة . ديروا بالكم ! .. بدهم يغدروا فيكم شعلوا النار ! ... »

يقفز « باك » الواقف امام الغرفة ، على ابي ليلى ، ويصفعه على وجهه، ويدفعه الى داخل الغرفة ، شاتما اياه ، واذ بابي ليلى يمسكه باكتافه ويدفعه عن نفسه وتجمر العين ، تحمر عيون الجميع ، ونقف مقابل بعضنا، مترقبين حذرين ، بينما يصيح « باك » « بدك تقطع لي أزرار بذلتي العسكرية !.. »

وتمر كلير مسؤولة الصليب ومعها « ايلي كوهين » ضابط الارتباط السابق ويصرخ صلاح قائلا « كلير » هذه مسؤوليتك وتتحملينها . . . ويحاول « كوهين » التقدم نحونا فيمنعه « باك » بينما تتابع مسؤولة الصليب سيرها مع الارتال الغازية لانصار في طليعة حملة الدروع .

نجلس أربعتنا الى جانب بعضنا ، ومقابل معسكر خمسة ، وتحيط بنا داخل الغرفة الدورية المسلحة ، ونشعر بالراحة لدى استماعنا ، للصيحة الاولى ، مع بداية دخول القوة الغازية لانصار ! وترتفع الاصوات ، أناديكم أشد على أياديكم ! . . .

ونتذكر أبا هيثم ونتخوف عليه ، وتشتعل مع تخوفنا النيران ، ونتحقق مصدرها ، ونقول ان « الحرق » بدأ خيمة خيمة ، ابتداء من الخيمة رقم

ستة ، وأتذكر ارشيفي الذي جمعته تحت رأسي وصور العـــائلة والاولاد ورسائلهم ومختلف الكتابات وأتمنى أن يكون « تشتش » أو أبي ابراهيم ، قد أنقذاها قبل الحرق ٠

ونلاحظ ان المعسكرات الشتوية لم تتحرك ٠ ٠ ونتابع جرد الذكريات ؟!٠ أبي محمود وأبي سليم !٠ ٠ وشعورنا ان انصار عليها ان تحترق الليلة ! ٠٠٠

وتعلوا الاناشيد وتزداد ، «شدوا الهمة» « أنا يا أخي » ومع راحتنا للاناشيد والنيران نلمح قوة الاطفاء في طريقها الى المعسكرات ، مثلما نحس ان الغناء لم يعم كل المعسكرات الصيفية ٠

وبعد مدة تخمد النيران وتنطفىء الخيمة ستة ، ليتحرك طابور الازعاج ، بدأ الضرب على « زينكو » الخمسة ، ويقول نبيل (السوكو وجواد تحركوا ٠ هذا موكب صلاح !٠٠٠ »

يلتفت صلاح نحوي قائلا أبو وضاح شد حالك ! ٠ ٠ وأجيبه :

انها ساعة الرجال لا تهتم ، لتبني أورشليم أمجادها في انصار ! ٠ ٠ وفجأة يخف صوت طابور الازعاج ويتوقف وتهدأ الحالة في المعسكرات ، وبتقديرنا انهم دخلوا معسكر خمسة ٠

يعود نبيل ممازحا أبا ليلى بقوله : « فئرانك كانوا ضحية بـــاك ، لقـــد احترقوا في الخيمة » ومع سيطرة اجواء الهدوء نشعر ان « الواقعة وقعت »

ويقول صلاح ٠ « رخوخوا الشباب ، ما كانوا قدر الحمل ! ، لقـد اصيبوا بالاحباط ، الصهاينة عادوا ليتحكموا بانصار » ٠

بلغنا مغيب الشمس ، وحضر ضابط ، فاستدعى اثنين منا اولا ، خرجت انا ونبيل ، لننقل في سيارة جيب الى زنازين انصار ، يقتادني جندي الى الزنزانة رقم ثلاثة ، مثلما اقتاد آخر نبيل الى زنزانة مجاورة ٠

ادخل الزنزانة رقم ثلاثة ، لأكتب على حائطها عبارة : « لتبني أورشليــم أمجادها في انصار ، عضو لجنة الاسرى نعمة جمعة » ، ولتعود السيارة ، بعـد فترة قصيرة مقدرا وجود صلاح وأبي ليلى على متنها ، وقد باتت لجنة الاربعة في الزنازين لا بل عصابة الاربعة كما قيل ، أو أربعة انصـــار ، قياسا عـــــلى أربعة الجرائر ٠

الزنازين باتت حصتنا ومأوانا من جديد ، وأتذكر عندما قلنا لـ « روزنفلد » مرة ، بعد أن رفضنا وضع أي كان من المعسكرات بها ، انها ستكون من نصيبنا يوما ولن يدشنها أحد قبلنا ، وها نحن قد دشنا زنازين « روزنفلـــد » زنازين انصار وباتت مأوانا ٠

ندخل الى ملكوتها ، صدقا طلبا للراحة بعد فترة مضنية ، أمضيناهـــــا في خدمة انصار ، ونؤدي الجزية الان عن مدينة الشرطان بما تحويه من بشـــــر وبرامج تحركات وقضايا وملفات ٠ أدخل الزنزانة وأنا مرهقا ومتعبا أحس بحاجتي للراحة والنوم منفردا ، بعد أن افتقدت متعة الانفراد سابقا ، لســت

بحاجة لأكل أو شرب بقدر حاجتي للراحة الانفرادية عدتي قلم ودفتر ويغزوني النوم مسرعا بخطاه حتى الصباح ٠

تاليا ، لا أريد تناول أي شيء ومعي من السجائر ما به الكفايـــة ، فأرفض الفطور ، وأستمع للاناشيد في المعسكرات الشتوية ، والهتافات تدوي لســاعات وبعدها تهدأ الحالة ٠

لقد دخلوا المعسكرات الشتوية ، وسقطت انصار بين أيديهم ٠ ضاع تعبنا كما يقول صلاح وعلينا أن نتحمل عبء التجربة ، لن يبقونا هنا ، وانما سينقلوننا الى الداخل للتحقيق ، وتمتثل أمام ناظري صورة المتنبي من جديد وقولـــه :

وأنى شـئت يا طرقـي فكونـي　　　أذاة أو نجـاة أم هلاكــا

لقد عدنا والعودة أحمد نمارسها بلذة ، العصبة والكلبشة ، عـــدة الطقس المخابراتي ، ويسوقني جندي من داخل الزنزانة الى سيارة بجانبها ٠

دخلتها عصر ٢٠ـ٤ ، وأحسست بحركة سواي فيها ، ويسأل نبيل ؟ مـن ؟ أبو وضاح ؟ أجيبه : أين صلاح ؟ يجيبني ربما سبقنا !٠ واقتادوه الى الداخل!٠ شد حالك !٠٠ وأجيبه : لا تهتم الاعصاب قوية ، الحفلة الجديدة «شدشدتها»٠٠ علينا أن نرفض التحقيق معنا ، وأفضل وسيلة للمجابهة الاضراب عن الطعام ، منذ البارحة وأنا ممتنع عن الاكل واذا تعرضنا لمزيد من الضغط نمتنع عن تناول الماء ٠ مطلبنا العودة لانصار ٠

يتحدث أبو ليلى مجيبا : أنا أيضا امتنعت عن الاكل ، وليكن هذا موقفنـــا المتفق عليه ، ويتدخل نبيل بدوره معربا عن تجاوبه ، مع تدخل جندي محذرا من حديثنا مع بعض ٠

السيارة تشق طريقها وشعورنا أننا باتجـــاه زنازين التحقيق في الجلمي أو غديرا أو مجدو أو المجهول الجديد ٠ تلف كوعا ، لتهبط في منحـــدر ، وتعود آخذة طريقها نحو مرتفع جبلي وبتقديرنا أن الرحلة تجاوزت بوابة « المطلة » لدى توقفها في لحظة ما ٠

افتقدنا أبا ليلى ، حيث تم ابقاؤه وتحركت السيارة مجددا بي ، ونبيل ، لتقطع المسافات الكيس والعصبة ، والمخاوف ، لها حضورها واستحضر الكباتنة وكيسهم والعصي والخراطيم وبهلوانات التحقيق ، استحضر الصور ، وأستعيد في الذهن والذاكرة صور الماضي القريب في بدايات الاعتقال ٠

الاعصاب «مشدودة» ، وجاهزة لمختلف الاحتمالات ، حتى للاضراب المفتوح عن الطعام ، والموقف كما حددته العودة لانصار ٠ وتتوقف السيارة ٠ يقتادني جندي في كتفي لأبدأ صعود درج بناية ويستقر بي المطاف في زاويـــة ممر فرعي والى جانبي نبيل بعد أن جرى رفع العصبة ، وتقطيع الكلبشة ٠

أصوات الذين يئنون من التعذيب في الممر الكبير مسموعة ٠ نتبـــادل النظرات ونبتسم ، ليقول لي نبيل : نحن في لبنان ! ٠ ٠ أنظر ، الاستمارات الملصقة على باب الزنزانة تحمل عبارة « الجمهورية اللبنانية » ٠

أنظر مليا في العبارة المعلقة على الزنزانة المجاورة لي ، لأتأكد من ذلك وأقول : اذن نحن في صيدا ، لقد توهمت بمسألة نقلنا للداخل . أين بقي أبو ليلى ؟ في صور أم في النبطية ؟ ولم استغرقت رحلة السيارة هذه المدة الطويلة ؟ الهاجس المسيطر هو التحقيق ، ونعود لتأكيد الموقت ، مع التمني أن نوضع في الزنزانتين المجاورتين اللتين نجلس أمامهما ، وقد تبين بعد الاستطلاع وجود « طاقة » في الحائط الفاصل وأهيب بنبيل ، لمعرفته العبرية ، استعجال الامر ، بالسؤال عن مأوانا ، والاستفسار عما اذا كنا سنبقي في الممر أم أننا سننتقل لمكان اخر .

حضر « شيتر » (١) برتبة رقيب ، وتحدث اليه نبيل ، فأجابه : « سأسرح أمركم حالا » : ذهب ليعود ثانية وطلب من زميلي مرافقته ، فأجابه بالعربية ، أستاذنا أولا تقديرا له مقاما وسنا . فاستفسرت الى أين ؟ ليجيبني الى الحمام ! ...

سرت خلف « الشتير » في الممر المزدحم بالمعتقلين على الجانبين ، الجالسين أرضا وفق الطقس المخابراتي ، متهيبا الوضع ، وغير متفهم لمبرر الذهاب الى الحمام ، ومتذكرا حفلة التعرية في الجلمي أمام المحقق ، ومتصورا أنني باشرت في سلم البدايات نحو التحقيق .

طلب مني أن أغسّل ، وناولني قطعة قماش . وفي ذهني هاجس الكيس .. سألته : لماذا ؟ وما هذه ؟ قال : غسل وهذه منشفة ! غسلت يدي بدون صابون، ووضعت المنشفة جانبا بدون استعمالها ، وعدت الى مكاني وسط الحشد المتأوه ، وألاحظ بقع الاوساخ على يدي من العرق والسيارة ، ليعد نبيل بعدي.

جلسنا نحاكم الامر وخلال لحظات ، مستبعدا مسألة التحقيق، كما يتراءى لي ، من أسلوب المعاملة وطراوتها ، مع شعوري أننا سنتعرض لمختلف أساليب الترغيب والترهيب . وبقي اصرارنا على مواصلة الاضراب عن الطعام .

حضر « الشتير » مرة أخرى وطلب منا مرافقته ، حتى وصلنا الى مدخل زنزانة في زاوية على جوانبها مجموعة من الزنازين . وقال لنا : هذه مناسبة ؟! تتسع لكما ؟ ! فسألناه : وهل سنبقى سويا ؟ ليجيب بالايجاب ! . . .

دخلنا نزلنا الجديد ، المتسع لفرشتي اسفنج ، فقط لا غير ، وأقفل الباب الحديدي علينا . ليعود مرة أخرى قائلا : أنتم أتيتم من انصار وما زلتم بدون أكل ، حتي الان وزعنا العشاء ليس لدينا طبخ سأوفر لكم معلبات ونواشف .

أجبناه : نحن مضربون عن الاكل منذ البارحة ، ونرفض تناول الطعام،لاننا نريد معرفة سبب ومبرر نفينا وابعادنا عن رفاقنا في انصار ، ونطلب مراجعة

شيتر : جندي بالعبرية

أي مسؤول يمتلك الجواب · تركنا واعدا بنقل شكوانا الى مسؤوليه ، ولدينا الشعور أن وجودنا في صيدا يشكل وضعا مريحا ، أفضل من نقلنا للداخل ، مثلما ارتحنا لوجودنا سويا ·

جلسنا نتذكر انصار ، نستحضر محنتها الصعبة ومعاناتها الجديدة ، وموقف القيادة المشتركة وقدرتها على تحمل المسؤولية بقرار تاريخي ، ألا وهو حرق مدينة الشرطان ، واحساسنا أن ذلك لم يحصل مثلما استحضرنا أبا هيثم ، وتخوفنا على وضعه الصحي ، الذي تسببت له الاحداث بصدمة جديدة ، وقد تكون القاضية بالنسبة له ،والقاتلة كما استحضرنا أبا جاموس الذي خاض معركة من أجل الحضور الى الخمسة وكان « يتمختر » كأنه أمير زمانه بعد انتقاله ، فذاق اللوعة بدوره ·

فجأة على « طاقة » الزنزانة أطل اثنان برأسيهما وقال أحدهما ، أنتما هنا؟ كيف الحال ؟ أجابه نبيل : أهلا محمد ، «ماشي الحال» حدث مشاكل في انصار وأبعدوا اللجنة ، أنا والاستاذ هنا وأنزلوا أبا ليلى في مكان اخر ، لا ندري أين، وربما نقلوا صلاح الى الداخل · ومن كلمة محمد فهمت أنه « أبو عريضة » ، فأجاب : لديهم تدابير سينفذونها بالقوة ·

التفت الاخر نحوي قائلا : ألا تذكرني ؟ أنا الذي سجنتني في صور ، لأجيبه : لا ! ومن أنت ؟ وهل أتيت لتأخذ الثمن وتقتص مني ، ولماذا سجنتك؟ قال : أنا كمال كنت مع مجموعة القليلة في قضية تفكيك قطع من محطات ضخ المياه للبساتين · ولست بوارد ما تقول:لان العين لا ترتفع الى ما فوق الحاجب· اذا أسأت لك الان ! ماذا سأقول لاهل بلدتي ، الذين يحترمونك ويحبونك كما تعلم · أنا في خدمتك اذا كنت تريد أي شيء ·

أجبته : نعم أريد ، أبعدنا عن انصار ولا أحد يعلم مكان وجودنا ، حتى الصليب الاحمر الدولي ، آمل أن تتصل بعائلتي المشغولة البال ، وتخبرها أنني بخير ، وهنا ، لطمأنتها ·

يتركنا « أبو عريضة » الذي توقعنا بدوره أن يكون قد جاء لأخذ قيمة فاتورة انصار ضده ، في حادثة ما قبل الاستقلال ، وفي حادثة معسكر ستة ، وموقفنا منه · يتركنا ، لنمضي سهرتنا ، معربا عن قناعتي بضرورة السجن المشترك لكلينا ، أنا ونبيل ، حتى تنضج العلاقة أكثر وأتصور صلاح ضاحكا لدى معرفته. بزنزانتنا التي سنتقاسم فيها الوجدانيات والشؤون والشجون الشخصية والانهيارية ·

التحقيق هو الوهم الحاضر الدائم ، في الذهن ، ومع الاسترخاء الى ما بعد منتصف الليل والاستماع للاغاني والموسيقى من الجهاز العامل لدى الحراس ، نغفو بعد الثانية لنستفيق صباحا مع رفض تناول الطعام ومواصلة الاضراب و « التشبيح » على بعض السجائر من الجنود ، والاصرار على مقابلة مسؤول· لا أثر للتحقيق من قريب أو بعيد ، والعد الصباحي له حضوره ، لكن من

« الطاقة » يطل المحقق ويحصي عدد نزلائه ولترفض الاكل كالعادة ظهرا .

تداولت مع نبيل في أمر استمرارنا بالاضراب ضمن وجهة نظر أبديتها ، خلاصتها ، أننا نحن أضربنا بدافع التخوف من نقلنا للداخل والتحقيق ، وكلا السببين لم يحصلا ، أما بشأن عودتنا لانصار ، فهذا أمر متعلق بالاسرى والصليب الاحمر الدولي والمنظمة . جميع ما ذكرت عوامل خارجة عن ارادتنا، وقد تحملنا الكثير من أجل الاسرى وعلى الخمسة الاف معتقل ، ان يتحملوا بدورهم الان عنا ويفرضوا هم ، مع العوامل الاخرى مسألة العودة ، لذا أرى انعدام المبرر لمواصلة الاضراب ، وعلينا أن نستغل مجرد وعد بالبحث بوضعنا من أجل أن نفك الاضراب وتبقى مشكلة أبي ليلى ، الذي بات مؤكدا وجوده في صور . اننا التزمنا معه وعليه أن يقرر هو بدوره المستجدات .

ويأتي المحقق الينا مستفسرا عن سبب اضرابنا ليقول : « أنا صاحب أوتيل ، طلبت مني مستويات عليا حجز غرفة لدي لاقامتكما ، وأنا بحاجة ماسة لها لكثرة النزلاء ، كما تشاهدون ، لستم وحدكم المتضايقون من وجودكم هنا وانما أنا أيضا ، وما دام لا يحق لي التعاطي معكم كذلك لا أسمح لكم بالتعاطي معي أبدا الا فيما خلا الاكل ، الحرامات ، السجائر ، الحمام .. كل هذه الامور قادر على توفيرها بحدها الاقصى ، وما عدا ذلك ليس من صلاحيتي ، انما من صلاحية المراجع العليا التي طلبت حجز الغرفة . هي وحدها الطرف الوحيد والصالح ، لتقرير اعادتكم لانصار أو ذهابكم الى البيت وآمل أن يتم ذلك قريبا وقريبا جدا .

وقاطعته قائلا : انك تتحدث عن مراجع ومستويات . فهل نحن بهذه الخطورة حتى يكون أمرنا بيد من ذكرت ؟ وليجيب :

ـ نعم عليا ، عليا ، وعلى أعلى المستويات ، ثم أنك لا تعرف حضرتك من أنت ومن تمثل ؟! مع زميلك . ان ابعادكم عن انصار من شأنه التعجيل بعملية التبادل وعودة أسرانا !... الذين لهم أسر وعائلات من حقهم الاطمئنان على وضعهم ، مثلما هو حق ذويكم الاطمئنان كذلك . ونحن يهمنا أسرانا ، نتبع مختلف السبل والوسائل من أجلهم .

ـ وأجيبه : لكن أسراك ليسوا لدينا وكيف يجوز أن أرتهن أنا كمحام لبناني، من أجل من لك لدى المنظمة وما علاقتي أنا بهذا الموضوع ؟.. ثم انك تشعرني بحديثك وكأننا ، نحن نعيق عملية التبادل ، انني أتساءل عن دورنا بها ومدى فعالية رأينا ؟!

ـ هذا أمر لا يعنيني ، قلت لك انني صاحب فندق وأنا في خدمتك كزبون وفق تعليمات مراجعي العليا ، تطلب سجائر ، حرامات ، أكل اضافي ، أنا حاضر .

ـ أنا لا أحملك ما لا قدرة لك على تحمله ، وانما أطلب أن تعمل بدورك على الخلاص منا باتجاه انصار وانصار فقط وليس باتجاه البيت لان لنا أهلا

هناك وهم من يعنينا أمرهم دون سواهم ، ويهمني أن أحصل منك على وعد ، بحل قضيتنا ، لسنا مختارين بمجيئنا الى هنا وليس مكان وجودنا بفندق ، ولسنا بوارد مشاكل معك كما أدعيت . واذا كان يهمك أن نتناول طعاما عليك أن تعدنا بالحل ، بمراجعة مسؤوليك ...

ـ أعدكم بذلك اذا كانت هذه هي المشكلة .

وتدخل نبيل وطالب بالحقوق التي لنا على الاقل ، كما هي في انصار ، الكتب ، زيارة الصليب الاحمر وطمأنة الاهل ، ليجيبه بمراجعة قيادته . ويتركنا بعد أن صممنا على فك الاضراب وتناول الطعام ، الاضراب الذي استمر لمدة ثمان وأربعين ساعة ابتداء من زنازين انصار .

يتركنا لنتناول الوجبة الاولى في صيدا ، والجنود ينظرون الينا نظرات فيها الكثير من الدهشة ، وعلامات الاستفهام نلمحها بمراقبتهم لنا عبر « الطاقة » او خلال ذهابنا وأيابنا للحمام .

الممر الخارجي ممتلىء على الجانبين ، بالنزلاء وفي زوايا الممرات الفرعية ، والمحقق الاشقر ، الذي تحدث معنا ، يمضي اغلب نهاره وقسما من بدايات الليل في التحقيق والمشاهد المأساوية بالنسبة لنا ، باتت بحكم التقليد ما يؤذينا ، هو عدم التصلب عند هذا او ذاك ، والشكوى المتواصلة المرفقة بعبارات الاذلال والانهيار وطلب الشفقة ، والتي تعبر عن حالها احيانا بالبكاء .

ومع بدايات الليل التالي ، كنا نستعد للعب دور شد العزائم والهمم . في ذهابنا وايابنا للحمام نخاطب هذا او ذاك قائلين : « شد حالك ! لا تخف في اسوأ الحالات يرسلوك الى انصار ! نحن لجنة الاسرى هناك ، ابعدونا عنها ، لاننا منعناهم من مواصلة التحقيق ، لا يوجد ما يخيفك هناك ، شد حالك ، اياك ان تعطي لهم اية معلومات ، واذا انكرت يطلقوا سراحك الى **البيت** . »

وفي الزنزانة عدنا لحكايا صلاح ، الانشودة والاغنية ، ونمزح مع بعض بشأن بقية العدة ، المشعل والحرق واشعال الحرامات على « الطاقة » اذا دعت الحاجة . وكلما ارتفع صوتنا وسمعه من حولنا ، نشعر ان الصمت قد غلب عليه واخذ يتنصت متسائلا : من هم هؤلاء ؟ ! وكيف يغنون الاغاني الوطنية في مركز التحقيق ؟ ! .. ولتقطع التساؤلات الدائرة بالحديث عن انصار ، عروسة شعرنا ، والتعريف بنا ، ومخاطبة من هم على مسافات قريبة منا ، سيما رواد الزنازين والتعرف عليهم وتنبيههم من المقنعين والعملاء سيما نزلاء الغرفة رقم خمسة ، الذين اطلق سراحهم من انصار واحتفظ بهم ، لاختبار مدى جديتهم بالتعامل وجدارتهم وتأهيلهم للعب هذا الدور ، ولنعرف ان كمال احد المتعاملين ويجري اعداده بنقله من زنزانة لاخرى للحصول على معلومات والوشاية باصحابها .

وليعود الينا المحقق ، الذي تحدثنا اليه بعد ايام ويخبرنا انه راجـــــع بقضيتنا وتلقى وعدا بحل قريب ويعرب عن تضايقه من تصرفاتنا بالحديث الى الزنازين ومن في الممرات المجاورة ، ويتهمنا من جديد بخلق المشاكـــل لــــــه ٠

المسألة بالنسبة لنا باتت معروفة ، ولا تتعدى نطاق ابعادنا عـــن انصار ، ليتيسر لهم ترتيب الامور وفق ما يحقق غاياتهم واغراضهم ٠ ومن اين لهـم تحقيق الغايات والاغراض ؟ ! ما دام مشروعهم قد فشل ، وباتت انصار في عهدة المشروع الوطني ، الذي نظرنا ووفرنا له خطة عمل شاملة ، حـــدود وسائلها تتراوح من الاغنية ، الى حرق انصار وفتح الشرطان وكل ما هو غائب عن انصار الان ، قيادتها الممثلة باللجنة واللجنة هي جزء من القيادة المشتركة التي يفترض بها مسك زمام الامور واحباط التدابير والترتيبات الصهيونية الجديدة ٠

وعبر اي وافد جديد الى التحقيق ، نحمله الرسالة التقليدية والتوصيات الرسالة تتعلق بالاخبار عن مكان وجودنا اذا كان ذاهب لانصار او للخارج ، والتوصيات تتعلق بالصمود وعدم تهيب المؤقف ٠

اول الوافدين كان الدركي من جرجوع ، غنى مطولا لابنته ، عتابـــا وميجانا ، وغنى لزوجته ، ودعا على الواشي به ، وهدد وتوعد لدرجة قتله ، ثم عاد وندم ، تاركا امره لرب يقتص منه ٠ ونتعرف عليه انه قريب الشهيد حاتم ، فأسأله عن وسام ، ليظهر بعفوية شوقه له ومحبته لمعرفة اخباره ، واخبره بانه سيلتقي به فور وصوله الى انصار ، في معسكر ١١ وعليه تبليغ الرسالة الشفوية ، فور وصوله والابلاغ عن مكان وجودنا ٠ ٠

الوافد الاخر علي بن الحسن من ذات البلدة ، بدا عليه انه وقور ومتهيب الشيب يجلل شعره ، ويشتكي ليلا من معدته ، فيأته طبيب لا يفهم العربية ، ويتدخل نبيل بحشرية من خلف الطاقة اخذا دور المترجم واصفا لحالة المرض فيقترب الطبيب والمغلوب المهيوب منا وابصره ٠٠٠ انه وجه معروف لي !٠٠ لكن لا اتذكره سلم علي وخاطبني باسمي واحس بالقرابة الروحية المشتركة بيننا ، ويعرفني على شخصه ٠٠٠ ويعود بعدها لاخذ الزاوية المفروضة عليه ، وفق الطقس المخابراتي ٠ احرص على تشديد عزيمته وطرد شبح المخاوف حتى من انصار واعدا بالحرص على راحته هناك ، متمنيا عودته الى البيت وارتب لقاء بيننا لاحقا في الحمام ، اتعرف الى انتمائه الحزبي واحمله رسالة شفوية الى الرفاق ٠

تمر الليالي وتدور الحياة دورتها المعتادة ، على زاوية من زوايا هـــذه الدنيا في عالمها المحدود ، خطوط الطول والعرض فيها يلتقيان مع قطبيهـا الجنوبي والشمالي بمسافات تتراوح بين الزنزانة والحمام مرورا بالحشود المصطفة على الجانبين تنتظر رحمة طواغيت الزمن الاخير ٠

واشعر في دوراتي الاعتيادية في محيط العالم الجديد ، بشيء من الراحة لاجتيازي بوابة عبور التحقيق وممراته وزواريبه ، مثلما اشعر بشدة الوطأة وثقلها على كاهل الوافدين الجدد ، لست فقط انصاريا وانما واحدا من فعاليات انصار ، الذين اخذوا على عاتقهم وقف سياسة التدمير الذاتي والوطني ، والتصدي للمشروع الصهيوني من موقع المغلوب على امرهم والحرص على البقاء معهم ، بشطب فكرة ترك انصار الا مع اخر معتقل فيها ، واسقاط كل الاغراءات الذاتية والفردية .

وماذا بعد انصار الان ؟ ! بل بعد النفي عن مدينة الشرطان ؟ ! هل بامكان الصهاينة أن يلحقوا بنا أكثر من ذلك ؟ ! لم يبق سوى الموت ، وانهم أجبن من أن يقدموا على خطوة كهذه ، بسبب الظروف الذاتية والموضوعية التي أحاطت بنا ! . . . وحتى الموت أمرا قبلنا خياره منذ زمن بعيد . . .

نعود للزنزانة لنغني « شدو الهمة الهمة قوية مركب ينده للبحرية » وكيف لا « ننشد » الهمة ونحن في مدينة معروف سعد ؟ ، مدينة صيادي البطولة ، في عاصمة الجنوب ، وصوت جنوبه الرافض لكل محتل ودخيل . . .

وتشتد الهمة ليتجاوب معنا ليلا رفيق قومي شوقي من ال البستاني ، وضع أمام ناظريه صور زعيمه « سعادة » وأخذ يردد أقواله ومآثره بصلابة ، ليأخذ بعدها مغنيا :

ياخويا البزنزاني سمعت صوتك ناداني
يا خويا سجنك سجني وصمودك بيعززني ...

يتجاوب الرفيق ، فيعيد اغنيته مرارا وتكرارا ، بناء لرغبتي ويرتفع صوت « الدركي » بدوره عتابا وميجانا للزوجة والابنة ، وتنتشر حمى الاغاني متنقلة بدورها ، الى مختلف الزنازين ! ...

« الشيتر » الصهيوني الذي يشبه بشكله « الميجر علي نار » يتصرف بعقلية بدائية ، يستمع من الراديو لاغاني اجنبية وتتجاوب اصداء الصوت في الممرات ليصاب بحمى الطرب بدوره ويصرخ مع ازدياد وكثرة الغناء وباعلى صوته مرددا عبارة « عيون بهية » !

في هذه الاجواء تراجعت الاهات والاستغاثات وانعدمت كليا ، لصالح العزائم والهمم المشدودة تكسرت هيبة ورهبة المغارة العاتية وضربها الوباء الانصاري ، ضربتها الاغنية الوطنية ومعها اخذنا ندعو لانصار ، جمهورية المعتقلين .. وقد فتحنا ثغرات في جدار العزلة الذي افترضوه بانه مطبق علينا ثغرة باتجاه البيت واخرى باتجاه انصار للاخبار عن مكان وجودنا .

الجنود ، استطاع نبيل تدجينهم ، وهم يريدون التعرف علينا ، على انصار القصة والحكاية والاسطورة التي يتحدث عنها قادتهم واعلامهم . يريدون معرفة انصار وقرارها الذي بات يحسب له كل الحسابات ، يستند لفعل الاسرى مما جعل الصهاينة يلهثون وراء الحدث وراء ردة الفعل ! ..

ونتحدث اليهم عن انصار ، بتركيب الاسطوانة المعهودة ، صغار كبار سن مرضى ... أوشفتر تحقيق .. الخ .. نتحدث عن الصهيونية الغازية للبنان ، المدمرة والجانية بحق اليهود أولا وأخيرا ، ونتحدث .. ونتحدث معهم ليكشف أحدهم لنا خبرا مفاده أن المحقق حذرهم من الحديث معنا ، التحذير الذي حرك فيهم حشرية التعرف الينا .

وتتوفر لنا الاخبار ، واخرها مقابلة الصليب الاحمر الدولي ، للاسيرين اللذين لدى القيادة العامة ونتابع في فترات غياب المحقق أيضا متابعة اخر مباحثات « خلدة ـ كريات شمونة » برفع الجنود لصوت الراديو . ونستمع لنبأ عن عملية ترتيبات وتدابير جديدة قام بها الصهاينة في معتقلات انصار ، وحركة « الشغب » التي حصلت ...

ويتحدث الينا جندي زار انصار واصفا حركة الترتيبات ، والمعارضة القوية هناك ، وأغاني على الشرطان ، ورشق الحجارة .. مثلما تحدث اخر عن رعبه وخوفه من الموت المحتوم لكل جندي يبتعد عن مجموعته ..

ويأتي المحقق مرة وبشكل مفاجىء، ليجد الحارس قد فتح لنا باب الزنزانة، لتهويتها ليلا ، وجلس الى جانبنا ، فصرخ عليه بأعلى صوته ، ألم أحذركم من التعاطي مع هؤلاء وخطورتهم ، أنت لا تعرفهم ، انهم أسروا أخوة لك .

يسحبه المحقق ويستبدله بغيره ، بعد تجديد التحذير ، واعرابه عن شعوره بكوننا ضيوفا ثقيلي الظل على كاهل نزله ، بل كاهل مغارته ، وليعود الينا الجندي بعد ثمان وأربعين ساعة ، شاتما المحقق ، وناقلا رسالة من نبيل الى ذويه في غزه ويعود من جديد مرة أخرى ، متحدثا لنبيل عن أخيه وأوصافه ولنستمع لاحقا الى انفجار قريب ، كدنا نحس ان البناء قد أطبق علينا وقد عرفنا أنه حصل في أحد مراكز العملاء ، وليتبع ذلك حملة اعتقالات واسعة ، كما تطلق النار مرة ثانية على « الكابتن » العميل ، فيقتل سائقه .

تدور الحياة دورتها في سراي صيدا ، وتتوالى الايام ، ونطرب باستماعنا لزمامير السيارات خاصة مساء كل نهار جمعة وصباح أثنين وأحس بتواقيت معينة ان احداهن ، تحمل أولادي ذهابا وايابا من الدير الى البيت وأتذكر أيامي الماضية في المدينة التي كبلها الاحتلال ومعارفي بها من مختلف المستويات! تدور الحياة ، وتتكرر عبارة « شيتر » مع المحقق النشيط ، الذي ينادي الجندي ، ملتهما الفريسة تلو الاخرى ونحن نهيب بكل من يصل اليه صوتنا بعدم تهيب الموقف وعدم التساقط والتسلح بالاعصاب والكتمان ، ولنبدأ نحس بتقليدية نمط الحياة والروتين .

يأتنا ، يوما ضابط برتبة « ميجر » ونلتقي به ، وأتحدث مع نبيل ، عن خطوط حمر ، لا نسمح بتجاوزها مع دخولنا غرفة مكتب المحقق . كما نتنبه لافتراض وجود أجهزة تسجيل .

استهل كلامه بعربية طليقة معربا عن رغبته في الحديث الينا ، لمعرفة سبب

المشاكل في انصار !٠٠
ونتحدث عن الخطوط الحمراء واللاءات التي أوجزناها :
ـ لا لسياسة الترغيب أو الترهيب ، حتى ولو كان الترغيب بالذهاب الى البيت لان قرارنا هو العودة لانصار فقط ٠
ـ لا لجلسة تحقيق
ـ لا لمخاطبتنا بغير صفتنا كأعضاء لجنة أسرى
ـ لا لأي التزام باسم اللجنة بغياب رئيسها صلاح وعضوها الاخر أبي ليلى
ـ لا لأي حديث عن منظمة التحرير وعملية التبادل من شأنه ترتيب أي موقف سياسي لان الطرف المعني بشأنه هو صلاح بالتحديد
ـ لا لأي حديث اعلامي
بعد أن تكلمنا مطولا باللاءات ، أبدى عن دهشته لرفضنا الذهاب للبيت وتساءل : أوليس عندكم أولاد ينتظرون الفرصة المناسبة ؟! ونجيبه : نعم عندنا ، لكن عائلاتنا الان هم الخمسة الاف معتقل في انصار ، نشعر أنهم يصرخون ، نريد اللجنة ، وقد نسينا أسرنا وباتت أسرتنا هناك ، العائلة الكبيرة التي يلفها العذاب ضمن الشرطان ٠
لقد تم حسم مسألة اللاءات بداية وتحددت مقابلتنا بالحديث فقط ، بانصار واصفا ايانا بحكم حركتنا الدائمة هناك ، بالخبراء ٠
فتحنا كل الملفات الجاهزة ، مع استعارتنا لعبارات « الجلد » السياسي ، ركبنا « الكاسيت » لنفتح صفحة ملف جديد كلما أنهينا ما قبله ، وجادلنا الحديث الذي استمر ساعات لنضعه في موقع الحشر في أكثر من زاوية ، كلما بدرت منه ملاحظة في مجال التبرير الواهي ٠
قال : لنا لدى « جبريل » أسيران « رهينتان » ٠
قلت : تدعون أن جبريل « مخرب وارهابي » وتدعون أنكم نظام ودولة ، تتحدثون عن الديمقراطية والحضارة ومع ذلك تسمحوا لانفسكم باحتجاز خمسة الاف رهينة هل لديكم وصف اخر لفعلكم ؟ فأجاب : ما تقوله صحيح !٠٠ ارفع لك العشرة ٠٠٠
استطردت : يفترض أن تكون لديكم عقدة المعتقلات بعد تجربتكم في«أوشفتز» فلماذا أقدمتم على اقامة معتقلات ؟ أجاب : « انصار جرح كبير ! »
وتدور دورة الحديث لنتحدث عن المسألة اللبنانية وتعقيداتها وغرقهم بوحلها ورمالها المتحركة ، وعن التعايش العربي اليهودي ، عبر التاريخ وعلاقة الاديان السماوية ، ببعضها البعض ، وأزمة اليهود مع الصهيونية ، الاسفين الذي يضرب التعايش ويتسبب بمشكلة لليهود أنفسهم قبل العرب ، ومشكلة شعب فلسطين ، التي ستبقى حية تبحث عن حل ، دون أن يسهى عن بالنا التذكير بالنازية وتجاربها ومصيرها ٠
الجلسة كانت بمثابة ندوة سياسية ، تحت ستار انصار ، بملفاتها وقضاياها

الواضحة تحدثنا عن كافة الامور المطروحة ، وتعرفنا لمختلف القضايا ، الى أن يختم الضابط الصهيوني الحديث : « قريبا ستعودون الى انصار ، وستعود لجنة الاسرى تمارس عملها وستنتهي أزمة انصار في الاشهر الثلاثة القادمة ، الموعد المحدد مع الانسحاب الكامل من لبنان » .

ونعود الى الزنزانة ، نتحدث ، نقيّم ونبحث في موضوعات الجلسة ، والقضايا التي ناقشناها لنشعر أنها كانت شاملة وكاملة .

نعود لننتظر العودة القريبة ونعطها مدى زمنيا لا يتجاوز الاسبوعين ، ونحن نتابع تفرغنا ، للراحة وتصليب عود المعتقلين الجدد ، نزلاء التحقيق بالكلمة والاغنية .

وينقل لي كمال ، نبأ علم زوجتي بمكان وجودي عن أخيه الذي نفذ المهمة واتصل بها ، كما ساورتنا مشاعر الراحة ، لعلم انصار أيضا بذلك من خلال الذين أخذوا طريقهم اليها من بينهم « دركي جرجوع » .

وتتوالى الايام تباعا نقلب صفحة اليوم الاول لنستقبل الثاني والثالث والرابع ... على نفس الوتائر التقليدية ، ونفكر بخارطة انصار الجديدة وكيفية انتشار القوى والكوادر البشرية بما في ذلك القيادة المشتركة ، بعد التدابير الصهيونية التي بات مؤكدا لدينا أنها أخذت طريقها للتنفيذ ، لكن بصعوبة وعناء .

ومع نهاية الاسبوع الثالث كنا أمام امتحان مدى جدية اعادتنا لانصار ، ترجمنا الموقف باضراب جديد عن الطعام واستمر لمدة أربع وعشرين ساعة وكبرنا لائحة المطالب الذاتية بالحقوق المنصوص عليها في شرعة جنيف ولنتبلغ في حينها موعد العودة .

عودة اللجنة وحرق انصار :

أطل اليوم الموعود ، يوم العودة الى انصار ، بعد اغتراب قسري ، نفي وابعاد ، وقل ما شئت من التعابير المستعارة والمناسبة ، أطـــل ونحن ننتظر بشوق يومنا المنتظر ٠

المناسبة بالنسبة لنا بمثابة عودة الروح الى الجسد ، وربما عودة السمك حيا الى بركة المياه لمتابعة المشوار ، والتمتع بلذة الاعتقال ، بعد لذة الزنزانة ٠

التعابير تعجز عن الوصف ، وليست بمستوى حرارة الشوق ، ومهما كان لها من طابع البلاغة ، تبقى أقل من مستوى التصوير الحي ، وهل يمـكن لعبارات أن تترجم أحاسيس وترسم حركة الاعصاب ٠

مع بدايات الصباح جمعت ذاتي ، بدون أمتعة ، ومن أين لي ، بالامتعة ؟! والفيلد سيبقى في عهدة الزنزانة ما دمنا في يوم ١٦ـ٥ وكل الامتعة بالاضافـــة للذات ، الدفتر والقلم ، رفيقي الدرب أيضا ، والدفتر خاو من الكتابـــة عن مرحلة النفي ، لان القلم أصيب بالشح وعجز عن التصوير فكان دون مستوى الحدث مستوى الجود ، على غير عادته ٠

مع الصباح جمعت ذاتي واستكملنا وداع الاحبـــة في الزنازين المجـــاورة ، بتمنيات الفرج لهم والا اللقاء بهم في انصار ٠

وأدفع نبيل للاستفهام عن الطقس المخابراتي ، اللازمة المرافقة ، العصبـــة والكلبشة ، وأحرضه ، ويأخذ التحريض مفعوله مع مغادرتنا ٠ الكلبشة توضـع بدون ضغط في أيدينا ، والعصبة جرى صرف النظر عنها ، حسنا سنشاهـــد الجنوب وستبصر عيناي الارض والبشر ولطالما اشتقت لرؤية كهذه ، رؤيـــة لا يضيرها كوني مكبل اليدين ، لان هذا شرف لي ، وتكفي ارادتي التي لم يستطع العدو تكبيلها ٠ ونصل الى الباحة الغربية لسراي صيدا وأحس بالمرارة لـــدى مشاهدتي العلم الصهيوني قد أخذ مكان العلم اللبناني ، والشرطان الشائكة تلف المكان ٠ انهم قوم تجانسوا مع الشرطان أينما حلوا ٠ وتتحرك السيارة ضمـن رتل من الاليات العسكرية ، ومعنا في داخلها ، الجنود الذين دجنهم نبيل ٠

ونجتاز ساحة الراهبات ، لا بل ساحة الشهداء حيث تم دفن المئات ممـــن سقطوا أثناء غزو صيدا ٠ وأبصر المدينة الحزينة ، يشهد على حزنها كل ما بها من بناء وحجر ، كل ما بها من مارة أو في السيارات ، في العمارات وعـــلى جوانب الطرقات ٠

صيدا الحزينة ، أخت صور الحزينة ، بنت الجنوب وأمه ، بل حاضرته التي لن ترضى بالمهانة ٠ ستحطم يوما ما كل ما دنسها ، ستمزق الاشيـــاك وتدوس العلم الصهيوني بأقدام ثوارها ، ستنفجر ثورة غضبها الحارقة الخارقـــة لكل

اشكال الغزو والعدوان ٠

وتتحرك السيارة جنوبا وبصري عالقا ومتعلقا بكل شيء ،بكل ما وقع عليه ناظري ، وذاكرتي ناشطة وجاهزة ، في عهدتها كل أشرطة الذكريات ، تعمـل بأقصى درجات حيويتها ، انها في أعلى مستوى حراري عرفته ٠

نجتاز الزهراني شرقا باتجاه النبطية ، مرورا بساحتها ، ومن أمام مستوصف المؤتمر الوطني لدعم الجنوب الذي له معي الكثير من الحكايا ونصل الى زبدين مقر الحاكم العسكري الصهيوني في النبطية ٠

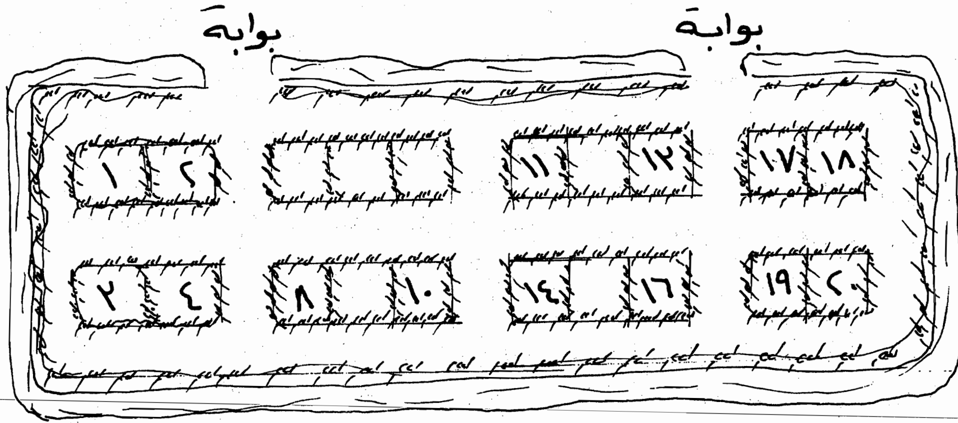
مقابل السيارة التي تقلنا ثلاث باصات مملوءة بالمفرج عنهم من انصـــار ، نتبادل معهم التحيات بالرؤوس والايدي وبعد لحظات نتحرك باتجاه مدينـــة الشرطان ، ولنعود بعد وصولنا الى أمام قيادة المعسكرات بالتوجه الى معسكر الزنازين ويوضع كل واحد منا على انفراد ٠

المعسكرات ، تعيش على رسلها ، والاصوات المتقاطعة والمتشابكة ، لم تستطع التدابير الجديدة التي حصلت في غيبتنا ، فصلها عن بعضها البعض ٠ ويدخـل علي « باك » وأسأله : ألم ينته الفيلم ؟ ما زالت هناك مشاهـــد أخرى ؟ أين صلاح ؟ ويجيب : أنت لست متأخرا هنا ٠ لحظات وتعود الـــى معسكرك !٠٠٠ أتريد أي شيء ؟ معك سجائر ؟ وأجيبه : لا أريد شيئا شخصيا !٠٠٠

يتركني ليعود بعد فترة قصيرة وبرفقته « كلير » انفجـرت حمى غضبي في وجهها متهما الصليب الاحمر الدولي بالتخلي عنا طوال الفتـــرة الماضية ، ولأطلب منها ابلاغ أسرتي بعودتي بعد أن أخبرتني بمراجعة زوجتي لها يوميا ، وتعرفها منها على مكان وجودي كما أخبرتني بعودة صلاح وأبي ليلى ٠٠٠

تغادرني « كلير » ليعود « باك » من جديد وينقلني أنا ونبيل الى الغرفـــة الخشبية انتظارا لقدوم صلاح وأبي ليلى ٠ فجأة يعود ومعـــه أبو محمـود ، ويترافق قدومه مع مجيء صلاح وأبي ليلى ٠

تبادلنا القبلات والتهنئة بالسلامة وابلغنا ابو محمود ان الصهاينة قـرروا الافراج عني وعن نبيل واوضح بانه سبق للصليب الاحمر وصرح بخروجنا الى البيت ردا على مطالبة الاسرى بنا ، ليقاطعه صلاح قائلا : انا منذ عودتي في ٦ ــ ٥ قلت لكم ، ان ما قيل عن خروجهما الى البيت هو ادعاء كـــاذب وانهما مخفيان من قبل الصهاينة ، لان الصليب الاحمر نفسه لم ينكر عـــدم تسلمهما ونقلهما الى البيت ، وان خبرية من هذا النوع ، كان القصد بها بلبلة اجوائنا والاساءة اليهما ٠ ثم يرد على « باك » الذي طلب ان نتحدث معا ، قائلا : اننا لا نريد ان نتحدث ، ليس لدينا اي موضوع للمناقشة ،يكفي الاطمئنان لسلامة عودتهما ٠ نحن أعضاء لجنة اسرى وشرعيتنا نستمدها من رفاقنا ، بامكانك نفينا من جديد ، تعطيل حركتنا ، لكن ليس بامكانك تعطيل شرعيتنا ٠ لا نريد ان نتقابل مع بعض ، انك ما زلت على موقفـــك المعادي والفاشي ، افعل ما شئت ، نحن وضعنا رأسنا برأس قيادتك ، ولا



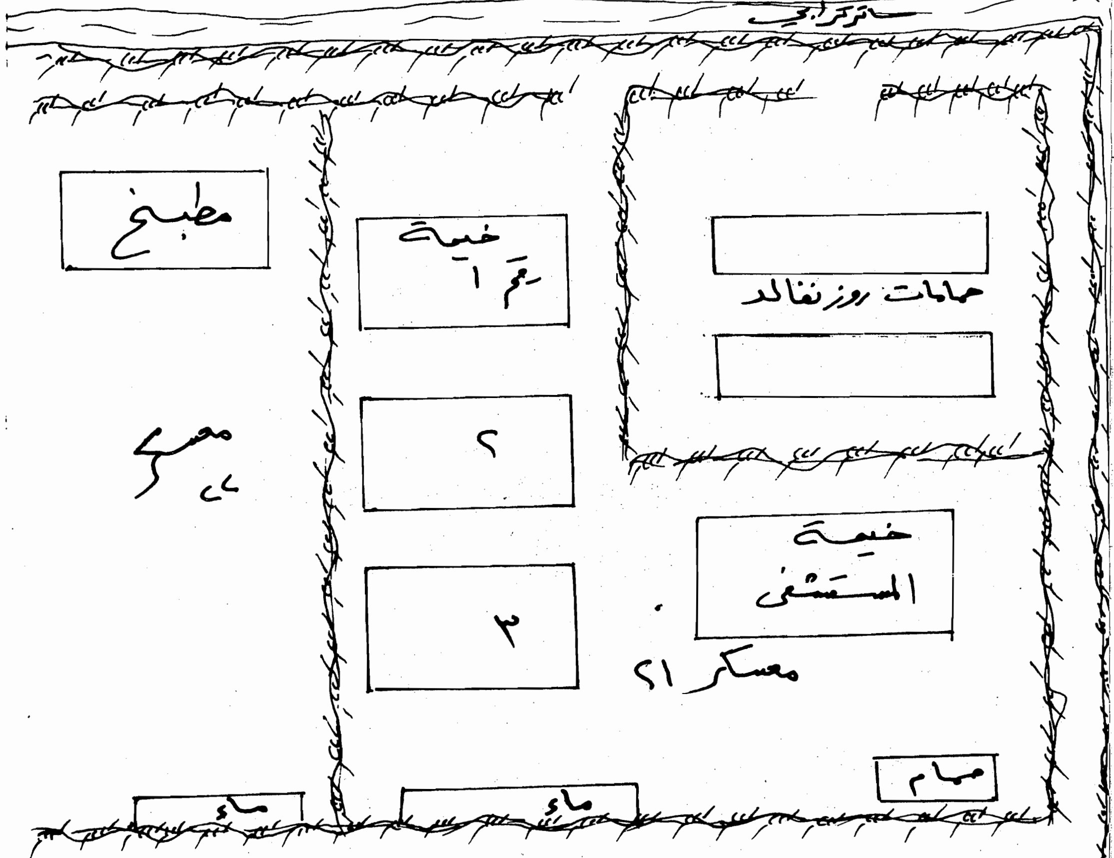
٥٠ ـ تقسيمات انصار بعد ١٩ـ٤ـ٨٣

نهاب ، سنرى رأس من سيتكسر رأسنا ام رأسك ، انك ستدفع الثمن غاليا ، لن نسمح لك بتعليق نجمة جديدة على حسابنا ، ارضاء منك لتعليمات قيادتك وتدابيرها التي لن ندعها تأخذ طريقها للتنفيذ • مجددا اقول لك : اذا كانت انصار لم تحترق فاننا سنحرقها ، مثلما ستفتح الشرطان ، نحن نمتلك اجسادنا العارية وارادتنا .وانت تمتلك كل اسلحة الدمار بما في ذلك قنبلتكم الذرية ، القوا بها علينا ، ولتكن لديكم الجرأة ، ونحن على وضعنا اقوى منكم ومن آلتكم الحربية ، لتكن لديكم الجرأة على فعل بمستوى قوتنا في انصار • لا نريد أن نتحدث فقط أطلب تمكين شباب معسكرات الصيفي من رؤية أبي وضاح ونبيل والاطمئنان لعودتهما ، واقول بدون مهرجانات ، لاننا نعرف متى وكيف نقيم المهرجانات ! •• وانا سأخبر المعسكرات الشتوية بعودتهما ! ••••

وسط الجو العاصف ، نتجول بالسيارة على المعسكرات يرافقنا ابو محمود نتلقى التهاني على عجل بالعودة ، ونتبادل التحيات ويستقر مطاف نبيل في معسكر ١٩ المحاط بالخيش الساتر من كل جوانبه مثلما استقر مطافي في معسكر ١٣ •

قبل وصولي ، ومنذ اللحظة التي فارقت بها نبيل ، تحركت الاناشيد والهتافات وتعالت ، ليتسلمني معسكري من البوابة باتجاه « سطيحة الوحل » وعلى زاوية المعسكرات المقابلة •

محيو وسامح وابو سليم على الشيك المقابل في معسكر ١٧ وأتحدث وسط جمهرة الاسرى وتجمعهم معبرا عن امتلائي بالحماس والعاطفة ••وليبادلني الرفيقان المذكوران بكلمات تعبوية ملؤها التقدير والتثمين للموقف والمعاناة ••• والبيعة الجديدة للجنة الاسرى ••



٥١ ـ تقسيمات معسكر ٢١ وتبدو حمامات روزنفلد بطرفه

عدنا الى انصار ، لنتقاسم نصيبنا معها ومنها في التشتيت ، والبعثرة ، والتوزع ، بالاضافة لتفريقي عن نبيل ، صلاح في معسكر ثلاثة ، وابو ليلى في المستشفى ، وقد بات المستشفى في معسكر ٢١ في الشتوي ، بدلا من الخيمة التي كانت في معسكر ستة ، والى جوار حمامات « روزنقلد » ٠ وصلاح بدوره منذ افتراقنا ، تمارض وعاد الى المستشفى ليبقي لنفسه مجالا ومتسعا للحركة بين جناحي انصار ، تمارض واخذ موقعه الى جانب ابي ليلى ، الذي التزم معنا ، يوم ابعادنا عن انصار ، فبقي مضربا عن الطعام في زنزانته في صور، لمدة ستة ايام ، وعاوده مرضه الفريد ، حمـــــى البحر الابيض المتوسط ،

فارتفعت درجة حرارته ، ونقل الى مستشفى ، في نهاريا ، حيث جـرى تشخيص مرضه على انه مصاب « بالزائدة » ففتحت معدته ، رغما عـن توضيحه لطبيعة مرضه ، واعيد تسكيرها بعد ان تبين عدم وجود التهابات بزائدته ، وليعاد بعدها الى صور ، في « زنزانة » فندق الشمبت كما قال له « ميجر » هناك ويمضي بقية فترة ابعاده حتى تاريخ ٩ـ٥ـ٨٣

عدنا مع التشتيت ، لوسائل الاتصال التقليدية ، بواسطة المرضى بـين جناحي مدينة الشرطان ، والرسائل « الطيارة » واحاديث الشيك ضمـن الجناح الواحد ، وعادت « وكالة انباء الحمامات » معززة الدور ، وعلي ان ابقي دائما على الشيك ، مرابطا ، لتقبل التهاني بالعودة ، « والبيعـة » الجديدة والثانية ، بعد « البيعة » الاولى يوم تشكيل اللجنة في ٧ ـ ١١ • أرابط للحديث ولتلقف الرسائل « الطيارة » المحتوية لذات المضمون مـن اعضاء القيادة المشتركة ، لبنانيين وفلسطينيين ومن كوادر انصار ، مـن مختلف الانتماءات ، ومن رفاقنا حزبيين وجبهويين ، الرسائل تتحدث عن حفلة التشبث ، وازمة انصار في غيبة لجنتها ، والموقف السياسي الراهن ، ومتطلبات المرحلة القادمة • وانصرف للرد على ما هو وارد ، متخذا مـن زاوية الرفاق في خيمة مقرا لي ، وهم الى جانبي يؤدون دورهم الانصاري بحماس باد عليه الارتياح لوجودي بينهم •

جلسة الصباح ، لدى وصولنا ، كانت عاصفة وحضور ابي محمود حمـل الينا طابع المفاجأة ، وتحدث الاخير بالعناوين ، قدوم العميل سعد حداد الى انصار ، المعاناة الصعبة التي وصلت الى حدود العودة للكلبشة والغـاز والعصي ، وتحدث عن التجويع واشكال اخرى لم شحل دون مطالبـة الاسرى بنـا •

ماذا جرى في غيابنا ؟ ! لما لم تحترق انصار ؟ ! ما هي وقائع وحقائـق الفترة الماضية ؟ ! ••

الاسئلة كثيرة والاجابات اكثر ومتنوعة ومتباينة احيانا ومتعددة المصادر ، توجزها الرسائل « الطيارة » واحاديث الشيك وخبريات من في المعسكر من الكوادر والرفاق :

لحظة تقدم القوة الصهيونية باتجاه المعسكرات ، في حينها ، سادت حالة ارتباك في معسكر خمسة ، ولم يتوصل اعضاء القيادة المشتركة لتحديد موقف عملي لمواجهة التحدي ومنسجم معه ، موقف كان يفترض ان يولد للحظته ،

والجرأة تتمثل باتخاذه ، وتحمل مسؤوليته ونتائجه ، ولا نبالغ اذا قلنا ان انصار قد اعتادت على قرارات ومواقف من هذا النوع وبهذا المستوى لكـــن على يد اللجنة او اي عضو من اعضائها ، واللجنة في اللحظة المذكورة ، كانت برسم الابعاد ، برسم التعطيل لتمرير التدابير الصهيونية ، وغلب علـــى الموقف في حينها طابع العقلنة ، مما اتاح « لباك » سهولة تمرير لعبتـــه الخبيثة وضرب انصار على رأسها ثأرا للمشروع الصهيوني المنهار في محاولة لاعادة لملمة اوراقه ٠

وامام عدم اتخاذ موقف محدد من قبل معسكر القرار السياسي ، معسكر خمسة ، ومعسكرات انصار كانت بالانتظار لذلك ، وفي ظل غياب الموقـــف المركزي المعتاد ، وعدم تبلوره ، سادت معسكر خمسة وبعض المعسكـــرات اجواء الانفلات باتجاه المجابهة ، وبقيت حوادث من هذا النوع ، عبارة عن حوادث تمرد على افكار التخوف والعقلنة ، لم تستطع فرض نفسها كحالـــة عامة ، وانتهت بفتح بوابة معسكر خمسة ليلي ذلك المعسكران المجاوران واخراج كل من في الداخل الى الطريق الترابية ٠

فور حصول ذلك ، كانت القيادة المشتركة ، بغالبية اعضائها المشاركين في الاجتماعات واتخاذ القرارات ، قد باتوا في المطب الصهيوني وعلقوا به ٠ مثلما كانت المعسكرات المذكورة على موعد مع تربيط الايدي وسوق من فيها الى القسم الجنوبي من المعسكرات الذي سبق وتم اعداده بدون تجهيز الخيم حيث فرض عليهم الاقامة في العراء بعد تقسيمهم الى مجموعات تحيط بكـل مجموعة الاسلاك الشائكة والجنود باسلحتهم وعصيهم وغازاتهم وثقافتهـــم اللوطية بدون مأكل او مشرب ، ومع عودة للبدايات بفرض وضع اليدين على الرأس وتواصل المعاملة لايام عدة بهذا الشكل ٠

وكما كانت معسكرات ٥و٦و٧ على موعد مع التشتيت فان معسكرات ٩، ١٥ و١٢ كان لها نصيبها ايضا وتقطيع اوصال المعسكرات المتبقية مـــــن القسم الصيفي عن بعضها البعض ٠ اما معسكر ٢٧ في القسم الشتوي فلهم عليه كـل الثارات ، ابسطها الثأر لكرامة الجنرالات الاربعة الذين تسكعوا على عتبته لساعات وواصل صموده يوم ٣٠-٤ حتى النهاية فلقي نصيبه من حفلــــة التشتيت ٠

وما ان تيسر ذلك حتى عمدوا الى فرز اللبنانيين على حدة لوضعهم فـــي معسكري ١٨ و٢٠ وفرز عناصر القيادة العامة لوضعهم في معسكر ١٩ المغلق بـــ « الخيش » مع الاشياك ، وتوزيع الباقين من المعسكرات السبع المذكورة على المعسكرات ١، ٢، ٣و٤ في المربع الشمالي مـــن انصار « الصيفيـــة » ومعسكري ١٧و١٩ من المربع الجنوبي من ذات الجناح ٠

انصار ، اتيح بذلك ، تشتيتها سياسيا بين تنظيم معين في معسكـــر ١٩ وتنظيمات اخرى في معسكري ١٨و٢٠ كما اتيح تشتيتها جغرافيا بين صيفي

وشتوي من جهة وتوزيع الصيفي الى عدة اقسام تفصلها عن بعضها البعض معسكرات خاوية أو طرقات ترابية كما يتضح من الخريطة المرفقة .

بالاضافة لتسكير الشرطان والحواجز الفاصلة بين المعسكرات المتلاصقة ومنع التسلل جرى اختبار معسكر ١٩ بارسال العميل حسن اليه ، فنال نصيبه من البوابة فورا ولدى دخوله تعاون كل من في المعسكر على ضربه مما استدعى تدخل الصهاينة لانقاذ حياته واعادته الى معسكر ٣١ .

اما اللبنانيون فقد اختبروا بقضية مجيء العميل سعد حداد ، اذ اخذ « باك » كالثعلب الماكر يظهر تعاطفه معهم ويتودد اليهم بحجة تفهم قضيتهم ، مصورا ان فرزهم مقدمة لاطلاق سراحهم وتمييز اوضاعهم عن الفلسطينيين بحكم « السلام المنشود » والقريب ... وليستدعي لاحقا ستة افراد منهم لمقابلة « مسؤول » اتى خصيصا لبحث قضيتهم ! .. وخرج الستة بالفعل ممن اختيروا من المعسكرات واذا بهم امام « المسؤول المزعوم » سعد حداد .

قيل انه تحدث عن فضائل وحسن شمائل « اسياده » فسبح لـ « بركاتهم ونعمهم » التي من ابرزها ـ خلاص لبنان ـ من الارهاب الفلسطيني والسوري والعربي وتحدث عن « محاسن » عهده و « امنه » الذي وزعه بـ « العدل والقسطاس » بين الرعية التي باتت بقدرته وقدرة اسياده رعية « صالحة » غير « اثمة ومتلبسة بـ شيطان الارهاب » ومتمنيا ان تكون انصار قد اخرجت « الشياطين » من عقول من بهم من اللبنانيين وتخلصوا من « اثامهم » ليغفر لهم ذنوبهم الماضية ويمنحهم بركة « عفوه شريطة تزكية » طالب العفو من قبل ثلاث عملاء في محل الاقامة التابع له .

وقيل ان مهمة العميل كانت خائبة لم تحقق غاياتها ، فعاد بـ « خفي حنين » جامعا بين يديه الريح ، يجرجر اذيال الهزيمة وتطارده « شياطين » انصار .

قدمت ، وهذه القصة لها موقعها في « انباء الحمامات » وعقول البعض ممن أصابهم اليأس وخويت عقولهم ، الا من مشاعر الارتداد والنكوس. يجري الحديث عنها بين واهم يعلق الامال الكبار عليها ومتصلب بعقيدته وقناعاته ، حازم لامره ومجابه لهذه الاوهام وليقال أيضا ان « عطية » في معرض رده على المطالبة بعودة اللجنة اجاب ، بانها « ماتت » والميت لا تعود له الحياة من جديد وليرفع اثنان في يوم اخر فوق رأسيهما يافطة تحمل عبارة « لا لعودة اللجنة » اثناء العد الصباحي وردا على صرخة الباقين ويافطاتهم المطالبة بعودتها. ، وقيل ان مختار معسكرهما دافع عن وجهة نظرهما عملا بالمفاهيم الديمقراطية وحرية التعبير عن الرأي وسانده منظر اخر بطرح شعار يقول : « اللجنة تعني التبادل ونحن نريد ان نتحرر قبل التبادل » !

وقيل ان تصرفا كهذا استفز مشاعر انصار ومن في المعسكر المذكور مما

استدعى عملية رشق بالحجارة للذين تضخم في عقلهم الوهم وانطلت عليهم حيلة العدو .

عدت لاجد انصار فيها نوازع واهواء متقلبة على هامش الوحدة السياسية، نوازع واهواء تاركة بصماتها وتشكل عبئا على اي قرار سياسي موحد ، عدت واكتب ردا على البيعة الثانية لكوادر الحركة الوطنية اللبنانية ، ومندوبي الحزب الشيوعي والحزب القومي في القيادة المشتركة ، اكتب مثمنا الموقف في غيبتنا ومقدرا التشبث بوحدة انصار والتمسك بالقرار السياسي الموحد احد ركائز مشروعنا الوطني واهيب بمزيد من التنبه والحرص لاعادة لم الشمل على قاعدة اعادة التجميع ومركزة القرار . واكتب للبعثيين في انصار ، مهيبا بهم ايضا وبافكارهم القومية الوحدوية الحرص على وحدة الاسرى والتصدي للطرح القطري الخبيث المستهدف لتجربتنا النضالية ، وتحمل مسؤوليتنا الملقاة على عاتقنا كطرف اساسي من اطراف هذه التجربة .

الكوادر السياسية وأعضاء القيادة المشتركة بدورهم شملهم التوزيع والتشتيت بعد ان سبق لنا ومررنا عبر عمليات النقل سابقا ترتيب الاوضاع ، شملهم التوزيع وتعددت نتيجة ذلك ، العواصم ومراكز القرار في انصار بالرغم من بقاء معسكر ثلاثة كعاصمة رئيسية بديلا عن معسكر خمسة السابق ، لوجود امين سر القيادة المشتركة فيه مع اعضاء اخرين وتردد صلاح عليه من حين لاخر .

واكتب للثلاثة مع مجيء صلاح ، وقد عدنا ايضا للاسماء المستعارة ، اكتب ويخاطبني كثيرون تحت اسم « ربيع انصار » الاسم الذي كانت تحمله كتاباتي في جماهير انصار العربية ، وصلاح مخاطبا باسم « ضمير انصار » كما اخاطبه باسمه المعروف « صنوبر » اكتب للثلاثة كما قلت ونتبادل الاراء والمواقف وتتكثف حركة الرسائل فيما بيننا . اما نبيل « وسام انصار »وجاري فاخاطبه من زاوية المعسكر ونتحدث دوما مع بعضنا وقد بات لدينا من العلاقة الحميمة والوجدانيات والشؤون والشجون ، ما فيه الكفاية ، بفعل الزنزانة المشتركة ، هذه العلاقة التي نضجت على نار النفي .

واتحدث واكتب للرفيق محيو ايضا ، المناضل الصلب ، وله في نفسي كل الحكايا التي تحمل التقدير ، لقد تصدى في اليوم التالي لابعادنا في معسكر ٢٧ في الشتوي ، وكان ما كان من نقل المعسكر ، كما تصدى في يوم الارض ، وكان ما كان من تركيع جنرالات صهيون ، وتابع تصديه منذ الايام الاولى في معسكر ١٧ ، اذ كان صاحب الطرح لشعار عودة اللجنة ونضال انصار لهذه الغاية ، فكسر جليد التشتيت ودفع انصار من جديد نحو « مركزة » القرار والمطلابة ولتصرخ كل خيمة من خيمها صباحا في وجه الجنود لدى العد

الصباحي ، ويحمل كل اسير يافطة تحمل الشعارات . (١)

ومن الطبيعي أن يكون لمحيو رأيه السليم والسديد في المرحلة الراهنة ، ويتحدد الموقف ، من الايام الاولى لعودتنا ، العودة لبرمجة التحرك، مفتاحها حرية الحركة الى اللجنة والمطالبة بالزيارات العائلية بعد تعثر مسألة اللبنانيين وورود أنباء عن حملة اعتقالات واسعة قام بها العدو في صيدا وصور والنبطية.

وتتعزز القناعة بمسألة المطالبة بحرية الحركة الى اللجنة بتصريح ورد أخيرا ولو متأخرا على لسان أبي جهاد الوزير يقول فيه : ان منظمة التحرير وضعت الاسرى الذين لديها في الزنازين ردا على ابعاد لجنة أسرى انصار ، ولن تعيد الاسرى الصهاينة الى سابق وضعهم الا اذا أعادت القوات الصهيونية اللجنة الى انصار ومكنتها من استئناف نشاطها وحرية تحركها ، وليرد عليه نائب رئيس الاركان الصيوني بتصريح يعلن فيه : ان اللجنة قد عادت لانصار وتتمتع بحرية الحركة .

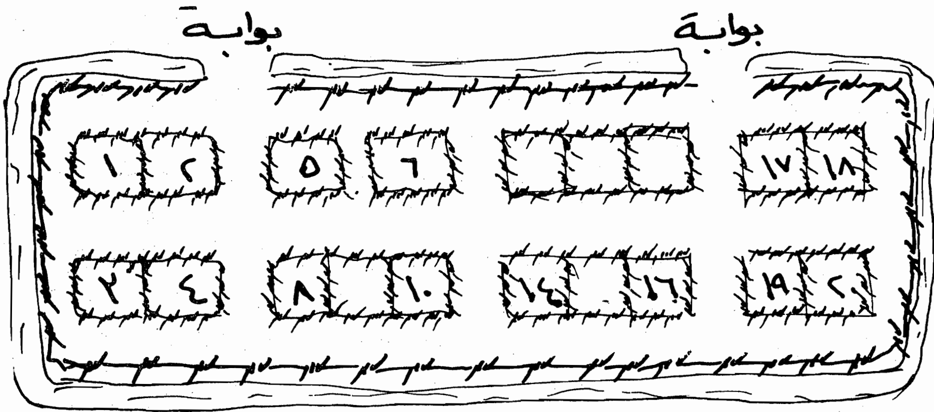
يتحدد الموقف الجديد وتطرز خيم انصار عبارات المطالبة بالزيارات العائلية مكتوبة بالكلس وصرخة صباحية في كل خيمة تتعلق بالشعار المذكور وشعار حرية الحركة للجنة الاسرى وسط « فيتوات » موضوعة من قبل الصهاينة تارة على صلاح وطورا على أبي ليلى ومرة علي ليعود « الفيتو » على نبيل وسط اصرار المشتركة على لجنة الاربعة بكامل أعضائها بدون تبديل أو تغيير أي كان منها ، كما تنصرف المشتركة بدورها للاعداد لشهر حزيران القادم بمناسبة مرور عام على الغزو الصهيوني واعتقالنا ، ولتتابع الايام ، هاجسنا مزيدا من الضبط والربط لانهاء حالة التشتيت وطرح شعارات معادية لـ « باك » شخصيا الذي أخذ يتقمص شخصية « ديفد » السابقة وتهديدنا له ، وتحذير الاسرى من مغبة تصرفاته الخبيثة الماكرة ، أبرزها ابراز التناقض القطري .

ومع عودة طرح شعار «الزيارات العائلية» تجدد طرح قضية اللبنانيين من هنا وهناك وضرورة وضعبرنامج جديد للمطالبة بالافراج عنهم بدونالاخذ بعين الاعتبار للنتائج التي آل اليها برنامج ١٧ اذار وأماكن التحقيق الغاصة بالمرشحين للدخول الى « ملكوت » انصار من اللبنانيين الجدد . ويفتح مختار أحد المعسكرات ، ورشة على حسابه ، تارة ينظر بالديمقراطية وطورا بحرية الرأي والتعبير متصورا نفسه وكأنه في مدينة فاضلة ، أكتب له مناقشا أقواله ومفندا خطورة لعبته في جزيرة ليست بنائية أو بعيدة عن جزر انصار الاخرى

---

٨٨ ـ الهتافات التي كان يرددها الاسرى : نريد لجنتنا ، نريد صلاح ، نريد أبو وضاح، نريد أبو ليلى ، نريد نبيل

WE WENT OUR comitee
" " " SALAH
" " " A BOU-WADAh
" " " A BOU.LYALA
" " " .D. NAbil



٥٢ ـ تقسيمات المعسكرات القديمة بعد ١ـ٦ـ٨٣

والطارئة ، النار والاغاني وفي الحالات الاعتيادية من خلال حركة صلاح كلما تيسر له الانتقال بين المستشفى ومعسكر ثلاثة أو من خلال حركة انتقال المرضى أو تمريض البعض لهذه الغاية وتتداول انصار نبأ استدعاء الشيخ يوسف الى الاعتراض واختطافه من قبل المخابرات لينقل الى التحقيق مجددا في صيدا وتثور ثائرة مدينتنا على هذا الامر وتشتعل الاغاني والنيران .

« التعيسة » كلير تجمع حقائبها بدون وداع وتترك مسؤوليتها التي غادرتها وتخلت عنها سابقا وبعد أن ترددت أوضاع الصليب الاحمر كثيرا في عهدها وانعدمت الخدمات بسبب تأديتها لدور معاكس ومناقض ، ليس فقط لدور المؤسسة وانما لدور « فيليب » الذي عهدناه ، تغادر وهي تحمل وصمة دخولها انصار ، مع طلائع قوات حملة الدروع لتشهد حملة التشتيت وتشرف عليها وهي تتنقل بسيارة « باك » بين المعسكرات .

ومع الاخبار الانصارية وتلاحقها والاستعدادات الجارية ليوم الغضب الانصاري في ذكرى الغزو الصهيوني والعودة لطرح مسألة حرق انصار كخطوة متناسبة مع الحدث الذي يصادف مرور سنة على اعتقالنا ، مع هذا تنتقل الينا وتتنقل الحكايا الانصارية من بينها حكاية « العصفور الكبير » وعودته الى معسكر ٢٥ بعد أن تيسر له الهرب على طريقة محمد نصرالله والتقاطه مجددا قرب الدامور ، مثلما تبقى حكايتنا كلجنة وحرية حركتنا مشكلة من المشاكل المعقدة والمعلقة بانتظار حلها تطرح نفسها صبيحة كل يوم على لسان وصرخة كل أسرى انصار لدى العد الصباحي ، وليكون نهاية شهر أيار موعد انتقال معسكري ١٣ و ١١ الى المعسكر الجديد ، الذي استحدث وأنجز العمل به مكان معسكر ستة سابقا ، وتوشك أن تتم عملية الانتقال بشكلها البسيط ، رغبة منا في التوجه للمعسكر الجديد ، بعد أن عانينا كثيرا من انتشار الديدان والحشرات

وأناشد فعاليات المعسكر وكوادره من مختلف الانتماءات السياسية التنبه ، ليلقى صاحبنا نصيبه بسبب اصراره بعزله من المخترة ولأحصر تمسكه بطعم « بــاك » الذي قذف به اليه ونظر له حول مسألة مقابلة مسؤول لبناني بي شخصيــــا وبتحديد صفته أن يكون ممثلا للشرعية اللبنانية ، وأن يكون اللقاء عبر لجنــة الاســرى .

ويتردد « باك » على معسكر ١٣ لمراجعتي بعد احالته علي لأبدي تمســكي بوجهة النظر المطروحة وتشبثي بها رافضا مقابلة أي شخص ليس له صفة الشرعية اللبنانية ومفندا مزاعمه ومزاعم قيادته وعدم انطـــلاء اللعبة علينـــا بالحديث الذي تكرر مرات عدة على بوابة المعسكر .

لم تمضي أيام طويلة على عودتنا حتى باتت العواصم المتعددة في مدينتنا تأخذ منحاها نحو الترابط والتوحيد والرسائل الطيارة في حركة متواصلة فيما بين هذه العواصم تتناول بحث ومناقشة كل شاردة وواردة ، الصغيرة والكبــيرة واستطلاع الاراء والتوجهات بشأن مختلف القضايا المطروحة ولعل أهمها وحدة القرار السياسي والعودة لتنفيذه الطوعي والالتزام بـــــه من قبل الجميــــع عــلى الارض .

معسكر ١٣ بات حاضرة من الحواضر ومحطة عبور لحركة الرسائل«الطيارة» بين مراكز القوى ، ويوما فيوما تنتابني « البحة » في صوتي لكثرة الحديث على الشيك والنشاط اليومي يستهلك وقتي بكامله والحيوية تجتازنا لتدب في مختلف مفاصل انصار فتعود وتلتقي المعسكرات المتلاصقة من جديد مع بعضها البعض، مثلما يبدأ التسلل عبر المعسكرات التي جرى تفريغها رغم الطلقات النارية مــن الابراج التي بتنا نسمعها بشكل متواصل على هذا المتسللأو ذاك عبر هذا المعسكر أو ذلك ، ولتتحرك مع كل طلقة صيحة الاحتجاج معبرة عن نفسهــــا بالاناشيد والاغاني الوطنية .

انصار تعيش حالة العافية من جديد وتتدرج شيئا فشيئا ، ومع تدرجها تعود طوابير الازعاج وقد بات لها مكانها المحدود كلما انقطعت المياه عن هذا المعسكر أو ذاك ، أو كلما تباطأت « نجمة داود » بالحضور لمعاينة مريض مثلما عــادت المشاعل و « البطاين » المحروقة لتأخذ مكانها ومواقعها على الاشياك تعبيرا عن مشاعر الاحتجاج على مختلف التصرفات ، والصهاينة بات لديهم دواء لكنه غير شاف هو تشغيل الاذاعة التي تم تركيبها في غيبتنا وبث موسيقى راقصة أو أغان لأم كلثوم كلما لاحظوا ارتفاع وتيرة الصرخة والاحتجاج في المعسكرات ، لــكن كيف يقدر لهذا الدواء معالجة الداء الذي لا علاج له والذي امتد لقذف مكبــرات الصوت المركبة بالحجارة وتعطيلها في حال عدم لجوء الصهاينة الى توقيــف البث ، أما الاخبار فانها بقيت مؤمنة لنا من أجهزة الراديو التي لم يتسن لقوات العدو مصادرة أي منها بالرغم من كل تدابيرها في حفلة التشتيت .

الاتصالات بين جناحي انصار باتت بدورها مؤمنــــة في الحالــة المستجـــدة

في محل اقامتنا ٠
غير أن الصهاينة لا يريدون للامور أن تسير سيرها الطبيعي ، اعتادوا بعد التاسع عشر من اذار على الابتزاز وتوظيف مجريات الامور لصالحهم وبالشكل الذي يريدونه ٠ على المدخل وأنا خارج من معسكري ، ألتقي عطية وباك ، وأجد جنرالاتهم ، بين يدي قسم من أمتعتي الشخصية التي أعدت تجميعها ، بعد احتراق كل ممتلكاتي في معسكر خمسة ، واذ بهم يحيطون بي ومعهم مصور صحفي، أرفض رفضا قاطعا أخذ صورة لي، وأخرج من الطوق الذي أحاطوني به سالكا طريقي مع الباقين من الاسرى ونتجمع في الطريق الترابية المستحدثة بين معسكري خمسة وستة مقدمة لفرزنا واعادة توزيعنا على المعسكرات ٠
ويدخل « باك » الى معسكر ١٣ ويعود حاملا «اللوح» الاسود عليه الشعارات المعادية له وليستدعني عطية في وقت لاحق لتقلني سيارة تتجه أولا نحو معسكري اللبنانيين ولتعود فتتحرك نحو زنازين انصار ، وأغيّب في احداها لمدة ست ساعات ٠
لدى بحث الاسرى عني ساد تصور انه ربما تم نقلي الى المعسكرات الشتوية٠ وعندما حضر صلاح مساء الى معسكر ثلاثة فوجىء بالامر فهدد وتوعد ، ليعاد نقلي الى محسكر ستة ، وليطلق علي بعدها اسم « ملك الزنازين » زيارة سريعة تمت بشكل مفاجىء لأحمل اللقب ولأحمّل الزنزانة عبارة : « عدنا وما ألذ العودة !٠٠ مرة أخرى في الزنزانة على ذمة الصهاينة وبناء « هيكل انصار » ، مع التاريخ والتوقيع ، بدلا من تبصيمي لدى المخابرات أسوة بسواي ولأتعرف في بداية هذه الزيارة على أسير حصل معه حادث انصاري طريف وخلاصته : ان صاحبنا ضاق به معسكره ، وتضايق من استمرارية بقائه فيه منذ بداية الاعتقال دون أن يبرحه ، وعندما ضاق صدره فتح شيك معسكره وخرج يتمشى على الطريق الترابية حتى اذا اقترب منه الحراس ، طلب منهم نقله الى الزنزانة لتمضية فترة نقاهة وراحة وتغيير أجواء حسب قوله ٠
عدت لأتقبل التهاني بالزيارة المفاجئة والاسم الجديد ولأتفرغ لضيوفنا الجدد ، القادمين من سراديب ودهاليز مغاور التحقيق في سرايات صيدا وصور والنبطية ، وجب جنين ، وكنا بانتظار تشريفهم ، من بينهم الزميل محي‌الدين جويدي وشاعرنا لامع الحر والدكتور نقولا زيدان والدكتور منيف دحروج وليمتلىء شيئا فشيئا معسكر خمسة الجديد والمقابل لنا ، وبدخول كل واحد من البوابة تضمر معه كذبة « باك » وتتبخر شيئا فشيئا وينحسر الوهم الذي علق ببعض العقول الصغيرة وتعلق بوعد « سعد حداد » والذي يشبه وعد ابليس في الجنة ٠٠
يمتلىء المعسكر الجديد ونستقبلهم بالاناشيد والاغاني الوطنية ونطلق عليه اسم معسكر « الكرامة الوطنية » تتوزع مهامي بين الحديث اليهم عبر الشيك أو الكتابة والبحث عن رفاق لنا بينهم لمخاطبتهم ، وهم جميعا بحاجة لوضعهم

بصورة تجربتنا الانصارية ، تراثها وتقاليدها ، مبادئها وأعرافها ليتيسر لهم الالتحاق بالركب والتدرج السريع في المعهد النضالي للانسجام معه ومواكبة تطور مدينة الشرطان ومعايشة أحداثها المتلاحقة دون احساسهم بالاغتراب ولأطرح من ثم على القيادة المشتركة مسألة تثبيت عضوية جويدي والحر وعليهما أيضا ، وانضمامهما اليها ويلقى الطرح تجاوب الجميع مثلما بدا علي منذ الايام الاولى لتواجد معسكر « الكرامة الوطنية » تعليق امال كبار عليه لاغناء تجربتنا الاعتقالية كحركة وطنية لبنانية تعيش حالة نضج في العلاقات وارتقاء بمفهوم وحدوي تلبية لحاجات المرحلة التالية ومعركتنا على الارض اللبنانية .

القيادة المشتركة كان همها الاوحد احتفالات السادس من حزيران وابرازها كطلة جديدة تشبه طلة عيد الاستقلال اللبناني ، طلة كفيلة باعادة الاعتبار لمدينة الشرطان بشكله النضالي المذهل تعيد تكوين خلق حالة من الرهبة في ذهن العدو وصدم عقليته واظهار بطلان مفاعيل تدابيره الاخيرة ، والحديث المتداول على كل شفة ولسان حرق انصار كحدث مميز ومتناسب .

الرسائل « الطيارة » تنضج برنامج الاحتفالات ، وانصار تتحفز ليومها يوم السادس من حزيران .

مع الصباح الباكر عادت الاعلام لتأخذ مواقعها وترفرف من جديد وعادت الانشودة والاغنية تحتل أمكنتها في الحناجر وعلى الشفاه والصدور عارية بدون قمصان يتصبب عرق الحماس منها في مختلف الامكنة والساحات .

وهل من الممكن أن نكون غير ذلك ؟ سنة بكاملها مرت على اعتقالنا ، مدة فاقت التصور وتجاوزت المدى ، لكنها لم تتجاوز الارادات التي بقيت صلبة وعلى العهد ، سنة مرت والتجربة نضجت والمعهد لم ينفع معه الداء والدواء الصهيوني ، أفرزت غدده ردات فعل ومناعات وتوجت نضالاته من جديد بعودة وحدة القرار السياسي وعودة لجنة الاسرى والتمسك بها .

وآخذ موقعي في زاويتي المحددة لي على منصة جرى تحضيرها على زاوية معسكر ستة بوضع طاولة المطبخ هناك وأقابل شيك معسكر عشرة الذي تجمع فيه معسكر ثمانية أيضا وفي الزاوية التالية معسكر ١٤ الذي التحم معه نزلاء معسكر ١٦ ويأخذ صلاح موقعه في معسكر ثلاثة يقابله من معسكر « الكرامة الوطنية » الزميل الجديد جويدي ليلقي كلمة الحركة الوطنية اللبنانية في المربع الشمالي ، أما المربع الجنوبي فمن نصيب الرفيق محيو والرفيق سمير القومي والمعسكرات الشمالية في عهدة أبي ليلى .

ونتحدث وتتحدث معنا مدينة الشرطان لتروي الحكايات القومية والثارات التي لنا على حزيران ، الشهر المشؤوم في عام ٦٧ و ٨٢ ، نتحدث عن المقاومة الفلسطينية والمقاومة الوطنية اللبنانية التي بدأت تشهد ولاداتها ونتحدث عن معهد انصار ودوره في هذه الولادات وأثره في الاستمرارية التالية حتى التحرير .

ويعم الداء الانصاري الذي لا دواء له ومع الحماس تلتهب الحناجر وتبعث الصرخات من الاعماق لتخترق المجهول وكل الاذان التي أصابها الصمم في الخارج ، وأداوي حنجرتي المبحوحة بقليل من الماء كلما شعرت أنني افتقدت صوتي وأنا أتحدث ٠

انصار لم تهدأ ولم تعرف الاستراحة في السادس من حزيران ومن أين لها أن تعرف الهدوء ؟ أضيف للثارات ومحنة الاعتقال مشاهد جديدة كانت بدورها تذكي الحماس وتلهبه ، مشاهد الطيران الحربي الصهيوني في طلعاته وغاراته الوهمية فوق رؤوسنا ، مشاهد جنود العدو على السواتر يحاولون بعيدا عن أعين قيادتهم التقاط صور لمشاهد انصارية في يوم الغضب لبيعها لوكالات الانباء ، مشاهد لمراسلي صحافة العدو وقيادته الذين تهيبوا اليوم الموعود وقدموا لمراقبة الوضع عن كثب وعن قرب ٠ مشاهد لـ « معسكر الكرامة والطنية » الذي لم يمض عليه سوى خمسة أيام وقد فاجأته الصورة والانجازات النضالية وتفجر شوقهم لمشاهد من هذا النوع ، افتقدوها وحرموا من المشاركة بها منذ الغزو الصهيوني ، فألقوا بأنفسهم بصورة تلقائية في خضم المجتمع الجديد ودب بهم الوباء الانصاري ، وأدلوا بدلوهم ليزيدوا من حماسنا ويشاركوا بعيدا عن هاجس التوجس والرعب الذي خلقته أجواء الغزو على ساحاتنا ٠

يوم مشهود ويعجز القلم عن التصوير والتعبير ، افتقر فقط لحرق مدينة الشرطان الهاجس الاكبر والامنية التي تختلج في نفوس الجميع وتتراجع الاحتفالات بأشكالها الخطابية لصالح الندوات والامسيات الشعرية والزجلية مساء في مختلف المعسكرات ٠

غير أن الحماس لم يتراجع ولم يعرف الفتور ، حافظ على درجة حرارته المرتفعة والانفعال سمة من سمات اليوم يتحكم بالتصرفات ويحكمها ٠ انها فعلا مرحلة الطوفان الجديد ، طوفان باتجاه الخيم لحرقها والاشياك لاقتلاعها ، مرحلة نزع كل الحواجز والعوائق الفاصلة ٠

المتتبع للامور والمراقب لها عن كثب يشعر ان مدينة الشرطان قد باتت كالكثبان الرملية المتحركة ، والحدث فيها يستبق القرار السياسي ويسبقه وتتداعي الاحداث متتالية ومتعاقبة بشكل مذهل ٠

اكتب الان ومن اين السبيل للكتابة والحديث عن حالة انسانية لالاف مؤلفة من البشر بمثل حالتنا ؟ ! من اين لي التعابير المناسبة للوصف ؟ ! اقول طوفان ! ربما ! وكثبان متحركة ، ذلك ايضا جائز ٠ والجائز اقول ان « طبخة » سياسية نضجت على نار وقودها الدم والاعصاب ، نارها العذاب البشري ، ولا نحتاج سوى لفتيل او صاعق وما اكثرها تجدها بعدد اسرى انصار ، لا بل بعدد الملفات والقضايا والمواضيع العائدة لكل اسير لوحده ٠

وتذكرنا « الطبخة » السياسية الناضجة التي تمثل قمة المشروع الوطني

وخلاصته ، بنقيضها « طبخة » الاعداء التي لاقت مصيرها المحتوم ، لم ينفع معها كل النيران الهادئة والصاخبة التي استعملت في مجال الاستلاب الذاتي ودفع شخصية الاسير نحو العدمية فالنكوس . « أنظمة » انصار المتعددة من « نظام » العدد الى « نظام » الحمامات مرورا « بالجورة » والطقس المخابراتي وعصي الصهاينة التي لها « مأرب » ومرامي اخرى وحتى الجزر والكرسنة بداعي « خنزرتنا وارنبتنا » ، كل ذلك لم يصلح كوقود لطبختهم فأدى النتائج العكسية ، تحققت « مآرب اخرى ، نعم غير هش الغنم » انما ليس « مآرب طبختهم » السياسية وانما مآربنا « وطبختنا » نحن .

الشخصية الانسانية للاسير تعاملت مع هذه الممارسات والاساليب بداية بحس فطري لكنه سليم في غالب الاحيان وكان ينضح منه الوعي لابعاد الاغراض الاخرى وفهم المرامي والمقاصد . مارست هذه الشخصية من خلال تعاملها باصالة تستند لوعي الذات والمحيط وتفاعلهما الجدلي فاظهرت قدرتها ونجاحها بالتعاطي مع الواقع المر لاختراقه وتجاوزه بمدلولات عدة ، منها حبة الفاصوليا التي نبتت وشقت الارض بفلقتيها ، نبتت رافعة شارة النصر وقائلة نعم للحياة والبقاء والاستمرارية حتى في انصار ، ومنها اليد الممتدة لجسد كل من يحمل اخبارا محبطة عن ساحات الخارج وشتم ناقلها ، حتى ولو كانت هذه الاخبار صحيحة احيانا بدافع الاصرار على رفض الهزيمة السياسية والعسكرية والتعامي عنها بتجبر وكبر مضافا لذلك التمسك بالشكل التنظيمي السابق والحرص على تأدية اي عمل من خلاله دون ما عداه .

ان امورا كهذه لها الكثير من الدلالات ولها التأثير الفعال على « الطبخة » الصهيونية المحضر لها لتحويلها الى « طبخة بحص » تصاب بعدمية النضوج بدلا من عدمية شخصية الاسير وبفعل صلابة الاخير . هذه الصلابة في البنية السياسية والاجتماعية والتنظيمية اسهمت بدفع انصار كل فترة نحو طوفان جديد ، طوفان سياسي ينسجم مع طبيعة المرحلة ، في سلم تطور مدينة الشرطان هذا التطور الذي اخذ يشق طريقه ويبدأ تدرجه على قاعدة الشخصية الانسانية للاسير بمواصفاتها الانفة الذكر ، بدايات سليمة اولياتها تطهير الجبهة الداخلية والخلاص من سلطة المخاتير المحميين بانظمة الصهاينة وحصر وعزل من لديهم الاستعدادات للتعامل مع العدو ، مقدمة لتصليب هؤلاء وليحصل تاليا اكثر من طوفان تارة باتجاه الخيم وسطيحة الوحل ضمن المعسكر الواحد ومن ثم باتجاه المعسكرات المتلاصقة بعد اكتمال التنظيم ولتشق المرحلة الجديدة طريقها ، مرحلة حرق انصار وازالة الاشياك كل الاشياك بفعل الجماعة كل الجماعة .

ببساطة واختصار ، انصار في اليوم السادس وما يليه اعاصير تعصف وامواج تتلاطم في بحر هائج ، براكين ثائرة ومتفجرة ، جهنم مصغرة نارها

الحماس وصاعقها الانفعال ٠
ونكتب لبعضنا البعض ، اعضاء اللجنة المشتركة ، ومقياس الحـــرارة بايدينا ، ونجزم الامر ، ان المرحلة مرحلة حرق انصار والتوقيت يحتـــاج فقط لساعة صفر ، يحتاج لصاعق من نوع مميز بغرض توظيف الحرق لصالح انصار ، لبدايات يوم غير بدايات اليوم السادس الذي لم يعرف له نهايات ٠
اكثر تحديدا برنامج اليوم لم يخضع لتواقيت محددة له الديمومة والاستمرارية بفعل الحماس الذي بات بدون حدود ، تزداد ضراوته مع كل حادث او حدث صغير وكبير ، مع كل ما يثير الحس المرهف للاسير ومزاجه ويحرك الانفعال٠
ومساء ينفعل معسكر ٢٥ ، لقد وصلت رسالة لاسير من اسرته تتحدث عن تفجر مشكلته العائلية التي باتت تستدعي الحل ٠ يتعوكر المزاج ٠ وينفعل المعسكر وتنفعل المعسكرات الشتوية بكاملها وتشتعل النيران في المعسكر الاول لوحده ٠ نراقب من على اسطح الخيم الاجواء وتشارك بالاناشيد ، وينقل الينا صورة عن الوضع ، متمارض عاد من المستشفى ٠ تحدث ونقل الوقائع كما نقل رسالة من معسكر ثلاثين ، مركز قيادة الشتوي ٠
ونكتب الى بعضنا مجددا والحل هو الحل الذي يحتاج لتحديد ساعة صفر وصاعق غير صاعق معسكر ٢٥ ، لسبب مباشر اخر يشكل ذريعة محـــددة ، وتنام انصار على حرارة اليوم السادس من حزيران الملتهبة وعلى دخـــان الخيم التي تحترق في معسكر ٢٥ الواحدة تلو الاخرى بانتظام وتواقيـــت متتاليـــــة ٠
ومن ثم نستفيق على صوت الاناشيد في المعسكرات الشتوية ومن ثم امتداد النيران الى معسكر ثلاثين فالمعسكرات المجاورة له ٠
ومع الحماس اندفع اسير من معسكر ستة ، خرج من الشيك ببـــــرودة اعصاب وسار في الشارع الاوسط ، بين المعسكرات متجها جنوبا ، صرخ عليه البعض ، لم يجب وتابع سيره مستحوذا على نظرات الجميع بخطاه البطيئة وقبل ان يصل الى معسكر ١٨ تلقفه الحراس وأعادوه وسط صيحتنا الـــى المعسكر ، ليعود مرة اخرى من الشيك تلقائيا بعد ان دخل من الباب ٠ سار من جديد وتدافع خلفه اسرى من مختلف المعسكرات باعداد كبيرة فاطلقـــت النيران بغزارة على الطريق الترابية ٠ انها فعلا حالة من الهستيريا الجماعية حالة من الانفعال الكلي ، ويتفرق عابرو الطريق بعودتهم الى معسكراتهم ٠
ومعسكر ثلاثين بدأ بتوزيعه بعد مداهمته من قبل الصهاينة ، على معسكرات انصار الجنوبية وتدب الحيوية في حركة « الرسائل الطيارة » من جديد ونكتب وصلاح في الثلاثة والمطلوب تحديد ساعة الصفر ، لبدء تصاعد الدخـــــان الطاهر كما تتعاقب الايام وتتوالى مع الحماس والاناشيد واختراق الاشياك وحفلات اطلاق النار التي باتت شبه دائمة لا ترهب الاجساد ولا تخيفهـــا ويستشهد مجددا عبد البابا في الشتـــوي وينقل النبـــأ كارلوس خليفـــة

« كلير » الذي زار معسكر ثلاثة والتقى بصلاح ووفر لنا الصاعق المطلوب .
ولدى مغادرة « كارلوس » ابلغه صلاح ضرورة تحمل الصليب الاحمر للنتائج والمضاعفات المترتبة على حرق انصار ، ومع اقتراب سيارة كارلوس مقابلنا من بوابة المعسكرات كانت رسالة صلاح بين يدي ودخان الخيمة الاولى يتصاعد من معسكر ثلاثة مؤذنا بالبدء الذي كنا ننتظره منذ الصباح ، ساعة الصفر التي نظرنا لها كثيرا وتحدثنا عنها طويلا مثلما كان تعميم القيادة المشتركة يأخذ طريقه بدوره نحو مختلف الاتجاهات .
المعسكر مستنفر ومتأهب ، واصوات ترتفع قائلة : لا للحرق . اين سننام ؟ ! وحولي فتية كلهم حماس وانفعال مضى عليه اسبوع بكامله ، وهم ينتظرون ساعة الفرح ، وأطلب البدء خيمة خيمة كما أكتب لنبيل ومحيو ابلغهما واهيب بمعسكر « الكرامة الوطنية » البدء والمعسكرات المجاورة ولاخرس الاصوات التي قالت لا بوضع قميصي على الشيك واقول : اذا كان هناك من لا يريدون احراق الخيم فانني سأعبر عن تضامني مع انصار بحرق قميصي . وتلتهب حمية الشباب التي ليست بحاجة لالهاب وتشتعل الخيمة الاولى لتلحق بها توا الثانية والثالثة ... وتبدأ المعسكرات المقابلة ومعسكر خمسة يزداد حماسه حماسا .
تعميم القيادة المشتركة يشق طريقه مع الدخان والنيران وبدأت الحمى تلتهم انصار وتشتعل بدون حاجة لأي نداء أو اثارة الهمم ، وتغطي مدينة الشرطان السحب الكثيفة وتشتعل الاناشيد والاغاني الوطنية ، تشتعل في النفوس والقلوب والحناجر ، ومع الجحيم الذي غزا المدينة تختلط الاصوات وتتعالى مع لهيب الخيم .
ملالات العدو كعادتها ادبرت الى خارج الاسلاك ، الى خلف السواتر الترابية وسطح قيادة المعسكرات يغص بالمشاهدين والمتفرجين ، وطائرات صهيونية تحلق ، لقد ضرب الرعب قيادة اركان العدو واخذت طائرات الهليوكوبتر تحط ناقلة مسؤولي هذه القيادة .
نريد لحفلة النيران ان يطول اجلها ليلا ، ليكون مشهد انصار المحترقة مشعلا ينير ايضا الجنوب بقراه وضيعه ، مشعلا يضيء دروب الثورة على العدو وتعبيد طرق التحرير ومسالكه ، ومن اين لنا ان يطول الزمن ؟ ! حماس الشباب لوحده ، كفيل بحرق انصار في اقصر مدى . معسكرات عدة انجزت مهمتها باكرا بعد الغروب بساعات وبعضها استمر حتى منتصف الليل وسحب الدخان الكثيف وعواميد اللهب تتصاعد والشباب يزيدون من ضراوة النيران كلما أوشكت أن تنطفىء أو تخمد جذوتها بالحرامات أيضا أو بكل ما تيسر بين ايدينا للحرق ومع النيران تحلو الاناشيد والاغاني .
عند العاشرة ليلا راق لي المشهد واعجبني اللهب بالوانه المتعددة وكانها اقواس قزح وجمعت عددا من « رباط » الخيم لاقذف الواحدة تلو الاخرى

فيزداد تلون النيران بالاضواء الفوسفورية · وتتجمع شلة حولي ، طابت لهـا المشاهد مثلي ، وأكتب لنبيل واصفا المتعة ومتحدثا عنها لأستطرد بطرافـة قائلا : تنتابني في هذه اللحظة مشاعر جهنمية ، مشاعر تقارب مشاعر نيرون عندما احرق روما ، ولمزيد من اللذة والمتعة يساورني شعور «التشبيح» عليك وعلى الخطيب بتدفيعكما « خوة » هذه الليلة على وجه السرعة بارسـال « طبخة بن » وعلبتي سيلون غير منقوصتين « خوة » مكتملة لاتناول القهوة مع السيجارة على متعة النيران وحريق انصار ، والا بدأت « بفبركة » الحكايا على طريقة حكايا حمامات انصار ، ابسطها ان اسيرين لدى المقاومة قـد ابتاعهما شيخ من شيوخ الخليج ودفع ثمنهما بالدنانير والريالات بعـد ان استعصى على عقله فهم قيمة الصهيوني بألف عربي وبغرض امتـلاك ، هذين الصهيونيين ، واطلب اطلاع الخطيب على الرسالة لمزيد من الابتزاز وقـد اعذر من انذر ·

ويصلني الجواب سريعا مع « الخوة » كما حددتها وعبارة « أعرنا صمتك » يصل ونشربالقهوة على نار انصار وندخنليبقى من خيم مدينتنا بعد منتصف الليل خيمة واحدة في كل معسكر هي خيمة المطبخ ولتبلغ تكاليف خسـارة العدو في ليلة كهذه عشرة ملايين دولارا باعتراف ضباطه لاحقا ·

فتح المعسكرات على بعضها وحفر الانفاق :

انتهى اليوم الثاني عشر من حزيران ، يوم التاريخ الجديد لمدينة الغضب ، وقبل أن تخمد النيران كان الشباب قد بدأوا ليلا بنصب « غرز » لهم ، لمنامتهم بديلا عن الخيم ، غرز من حرامات الصوف وأعمدة الخيم الحديدية وأعمدة الحمامات ، غرز أخذت امتداداتها على جوانب الاشياك وفي الساحات . أما معسكري خمسة وستة فانهما محظوظان ، الاشياك الحديثة لديهما عريضة أكثر من سواها تبلغ المتر ونصف تقريبا ليس على من فيها سوى سحب الاسلاك الداخلية وتغليف الاعمدة بالحرامات .

استفاقت انصار التي لم تعرف النوم ، استفاقت على الغرز المنصوبة والمدينة بأشكالها الجديدة ولنستمع لاذاعة الصهاينة تنقل النبأ في مقدمة نشرتها الاولى، كما نستفيق مع التئام الشمل من جديد ، شمل اللجنة ، والحركة المتواصلة لطائرات الهليكوبتر من والى انصار .

لا عد هذا اليوم ، ويأتي « باك » مكسور الخاطر ، يقف على بوابة المعسكر مناديا ، أتقدم منه لأجد نبيل وأبي ليلى وصلاح في السيارة ، ويقول : تريدون أن تروا بعضكم ؟؟

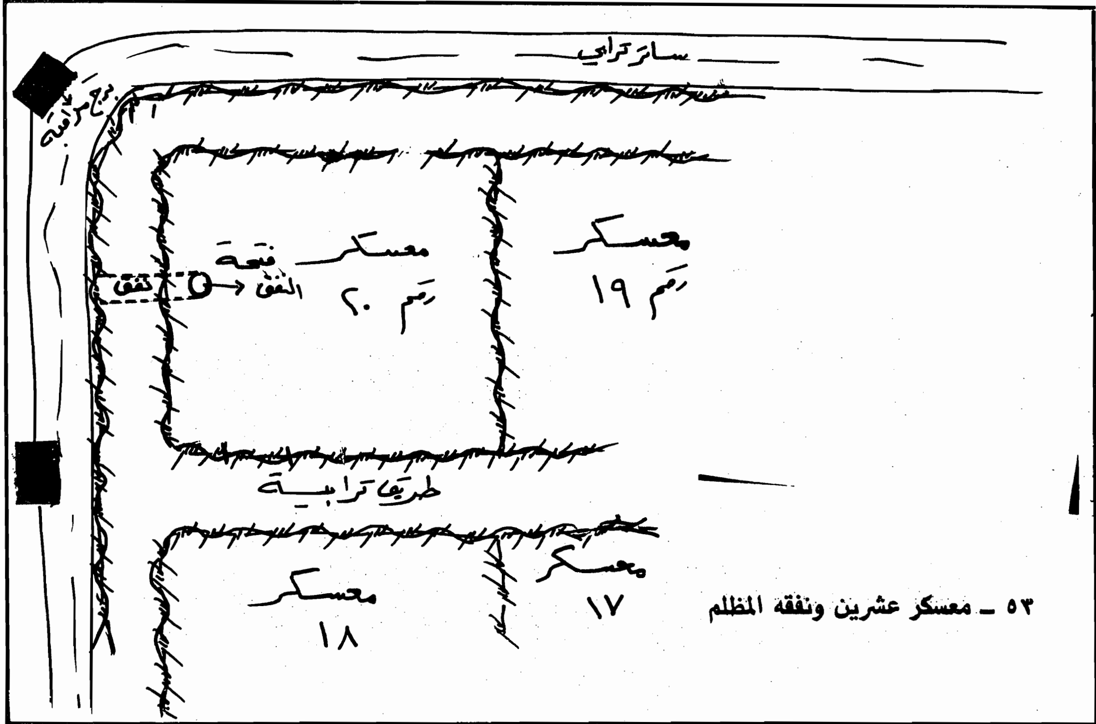
ـ أجبته : نعم !.

تفتح البوابة ، أخرج منها ، نسلم على بعض وأبتسم لأقول لنبيل : الى أين؟ فيجيبني : ستجتمع القيادة المشتركة وتتدارس . نفر على المعسكرات وأؤشر للاسرى بعلامة النصر لدى اتجاهنا من معسكر لآخر نستدعي القيادة المشتركة الى اجتماع جرى عقده في المستشفى تحت عنوان كيفية توظيف حريق انصار . بحث طال واستغرق اليوم بكامله ، لتبقى الكرة في ملعب اللجنة التي حصلت على البيعة الثانية بأربعتها دون زيادة أو نقصان ، عددا وحصرا وعليها عبء التوظيف ، كما أقرت القيادة المشتركة اشراك الرفيقين جويدي والحر فيها وتثبيت عضويتهما والابقاء على المطالبة بالزيارات العائلية وتثبيت الخطوط الحمراء السابقة وعدم السماح بمسها مرة أخرى وأخذت علما بأخبار عن قرب استئناف مباحثات التبادل .

ها قد احترقت انصار واحترقت مع خيمها عبارات : « وقف التحقيق » .. « نريد زيارات عائلية » we want family wsits

احترقت لتخلي أمكنة الخيم لصالح « الغرز » التي بدت وكأنها احياء شعبية من التنك من بعيد ، أحياء تشبه حي المسلخ والكرنتينا أيام زمان ، ما قبل الحرب اللبنانية .

ومع حريق انصار عادت الحركة الى اللجنة ووجهتي بعد اجتماع القيادة



٥٣ ـ معسكر عشرين ونفقه المظلم

المشتركة ومقابلة الشتوي من خلال المستشفى ، وجهتي معسكر ٣ أولا ، مركز القيادة الجديدة ، فمعسكر ١٩ لتمضية فترة نقاهة هناك في ضيافة نبيل ولقاء معسكر ٢٠ الذي طالما اشتقت لزيارته والفرصة مناسبة لاطالتها والاطلاع على وضعه عن قرب ومعالجة قضية تشكيل اللجنة له التي تحتاج لولادة قيصرية ٠

وأدخل معسكر ١٩ ، ويتحول اللقاء الى مهرجان خطابي على شيك معسكر عشرين المقابل لمعسكري ١٨ و ١٧ حيث الغبريس ورفاق لي هناك ومحيو وسامح اللذين لهما في كل عرس انصاري قرص ، دورهما لا يعرف الفتور مثلما لي رفاق في معسكر عشرين يشكلون أكبر قوة بشرية فيه ومناضلون من مختلف أطراف الحركة الوطنية ، والحديث معهم عن اللجنة التي لم تمت لتبعث حية من جديد لكونها تستمد حيويتها من حيوية انصار ٠

ومن الحفلة الخطابية التي كانت بنت ساعتها وولادتها المفاجئة الى خلوة اخر الليل مع نبيل والخطيب نتحدث عن أيام الزنزانة ونستحضر بعض المشاهد كما نتحدث عن « الخوة » التي جرى تأديتها لي يوم حرق انصار من قبلهما ٠

ومع الصباح الباكر استأنف تحركي لعقد سلسلة لقاءات مع مختلف أطراف معسكر عشرين لتثبيت أوضاع اللجنة المحلية فيه ، واخرها لقاء مع بعثيي المعسكر ٠ وأستهل حديثي بالقول :

قد يساور بعضكم شعور انني قادم وسأتحدث اليكم بمسالة التبادل وأخبار

الافراجات كما اعتدنا سابقا ، وعلى أهمية ذلك فان حديثي له طابع اخر قد لا يروق للبعض ويعتبر اني أريد تحميلكم مزيدا من الاعباء والمسؤولية وهذه هي الحقيقـــة .

لن أتحدث عن التبادل وعن الافراجات وحديثي يختلف معكم عنه مع غيركم لانني أخاطبكم كبعثيين في انصار ومن وحي التجربة ومستقبلها .

انني أقول بالفم الملآن : آن لنا أن نطور تجربتنا مـن تجربة الفرد والافراد لتصبح تجربة الحزب ، وقد شقت طريقها وقطعت خطوات متقدمة في هـــذا المجال . وانني لا أقدر أن أتصور رفع شعار « لا للجنة الاسرى » من قبل أثنين فقط لا غير في المعسكرات وفي معسكر يضم أربعين بعثيا . صحيح أن رفيقنا كلود وسواه كانوا بمستوى التحدي لكنني كنت آمل أن تكونوا جميعا بمستوى كلود في تحدياته .

اللجنة ملك انصار ، وأنتم ركن أساسي من أركانها وحمايتها تقع على عاتقنا بقدر حجم مشاركتنا وفعاليتنا فيها ، وها هي قد استعادت حرية حركتها وعادت للعب دورها في نفس الوقت الذي أحس فيه أنه علينا توظيف هذا الدور لصالح المزيد من وضعنا الحزبي .

« جماهير انصار العربية » توقفت عن الصدور بعد الافراج عن الرفيق شعيب وعلينا استئنافها ومشاركتنا في لجان المعسكرات يجب أن تكون لها الشموليــة والفاعلية وعلينا أن نحضر أنفسنا لبرامج طويلة الامد سواء طالت مدة بقائنا أم قصرت ، برامج تثقيف وتأهيل لنخرج كوادر من انصار ، برامج تعليم أميين ولغاتأجنبية لنخرجأخيرا وكلنا فخرا واعتزازا أمام تنظيمنا بما أنجزنا وعلى مستويات عدة ، وعلينا ايلاء النشاطات الحرفية والرياضية الاهمية المطلوبة .

باختصار ، ان حزبنا يقوم على المبادرة والابداع ونحن بحاجـــة لمبادرات مبدعة خلاقة وعلى كل واحد منا أن يتعلم كيف يكون مبادرا . عـــلى البعثي بمبادراته الخلاقة أن يكون نوعا في خيمته وفي معسكره وليكون كادرا انصاريـا مقبوضا من باقي المعسكرات ومن ينجح في نسج علاقات هنا مع الخيمة والمعسكر فالمعسكرات يكون قادرا على أن يكون نوعا في قريته أو حيه وفي منطقته وقـــد ولى الزمن الذي كان اعتماد تنظيمنا فيه على الكم ونحن في مرحلة يعتمد فيها على النوع الشعبي والجماهيري .

انني لا أطلب المستحيل ، بل الممكن والمستطاع ، وهو متيسر هنا ، لدينـــا وقت فراغ بل الوقت كله فراغ ! ماذا ينفع سند الرأس لعامود الخيمة والتفكـير فقط بيوم الافراج . ان ذلك لا يقرب ولا يبعد اليوم الموعود الـــذي سياتي لا محالة ، وعند مجيئه لم لا نكون مستفيدين من هذا الوقت الضائع ؟ وفي المنحى التنظيمي ، ما دام كع واحد منا حريصا على التمسك بالاطار التنظيمي، لم لا نؤهل أنفسنا للمرحلة القادمة ونعتبر أن انصار بمثابة مدرسة اعداد حزبي من خلال تكثيف جهودنا ونشاطاتنا . ان في الحركة بركة ، علينا دائما أن نكون في

حركة مستمرة ، ننتج كخلية النحل لان انتاجنا نضال بحد ذاته ونحن مصممون على متابعة النضال ٠

أطرح هذه الافكار عليكم لأعود لاحقا اليكم وفي أقرب مدى لنبدأ بدايتنا ونكمل مسيرتنا ، مسيرة الحزب والتنظيم وتحديد دور كل واحد منا ومدى اسهامه بها ٠

ومع نهاية لقائي كنت في طريق العودة لمعسكر ستة ، وفي ذهني صورة الرسالة التي قذفها لي أحدهم ولطالما افتقدت لرسائله في فترة الحشر ولحظة العودة ٠ أحدهم هذا ، عدت من الزنزانة ولم أتبلغ منه حتى رسالة تهنئة بالعودة وتوفيت والدته فبادرته برسالة تعزية حرصا مني على مشاركته وعدم معاداته وما أن وطأت قدماي معسكر ١٩ حتى بادرني برسالة يصح تسميتها تحت عنوان « لقد أعذر من أنذر » رسالة يقول فيها ان « البادي أظلم » ويتهمنا بأننا كنا البادئين في معاداته واننا عملنا لاطلاق سراح من يشابهون وضعه من دونه وانه علينا أن نجدد سعينا لاطلاق سراحه والا فان له موقفا معاد وقد أعذر من أنذر ٠

ومع عودة الحركة الى اللجنة عادت الحركة لمباحثات التبادل أيضا وها هوذا « كارلوس » يتجول بذاته من معسكر لاخر متحدثا عن استئنافها ، هذه المرة ، عبر الصليب الاحمر الدولي ، لكنه يتحدث عن تعقيدات وشكليات المباحثات التي قد تطول وتستغرق ما لا يقل عن ثلاثة أشهر يفر وأقابله في معسكر ستة على الباب ، ومعلوماتنا كلجنة أنه يرعاها ويقوم بها شخصيا وباتصالات يجريها بين دمشق وتل أبيب ، كما أن مندوبي الصليب الاحمر الدولي يقومون بتوزيع بذور الزهور والملوخية لزراعتها في المعسكرات وبناء لطلبنا ٠

ومع عودة الحركة أيضا تحصل بتاريخ ١٦-٦ مقابلات اعلامية مع الصحافة الغربية جهزنا لها ما فيه الكفاية وعقدناها في المستشفى ، بالاضافة لنا بعض أعضاء القيادة المشتركة « أبو محمود ومحيو والخطيب وأبو الهيجاء » وكوادر كسامح ولنتحدث في مختلف الجوانب الانصارية كما تحدثت في الجانب اللبناني والوطني من المقابلات ولأعمم نص مقابلتي لاحقا على الوسط اللبناني في انصار وأسلك الطريق لمعسكر ١٩ مجددا حيث نبيل رفيق الزنزانة وغالبية اللبنانيين بين معسكري ٢٠ و ١٨ والبرنامج التنظيمي للرفاق وأتأخر هناك عدة أيام حاصرا البرنامج باصدار مجلة جماهير انصار العربية بعد توزيع أبوابها على الرفاق وضرورة صدور العدد الجديد بالامكانيات الذاتية للرفاق ٠٠

كدت أنجز كامل مهامي الذاتية والتنظيمية من زيارتي لمعسكر ١٩ واذ بالرفيق كلود يتحدث الي قائلا : أنت دائما توصينا بحسن العلاقة مع عاطف الدنف ، والتنسيق معه ونحن نعمل بتوجيهاتك ، وصاحبنا يريد أن يختلي بك ، لديه مشروع نفق ويود التحدث اليك ومناقشة مشاركتنا في المشروع ، لقد

سبق وطرح الفكرة علي طالبا مني استمزاج رأيك بها وكنت حريصا ألا أحـــدد موقفا الا بعد موافقتك ، وأجيب رفيقنا : ان المشروع عبارة عن مغامرة ، ليست بحاجة لقرار ولا يمكن الالزام التنظيمي بعمل من هذا النوع لكثـرة المخاطر ، انما من حيث المبدأ نحن نشارك في الحفر عبر رفاقنا بالتناوب عـلى أن ندرس مسألة من يخرج لاحقا ونتداول بذلك ، لكن لدي مخاوف من انكشاف الامـــر لان معسكركم فيه العديد من حوادث التفلت ، ولانه لا يمكن الحرص على سلامة عمل من هذا النوع وابقائه سريا اذا بقي معسكركم يعيش على طريقته الخاصة ، وبايجاز كلي عليكم اغلاق المعسكر كليا عن الصهاينة وعدم السماح لأي كان بالاتصال بهم مهما كانت الذريعة مثلما تقتضي الضرورة اغلاق المعسكر عن انصار أيضـا وابقاء العملية قيد الكتمان الكلي ٠ وأستفسر اذا كان نبيل على علم بهذا الامر مع أهمية مشاركته ليجيبني : لا ، علما بأن عاطف قد بدأ منذ الصباح بأعمـال الحفر في غرزته ٠

ومباشرة نختلي بعاطف فيسألني عن موقف صلاح ورأيه بعمل كهذا لأقول : بدون شك يروق له ، منذ أيام كنا في حديث عن عمل جديد في انصار يغنـــي التجربة ويعزز تراثها النضالي وهذا العمل الخارق له متسع في عقل صــــلاح وذهنه ٠ مع قناعتي أنها مغامرة ليست بحاجة لقرار لكنني أقول لكم على بركة الله ، ورفاقنا على أهبة الاستعداد للمشاركة مع تمنياتي بالنجاح وتأكيدي على ضرورة ضبط أوضاع المعسكر حرصا على سرية المشروع وأهميته بالنسبة لنـــا كحركة وطنية لكونه صادرا عن معسكر عشرين وأرى من الضروري علم نبيل به ٠

ونلتقي بنبيل لننقل اليه النبأ ونذهب سويا لتفقد مكان الحفر مع تفاهمنـا على أهمية تشكيل لجنة المعسكر ، ولنجد حفرة مساحتها متر بمتر وقد بلغـت في عمقها ما يقارب ثلاثة أرباع المتر وقد تم تفريق التراب الاحمر في أرض الخيمة وجرى تغطيته بطبقة من التراب الابيض لاعادة الحال الى شكلها الطبيعـي ، ولأجتمع مجددا برفاقنا طالبا منهم الاشتراك بالعمل بالتناوب وفق جدول يعده الرفيق كلود ٠

أترك معسكر ١٩ وأعود الى معسكر ستة وفي ذات الليلة يسألني المختار عن مشروع النفق في معسكر عشرين ٠ ادعيت المفاجأة بالموضوع مستفسرا عن مصدر الخبرية ليجيبني أن أسيرا في معسكر عشرين كتب رسالة لقريب له في معســـكر خمسة ليخبره بالامر وقد وقعت الرسالة على الطريق الترابية وسحبها أسير من معسكرنا في معرض بحثه عن رسالة له وقعت بدورها ٠

لم أكن أتوقع تسرب الخبر بهذه السرعة وفوجئت فكتبت مجددا الى الرفيق كلود وعاطف أبلغهما وأشدد على أهمية توصياتي لهما بالحرص على السريـة والتكتم بالعمل ولأبلغ صلاح في اليوم التالي بالفكرة التي راقت له لكنه شاركني نفس المخاوف ٠

وتتوالى الايام لتعيش انصار على طريقتها الخاصة ودوما تعيش على رسلها ،

الاسير بات يخرج من معسكره ليعود ليلا اذا شاء وبامكانه أن ينام حيثما يشاء ٠
في الايام الاولى لمدينة الشرطان كانت اقامة أي أسير محــــددة ليس فقط في معسكر وانما في خيمة ما من ذات المعسكر أما الان فانه تجاوز الخيمـــة مرورا بالمعسكر وصولا للقسم بكامله ٠ بات الصهاينة يعرفون العدد الاجمالي للقســم تارة يزيد عن العدد المدون عندهم وطورا ينقص بفعل من يجري عدهم في أكثر من معسكر ، اذ ليس بامكانهم ضبط حركة النقل قبل العد الصباحي أو أثناءه، ويحصل من الطرائف ما يحصل أبرزها تكليف أبي أياد مرة لأحدهم من معسكر مجاور ليقوم مقامه وقت العد وكادت المسألة تمر ببساطة لولا أن الصهاينـــة دخلوا المعسكر فوجدوا أبا اياد نائما في خيمتــه ويبلغهم أنــه كلف عنصــرا ليقوم مقامه ٠

في هذه الاجواء أخذ البعض يتحدث عن رحلة الشتاء والصيف ، رحلة مسيرة انصار بقسميها نحو بعضها البعض أو نحو الخارج ، وانصار التي عاشت على رسلها بعد سقوط المشروع الصهيوني وباتت محكومة بالمشيئـــة والارادة ليس بغريب عليها أي تصور لأي حدث مهما كانت مخاطره شريطة أن يكون التصور ملامسا لحس الجميع ٠

انصار لن يهدأ لها بال ، ولن يقر لها قرار الا اذا اندفعت الى الامام وتدافعت يوما بعد يوم نحو المزيد من ازالة الحواجز واسقاط العوائق، نحو تغيير مختلف المعالم المحددة والموضوعة ٠

انصار بسيولها البشرية ضاقت بها الاسلاك وذاقت الاخيرة الامرين من أيـدي المعتقلين الذين سقطت الرهبة من أذهانهم وسقط الخوف ، وكيف يكون التخوف من الاسلاك ؟ وما دافع الحذر ؟ تشطيب الاجساد وسيلان الدم ؟ وهل رؤيـــة الدم تخيف في مدينة العذاب ؟ من قال ذلك ؟

ان الايادي التي تحركها عقول أسقطت القلب ، باتت تخيف الاســلاك المنشورة والمبذورة في كل اتجاه وتحيط بالجميع ، باتت تتجمع وتلتم عـــلى بعضها البعض بفعل المشيئة والارادة لتشكل تلالا هنا وهناك وبينها منعطفـات المرور ومنحدراته ٠

ومع امتداد اليد الى الاسلاك كانت الطلقات النارية جاهزة تجتاز الطرقات الترابية والممرات ، كنا أمام حفلات التقنيص واصابة الكثيرين مثلما كنا أمــام برامج الاحتجاج الفوري ، الاناشيد وطوابير الازعاج ٠

المدينة باتت بدون حاجة لقرار تتحرك بشكلها التلقائـــي ، تتدافـــع نحو الاهداف التي جرى التنظير لها ، القيادة المشتركة تبحث وتتباحث والرسائـل الطيارة بين أعضائها تتكثف ، وبدون قرار ، وما هو القرار المطلوب ســوى الذي ينسجم مع المشيئة والارادة الآخذة مسارها نحو اتجاهاتها السلبية للرغبة، رغبة المجموع الذي ضاقت به الاسلاك ٠

وتتسع الثغرات المفتوحة شيئا فشيئا بين المعسكرات وعبر الطرق الترابيـــة

الداخلية ، ومع اتساعها يغزر التسلل ، وتنهمر النيران بدورها ، أحيانا تصيب وأحيانا لا تصيب ، ومن أين لها أن توقف السيل البشري المحكوم بمنطق المشيئة والارادة ، ويصاب كثيرون ، وبعضهم تستهويه حكاية مشاغلة القناص وممارسة لعبة الموت والحياة بلذة ، يمارسها بدون وجل أو خوف ، لقد سقطت المحاذير وسقط معها ما تبقى من الرهبة ، سقط الخوف من الموت وتتسلل انصار وتتدافع وتمارس اللعبة بفرح وسط حديث الناجي من الطلقات عن كيفيـــة مشاغلـــة القنــــاص ٠

ويدخل « باك » بنفسه على الخط ، أعيا هذا الامر جنوده ، يدخل ويتلطى خلف ساتر معسكر ١٨ ويصيب يسوع بكتفه ، آه أصيب يسوع أنه الفنان الامي ، نعم الامي فنان موهوب في الرسم والنحت ولطالما أعجبت لوحاته كل من شاهدها يصاب يسوع ومع الاناشيد ينقل الى المستشفى ٠

اللعبة الجديدة باتت هواية يتوق اليها الكثيرون انها هواية المشيئة والارادة اليومية ، الشغل الشاغل لعموم انصار وتتدافع الاسلاك وتنفتح المدينة عـــلى بعضها في احتفالات عيد الفطر الجديد في ١٢ـ٧ والاحتفالات لهذا العام سياسية ومركزية مهرجان في الصيفي يحضره الجميع على أنقاض معســـكر ١٥ وفي الشتوي على أنقاض معسكر ٢٧ والكلمات تعبوية بأدبيات ومفاهيم انصاريــــة وليتناول الاسرى هدية الصليب الاحمر الدولي الجديدة نصف فروج لكل واحد ، والحصة يجري التفنن باعدادها من المشوي الى الرز الى الشوربة ٠٠

المدينة المفتوحة على بعضها البعض بعد أن أسقطت العوائق تدافعت نحـــو تغيير التركيبة البشرية في كل معسكر ، جرت عمليات النقل وفق مشيئة الاسير وقراره ، وحده هو الذي بمقدوره تحديد مكان اقامته ، والمشهد الطريف رؤية المتنقلين بين المعسكرات متأبطين لأمتعتهم على ظهورهم ، مشهدا بات اعتياديا وتعذر معه على الصهاينة معرفة مكان تواجد الاسير ، لقد أصبحت انصـــــار قسمين ، لا بل معسكرين الشتوي والصيفي ، ولن تجدي أية محالاوت مبذولـة لاعادة الضبط أو اعادة التفريق والعد الصباحي بات يحسب على أساس مجموع القسم ، لان الرقم اليومي في هذا المعسكر أو ذاك غير ثابت أو محدد تـــــارة يرتفع وطورا ينخفض وفق سوق الانتقال السائد وحتى النيران لم تعد مجديـة وها هوذا ماهر الدوماني يستشهد ليوظف دمه لصالح شرعية الوضع الجديـــد وتثبيتـــه ٠

بتاريخ ٢٠ـ٧ استشهد ماهر وغنت له انصار كما غنتـــــه « فرقة الجراج » بأغنية وأنشودة خاصة من شعر انصاري وأصر عطية في اخر أيامه الا أن يلطـخ يديه وعقله بالدم ، ليس في الامر غرابة لانه صهيوني وهذا العمل وحده يرضي عقدة الصهيونية ٠ مثلما حضر الى المستشفى ودخله متلطيا خوفا من انتقـــــام الاسرى منه ويتمنى حصول « سلام » بمناسبة مغادرته ولأجيبه بعصبية حـادة أي سلام تتحدث عنه وأي لقاء تتوخاه وزيارة تأمل أن تقوم بها الى منزلي في

صور !٠٠ اننا سنتقابل حتما لكن ليس في صور وانما في الخنادق ، آمل أن أقابلك وفي يدي كلاشنكوف ٠٠ لان من عاش في انصار لا يمكنه الا أن يكون معاديا لك ولقيادتك كما لا يمكنه الا أن يتحول الى مقاتل لك ولصهيونيتك والتجربة علمتنا الكثير الكثير ٠

يصفر وجهه ويرتعب ويهرب مسرعا وعقدة الخوف تطارده ، عقدة دم ماهر ودماء كل الشهداء ليخلفه « موسى » جديد باسم مستعار واسمه الحقيقي « كافري » ٠

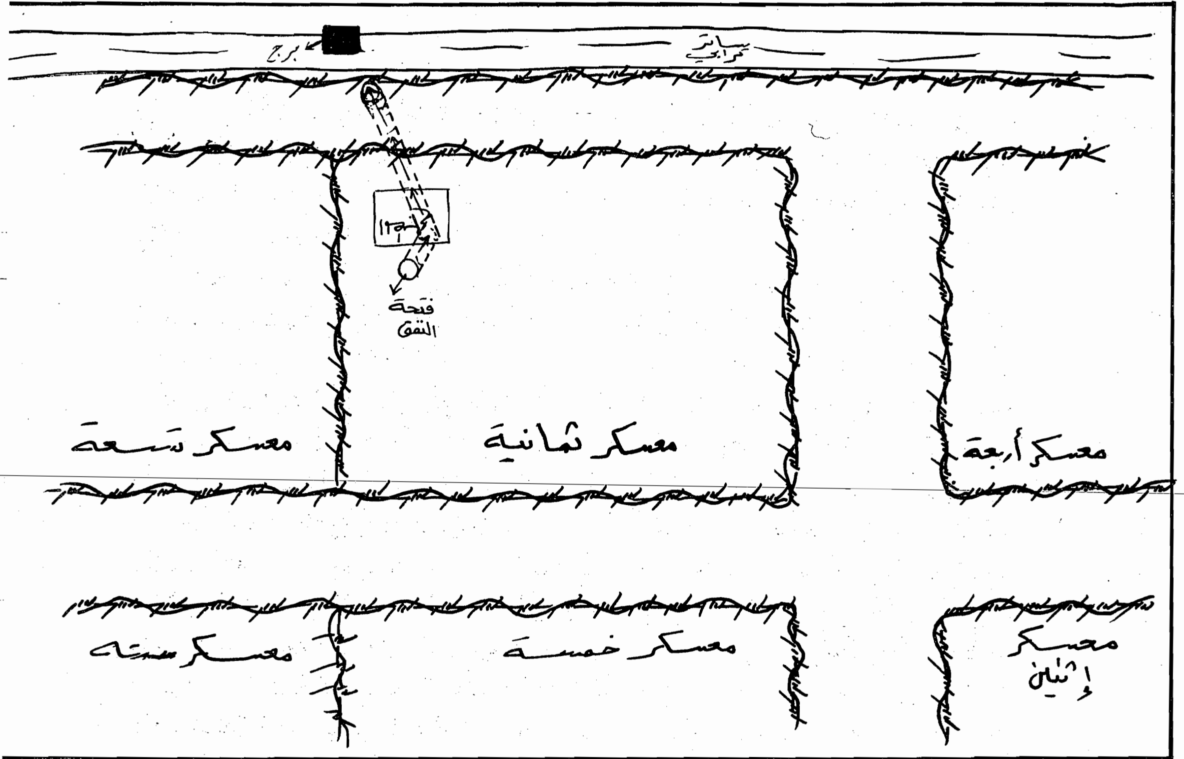
قبل انتفاضة العيد بأيام وتكريس شرعية فتح المعسكرات تركت معسكر ستة نهائيا وأقمت اقامة دائمة في معسكر ١٩ الى جوار نبيل والخطيب أولا ثم لأنصب غرزة بمثابة غرفة عمليات لاحقا فأصدرنا العدد الجديد الاسبوعي من جماهير انصار العربية بامكانيات الشباب المتواضعة كبدايات في طريق الارتقاء والاستفادة من التجربة وبدأنا نجهز للعدد الثاني غلافه لبنان المقسم الى مختلف مناطق النفوذ السائدة والمسيطرة على أرض الواقع من شماله الى جنوبه مرورا بشرقه وغربه مع امتحان الشرعية في منطقة بيروت الكبرى، والخارطة اللبنانية مقسمة بعدد مناطق النفوذ بالاضافة لمختلف الابواب الداخلية في الشؤون الفلسطينية والعربية والدولية تطرزها الانصاريات ٠

طاقم عملنا جاهز ومحضر من الرفاق في معسكر عشرين ومخرجنا الرفيق عماد ونثبت تنظيم الاشتراكات الاسبوعية واستحداث صندوق مالي وارادته تدفع بعملة انصار سجائر سيلون التي نصرفها بشراء الورق والاقلام والتلوين والخرز والخشب من أجل الاعمال الحرفية ٠

يوما فيوما يتعمم البرنامج ومع ازالة الاسلاك نشكل القيادة اليومية للحزب في المعتقل عبارة عن مندوبينا في لجان المعسكرات وتواجدنا شاملا كافة المعسكرات التي فيها تواجد للحركة الوطنية اللبنانية ٠

قيادة يومية في الصيفي وأخرى في الشتوي ، وقيادة الصيفي لها حضورها وتواجدها شبه الدائم في غرزة المكتب التي أسماها الرفاق بالقيادة القطرية ونفتتح مدرسة لتعليم رفاقنا الاميين ، ونبدأ باعداد الكتيب التنظيمي بعنوان : « ماذا نريد من انصار ؟ ما هو المطلوب منا في انصار » ، مثلما نبدأ بهمة العم تنظيم جلسات عمل فكرية في المسألتين القومية والتنظيمية وتتوزع الادوار ليكون كل بعثي معطاء حتى الامي بعطائه تقبل التخلص من الامية ٠

حقيقة بدأنا نخطو خطوات تنظيمية سليمة نضع عناوين وأدبيات التجربة وليتعدى ذلك اطارنا نحو اطار الحركة الوطنية اللبنانية ٠ وها هوذا كتيبنا يعالج مختلف المسائل المطروحة من العلاقات الانصارية وهيكليتها التنظيمية فالجبهوية الى المبادىء العامة والمفاهيم التي تحكم التجربة ولتمتاز علاقتنا بتسليم المسؤولية في المعسكر الواحد لمن هو أكثر فهما وحيوية بصرف النظر عن رتبته التنظيمية وليتكون من المجموع القيادة اليومية للعمل كما نفرد بابا خاصا



٥٤ - معسكر ثمانية والحدث النوعي الجديد

للعلاقة مع أطراف الحركة الوطنية اللبنانية والعمل معها ضمن رؤية مستقبلية وبابا اخر للعلاقة مع رفاقنا في الجبهة لتحديد الفواصل بما يكفل الحرص على شخصيتنا التنظيمية . ومن الكتيب الى التوثيق في اتجاهات أخرى ،رفيقنا وسام الذي اكتشفت شاعريته يجب أن يخرج شاعر انصار ، يجب أن يصبح كادرا لديه كل المؤهلات الذاتية وأدفع به لتتلقفه مختلف المنابر الشعرية ويحلق وليس بغريب عن ذلك ، انه شقيق حاتم وتلميذ موسى الشهيد ، وعلى شاعرنا مثلما على علي بك الكادر جمع أشعار انصار والزنازين ومختلف الاغاني لنصدرها في كتيب جديد وبهمة الاخ الشاعر لامع الحر الذي نهيب به الاستفادة من التجربة .

في زاوية من الزوايا يجلس محمد نعمة صديق كلود وناصر وكلاهما يتوهجان حيوية في أكبر معسكرين لمعسكرات الحركة الوطنية في الخمسة وفي العشرين ، يجلس وافدنا الجديد لنعبىء له خمسين استمارة محددة بمثابة بحث علمي اجتماعي ونفسي لمختلف الفئات في انصار وفق نماذج محددة ومختارة بشكل يؤمن شمولية البحث وتحقيق غاياته العلمية المرجوة .

معسكر ١٩ بات معسكرا ملفتا للنظر وغير مرغوب فيه سيما من قبل الثلاثة لاستقطابه الاجواء الانصارية نظرا لوجودي ووجود نبيل فيه والانتظام العام

الذي ساد علاقاته الداخلية ، ونتحرك أنا ونبيل لازالة الجليد والفتور الذي ساد مع الثلاثة وليتحول من ثم الى مركز اجتماعات اللجنة فالمشتركة التي أخـــذت تعقد لقاءات يومية لتقييم التجربة وليضاف اليها عضو جديد عن منظمة العمـل الشيوعي التي تمثلت بالرفيق « خ٠س »

والقيادة المشتركة عادت لتقيم من وحي تجمع الشمل وكافة الظواهر السلبية التي أفرزتها مرحلة ما بعد فتح الشرطان والتي تمثلت بظاهرة غريبة حيـث تجمعت مجموعات من الكتل وقامت احداها بهجوم على معسكر ١٧ حيث الاخ سامح وبسبب مشكلة لا تستوجب هذا المظهر السلبي وتعقد سلسلة اجتماعـــات منفردة وبمبادرة مني للحركة الوطنية اللبنانية يحضرها ممثلوها في القيـادة المشتركة فنتدارس كيفية الحيلولة دون تأثير النزعات الغريبة على الوضـــع اللبناني الذي بات مشدودا وطنيا ومتجاوزا للطروحات القطرية أكثر مـــن أي وقت مضى ٠

وأتضايق من الظواهر الجديدة ، الظواهر المرضية التي انتابتنا وأعلن عن غيضي وأهدد بالحديث عن كل شيء ، وتهديدي غايته العودة للضبط والربط ، يتخوف كثيرون من تهديدي فأجد منبرا في ذكرى ٢٣ تموز ومهرجان انصار في معسكر ١٨ الى جانب الاخ لامع الشاعر ، فألقي كلمة الاسرى وأهاجم الظواهر السلبية بعنف التي أساءت لانصارياتنا ٠

ومثلما كنا على موعد مع عبدالناصر ، كان الشتوي على موعد مع معرض للتحف والانتاج الانصاري في حفلة وداع لكارلوس الذي بكى لحظة تركه انصار ٠
في قائمة استحقاقاتنا الانصارية البارزة موعدنا مع ذكرى الرفيق الشهيـــــد موسى شعيب ٠

لقد شاركنا الجميع في مناسباتهم ، لم نغب عن احتفالات القوميين في ذكرى سعاده والشيوعيين في تأبين الشاوي ، شاركنا في كل المناسبات من معروف سعـد وجنبلاط الى عبدالناصر ومن فتح الى القيادة العامة ٠

البعثيون في انصار نماذج ، مثل ، موضع اعتزاز الجميع خلقا والتزامـــــا كلهم وكل واحد فيهم رمز كرامات وطنية وشهامة ، أسيرهم أسير ينضج قوميا ، ناضج المفاهيم والممارسة ولهم حقوق كما عليهم واجباتهم والتزاماتهم الطوعيـة سيما في فترة التهديد الاقليمي حيث حموا انصار وحالوا دون انقسامها ٠

مساء ٢٨ تموز ، على مقربة من الشرقية حيث ثرى موسى شعيب وفي معسكر الكرامة الوطنية ، معسكر خمسة ، وعلى أرضه التقت كل انصار بأسراهـــــا وكوادرها ، كل كوادرها من مختلف الاتجاهات والانتمـــاءات تحيي ذكـــرى استشهاد موسى شعيب في مهرجان كبير ٠

أجمل احياء لذكراه أن يكون شعرا وهو الشاهد الشهيد على مقربة منا ، كان صلاح التعمري الشاعر ، ولامع الحر الشاعر وعلي بيك الشاعر ووسام مقلـــد الشاعر وأبو فادي الشاعر وغيرهم ٠

أمسية شعرية في انصار وبين الاسلاك احياء لذكرى موسى شعيب ، يكفي هذا العنوان ليكون صورة قائمة بذاتها مشرقة مع صورة أخرى للعدد الخاص من جماهير انصار العربية من وحي المناسبة .

حقيقة كانت لنا همومنا ولانصار همومها والهم الانصاري واحد أحد للجميع وبات هم نفق معسكر عشرين يتحكم بمسار الجميع ، هذا النفق الذي كان العمل به بطيئا واصطدم بقناة مياه على طرف الشارع الترابي فجرى صرف النظر عنه ليبدأ عاطف بمشروع جديد تلقائيا ، وأتريث صاحبنا بعض الوقت ، لانني متخوف من انكشاف الامر وصاحبنا هاجسه النفق وعقدته حفر الترابة ، يبدأ العمل من جديد ويبدأ معسكر ثمانية بنفق اخر لكن بصمت وسرية تامة ومعسكر ١٩ يعيش ويمارس لعبة جديدة الهرب في سيارة النفايات .

أول الغيث قطرة كما يقال وأبو المعتصم جاهز لها ، جلسنا في خيمة المخترة نراقب الوضع ثلاثتنا أنا ونبيل والخطيب وصاحبنا بات « نفاية » في البرميل على رأسه كرتونة وبعض البقايا الخفيفة النظيفة . تقدم اثنان من الاسرى العاملين في المطبخ ونقلوا البرميل بما يحتويه ليتناوله اثنان اخران في صندوق الشاحنة ويفرغوا البرميل في زاويته ويحيطوا أبا المعتصم بكراتين تحجب الرؤية عنه ، الحراس حول السيارة لا يبصرون شيئا والامور تسير بشكلها المنتظم والمعتاد ، نفايات تخرج من المعسكر مقدمة لرميها في مكان خارج المعسكرات وتقلع السيارة وبها أبو المعتصم ليلحق به الثاني والثالث والرابع كلما مرت السيارة على معسكر ١٩ والعدد في المعسكر ثابت يوميا باستعارة أشخاص بدلا من الهاربين استعارتهم من معسكر عشرين . وتنكشف اللعبة أخيرا على يد أحد الهاربين من معسكر ١٨ حيث لم يتريث لدى تفريغ السيارة ويستكين ، حتى يولي السائق بدون أن يراه بل أخذ يركض مسرعا عندما وطأت قدماه الارض فأبلغ الصهاينة عنه والتقطوه .

انصار التي تعيش المرحلة بدت يوما مع بدايات آب بشكل جديد ، والجديد يولد دائما من أحشاء أمسه الاعتيادي ، وصباحنا بدا عليه أنه صباح معتاد ، في هذا الوقت بشؤونه وشجونه وانتهى العد الصباحي في معسكرنا ، أما في معسكر عشرين لا شيء باد عليه انه ملفت للنظر والمعسكر المعني خرج كعادته الناشزة عن بقية المعسكرات للعد على الطريق الترابية .

«كافري» حضر بسيارة عسكرية من الجهة الشمالية وأطلت من الجهة الشرقية قوة عسكرية راجلة ومسلحة . التفت الى نبيل والخطيب وقلت «اكتشف النفق» ونظرنا لبعضنا نظرات تحمل العديد من المعاني وتلخص الموقف .

دخل « كافري » مع القوة القادمة الى معسكر عشرين وتوجهت أنا ونبيل الى الثغرة المفتوحة في الشيك بين المعسكرين ووجدنا جنديا مرابطا عليها ، طلبنا مقابلة قائد المعسكرات في الوقت الذي دخل فيه الاخير الى خيمة النفق فاستمهلنا الجندي لحضور قائده .

شباب المعسكر على الطريق الترابية يجلسون أرضا ومحاطون بالجنود ، كما عدنا الى الغرزة المقابلة للشباب لنتحدث اليهم ونشد من عزيمتهم بغرض عدم توريط أفراد منهم في المسؤولية وحصرها في اطار الجماعة كما أرسلنا في طلب صلاح الموجود في معسكر ثلاثة .

عاد « كافري » الى الشيك واستدعاني فدخلت واياه خيمة النفق لأشاهد مصورا تلفزيونيا يقوم بتصويره وليسألني قائد المعسكرات ماذا تريد أن أفعل ؟ وليدور الحوار التالي :

ـ لا شيء ولن نسمح لك أن تعمل أي شيء ! لقد استدعينا صلاح ويجب أن يحضر حالا .

ـ لن يحضر صلاح وقد أرسلنا في طلبه فرفض المجيء وأنا سأتدبر الامر بنقل المعسكر بكامله الى معسكر الفرز .

ـ لن نسمح بالنقل واذا كان ذلك قرارك فنفذه اذا قدرت .

تبادلنا الحوار ونحن سائرون وقد بتنا على مشارف الشباب الذين التفت اليهم وأبلغتهم تدبير قائد المعسكرات بسبب انكشاف أمر النفق وضرورة رفضهم الانتقال لأتمكن من دعوة المعسكرات للمشاركة والمساندة وليتقدم مني عاطف الدنف وكلود ومجموعة من الشباب يطلبون تحميلهم المسؤولية بدلا من تحميل المعسكر ولأتحدث اليهم رافضا وآخذ وجهة سيري باتجاه معسكر ١٩ ، واذ بصلاح يصل فجأة عبر الشارع الترابي الاوسط وحوله جمهور من الاسرى . أبلغته الموقف فقال لي : لن نسمح بالنقل ، لن نسمح باستفراد معسكر عشرين أو أفراد منه ، لن ندع « كافري » يعلق نجمة على حساب معسكر عشرين وليهيب بالمعسكرات المجاورة اللحاق بنا باتجاه بوابة المعسكر المذكور ، الذي تراجعت منه القوات الصهيونية لدى تلمسها وجهة سيرنا باتجاهه .

وقفنا على البوابة ننشد ونغني ونهتف الهتافات المعادية للصهيونية والنازية الجديدة ونهيب بمعسكر عشرين رفض الانتقال لان هذه هي غايات فرز اللبنانيين ، ولدى مباشرتنا بالهتاف انسحبت القوة المحيطة بشباب معسكر عشرين وتركتهم على الطريق الترابية مما أتاح لهم الدخول مجددا الى المعسكر .

وناقشنا مختلف الاحتمالات التي وضعناها من النقل الى معسكر الفرز المرفوض أو توزع المعسكر على مختلف المعسكرات أو بقائه ، وتعهدنا بحمايته في حال الاصرار على البقاء من قبل فعاليات المعسكر التي استقر رأيها على التوزع على المعسكرات .

وبدأ التوزع بالفعل توا وخلال مدة قصيرة كان المعسكر مهجورا وخاويا من نزلائه الذين ضمتهم بقية معسكرات انصار .

ما كاد معسكر عشرين بنفقه الذي انكشف أمره يتوزع وقبل أن تنتصب غرز من كانوا مقيمين به حتى ضربت انصار حمى من نوع جديد ، انه وباء الانفاق . وفتحت المشاريع الفردية والعائلية منها والتنظيمية وبدأت أعمال الحفر في كل

مكان وأينما توجهت في المعسكر الواحد أكثر من مشروع ، مشاريع وأوتاد الخيم تعزز دورها لصالح أعمال الحفر .

وشبابنا أصابهم الوباء فهناك مشروع جبهوي وهناك مشروع جبهوي حزبي وهناك مشروع حزبي أخيرا .. هذه بضاعة السوق ونحن جزء من سوق انصار.

وأتخوف على نفق الثمانية الذي ما زال طي الكتمان وأتخوف على شبابنا من هربهم منه لان الصهاينة يفترض أن تكون لديهم تدابير جديدة بعد اكتشاف نفق العشرين وتكبر المخاوف في ذهني يوما فيوم وأدفع الشباب لتأدية الامور المجدية في هذا الظرف وأهمها الارتقاء باعداد جماهير انصار وتطوير التجربة من عدد لاخر وتكثيف برامج التثقيف الحزبي بشكليها الفكري والتنظيمي وانجاز دورتي تعليم الاميين واللغة الفرنسية ، والبدء باصدار الدراسات المتتالية .

مثلما لانصار السياسة عالمها وأربابها كذلك لانصار الحضارة والتراث ، وأحس أنني معني بهذه الزاوية آنيا ومستقبليا وما أكثر المشاريع المستقبلية أهمها الجاهز في الذهن تنظيم انصار على ساحات الخارج وجعلها مؤسسة تراثية حضارية نضالية معنية بشؤون السياسة بقدر عنايتها بشؤون النضال والدفاع عن الحرية المصادرة في كل زاوية من زوايا الكون .

« غرزتنا » في معسكر ١٩ باتت ملتقى كل اصحاب الهموم ، اللجنة المشتركة وكوادر الحركة الوطنية اللبنانية مثلما باتت مركز دراسات وتعليم وتثقيف وها هوذا عبد الرحمن رفيقنا واستاذنا يضع طبشورته الى اللوح الاسود مع البشرى التي زفت اليه بنيله الحرية ويسأل اذا كان بامكانه البقاء خدمة للشباب ودورة محو الامية فاودعه قائلا رافقتك السلامة اذهب وبلغ رفاقنا طبيعة عملنا وخير تعبير ان تصف لهم لحظة وضع الطبشورة .

وتستمر التجربة وتتواصل في المنحى النضالي بعمقه الفكري والتعبوي وتتجاوز انصار كونها حائط مبكى وموقع جلد للصهيونية العالمية فقط ولتتحول بالعذاب والعشق للحرية والنضال ورغما عن ارادة الصهاينة الى مدرسة نضالية يتحفز من بها ويتجهز لمواصلة المسيرة بعد تحريرنا من الاسلاك .

في الثامن من اب نفق الثمانية جاهز وفتحته ملاصقة للشيك الغربي الذي يشكل عائقا بين الطريق الترابية الغربية ، والساتر ، الفتحة محجوبة الرؤيا من قبل القابع في برج «الطور» ام سكستينه بيده وجهاز الراديو على أذنه وقد يكون مخمورا او محششا كعادته ويغط في نوم عميق .

مع بدايات المساء بدأ الشباب يستعرضون عضلاتهم ، كل من لديه بوط وضعه في رجله وارتدى ما تيسر له من الثياب المدنية والتي استحصل عليها من الوافدين الجدد .

وعند السادسة مساء تبدأ المسبحة تفر حبة حبة ، الواحد تلو الاخر من حزموا امرهم جميعهم توزعوا الى مجموعات وتلتقي المجموعات خارج الاشياك في بطن الوادي مع بدايات الليل لتبدأ مسيرة الحرية ، مسيرة الانعتاق الذاتي ٠

اوشك كل من في المدينة ان يكون برسم الهرب ، تجمع القسم الاكبر منهم في معسكر ثمانية ، وكل واحد يريد ان يجد لنفسه سبيلاً للمرور وسط الازدحام ٠

كثيرون حزموا امرهم في اللحظات الاخيرة مثلما تردد الكثيرون حتى تنبه القابع في برج « الطور » لحركة الشيك تحته ، استفاق من غيبوبته ليتعرف على سبب الاهتزاز الذي حصل ، اطل برأسه فوجد « بني ادم » يخرج رأسه من بين التراب ، اصابه الذعر والهلع ، وقعت بندقيته من يده وصاح باعلى صوته كالمجنون ٠ « شمونة ٠٠ شمونة مخلا شمونة ٠٠ بني ادم ٠٠» (١)٠

الذين خرجوا حتى لحظة اهتزاز الشيك كانوا ٧٥ أسيرا ومضى على البدء أكثر من ساعتين والصهاينة أحاطوا بالساتر الترابي المجاور للبرج وتحركت الاليات والطائرات ترمي بقنابلها المضيئة وتفتش في الوديان ، جبهة حرب اشتعلت من جديد واستمرت حتى مساء اليوم التالي ٠

اسفرت العملية عن هرب خمسة وسبعين اسيرا ونامت انصار متخوفة عليهم يطاردها شبح البارود من معسكر لاخر ويقود الحملة « كافري » متأبطا بندقيته بنفسه والى جانبه احد جنرالته وحاصر اخيرا معسكر ثمانية لحصر الذين هربوا للتعرف عليهم ٠

انصار المشيئة الارادة لا ترهبها النيران ، خرجت بكاملها نحو الطريق الترابية وتجمهرت مقابل معسكر ثمانية تهتف وتنشد وتقذف الحجارة ليصاب قائد المعسكرات برأسه فتتعطل عملية الاحصاء ، رغما عن البارود والغازات ٠

كل ما قدر للعدو القيام به هو احضار مختار المعسكر، الذي تم التقاطه الى معسكره لمعاينة الفتحة التي تم التسريب منها وفوجىء العدو عندما وجد الفتحة مقفلة وفي مكانها غرست الورود وازيلت كافة المعالم ٠ ولتستمر حمى الانفاق وحفرها بشكل لا يستطيع أحد توقيفه أو وضع حد له ٠

شمونه : ثمانية بالعبرية
مخلا : معسكر بالعبرية
بني آدم : انسان بالعبرية

٥٥ – انصار الشاملة بمختلف اقسامها

انصار الحمى الدائمة ، انصار الغضب ، انصار الارادة والمشيئة انصار البحر المتلاطم الهائج تبحث عن نهايات ، لكن نهايات مشرفة مبنية على قاعدة صلبة من العداء للعدو الصهيوني .

العدو اعجز من ان يفرض نظامه حتى بالبارود ، ليتعرف على الذين هربوا في النفق ويجري حصرهم بالتحديد . التقط احد عشر من اصل المجموع والباقون حرصتهم السلامة وارض الله الواسعة خارج مدينة الشرطان من بينهم عاطف وسمير .

الازمة ، ازمة الاعتقال حادة في المعسكرات ولا دواء لها سوى الافراج ومن اين يؤتى بالافراج ومباحثات التبادل تراوح مكانها تعيش بدورها ازمتها وتنعكس علينا نفسيا ونوقف انعكاساتها السياسية لاننا بين يدي العدو .

في زاوية من زوايا معسكر ثلاثة نجلس مع صلاح جلسة فيها الدفء الوجداني وفيها لامع وابو عزو الزميل جويدي . ويتحدث صلاح عن الحرية المسلوبة خارج هذه الشرطان لارتهانها لمقولات ومعادلات وموازين وعن حريتنا نحن التي ابتليت بالاعتقال فاسقطت كل الارتهانات بما في ذلك ارتهان الاسر والموت فباتت حرة من نوع جديد . ونضحك مع صلاح وهو ينظر للحرية المسلوبة ، حريتنا الجريحة .

ننظر ونفلسف الازمات التي هي بحاجة لحل ونحن كأسرى نفتش على الحل والاسر بدوره يفتش ، يريد ان يخرج من الازمة الورطة ، الصورة النموذج لتورطه في لبنان ، من دون شك يفتش وقد يكون لديه اسلوب جديد للتعاطي مع الواقع من موقع رد الفعل لا الفعل لان الاخير بات من صنع المشيئة والارادة في انصار .

تجتمع المشتركة وتناقش وتنتقل في اجتماعاتها بين الثلاثة والعشرة والتسعة عشرة تجتمع بكامل اعضائها جريا على عادتها بعد فتح المعسكرات وتكثر المخاوف المطروحة والوارد منها ولو مستبعدا النقل الى الداخل ، الى السجون لتتيسر القدرة للعدو على ضبط الامور وايقاف درجات التهاب انصار والقيادة المشتركة هاجسها ايضا ما افرزه فتح المعسكرات والانتقال الكيفي والمزاجي من حوادث تجميع لقوى تنظيمية وعشائرية واقليمية مثل تجمع اصحاب النزعات الغربية ايضا . ان الفرز القاتل لوحدة انصار الذي يحلم العدو ويطمح باجرائه ، انه الفرز المعطل لاي تفكير بالعودة لبرنامج احتجاج في لحظة من اللحظات ، انه الجانب السلبي في الوجه الاخر لفتح المعسكرات .

لم يطل الامر كثيرا عشرة ايام فقط ، خلالها تحدث العدو عن معسكرات

جديدة مؤقتة سيتم الانتقال اليها ريثما يتيسر له ترتيب اوضاع المعسكرات الحالية ، وليس بمقدورنا رفض الانتقال في ظل حالات التفلت والتشرذم الحاصلة والتي لا توفر ارضية نستند اليها لقول كلمة لا ، انما المحاذير عدم تجاوز العدو للخطوط الحمر المحددة .

عشرة ايام فقط بعد نفق الثمانية ومزيد من الاسلاك فيما بعد السواتر الترابية لتحويط مدينة الشرطان بالشرطان ، ونحن نستمع ايضا لحركة عمل في المناطق الواقعة جنوبا وتتسرب الينا في الوقت ذاته معلومات جديدة عن « معزوفة » التبادل .

مساء ١٧ـ٨ تبلغنا موعد الانتقال ، في صبيحة اليوم التالي ، وخلال يوم واحد ، المهمة تنجز بدون تفتيش وبنقل الامتعة لتنصب الغرز في المعسكرات الجديدة لعدم توفير خيم لخوفه من حرقها مرة اخرى وان تضم المعسكرات المذكورة ألفي أسيرا ويوزع القسم الباقي بين معسكر ٣٠ في القسم الشتوي ومعسكر اخر مجاور للمعسكرات الجديدة .

ويستقر الرأي بان يأخذ معسكر عشرة مكان معسكر ٣٠ ويبدأ بعدها النقل من مختلف المعسكرات .

في الصباح الباكر كانت مجموعة « كونينرات » ضخمة جاهزة للنقل وتجمع معسكر عشرة ومن يرغب بالذهاب للشتوي في مكان معسكر ١١ وابتدأت العملية ليعقب ذلك البدء بمعسكر ١٩ وفي الوقت ذاته مختلف المعسكرات .

ذهب نبيل مع السيارة الاولى ولم يعد وطال بنا الانتظار ، اما ابو ليلى وصلاح فقد توجها للشتوي وبقيت لوحدي انتظر عودة نبيل ، والسيارات الضخمة تفرغ حمولتها جنوبا لتعود مسرعة .

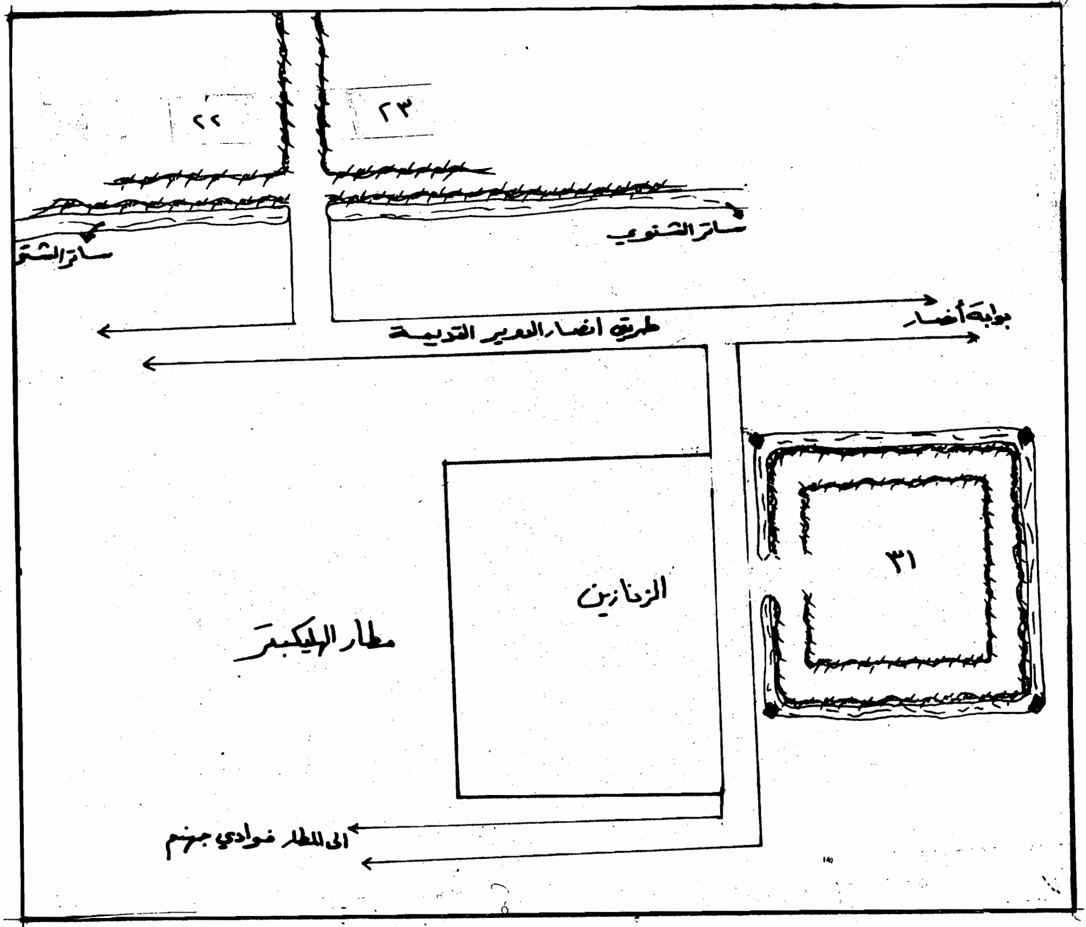
حوالي الساعة الثانية بعد الظهر أصابني التعب فالتحقت بشبابنا الذين توجهوا مع معسكر ١٩ واذ بي فجأة امام معسكر الفرز المجاور لمعسكر الزنازين .

قفزت من السيارة لاجد جنديا حاملا مكبرا للصوت وعلى السواتر الترابية مجموعة من القناصة اخذين الارض انبطاحا ومصوبين بنادقهم باتجاه المعسكر .

تقدمت من الجندي ، مع ارتفاع الصيحة داخل المعسكر وقولهم : جاء ابو وضاح ولاقول له : ما هذا ؟ ! لما مكبر الصوت ؟ ! لما القناصة ؟ .. وليجيبني طالبا مني الدخول الى المعسكر ....

صرخت به قائلا : لا اريد ان ادخل ، اود ان اعود ... واذ بنبيل يصيح علي بصوت عال ويقول : ادخللقدحاولتقبلك ولم يسمح لي . ادخل وانظر حالتنا ، القناص يطلق علينا النار ، لقد استفردوا بنا ...

دخلت المعسكر لأجد الشباب بانتظاري لم ينصبوا غرزتهم ولأجد القناصة



٥٦ـ معسكر « الزاوية الحادة » معسكر ٣١

بالمرصاد على كل ساتر من السواتر الاربعة يطلق النار على كل من يقترب من الشيك ، وليأخذ بعدها رفاقنا في اقامة غرزتهم في ساحة المعسكر والقسم الصيفي يأخذ طريقه نحو المجهول في عالم جديد جنوبي انصار ٠٠ ولتستمر العملية الى ما بعد مغيب الشمس ٠

معسكرنا الكئيب تحيط به ابراج اربعة وسواتر اربعة وقناصون اربعة على السواتر وجنود بعدد الابراج ، وعلى مدخله خيمة الحراس مقابل معسكر الزنازين بحاجة لاربعة جنود يجري استبدالهم مرة كل اربع ساعات ٠ بمعنى اخر معسكرنا لوحده بحاجة لحراس يوميين يتناوبون كل أربع وعشرين ساعة عددهم اثنان وسبعون جنديا في الوقت الذي يضم فيه المعسكر مئة وعشرة اسرى غالبيتهم من القيادة العامة الذين فضلوا الانتقال سويا ٠

مع المغيب يعطى لنا رقم جديد معسكر ٣١ ويؤتى الينا بمجموعة طالما طالبنا بضمها الى انصار مجموعة المعتقلين للمرة الثانية بينهم جعفر المختار وابو طارق ، يدخلان مذهولين لاستقبلهما على الباب والحقهما بركب خيمتنا وموكبه .

خيمتنا تضم طاقم العمل الذي على عاتقه تنفيذ البرنامج التنظيمي ، ومن أين لنا بالحركة لننفذ برنامجا تنظيميا ، لقد بتنا في معسكر العزل ، أو معسكر الزاوية الحادة كما اسميته وعلينا استهلاك الزمن ببرنامج خاص بنا حتى اشعار اخر .

نمنا ليلتنا يطاردنا شبح القناصة الاربعة المتربصين على السواتر الترابية بينما انصار الصيفي باتت مهجورة من سكانها والقسم الشتوي يسرح ويمرح كعادته زاد من بهجته استقباله للقادمين الجدد اليه ، يعيشون وكأنهم في غير عالمنا المحكوم باجواء الرعب وغير عالم الاخرين الذين ذهبوا للمعسكرات الجديدة في عالم مجهول .

مسافة المتر ونصف المتر بعيدا عن الشيك يحميها القناصة والاقتراب منها يعني اطلاق النيران لا حاجة للتجربة وقد فلت احدنا سهوا هذا اليوم فنهضنا صباحا على طلقة قناص حفرت في الارض وجرحته بسبب فعل ما يسمى عسكريا « سكترما » .

العد الصباحي في الساحة ، يمنع خلاله التلفت شمالا أو يمينا وتجول الدورية بعدها في مختلف خيم المعسكر متفقدة الشيك واية ظواهر اخرى لتدبر راجعة بعد ذلك .

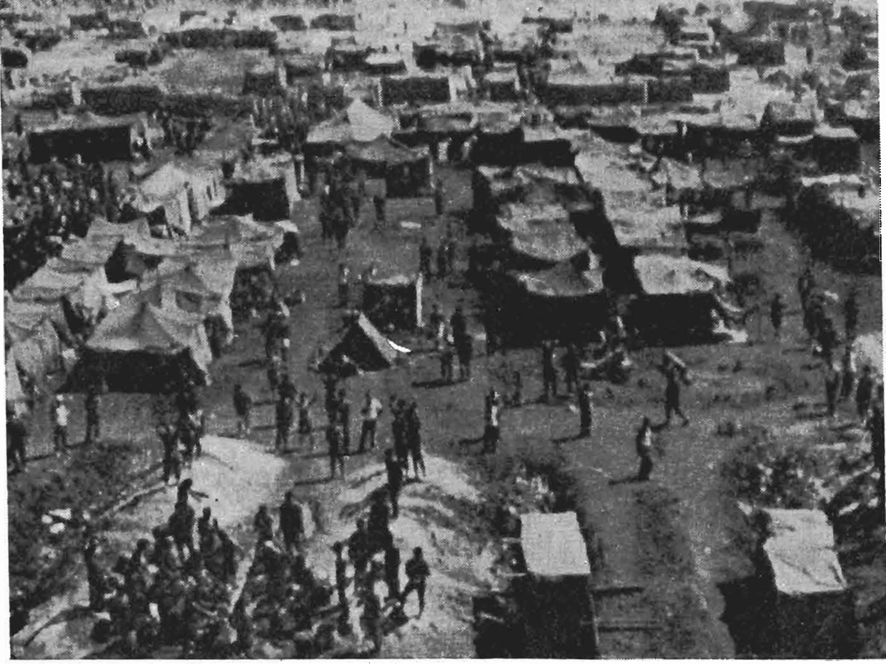
واحرض نبيل على التحدث مع الضابط طالبا خروجنا فيرفض الاخير ويقول لم يعد بعد الان لجنة اسرى ! .. ويعد بارسال الصليب الاحمر الدولي .

علينا أن نتكيف كمعسكر معزول الى أن يقضي الله أمرا كان مفعولا ، خلاصنا ليس بأيدينا وانما بأيدي بقية المعسكرات التي تحتمي بثقلها البشري ونحن لا يتعدى مجموعنا مئة وخمسا وعشرين أسيرا بعد قدوم من وفدوا علينا مساء البارحة .

أعود لأتحدث مع الشباب في الخيمة عن ضرورة التكيف ووضع برنامج عمل ، مطالعة وتعلم لغات وجلسات حوار وتثقيف ويلقى العرض قبول الجميع .

مساء كنا على موعد مع أمسية طرب وغناء في الساحة يتخللها بعض القصائد من رفيقنا وسام الذي بات اسمه شاعر انصار ، والغاية من حفلتنا رفع معنويات الجميع واظهار عدم اكتراثنا أو تخوفنا من الوضع الجديد .

في المعسكر حالة انسجام بين شبابنا الذين يمثلون القوة الثانية وشباب القيادة العامة بثقلهم الاساسي ، والانسجام ساد منذ بدايات التآلف في معسكر



٥٧ ـ وادي جهنم كما تبدو بالصورة

١٩ ، والبعثيون الذين نضجت في أذهانهم مفاهيم الاسر وأفكاره على مستوى معين من القدرة لاستيعاب الجميع والتعايش معهم مهما كان انتماؤهم بفعل ذهنية وحدانية الاسر ووحدانية التناقض الرئيسي ٠

المعسكر بكامله تكيف سريعا مع العزلة وتحول الى معسكر كأنه يضم عائلة واحدة كان له الى جانب حفلاته الدائمة نصيبه في استقبال الوافدين الجدد وبينهم كادر من منظمة العمل الشيوعي وكل المغضوب عليهم والضالين لطريق الهرب من بينهم مختار معسكر ثمانية والعشرة الاخرين الذين التقطوا معه وتخلفوا عن موكب الهرب ولنبدأ بحفر نفق جديد في معسكر الزاوية الحادة كما نلقى نصيبنا من مجازر انصار ٠

وبسبب كثرة الحاحنا حضر كلود مسؤول الصليب الاحمر الدولي أخيرا ودخل معسكر الزاوية الحادة ، والتقيت به مع نبيل وتحدثنا في أوضاعنا الصعبة ومشكلتنا المستجدة مع القناصة ومنعنا من الخروج وجهلنا لمصير بقية الاسرى الذين تم نقلهم لمعسكرات في أماكن مجهولة بالنسبة لنا ٠ واذ بكلود يخبرنا بأن صلاح رفض استقباله وانصار قاطعت الصليب الاحمر لمدة ثلاثة أيام احتجاجا على الوضع الجديد وانه بناء لطلبنا قد تم حضوره وهو على استعداد للتعاون معنا كأسرى بدون لجنتهم وصدره مفتوح لمناقشة أي موضوع على هذا الاساس ٠

أبدينا له دهشتنا واستغرابنا لمنطقه وأكدنا أن حديثنا معه يأخذ صفة كوننا أعضاء لجنة أسرى رئيسها صلاح تلتزم بما قرره لجهة رفض استقبال الصليب الاحمر ونحيل موضوع الرفض عليه بالذات لمناقشته باعتباره صاحب القـرار ونحدد طلباتنا كمعسكر معزول بخروجنا من العزلة من خلال دمجنا مـــع الباقين أما في الوادي التي تحـــدث عنها وأسماها « وادي جهنم » عمـــلا بتسمية الاسرى لها ، أو بالمعسكرات الشتويـــةوتخليصنا من قبضـة القناصة الذين قد يرتكبون مجزرة في أية لحظة من اللحظات ولأي سبب من الاسباب.

يتركنا كلود بعد أن ساد بيننا حوار الطرشـــان ، أو بالاحرى فهمنا عليه وفهم علينا وفي ذهنه غايات وأغراض أبسطها رقبة لجنة الاسرى عملا بمشروع باك وفي ذهننا أمور أخرى . تركنا بعد أن احتدم النقـاش ولم نتوصـــل لنتيجـــة .

لم يطل الامر بيننا وبين القناصة كثيرا ، كانت مسألة أيام ، أيام فقط وبعد عشرة أيام على اقامتنا تقدم مختار المعسكر مناديا على الحارس من البوابـة طالبا سجائر المعسكر التي تأخر وصولها .

صرخ به القناص فجأة ابتعد فأجابه أنا المختار أريد سجائر المعسكر. وقبل أن ينهي كلمته الاخيرة كانت الطلقة موجهة له أصابته في كتفـــه وشظاياهـا غرست في مختلف أنحاء جسده .

خرج نبيل ليخاطبه بالعبرية فكانت الطلقة الثانية فالثالثة وخرج المعسكر ليهتف وينشد فاذا بمن هو قابع في برج « الطور » يسلط رشاشـه ويبدأ بنيرانه مطاردا كل من في ساحة المعسكر .

يا الهي ساعة رعب ، ساعة خوف ، لا شيء يقي الجسد ، معسكر كل مـا به حرامات والرصاص يطاردنا من غرزة لغرزة .

سطة نور وسقط جعفر وعشرات الجرحى ونصرخ في الخيم ويطـــل كلود مسؤول الصليب الاحمر بسيارتـه مسرعا أصرخ عليه طالبا دخوله المعســكر وارسال نجمة داوود وتوقيف اطلاق النار ويعود كلود من حيث أتى .

وتأتي نجمة داوود والدماء من الجرحى تنزف وتسقي أرضنا العطشى من دم الرفاق والاخوة .

مجزرة جديدة ، لكن في معسكر معزول لا مجال لرفع الصوت ، لا مجـال حتى للغناء والنشيد ويسمح لنبيل بمرافقة الجرحى الى المستشفى العسكري دون أن تتاح له فرصة لقاء صلاح ويعود اليـنـا في ذات الليلة ، لكن القســـم الشتوي لم يبخل علينا فقد تحرك فورا بعد أن أبلغناهم بالامر مـــن كثـــرة صيحاتنـــا .

انتفض القسم الشتوي بكل من فيه وحاصر ملالة وكاد أن يستولي عليها لولا غزارة نيران العدو وتسفر العملية عن اصابة اثني عشر أسيرا في الشتـــوي بالاضافة الى أحد عشر عندنا . ثلاثة وعشرون جريحا في ليلـة مـن الليالي في



٥٨ ـ اسرى في عالم اسمه وادي جهنم !٠٠٠

انصار ، في ذمة الصهيونية ٠ ويأتي الينا صلاح مع أبي ليلى في زيارة تفقدية لمعسكر ٣١ مستطلعا ظروف الحادث وليصطحب نبيل معه مقدمـــة لخروجي ثانية ولدى عودته ٠

يأتي صلاح حاملا الينا أول هدية من منظمة التحرير عبارة عـــن قهـوة وراحة جرى شراؤهما بفلوس وصلت مؤخرا وكانت موضع أخذ ورد بـــين الصليب الاحمر والصهاينة في صلاحية من يقوم بالشراء ٠ وليحدثنا صلاح عن وادي جهنم التي تفقدها والتي تشبه المقبرة الجماعية ٠٠٠ وقضيتـــه مـع الصليب الاحمر الذي لا يقوم بالحد الادنى من دوره المطلوب والتقصير الدائم في واجباتـــه ٠

يعود نبيل مسرعا الينا لأخرج قاصدا وادي جهنم ٠٠ الطريق اليها تمـــر شرقي المعسكرات عبر ممر تم استحداثه وتحويل المرور من انصار الى الدوير باتجاهه ٠ لدى اقترابي من المطار عادت لي الذكريات ، كل ذكريات الماضي لا أدري اذا قلت عنها القريب أم البعيد لان الزمن طال بنا في الاسر وبدأنا في الصيف الثـاني ٠

وادي جهنم غرز منصوبة بين جبلين ، أو لـــكي أكون صادقـــا بــــين ثلاث تلال رابعها ساتر ترابي كبير من الجهة الجنوبية عليه مجنـــزرة يبدو وكأنها بحجم قلعة ميس القريبة من الموقع والمجاورة للزرارية ٠ المطار يبدو هضبة قائمة بذاتها شمالا ، ومن الشرق والغرب جرى اقتطاع الصخر عـــلى عمق كبير أكثر من عشرين مترا وأدخل قلب جهنم الذي أحيط بساتر ترابـي

أيضا شمالا وأشيـــاك من مختلف الاتجاهـــات وحتى في جوار الجـــدران الصخرية للابتعاد مسافة أمتار عنها وكأن الاسير بوسعه تســلق الجدران . الدبابة رابضة ومصوبة لمدفعها باتجاه الاسرى ، يا الهي الاعمـدة الكهربائية كأنها نجوم في السماء هكذا تبدو بعد أن وطأت قدماي المكان ودخلت المدينـة الجديدة ، دخلت الكهف الصهيوني .

ماذا أقول ؟ التكيف ؟ نعم التكيف ، اعتاد عليه الاسرى لانهم يعيشـون في عالم محدود وفق المشيئة والارادة التي فيها صخب الحياة وضجيج الاعتقـال وهمومه الدائمة بأشكالها الآنية والمستأخرة .

وبفعل التكيف أيضا أحن لمعسكر ٣١ وأعود اليه مسرعا عبر زيارة القســم الشتوي لمتابعة برنامج اعادة تكوين لغتي الفرنسية واكتساب اللغة الانكليزية مع الشباب وبرنامجهم التثقيفي وليتوالى خروجي من حين لاخر باتجاه الوادي أو الشتوي .

القناص دائما لنا بالمرصاد انه كالقط الذي يتربص بالفئران وكالقاتل الذي يبحث عن الضحية همه الصيد ولا شيء غير ذلك ، ماذا أقول ؟ محتـــرف ؟ بل أكثر انه يمتهن القتل لاي سبب كان تحت عنوان حماية الشيك ومنع الايدي من الامتداد اليه .

ذات يوم وفي معرض استقبالنا لوافدين جدد ، كعادتنا وباعتبارنا بوابـة انصار ومدخلها جاءنا ضابط ناقلا ثلاثة أسرى جددا تسلمناهم على البوابـة لننقلهم الى احدى الغرز مقدمة للاستيضاح عى أوضاعهم وما يحملون مـــن أخبـــار .

ما كاد أحدهم يطأ أرض المعسكر حتى تلقفته مجموعة من بيننـا وانهالت عليه ضربا دون أن نتمكن من وقف حالة الانفعال وليقال بأنه متساقط ومقنع . مباشرة طلبنا اخراجه من المعسكر وتسلمه الضابط الذي ما زال واقفا على البوابة واذ بالشخص المعني يتقدم من الشيك المجاور محاولا تقطيـع أوردة وشرايين يده بينما الفناص المرابط على الساتر جهز بندقيته لاطـلاق النـار وصوبها باتجاهه وهو على مقربة من الجميع بمن فيهم الضابط الذي تراجع الى الخلف . صرخت على نبيل ونبهته وتراجعت بدوري الى الوراء مسرعا ، ومع تراجعي مع سواي كانت الطلقة الاولى لتعقبها الثانية .

مسبب الحادث ارتمى ارضا دون ان يصاب والضابط ولى ادراجه هاربـا ونبيل صرخ باعلى صوته . اه اصبت . ووضع يده على عينه وارتمى بدوره . كان همي عدم الرد بالحجارة لان ذلك سيعني مجزرة جديدة . نبهـت الشباب لهذا الامر وعدت توا لالتقط نبيل واتعرف على وضعه .

الاصابة في وجهه وفي ساعده والدم ينزف ليقول لي : انا بخير انتبه للشباب واطلب نجمة داوود .

دقائق وكانت سيارة الاسعاف جاهزة لتنقل نبيل كما كان « كافري »بدوره



٥٩ ـ حتى في وادي جهنم ، لا لغسل الادمغة ، لا للهزيمة والسقوط !٠٠٠

مستفسرا عن الوضع ٠ تحدثت اليه بعصبية ملحوظة طالبا ابعاد القناصة عن السواتر وانهاء مأساة هذا المعسكر باخراجه من عزلته وتوزيعه في احد قسمى انصار ، وليأتنا نبيل في ذات الليلة بدون مقابلة صلاح وليتوجه في اليوم التالي الى القسم الشتوي وتبقى لمعسكر الزاوية الحادة حكاياه وظرائفه مثلما لانصار حكاياها ٠

بين الوافدين الجدد أ٠ الحريري دخل الى المعسكر عبر المختـــرة اولا ليستقبله نبيل ، أما أنا فلي معه حكاية أخرى ٠ بعد أن أنجزت غســل ثيابي وجسدي قصدته وسلمت عليه ففاجأني بمعرفتــه لي ومعرفتــه لكل أوضاعي واسأله من اين لك هذه المعلومات ؟ ! ليقول ٠ معلوماتي الحديثة من جريدة بيروت المساء التي كانت تنشر حلقات متسلسلــة عن انصــار ، أما الســابقة فقد عرفتك في بيتك في بنت جبيل وطلبت المشاركة بقضية فلاحي القنطرة بشخص رفيقنا المحامي كميل داغر ، يومها لم أعرفك على نفسي الا بعد حوار طويل ولأجيبه:الان ظروف الاسر جعلتك تعرف بنفسك بدون «ديالكتيك» وأهلا ولاجيبه : الان ظروف الاسر جعلتك تعرف بنفسك بدون « ديالكتيك » واهلا بك ضيفا علينا في خيمتنا لنتحدث في التجربة واعرفك برفاقك بينهم عضـو القيادة المشتركة ـ خ٠س٠ ـ ٠

اما حكاية النفق فقد دخلت مرحلة النفق المظلم ، طبيعة الارض الصخرية

حالت دون المتابعة وبقي اثرا من اثار انصار مضافا الى الاثار والاطلال التي كشف امرها في القسم الشتوي خاصة في معسكر ٢٩ وفي وادي جهنم تحت السار الترابي الجنوبي حيث تربض المجنزرة الضخمة .

الصهاينة اعتمدوا اسلوبا جديدا لكشف الانفاق وهو تعويم التربة قرب الساتر بالماء لتحصل انهيارات ارضية .

القسم الشتوي من انصار ، تطرزه واحات الزهور والحدائق ، وقد حرم الصيفي من هذا الرونق بسبب نقله ، اما الاخر فقد ازدان وبان في اجمل حلله وبشكل ملفت للنظر ، ومما يدلل على حيويته البادية أيضا مظهر الطائرة الشراعية التي صنعها في وادي جهنمأحد الاسرى فكانتاخر المبتكرات الحرفية .

مرة نلتقي الاعلام الغربي ، بينهم صحفية نمساوية ، دمعت عيناها مرارا وتكرارا لدى استماعها الى ساطي وهو يعزف على قربته ومشاهدتها لنماذج من التحف والملصقات التي تم تجميعها كيفما كان في زاوية من زوايا المستشفى

كان المشهد معرضا انصاريا بكل ما تعنيه الكلمة من معنى لكن بدون اعداد والموضوع الاساسي الحديث عن الصهيونية التي يجب جلدها سياسيا في كل لحظة ، وعلى الهامش الحديث عن التطور الانصاري من العصر الحجري الى عصر الطائرة الشراعية ، الحديث عن الحضارة والتراث والانتقال السريع رغما عن البدايات الحجرية .

في جانب اخر من الصورة ، الصليب الاحمر الدولي الذي اعتاد على تقديم الهدايا من الحفاية الى نصف الفروج سابقا وفي الاضحى الجديد موعدنا مع اكل اللحم ، الوجبة الاولى بتاريخ اقامتنا في هذا العالم ، نصف أوقية لكل أسير وعلينا أن ننضج العضم حتى نشبع .

وعلى ذكر قربة ساطي وحكاياها ، والمتحدثون مع الزنازين وحكاياهم أيضا ، اضطر الصهاينة الى تغيير اتجاهات أبواب الزنازين بشكل معاكس لوجهة المعسكرات ، لمنع ايصال الصوت ، والحديث مع من فيها بعد أن استنفدت كل الاغراض والوسائل بما في ذلك رش المتحدث من الزنزانة بالغاز ، كما ترش الحشرات بالمبيدات ، ولم لا ؟! أو لسنا زيزان الحمامات بعزف قادة الصهيونية ؟!...

انصار في اسابيعها الاخيرة :

ذهب نبيل الى المستشفى ولم يعد وفي نيته الاقامة الدائمة بدون أن يصرح لي بذلك ، وبقيت أعاني العزلة في معسكر ٣١ . اليوميات تتوزع بين تعلم الانكليزية واعادة تكوين لغتي الفرنسية والتي قطعت شوطا متقدما ويتخلل البرنامج اليومي بعض المطالعات والاستماع لنشرات الاخبار وجلسات مع الشباب في الخيمة ولكل واحد منهم اهتماماته الثقافية والتحصيلية بفعل تحول الجمع الى مجمع تحصيل .

لقد تركني نبيل وأنا أعاني من التهابات في الكلى ، كان المصل معلقا وأوكل الامر الى المرض، والطبيعة بدورها أعطتنا فسحة جديدة فمرت الايام بطقسها المشمس وكأننا في صيف ثان بعد شتوة خفيفة ، ومع ذلك نتعجل الانتقال الى المعسكرات الجديدة تجنبا لأية عاصفة قد تنزل علينا ، عاصفة غضب من الرب مع تبدل أحوال المناخ ومزاجه أو من أرباب انصار وقناصيها بفعل رصاصة جديدة قد تؤدي لمجزرة يتدنى معها سعر اللحم البشري وترخص الحياة .

انصار المترقبة تعيش أزمتها ، لا بل أزماتها ، بفعل التعقد والتشابك للامور من الخاص الى العام ومن الذاتي الى الكلي ومن السياسي الى الاجتماعي ، أزمات تعبر عن نفسها بأشكال وأساليب مختلفة محكومة بعوامل الانفعال . انها حالات نفسية عصبية ومزاجية ، تعبر عن ضيق الصدر ، وتتمثل بانفعال هنا وهناك .

البلنكو وأبو عقرب مع السيد المصري يشكلون حلفا ، انه تحالف الظواهر الغريبة على المدينة ، لكنه ليس بغريب على عالم السجون المملوء بالاشباح وهواة التشبيح ، ومسرح هؤلاء وادي جهنم ، والقيادة المشتركة ليس بمقدورها وقف الظاهرة التي تطلب رأسها في النهاية .

في القسم الشتوي ، الظواهر أقل بروزا ، لكن أحمد توتنجي يطعنه أحدهم طعنة قاتلة في معسكره بسبب خلاف على استعمال غيتار .

تكتئب الصورة في أذهاننا ونحس بؤسها ومستوى التردي ونطوق المضاعفات لنحصرها في اطارها الذاتي بعيدا عن التسييس سيما التنظيمي وسياسة التنظيمات براء من هذه الحادثة . نطوق الحادثة ، لكن الازمة بعمقها تبقى ماثلة في الذهن ، الازمة التي تستدعي الحل من الجذور ، حل مشكلة انصار بكاملها ، ومن أين لنا الحل ؟!

تتوالى الايام علي متنقلا بين الوادي والمستشفى لأحزم أمري في النهاية ، والمخرج الذاتي هو الانتقال الى حيث تقيم اللجنة في المستشفى .



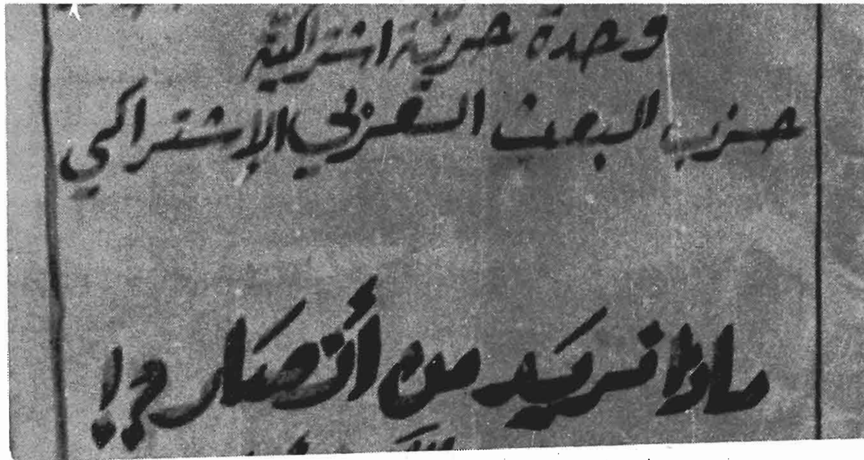
٦٥ ـ لانصار شعارها



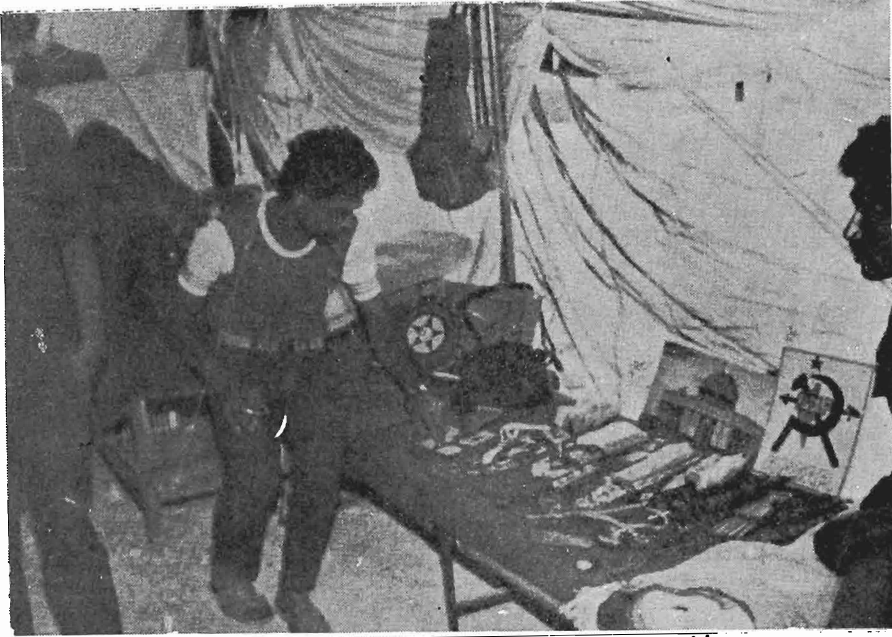
٦١ ـ ولها أدبياتها ، دليل المناضل ...

ومع اقتراب موعد انتقال المعسكرات يأتينا صلاح في طريقه لزيارة معسكر ٣٢ فيصطحب معه قريب احدى الاسيرات من بيننا ، أتحدث اليه من علـى الماء حيث كنت أتحمم . المشهد كاريكاتوري كما وصفه وتمنى أخذ صورة لـي بهذه الحالة ، ويعد بالعودة ، ويعود فعلا ويدخل المعسكر فنلتقي في غـرزة الخطيب ، تتحول الجلسة بينهما الى جلسة غسل قلوب ، وكلاهما لا يحملان سوى القلب الابيض ونخرج سويا .

أخرج من معسكر الزاوية الحادة كما أسميته وللابد قاصدا المستشفى تاركا كل أمتعتي ما عدا الكتابات والرسائل وأحل ضيفا على الدكتور عماد صاحبنا وصديقنا في معسكر ثلاثة في زمن مضى .



٦٢ ـ وأيضا ، ماذا نريد من انصار !؟...



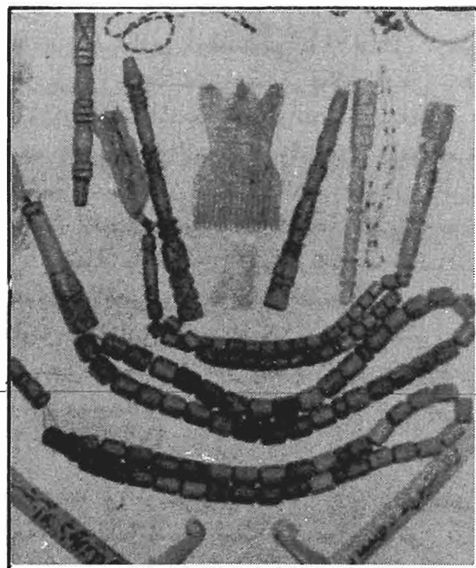
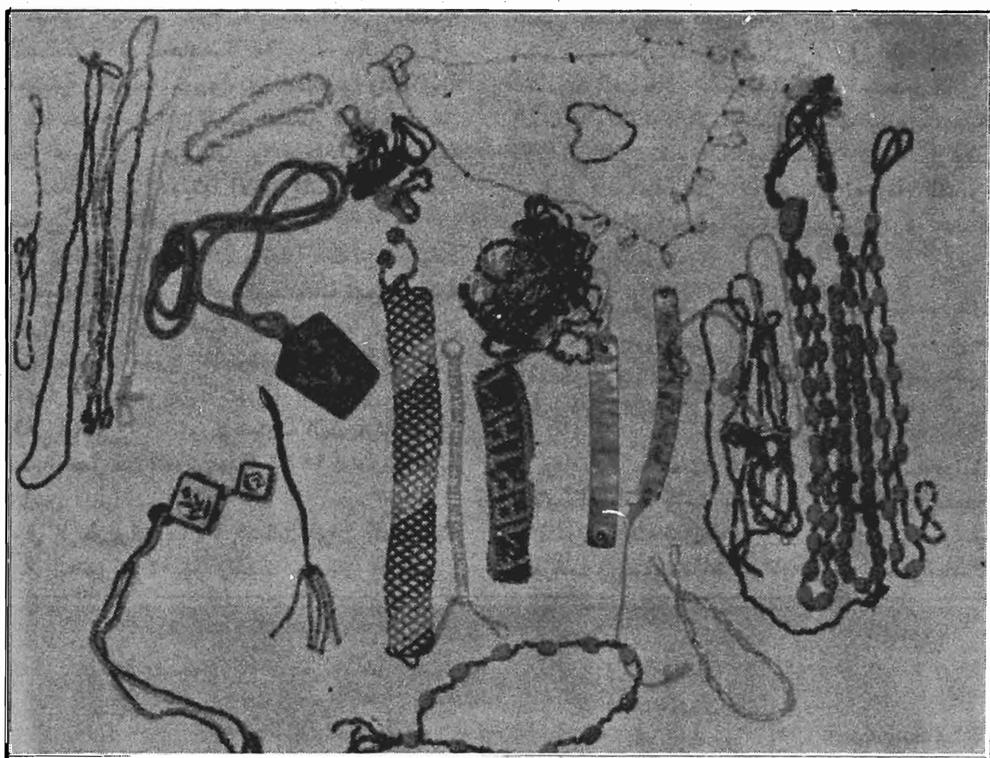
٦٣ ـ معرض انصاري في زاوية من زوايا خيمة المستشفى

بالاضافة للمراجعة الطبية لا بد من مراجعة الحسابات سيما التنظيمية منها والعودة لبرنامج العمل . في جعبتي كتيب « ماذا نريد من انصار ؟ ما هو المطلوب منا في انصار ؟! » ومشاريع أخرى .

طاقم العمل جاهز بدوره ، العم وعلي بيك وشعبان وعرفات وشبو وسواهم . وأضع بيدهم الكتيب لقراءته واستنساخه لتعميمه واعتماده كدليل عمل نظري ، وننتظر الفرصة المناسبة لنقل نسخ عنه الى معسكرات وادي جهنم . ونتحدث عن حلقة التحصيل العلمي التي كانت سائدة في معسكر ٣١، وضرورة البدء بتنفيذها في موقعنا الحالي .

ومن الهموم التنظيمية الى استئناف الزيارات التقليدية لمختلف المعسكرات التي لم تعرف الحواجز المعيقة من جديد . أتنقل من معسكر لآخر ومن غرزة لأخرى ومن مجموعة الى مجموعة مع توالي الليالي والايام .

انصار ، باتت على مواعيد نصف شهرية لتناول الراحة والقهوة والسيكارة المفلترة هدية منظمة التحرير مثلما هي على مواعيد مع فرقة الجراح المتنقلة في القسم الشتوي من معسكر لآخر ، واخر حفلة لها في معسكر ٢٦ تغني للثورة ولانصار كما تغني لسهيل أبي الكل وماهر الدوماني . العزف على الغيتار ، القادم الجديد ، بالاضافة لبقية الالات الموسيقية من كرادل المياه وطناجر الطبيخ والحفلات تفتتح بنشيد انصار :

٦٤ ـ نمــــاذج

نشيد انصار

حطم ضلوعي
تحت اعقاب البنادق
وانصب لي
ان شئت اعواد المشانق
واجعل الاصفاد
تروى من دمي
من كاحلي أن شئت
او من معصمي
واحجب ضياء الشمس
عن عيني بحقدك
بالعصبة السوداء
تحكي سود قلبك .
واسجن معي
في خيمتي
رفاقي وأهلي
وكل اخوتي
وارفع الجدران
والاسلاك حولي
واكتب على الاشياك
في الرمضاء شبلا .
ان تستطع
فاحجب الشمس عني
لكنما الانصار
للشمس تغني
فالفجر لي
والارض لي
والقدس لي
في الفجر ساكسر
كل القيد عني

اغنيـة ماهر

الريـــح تقـــرع لحنهـــا
والارض تلفظ في الســـر
آهـــات دفينـــــة
والشمس تحجـــب ضوءهـــا
وتغيـــب عـــن الارض الحزينـــة
في ســـكون الليـــل
في الصمـــت الرهيـــب
في خيـــام القهـــر
ابتـــدأ اللهيـــب
خرجـــت ذئـــاب الحقـــد
تبحـــث في الظـــلام
خرجـــت وحوش الارض
تفتـــرس النيـــام
أطلـــق الحقـــد رصاصا
انـــه نـــذل جبـــان
مـــزق الاجســـاد غـــدرا
أســـكن المـــوت المكـــان
في انصـــار

سـكت القلب النابض حبـا وثـورة
في انصـــار

أغتالوا الحلـــم الغارز في القلب جذره
في انصـــار

ســـقط ماهـــر
رشـــفت من دمـــه انصار
في انصـــار



٦٥ - عينـــــات



٦٦ - انصار مدينة الابداع

نشيد انصار ، فكرة راودتني بعد العودة من المنفى مثلما راودني الشعـار ، وكتبت يومها لصلاح مقترحا وكانت له بدايات نظمها في الزنزانة فاكملها ليكون النشيد تعبيرا عن آلام الكاحل والمعصم ومن مناخ الانفراد والنفي مثلما كـــان الشعار جاهزا باليد المحطمة للاشيـاك ٠

انصار التراث والحضارة لا يضيرها في جانب اخر مظهر البلنكو والسيـــد المصري وقاتل التوتنجي ، انصار المجتمع يزينها النشيد والشعار ومختلف أشكال العطاء السياسي والفني ، واخر ابداعاتها وفنونها كانت المسابح والعقود مـــن الخرز والشنط والحافظات من بقايا الخيم والعباءات والجاكيتات من الحرامات والتحف المختلفة المحفورة على الخشب أو الصوان، أما عدة «باب الله» الكاملة المكملة لأي عمل صناعي فهي تحفة قائمة بذاتهـــا ، يكفي أنهـــا لعبـت دورا بمناشيرها ليلة غضب انصاري بقص أعمدة الكهرباء الخشبية في لحظات !٠٠٠

انصار المزدانة أيضا في مختلف غرزها بالتحف وباللوحات الفنية التي أبدعتها أنامل وأفكار الاسرى لتعبر عن مختلف الاحاسيس والمشاعر الوجدانية الذاتيـــة منها والسياسية ولتكتمل انصار الحضارة والتراث بدليل المناضل ، الجزء الثالث منه ، لاكتمال أدبيات التجربة التي هي بدورها على موعد مع مرحلة جديدة من مراحل الاسر نعد لها العدة ونحضر أنفسنا لها ٠٠٠ سيما بعد تأهيل المعسكرات الجديدة التي نلحظ أشكالها من بعيد أثناء ايابنا وذهابنا الى الوادي ٠

عمليــــة التبــادل :

حكاية التبادل باتت مثل حكاية ابريق الزيت ، مع اهتمام الاسرى بهـا ملوا ذكرها ، وانتابتهم المرارة منها . أتت الرسالة تلو الرسالة من سفيرتنا في الخارج زوجة صلاح ، ومن أبي جهاد الوزير الى أبي جهاد أحمـــد جبريل مرورا بأبي اياد ، والحكاية هي الحكاية عن عملية التبادل التي راوحت مكانها .

أتى « امري » وزار انصار ، وعاد الى بلاده بدون رجعة لتبقى الحكاية معـه وكأنها كذبة نيسان ، مثلما التقى الوفدان المعنيان بعد فيينا في جنيف ثم جمعا حقائبهم مجددا وعاد كل وفد الى بلاده .

تغير رئيس الوفد الفلسطيني من عبدالمحسن أبو ميزر الى جمـال الصوراني واستنفدت القضية نفسها ولاكت بعضها بعضا من كثرة الشكليات ، من كثـــرة تبادل اللوائح وأسماء المفقودين ووجهات النظر والاقتراحات واستعر مـا شئت من التسميات والعبارات لدرجة أن لائحة مـــن اللوائح جالت وعـادت لتناقش وتصاغ من جديد بسبب خلاف على عبارة استبدلت بعبارة « على أن يؤخذ فـي الحسبـــان » ...

اختلفت وجهات النظر بشأن المباحثات ، تارة عبر النمسا وطورا عبر الصليب الاحمر الدولي ، والتزم « كارلوس » في فترة من الفترات المهمة وبادل اللوائـح وتنقل بين طرابلس ودمشق وتل أبيب وانصار كما تفقد الاسرى الصهاينة الـذين
وتنقل بين طرابلس ودمشق وتل أبيب وانصار كما تفقد الاسرى الصهاينة الـذين
هم لدى المنظمة . ومع كل لائحة أو نقلة من تنقلاته كنا على علم بما يحصـل ، بالتفاصيل ، بأدق التفاصيل ... وذهب كارلوس المتحمس بـــدوره كامري ، لانجاز الصفقة بدون أن يتمكن من ذلك . وجاء خليفته « كلود » الجاهل الـذي لا يدري عن انصار أكثر من الطريق التي يسلكها بين انصار واستراحة صور حيث يقيم ، وهو بحاجة لمن يرشده ويهديه ، بحاجة لأي كان الا للجنة الاسرى التي يخاف منها ويرهب جانبها وصدره ممتلىء غيظا وحقدا عليها . جـاء « كلود » ومباحثات التبادل التي لا يعلم عنها شيئا ، باتت الان تجري عبر الصليب الاحمر الدولي ، لكن في جنيف اخر معلوماتنا أن كلا الوفدين قد جمعا حقائبهما وعـادا كما ذكرت وقناعاتنا أن الصفقة تعثرت من جديد واصطدمت بعقبات وشـكليات جديـــدة ...

للعدو خمسة أسرى لدى فتح ومجموعة جثث ، وأسيرين لدى القيادة العامة ، ويشك بوجود أسير جديد يعتقد أنه ما زال حيا يبحث عنه ويريد معلومات حوله ، والمنظمة تنكر وجوده .

لدى العدو أربعة الاف وخمسة أسير في انصار ، والنسوة الاسرى في معســكر ٣٢ في النبطية ، والف وخمسة معتقل في داخل فلسطين ، في السجون بالاضافة

لركاب الباخرة التي التقطها العدو لدى مغادرتها ميناء طرابلس .

المنظمة في البدايات كانت تريد صفقة بصفقة وتشترط لاتمام العملية كل من في الداخل ، بمعنى انسار أمرها محسوم . أقول استؤنفت المباحثات التي علقت في جنيف وباتت محصورة بالخمسة مع الجثث بمعنى صفقة منفردة تقوم بها فتح وهي تطالب فوق انصار وتوابعها من ركاب الباخرة الى معسكر ٣٢ بالف سجين من الداخل ايضا . استئنافها مجددا كان بناء لتوصياتنا وتمنياتنا والحاحنا بانجاز الصفقة ولو بانصار المحسوم أمرها ، وكيفما تيسر ضمن حدود المعقول الذي يحتم ضرورة انهاء مأساة مدينتنا .

ومدينتنا مع شوقها لحكاية ابريق الزيت ، باتت سيئة الظن بها وبعقدها ، سئمتها ، وبات حديث التبادل « المورفين » و « المخدر » وتتهم اللجنة بأنها تحقن به الاسرى ، ويا ويل اللجنة اذا حصلت على معلومات وحجبتها عنهم ! ويا ويلها اذا عممتها ، مصابها مثل مصاب بالع « الموس »، في كلا الحالتين هي مكسر العصا والمتهمة اما بالتخدير أو بحجب المعلومات .

ومع الموعد لاستئناف المباحثات يتجدد الحديث عن سفر رئيس اللجنة يرافقه أحد الاعضاء الى جنيف !... المنظمة تطلب ذلك في اخر رسالة لها !... لكن كيف يذهبا ؟ وما يضمن عودتهما ، اذا شاءا ؟ وكيف تكون العودة ؟! أسئلة تحتاج لاجابات . وسفر أي واحد بدون عودته تعني حرقه . ومن منا مستعد للاحتراق بعد أن أدى فاتورة التعب المضنية على انصار وفي انصار !؟.. ولمزيد من الاستيضاح لا بد من الحديث المباشر مع جنيف ، وصلاح لها ، ومن حقنا أن نتحدث وعلى العدو تأمين ذلك باعتبار الحديث وسيلة من وسائل الاتصال التي يفترض وضعها بتصرف اللجنة وتأمينها عملا باتفاقية جنيف .

ونودع صلاح ويتحدث مع نبيل الرملاوي ، مندوب المنظمة في جنيف وعضو الوفد المفاوض ويقترح عليه مجددا مبادلة « الاحياء بالاحياء » أي « المتيسر بالمتيسر » انقاذا لانصار ، بمعنى اخر مبادلة انصار وتوابعها بالخمسة وما توفر من الداخل وترك مسألة الجثث لمباحثات أخرى ، اجراء صفقة محددة ومنفردة. ويعود صلاح الينا ومعه موعد استئناف مباحثات التبادل الذي نقلت خبره الاذاعات لاحقا .

لكن حكاية ابريق الزيت أو « المورفين » على تلهف الجميع لمعرفتها ممجوجة لها موقعين في نفس الاسير العادي ، موقع محبب وموقع كريه !.. وتعمم القيادة المشتركة في الشتوي والمشتركة في الوادي الخبر ويقف صلاح خطيبا في معسكر ٢٢ يوجه الكلمة التي جرى تسجيلها ، ونقتطع منها ما يلي :

نحن معا بين هذه الاسلاك نواجه مصيرا مشتركا ، نواجه نفس المعاناة ، من هذا المنطلق تعودنا أن نتحدث حديث القلب الى القلب .

كلكم يعرف أننا كنا نناضل ، منذ ما يزيد على الاربعة أشهر ، لكي نمارس حقنا بالاتصال بقيادتنا في الخارج ولقد حاولنا باصرار وعناد ولقد وعدنا عدة

مرات باننا يمكن أن نتحدث ولكن في كل مرة كنا نفشل في ايجاد اتصال مع قيادتنا في الخارج . ومؤخرا ويوم أمس واليوم تمت مكالمة بيني وبين مكتب المنظمة في جنيف وتحدثت مع ثلاثة من الاخوة هم إعضاء في الوفد واحدهم عضو في اللجنة التنفيذية هذا للحقيقة . طبعا كان من المفترض أن ينزل ذلك في تعميم عليكم واحب أن أؤكد لكم واقسم لكم بشرفي بان انصار هي في ضمير كل انسان وان انصار تحظى بالاهتمام من كل أخ لكم في الخارج . لقد قالوا لي بالحرف الواحد بانه لا مشاكل أساسية حول التبادل وقد أكدوا لي ذلك أكثر من مرة كما أكدت لكم ذلك على مدى الاشهر السابقة . ان العدو يسوف ويماطل وهو وحده المسؤول عن التاخير ولكن ان عاجلا أو آجلا فان التبادل سيتم لا محالة . أؤكد لكم بأن قيادتكم في الخارج مصممة على التبادل لا فرق في الموقف بين جبريل وأبو جهاد وأبو عمار لا فرق بينهم اطلاقا . أقسم لكم بشرفي وبدم الشهداء لا يوجد سوى مشاكل شكلية بالاضافة الى أن طبيعة عمل الصليب الاحمر الدولي هي طبيعة معوقة ، على سبيل المثال عندما تخرج رسالة من دمشق للطرف الاخر يحملها الصليب الاحمر ، يوصلها بعد أسبوع ، الطرف الاخر بدو خمسة أيام لما يرد ، اذن خمسة عشر يوما . ثم يعطيها للصليب الاحمر حتى يرجعها ، تأخذ عشرة أيام ، اذن راحت شهر . في الاساس التعطيل هو مماطلة العدو ثم طبيعة عمل الصليب الاحمر الدولي . هذه هي الحقيقة أقسم لكم .

الذين يتحدثون عن أننا منسيون لا حق لهم في ذلك ، لا حق لهم فى ذلك ، لا حق لهم في ذلك ، سمعتم النشيد ، هذا النشيد تبثه الاذاعة باستمرار ليس فقط النشيد ، ملصقات عن انصار ، جمعيات تشكل في كل بلدان العالم عن انصار . في هذه المرحلة بالذات هناك جمعيات حتى في المهجر الاميركي يقومون بحملات واسعة النطاق من أجل انصار ، هناك جمعيات في أوروبا ، هناك جمعيات في كل عاصمة عربية ، هذه هي الحقيقة . ان قيادتنا في الخارج ، ان قيادة المنظمة بالرغم من كل ما تعيشه من مشاكل ومن حالة حصار بالرغم من مواجهتها للعدو الامبريالي الاميركي والانعزالي والسلطوي اللبناني الا أنها تفكر في انصار ليل نهار ، وليس من العدل أن نقول أننا منسيون . نحن لسنا منسيين ، لسنا منسيين اذا كان هنالك ، اذا كان بيننا من يريد أن يرتد فعليه أن يرتد أن يلبس أقنعة النقد للمنظمة . المنظمة كانت ولا تزال حريصة علينا ، وانصار تحظى بأولوياتها . وأقول لكم بكل صدق لقد تعاملنا معكم سواء على صعيد القيادة المشتركة أو على صعيد اللجنة بكل أمانة واخلاص . قلنا لكم أكثر من مرة نحن رجال وأنتم رجال، نحن مناضلون ولسنا « بسكوت » ماذا يعني ألا نصمد في أسر كأنصار ، ماذا نقول لهم ؟ أنقول لهم بأننا تعبنا لخمسة عشر شهرا ؟ ونقول عن أنفسنا مناضلين . أنقول لهم بأن بعضنا يمكن أن يرتد بعد خمسة عشر شهرا ؟ أنقول لهم ذلك ؟ ماذا نقول لاخواتنا في النبطية ؟ أنقول لهن : الرجال أصبح بعضهم أضعف من النساء ؟ ماذا نقول لهن ؟ هن الرجال ، انهن أخوات الرجال .

هذا الاسر طال أم قصر سينتهي ٠ هذه الاسلاك طال الامـــد أم قصر ستفنى وتزول ولن يبقى منها ولن يبقى من انصار الا أرضها الطاهرة العربيـــة ، ولن يبقى الا صفة البطولة منكم جميعا ، بطولتنا كلنا ، بطولتنا كلنا ٠

أخوتنا في الخارج يواجهون العدو بكل أساطيلـــه ، يواجهون نيوجرسي ، ويواجهون كل أنواع الاسلحة الامبريالية الغربية ونحن هنا لسنا أقل رجولـــة منهم ، نحن رجال لسنا « بسكوت » نحن مناضلين ولسنا مدعي النضال٠ المناضل هو من يتحمل ، المناضل هو الذي ينظر الى المستقبل فيرى الافاق الرحبة ٠

خلف هذه الاسلاك حياذ نابضة ، خلف هذه الاسلاك مستقبل أمامنا ، مستقبل النصر ينتظرنا ٠ هذه اللحظات أيها الاخوة ، هذه اللحظات لحظات الاســـر المقيتة ستزول بعد سنوات ، هي أجمل ذكرياتكم ٠ أنتم هنا لستم تضيعون وقتكم أنتم هنا لا تواجهون العدم ، أنتم تصنعون رصيدا لابنائكم أعظم من الارصـــدة المادية التي يعملها العاملون هناك،أنتم تصنعون رصيدا لأبنائكم يفتخرون به، أنتم أبناكم الان يفتخرون بكم عندما يسألهمأي سائلأينأبوك،يقول له في مدرسة انصار ، في الكعبة التي اسمها انصار ٠

أنا لا أريد الرفع من معنوياتكم ، حاشى الله أن أرفع من معنوياتكم ، مـــن واجهوا البطش الصهيوني ، حاشى لله أن أرفع من معنويات من واجهوا كـــل ما واجهوه ولم يستسلموا ٠ لن نركع ، لن نركع ، لننركع ، ما نحتاجه هو الثقة بانتمائنا الوطني وانتمائنا القومي وانتمائنا الحضاري ، يجب أن يصاب العـــدو باليأس من صبرنا وصمودنا كمناضلين ، يجب أن يصاب باليأس القاتل منكم أنتم يا أبطال انصار ٠



انصار في أيامها الاخيرة تبعث بمختلف أقسامها على التطير ، تصيب من هو بكامل قواه العقلية ، جهنم بواديها وجبال « الطور » المحيطة بها ، معســـكر الزاوية الحادة بعزلته ، وحكايا معسكر ٣٢ الذي نطالب بالحاقه بانصار مـــع الالحاح شريطة تأمين حمايته من قبل مجندات ، أما معسكر ٢١ عاصمة انصـــار في القسم الشتوي ، مشهده يثير الهلع ، والرعب يزيد المتطير تطيرا ٠ « أبـــو العمرين » عاتب يصب جام غضبه على الكبير والصغير ممن هم في الخارج،يلعن الحاكم والمحكوم !٠٠٠ وأبو عمر باليد والعين الواحدة دائما شاك باك من ســـوء حظه ومركب النحس الذي لحق به حتى من لائحة المرضى والمعاقين ٠ دعك من « أبو كروم » المفصوم الشخصية ، و « أبو عويد » برجله المبتورة ومن كل قـــادم جديد مصاب فعلا بمعدته أو قلبه أو امعائه أو ٠٠٠ الخ ٠٠ أو مـــــن متمارض يسعى ويلهث وراء ورود اسمه على لائحة المرضى ، مضافا الى من في المعسكر ٠

معسكر ٢١ ، معسكر يقطع الرزق ، برؤية نزلائه ورواده من المرضى الـــذين تم تجميعهم من كل المدينة لمزيد من العناية بهم في عهدة الدكتور عمـــاد والمفرج

عنه والذي فضل البقاء لتأدية الخدمة ، والجبلي صاحبي في قاووش المحطة ومعسكر خمسة ورحلة انصار ، تأكل « الغرغرينا » شيئا فشيئا أصابعه وتمتد بعدها من القدم الى الساق ٠

نطالب بالافراج عنه ، ولن يطلق سراحه الا بعد « طلوع الروح » ٠ يئن بشكل دائم وبحاجة لعملية بتر ، نقلوه مرة وبعد الصيحة الى المستشفى العسكري ، ليعيدوه الينا في نفس اليوم بحجة ضرورة اجراء عملية له ! ومن بمقدوره اجراء العمليات سواهم ؟ ونعمل منه قضية بحكم خبرتنا ، سلاحنا التقليدي النشيد والاغنية وقليل من النار ، مع ملح التهديد ، لينقل مرة أخرى الى مستشفيات الارض المحتلة ٠

يغيب الجبلي أربعة أيام ويعاد الينا على حاله بحجة ورود اسمه على لائحة المرضى الموصى بالافراج عنهم طبيا !٠٠ وننشد مجددا وننذر بالضرب بـ« سيف السلطان » التهديد والوعيد اذا لم يطلق سراحه ضمن مهلة محددة ، ونتعاون على تسكين أوجاعه مع الطبيب الذي يقدم له المخدر ومعه قطع الراحة التي يختلط طعمها مع أنينه ويطلق سراحه أخيرا ٠

أتانا الجبلي من رحلته حاملا محملا وخرج كذلك ، بالاضافة لرجله التي هي برسم البتر ، عاد الينا أيضا مع مشكلة استجدت وجرى حلها ، خلاصتها بأية واسطة يجري نقله ، بسيارة مندوب للصليب الاحمر الدولي أم بسيارة الاسعاف! هذه هي عقدة « كلود » التي أبقت على صاحبنا محتجزا مع أنينه ومزيد من « الراحة » لمدة أربع وعشرين ساعة حتى يتيسر لكلود حل العقدة ٠ وعقدتنا نحن أن يترك الجبلي مدينتنا بأي شكل كان ولو سيرا على القدم السليمة لان المهم أن يخرج من انصار ، ونلتقط « كلود » ونحمله الجبلي في سيارته بالذات ٠

ذهب الجبلي بعد أن سبق له وأتانا حاملا خبر قدوم قسم من ركاب الباخرة معه الى انصار ، حيث تم وضعهم في الزنازين فقدرنا اقتراب قدوم القسم الباقي من المجموع البالغ ستين راكبا وباتوا مثلنا أسرى بينهم رواد في جيش التحرير ، تحدث الجبلي الى ضيوفنا الجدد وحدثهم عن انصار واللجنة ، وانصار كرمتهم بالاغاني والاناشيد مع « ساطي » والقرية لشد العزيمة ، كما قدرنا بمقدمهم اقلاع مباحثات التبادل مع سوء الظن بها كعادتنا ٠

وكما أتانا حاملا ذهب الجبلي محملا في عهدته المذكرة التي قدمناها للصليب الاحمر الدولي احتجاجا على مجزرة وادي جهنم الجديدة ، والنداء الموجه مني لقادة الحركة الوطنية اللبنانية ، ورسائل شخصية ٠٠ تحضير كل ذلك برسم التهريب في عهدة نبيل الذي اعتاد بمهارة فائقة على لف المحمولات بشكل تحاميل ٠٠٠ الجبلي متعهد النقل وشقيقه علي متعهد النشر ، ومع الرسائل ما تيسر من العقود والشنط لزوجتي وزوجتي نبيل وأبي ليلى ٠

سافر الجبلي وكان قد سبق سفره بأيام أن استيقظنا صبيحة يوم ٥ـ١١ على صوت دوي انفجار في مكان بعيد ، قدرناه على الساحل اللبناني مثلما قدرنا

حصول عملية فدائية هدفها احدى مواقع العدو العسكرية .

وكم كنا نطرب لدى استماعنا لصوت الرصاص والتفجير الذي اعتدنا عليه بحيث باتت المقاومة للغزو الصهيوني راسخة الجذور وليست ببعيدة عن انصار ونتطلع الى اليوم الذي يمكن فيه أن تجري عملية على مشارف مدينتنا يكون هدفها اطلاق سراحنا وفك احتجازنا كما نتطلع لمسيرة شعبية باتجاه انصار يقوم بها أهلنا على غرار مسيرة النسوة السابقة تكون أكثر اعدادا وتحضيرا .

ونستمع للاخبار الصباحية فتتناقل وكالات الانباء نبأ التفجير الذي سمعناه واستهدف مقر الحاكم العسكري الصهيوني في مدرسة الشجرة في صور ، هذا المقر الذي تحول الى مقبرة جماعية لجنود العدو وضباطه .

يأتنا « باك » باكرا مكفهر الوجه متجهما ويسأل عن مدى علمنا بحادث التفجير فأجيبه شامتا بالايجاب وأذكّره بحديث سابق لي عندما وعدته بأن النار ستمتد الى دائرتهم لتحرقهم بلهيبها في معرض التعليق على حادث تفجير قوات المارينز في بيروت وليعود « باك » مرددا اسطوانته المعهودة بتخوفه من مجازر قد تحصل من باب ردة الفعل على الحادث بفعل قوات لواء « جولاني » الذي استهدف تفجير الشجرة عناصره وليعقب الضابط الصهيوني بقوله : « وصيتي أحضرها وتكون جاهزة كلما ذهبت من انصار الى اسرائيل أو بالعكس ... »

سافر الجبلي وانصار كانت مع استحقاقات الانتقال ، ونفذت ذلك بالفعل فقبل سفره في ١١/٦ بدأ حزم الامتعة والتوجه للمعسكرات الجديدة .

المشكلة الاساسية العالقة تتعلق بالراديوات ، ودار نقاش عقيم بهذا الشأن لم يسفر عن نتيجة . العدو أصر على المصادرة ونحن أصرينا على حقنا باستماع الاخبار وتوصلنا لنتيجة بديهية من باب تحصيل الحاصل بقولنا لهم ما تصادرونه مبروك عليكم وما نهربه مبروك علينا وسنرى لمن تكون الغلبة لاننا واثقون من النتيجة .

مسبقا أغلب الراديوات كانت مهربة وتجمعت في المستشفى ولم يبق الا القليل وهذا القليل جرى تخبئته بأشكال وطرق متعددة ومع النقل لم يعلق سوى جهازين فقط لا غير وتسرب عدة أجهزة بالرغم من دقة التفتيش .

مساء ٦ــ١١ ثارت ثائرتنا ، همنا الاشراف على الوضع ومنعنا من ذلك فلجأنا الى أسلوب التهديد . سمح لنا بتفقد المنقولين والاطلالة على وادي جهنم لمعرفة الملاحظات . أمور كثيرة جرى الوعد بتداركها في اليوم التالي . وبقيت مشكلة المخطوفين . نعم هناك أسرى خطفوا وسيقوا الى الزنازين . وعاودنا الزيارة في أمسية اليوم التالي بعد أن اكتمل الانتقال . في كلتي المرتين حملنا معنا السجائر والبن والراحة ، والراحة لها وظيفة غير تحلية الفم ، مهمة الصندوق احتضان الراديوات لاعادة توزيعها لاصحابها .

في ٨ــ١١ نفاجأ بالمجزرة الكارثة . بعد أن تم اخلاء وادي جهنم قام العدو



٦٧ـ ارينز وكبار ضباطه في مدرسة الشجرة



٦٨ ـ مدرسة الشجرة « مقر الحاكم العسكري الصهيوني » بعد تدميرها

بالتمشيط بالرصاص أولا ثم بالبلدوزر للتفتيش على الانفاق . أثنـــاء عمليـــة التمشيط خرج اثنان من الاسرى من تحت التراب ، من داخل حفرة معدة لغايـة الهرب فأصيبا بأصابعهما مما يدلل على أنهما استسلما فأطلقت عليهما النيران، وأثناء تشغيل البلدوزر تم دهس ابراهيم درويش وأحمد شعيتو وعباس بليطـه حيث كانوا يختبئون في حفرة أخرى .

النبأ أذهلنا وصرعنا من الحادث ، ليس بمتناول أيدينا للتحريـك ســـوى المعسكرات الشتوية والاعراب عن احتجاجنا على الجريمة الصهيونية الجديدة وأمام وجهنا الصليب الاحمر الدولي .

قدمنا مذكرة للصليب الاحمر قاسية اللهجة نتهم فيها الصهاينة بالقتل المتعمد المقصود دليلنا ظروف الحادث وواقعه اصابة الاثنين من الاسرى اللذين خرجـا أولا من حفرتهما ، باصابتهما بالرصاص ودليلنا معزز أيضـا بتقرير الصليب الاحمر نفسه والكشف الحسي والطبي الذي أجراه .

المعسكرات تحركت بالاغنية والانشودة والمشاعل والوسائل المتاحـة وتحرك الاسرى لاحياء الذكرى في كل معسكر على حدة ومهرجان مركزي في معسكر ٢٣

استشهد ابراهيم ودرويش ورفاقه ليغنوا التجربة الانصارية ويعمدوها بمزيـد من الدم وليسموا الى جانب من سبقوهم ويرفدوا مسيرة النضال من أجل تحرير الارض من العدو الصهيوني الذي بات تاريخه مرتبطا بالمجازر والارهاب .

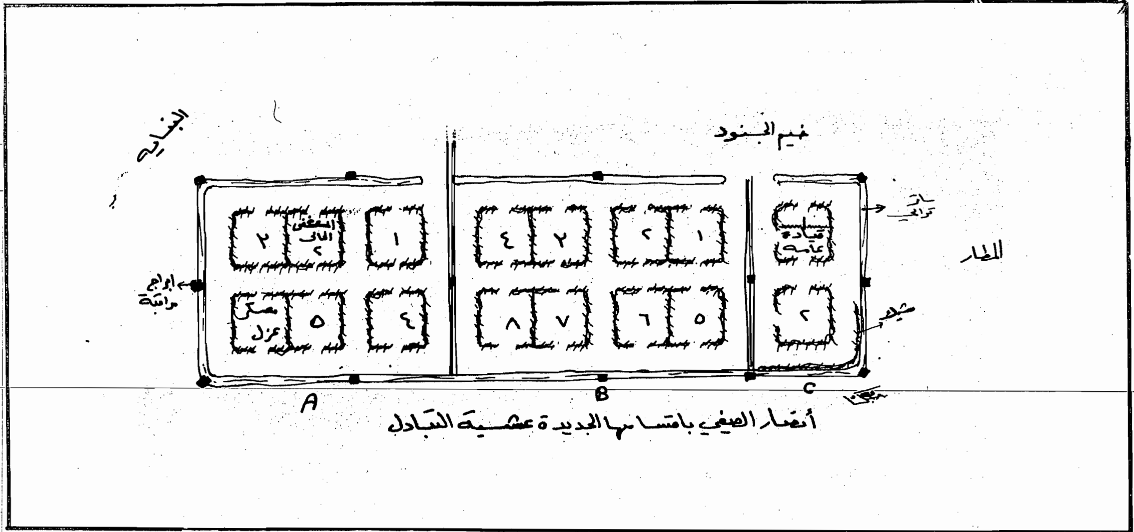
لم يطل الامر بنا كثيرا ، أيام معدودة ونحن بصدد هاجس مجزرة وادي جهنم ومتابعتها حتى أوشكت أن تقع مجزرة جديدة في معســكر الزاوية الحـادة ، معسكر ٣١

الذي حصل أن المعسكر بعد أن أفرغ ممن تركتهم فيه بانتقالهم الى المعسكرات الجديدة عاد وامتلأ بمن هم في الزنازين في يوم ١٣-١١ ، الشباب ضربتهم الحمية الانصارية فألقوا بالتموين من خلف الاشياك وأخذوا ينشدون على الطريقـة الانصارية مما استدعى تجاوبنا معهم حرصـا عليهم والزام العدو السماح لنـا بمقابلتهـم .

قمت بالزيارة الاخيرة لمعسكر ٣١ برفقة صلاح وأمضينا يوما بكامله مع الطلبة الجدد لمعهد انصار تحدثنا فيها من هموم الخارج الى التبادل مرورا بكيفيـة تدبرهم لامرهم وادارة شؤونهم ريثما يتيسر نقلهم الى جناحي انصار ، ومـع الاخبار العائلية أسمع خبر اعادة التقاط درويش الصغير الذي ما زال في الزنزانة .

نترك معسكر ٣١ ونعود لنتأهب للانتقال بدورنا من القسم الشتوي الى وادي جهنم ونجهز مجموعة من الشباب لنصب الخيم وفي حوزتهم راديوات على عاتقهم مهمة تهريبها ودفنها في التربة وليحصل هذا الانتقال فعلا في يوم ١٦-١١ عـلى أمل أن نخلي المستشفى في ٢٠-١١ والذي بقينا به لوحدنا مع المرضى .

مسألة الراديوات كسبنا فيها الرهان وجيب فيلدي كانت جاهزة لنقل ثلاثـة على دفعات مع الكاميرا ، مثلما بدأنا بعد انتقال الشتوي وسط حالـة الانفراد



٦٩ ـ تقسيمات انصار القديمة بعد اعادة توزيعها

التي طالما اشتقنا اليها ندرس ونحلل مستقبل انصار والخطوة القادمة باعادة تفجير الاوضاع بما في ذلك حرق انصار في شهر شباط القادم وفي عز البرد !٠٠٠

لكن « الجمل بنية والجمال بنية أخرى » كما يقال ٠ في ١٧ــ١١ فاحت رائحة التبادل وبدأنا نعيش لحظات حرجة ودقيقة نعد الساعات بل الدقائق والثواني ونحمد الله على انفرادنا حتى اذا أتت أية أخبار معاكسة بامكاننا تحملها بعيدا عن الاسرى وأعصابهم التي لا تتحمل مفاجآت وصدمات جديدة ٠

في زحمة اعادة تأهيل البيت الانصاري وترتيبه من جديد لبدايات جديدة تستأنف معها مسيرة المدينة بأوجهها النضالية والتراثية والحضارية ، يصل نبأ الشوط الاخير من مباحثات التبادل ، نبأ التوقيع بالاحرف الاولى على الاتفاقية التي تحتاج لمصادقة المسؤولين لدى الطرفين المعنيين ٠

ووسط جحيم طرابلس وأيامها الصعبة يقصدها مندوب الصليب الاحمر الدولي لأخذ توقيع أبي عمار عليها !٠٠٠ اللجنة في خلوتها التي أعطتها لنفسها من أجل البدايات الجديدة ، بدايات استئناف المسيرة النضالية وفق مرحلة ما بعد التأهيل والترتيب ، تتدارس كما ذكرت ، حرق انصار مرة أخرى في البعيد وفي المدى القريب تعطيل مفعول القنص على من يتجاوز الخط الابيض المجاور للشيك في كل معسكر ، ونتدارس مسألة الزيارة بتواقيت معينة بين المعسكرات في كل قسم وموعد استئنافها الاحد القادم بفتح البوابات الداخلية على أن نتوزع على الاقسام ونجلس كي ننشد على الخط الابيض وليطلقوا علينا النيران !٠٠٠

اللجنة مع الوعد ومع الافكار الجديدة ويصل نبأ قرب التبادل ، قد يكون خلال أيام معدودة ، ويوقع أبو عمار على الاتفاقية ، انصار + معسكر ٣٢ + ٠

ركاب الباخرة + خمسون من أسرى الداخل مقابل الخمسة الاحياء الذين لـدى فتح · ويتسرب نبأ الخلاف على من يختار الخمسين !··· ونحمد الله عـلى عزلتنا لانه بامكاننا تحمل أية انتكاسة تحصل !··· ويتحملها معنا خمسة عشر مريضا في المستشفى يتابعون معنا التطورات والطاقم الطبي المساعد للدكتور عماد ·

انصار ، كل ما علمت به حديث صلاح واستئناف مباحثات التبادل ، وبحكم ابتعادنا عنها قد تكون نسيت الموعد ، نسيت الحكاية ، حكاية المورفين ، وقـد اعتادت سابقا على كثرة الحكايات انها لا تعلق أي أمل جديد ، والسجن الطويل الى ما شاء الله ، الى أن يقضي الله أمرا كان مفعولا ،· انصار في وادي جهنم تعيش على طريقتها الخاصة تحيط بها تلال « الطور » · الصهاينـة المسلحون منظرهم من الاسفل يتراءى بحجم العصافير بدون مبالغة ، مصابيح الكهرباء ليلا كأنها تجاور النجوم · وفي الاقسام الثلاثة في انصار الجديدة التكيف مع الاوضاع بعد مرحلة المشيئة والارادة ، وأمرّ الاوضاع مسألة الخط الابيض والقنـاص ، ليليها مسألة البقاء في معسكر واحد ·

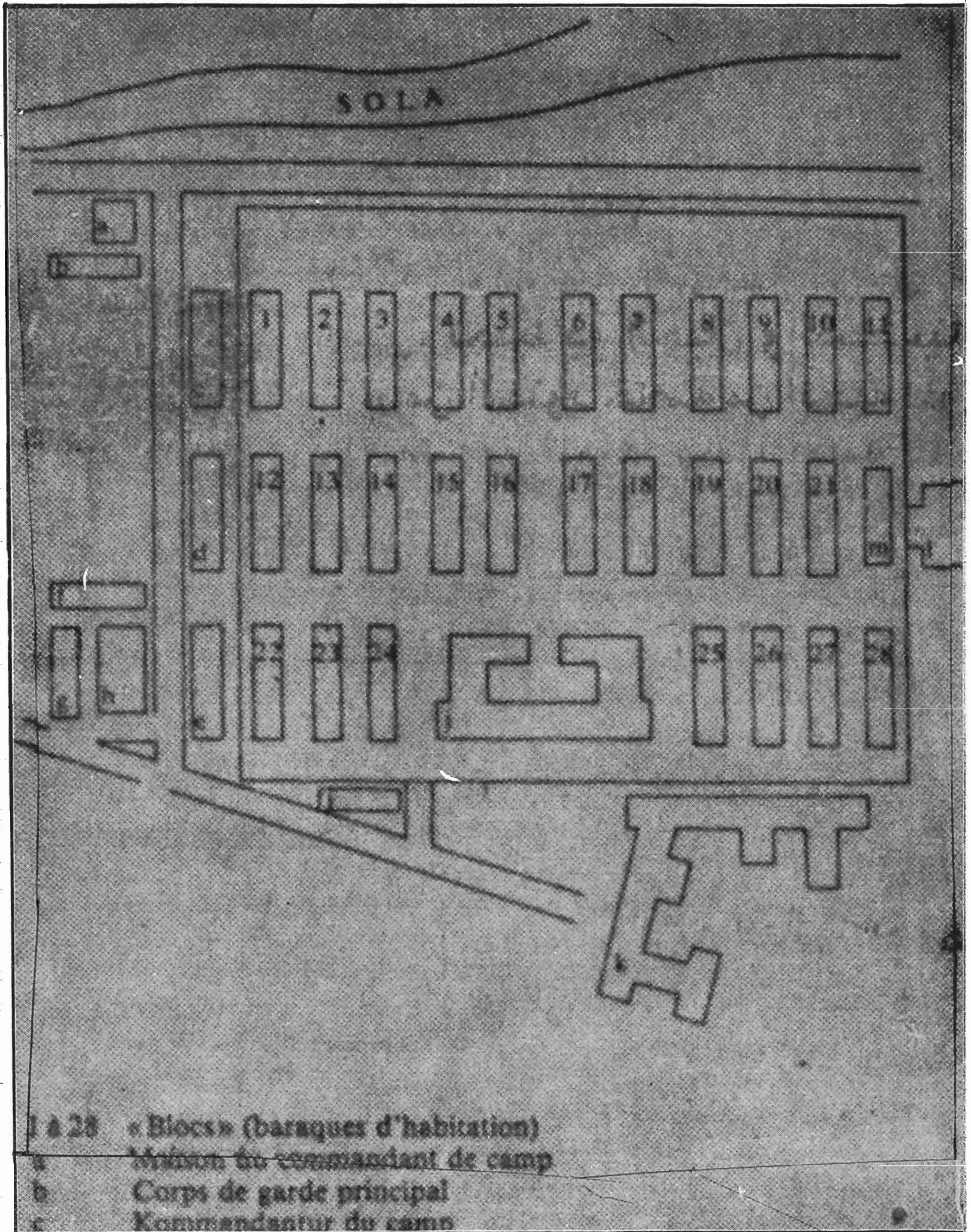
مع خبر التبادل طارت كل الافكار والمشاريع ، تبخرت ، أبسطها أنني كنت بوارد نقل درويش الصغير الى معسكري ، الى حيث أقيم ومن الزنزانة وأكبرها مسألة التحدي الجديد للخط الابيض والقناصة · والمطالبـة بزيارة العائلات كمدخل لحرق انصار من جديد ·

الصفقة اكتملت ولم تعد تحتاج الا لتنفيذ ، لساعة صفر ، لبدء التنفيذ ومـع ذلك لم نصدق ، مطلوب منا البدء بتنظيم لوائح لمن يريدون المغادرة خارج لبنان وباتجاه الجزائر ولمن يريدون العودة الى الجنوب اللبناني · نخرج أربعتنـا ، نتوزع أقسام الصيفي وننهي المهمة لنعود الى وادي جهنم · الاسـرى اعتادوا على تنظيم لوائح كهذه ، سبق لنا ونظمناها ، شاعت معها أجواء التفاؤل الحذر وتكاثرت الاسئلة المطروحة من المباحثات الى مكان الخروج ··· وتحديدنا أن كل لبناني أو فلسطيني لبناني يخرج الى لبنان والباقون الى الجزائر ·

ونعود الى المستشفى لنختبر مدى جدية الخبر بمن هم بيننا مـن المرضى ، نطالب بالافراج عنهم ونلقى وعدا مجرد وعد ، وتتوالى علينا الايام نحسبهـا بالدقائق والثواني كما نوهت ، ويتوالى كلود في زيارته وقد جمعنا اللوائح مـن المعسكرات بحضور مندوبيه ومشاركتهم وسألني أحدهم قائلا : « مورفين !··· » أجبته : قد يكون ذلك لكن على ذمة الصليب الاحمر الدولي هذه المرة وها هوذا يرافقني لهذه الغاية ، لن يكون بامكاني أن آتيك بالرب كما طلب اليهود مـن موسى ولست بصاحب معاجز لتؤمن بي وكل ما بمقدوري أن أقوله لك : أقلـع عن استعمال هذه العبارة رحمة بأعصاب غيرك ·

تتوالى الايام القليلة وأعصابنا مستفزة ومستنفرة ، نرقب ونراقب ونحكم على صغائر الامور وكأننا في بدايات السجن ومن الصغائر انزال بلدوزر لتجميـع

٧٥ ـ انصار الشاملة



٧١ ـ وفي « اوشفتز » الشبه

الاشياك في المعسكرات الشتوية وتنظيفها مقدمة لاعادة تأهيلها • واذا بكارلوس يعود الينا فجأة في أمسية أحد ، في ٢٠-١١ ومع طاقم الصليب الاحمر الدولي • نتفاءل خيرا بقدومه ومشاهدته ، لا شك لديه أخبار قاطعة ، فعلها فعل اليقين ولها نفس الوقع ونستقبل صاحبنا ونشتكي له من أمر كلود الذي كان يأتنا لمعرفة أخبار التبادل والذي لم ينفع معه التحريض على حقه بالحصول على معلومات من قيادته !•••

ويوجز كارلوس الموقف بأن قيادته طلبت منه الحضور استثنائيا الى انصار وانتظار التفاصيل ، فحضر ، ليس لديه تفاصيل ، وسيجتمع بزميله مسؤول البعثة في تل أبيب مساء في الناقورة على أن يعود الينا ليلا ••• ويتركنا بعد أن اعتبر زيارته للتفقد والتطمين ، يتركنا دون أن يعود حتى في اليوم التالي •

ونعود الى الاختبار القديم في اليوم التالي ، نعود مجددا لمسألة المرضى ونلح فيفرج بعد ساعات عن عدد محدود ويتركوننا • نحملهم أخبار التبادل وبينهم أبو عمر بعينه ويده الواحدة صاحب الحظ التعيس مع انصار مثلما عاد الينا الصليب ، لكن بدون كارلوس ، أي بدون أخبار ومع مندوبيه ثياب الرياضة التي سنخرج بها ، ونتسلم حصة الزنازين وحصة معسكرنا ويقوم المندوبون بأنفسهم بالتوزيع على بقية المعسكرات لنستمع الى أصوات الفرحة مع الثياب الجديدة من بعيد ، مثلما كانت الفرحة عن قرب لدى ذهابي الى الزنازين لاخراج درويش الصغير وعدد من الرفاق وتوزيعهم على المعسكرات مع ثيابهم الجديدة وما تبقى لدى اللجنة من سجائر وقهوة ••• في نفس الوقت الذي كان فيه الاخ صلاح يقوم بزيارة معسكر ٣٢ ويزف الى من فيه من الاسيرات البشرى الكبرى •

انصار بجناحيها تنتظر الموعد ، على نار الاعتقال ونار الشوق للحرية وللاهل ، نار العالم ، الواسع الذي يتلهف الاسرى لرؤيته خارج الشرطان ، خارج المدينة المغلقة المعزولة والتي باتت مدائن •

عاد الينا كارلوس مع طاقمه بكامله ، صباح الثلاثاء في ٢٣-١١ ودخل المستشفى وتحدث عن بدء التنفيذ ، بفرز انصار الى قسمين ، قسم المحررين في الداخل وقسم المحررين في الخارج انتظارا لساعة الصفر التي تبدأ مع بدايات المساء والتي سيتبلغ تحديدها عبر جهاز يحمله بيده على أن يبدأ نقل المحررين في الخارج أولا •

ونتخوف من ذلك ! من يضمن التنفيذ ؟ من يضمن اطلاق سراح الجميع ؟ ونصر على البدء بالذين سيحررون في لبنان ونصر على نقل من يريدون تحريرهم خارج منطقة الاحتلال ونصر على البقاء على الاقل أنا وصلاح حتى اخر أسير ، نصر وكارلوس يرفض باصرار ، مدعيا أن العملية لها برنامج محدد وتواقيت زمنية محددة ، أي خلل في البرنامج والتواقيت من شأنه تعطيل العملية! ونحس أن المنظمة أخطأت ، كان عليها أن تضع في الحسبان أمورا كثيرة ، وتترك لنا

صلاحية الاشراف على التنفيذ ، ولم يعد هناك ما يصحح الخطأ ، ليس من حل سوى التنفيذ بدء التنفيذ ويصر كارلوس على المباشرة والبدء فورا .

نخرج من المستشفى ونتجه الى انصار الجديدة بأقسامها الثلاثة لانجاز عملية الفرز ونشعر أن الضرورة تستدعي فتح معسكر قائم بذاته في كل قسم لمن يريدون التحرر خارج لبنان .

نطل على مدينة الشرطان ، نبلغ الاتفاق على التبادل ، تقوم الصرخة وتبدأ الاناشيد والهتافات وبين الاسرى من لم يصدق ، يلح ، بالاسئلة والاستفسارات ومعرفة التفاصيل ، والوقت لا يتسع لأي تساؤل يجب أن يمتلىء بالفرح ويعبأ بالسعادة .

فتحنا مدينة الشرطان وكل قسم منها ، ليس بداعي الزيارات وتحدي القناصة هذه المرة لكن من أجل التبادل ، من أجل الحرية ووداع المدينة .

مع الاناشيد والهتافات تدافع كل قسم نحو الشارع الاوسط والقبلات والعناق والشوق والحنين والفرح والدموع كل الامور كل العبارات لها مكانها وموقعها كل العواطف كل الاحاسيس .

ننهي الاقسام الثلاثة في المعسكرات الجديدة ويتسلم الصليب الاحمر كل قسم لاعادة تنظيم اللوائح من جديد ونتجه لوادي جهنم لنكون على موعد مع الفرح والدموع من جديد . ومع أم رفيق أم رضوان الدبس ، وقومي من بلدة انصار أدركت بحسها الفطري حكاية التبادل من كثرة حركة الطائرات فاقتحمت تلة القرية المحيطة بالوادي لتمسك جنديا صهيونيا وتهدد برميه اذا لم يسمح لها بمقابلة ولدها الاسير واعطائه جواز سفره . وأمام اصرار الام لعمليتها الانتحارية بطابعها الخاص يضطر العدو لتلبية طلبها ويحضرها لتقبل ابنها الذي صمم أن يغادر خارج لبنان وتسلمه جواز سفره وسط اعجاب الاسرى والصليب الاحمر الدولي بجرأة هذه المرأة الجنوبية طليعة امهاتنا في معركة التحرير التي ذكرتني بأمي ووفاتها في فترة اعتقالي وفاتها وفي قلبها حسرة لرؤيتي .

في الطريق الى الجزائر :

مع مغيب الشمس كانت مهمتنا قد اكتملت ، تركنا وادي جهنم نلقي عليها النظرات الاخيرة مثلما ألقيناها على انصار الجديدة ، ومع عودتنا الى المستشفى كانت طائرات الهيروكليز العسكرية الصهيونية تكثف تنقلاتها بين مطار انصار ومطار اللد ناقلة المحررين الى خارج لبنان حيث تنتظرهم هناك ثلاث طائرات جمبو تابعة للطيران الفرنسي من الحجم الضخم استؤجرت من قبل الصليب الاحمر الدولي .

بدأت عملية التبادل بدون الاعلان عنها تحت رعاية دولة أجنبية هي فرنسا التي وضعت بوارجها في البحر قبالة طرابلس لتسهيل العملية مثلما بدأنا بدورنا نجمع أمتعتنا وموجوداتنا الشخصية انتظارا للرحيل وموعدنا مع الطائرة الاخيرة التي ستقلع من انصار .

المعسكرات الشتوية جرى تنظيفها ليس بقصد اعادة تأهيل المعسكرات هذه المرة أيضا وانما لتنظيم اصطفاف الباصات التي ستقل المحررين باتجاه صور أو صيدا أو النبطية وعلى أن تبدأ العملية فور الانتهاء ممن سيغادرون خارج لبنان وتستكمل خلال نصف نهار كحد أقصى . وقد باتت المنطقة المرئية لنا بكاملها مغطاة بالاوتوبيسات .

عدنا الى المستشفى لنستقبل أسيرتين من الاخوات المعتقلات في معسكر ٣٢ بينهم زوجة الرفيق في الجبهة أبو محمد صلاح .

ونجلس لننشد هذا المساء ، ليس احتجاجا وانما نشيد الحرية ونشيد انصار بات نشيد الحرية ولنغني للشوق والمحبة والاهل ونضرم النيران لحرق ما تبقى ليس في برنامج تصعيد وانما لاشعال شعلة الحرية والضوء نحو عالمنا الجديد .

انصار تعيش ساعاتها الاخيرة وموعدها مع الفرح الذي طال انتظاره ، كان بتوقعنا أن يكون بالاسابيع فاذا به يتجاوز الاشهر ليبلغ سنة ونصف الا بضعة أيام .

انصار بعددها الراهن ٤٤٧٥ أسيرا موعدهم مع الفرح بات بالساعات ينتظرون بشوق وينشدون للفرح مثلما ننشد ونغني لكن على طريقة المشيئة والارادة كل أسير على طريقته الخاصة .

أتجول في زوايا معسكر ٢١ وأستطلع الابعاد المجاورة والمرئية وأنظر في البعيد البعيد لرؤية ملامح الاحبة في النجوم ولا ألمح سوى حمامات روزنفلد العاثرة التي لم تبصر النور وعيوني على خشبها لاضرام النار الملتهبة وسط الساحة التي ابتلعت الحرامات والثياب وخشب النوم بما في ذلك خشبة صلاح التي أعطيت وصلة لزيادة طولها لتتناسب مع طوله .

النار تضطرم بقدر اضطرام الشوق وتضيء الزمان والمكان وتتراءى للبعيد



٧٢ ـ محرر وأمه ، عودة الروح !...



٧٣ ـ انصار مدرسة البطولة ، محررات رافعات ألجبين !...



٧٤ـ قافلة على الدرب الطويل ، تحرروا من الاسر وتأهلوا في مدرسة البطولة لمتابعة مسـيرة التحرير

البعيد وفي عهدتها كل ما لا يمكن حمله ونغني لها وننشد مثلما تغني لنا وتنشد عهدنا بها كسلاح في انصار وعهدها بنا الان مع الساعات المقبلة وموعد الحرية، نتركها في عهدة الارض وعلى أمـــل العودة للارض محررة في يوم من الايـــام ونودع أرض الجنوب ٠

انني في وداع لارضي ولاول مرة في حياتي ، وداع لمدينة الشرطـــان التي تلازم بيني وبينها العطاء ووداع لانصار والجنوب وأحس بضرورة حمل شـيء من التربة عربون وفاء وزوادة نضال، وأغادر المستشفى ، معسكر ٢١ ، بعـد منتصف الليل عدتي الدليل النظري ٠ ماذا نريد من انصـار ؟ ما هو المطلوب منا في انصار ؟ ومجموعة صور الاحبة أولادي وزوجتي الذين بعـد لقائي بهم ومجموعة الرسائل والكتابات الشخصية وعلى البوابة أحرص على حمل «قفل» انصار مع الراديو الذي كنت أستعمله مثلما حرص صلاح على حمل مفتـــاح بوابة المعسكر وتقلنا من المطار طائرة « هيروكليز » أخيرة باتجاه مطار اللـــد لنلحق بالركب البالغ ألف وثمانين أسيرا ٠

كان مقدرا أن أخرج في الجنوب اللبناني على أمل مغادرته باتجـاه بـيروت لكن وجهة السير تغيرت في اللحظات الاخيرة وبعد اعداد اللوائح،تغيرت باتجاه الجزائر أقلها شيء من الراحة بعد العناء وأكثرها تجنب مخاطر النـــزول في الجنوب والحديث من على منبر الجزائر عن انصار عروسة شعرنا وثمرة جهدنا وأهم جنى وتجربة من جنى وتجارب العمر ٠

أودع أرض الجنوب في طريق المجهول لانني لا أعلم موعد العودة ولا موعد اللقاء مع الاهل والاحبة وتقلع الطائرة يرافقنا مندوب الصليب الاحمر الـدولي ويحيط بنا جنود صهاينة بأسلحتهم وكامل عدتهم وعددهم لتحط الطائرة بعـــد نصف ساعة في مطار اللد وينقلنا أوتوبيس الى طائرة الصليب الاحمر الدولي ٠

لقد تحررنا ، بتنا بدون الصهاينة ولو كنا على أرض المطـــار وفي الجوانب تجثم طائرتان أخريان كانتا بالانتظار أيضا وقد اكتمـــل الركب وبدأت رحلـة الحرية غربـا ٠

في الطريق محطة ، نبقى ضمن الطائرة في مطار القاهرة حيث جرى تطويق الطائرات الثلاث بالجند ونحن نحس أننا في حلم ، مع أحلام الحرية والعشـق والخلاص من القيد الرهيب٠ بسرعة يتلاشى المشهد بالرغم من تواصله لساعات، يتلاشى تحت تأثير وطأة الفرح والسعادة وتقلع الطائرات الثلاث ومن جديـــد باتجاه مطار أبو مدين ونحن نفتقد لعناصر فاقت المئة بدأنـــا نتعرف عـــلى أسمائهم تبين أن الصهاينة اختطفوهم أثناء التحرير ٠

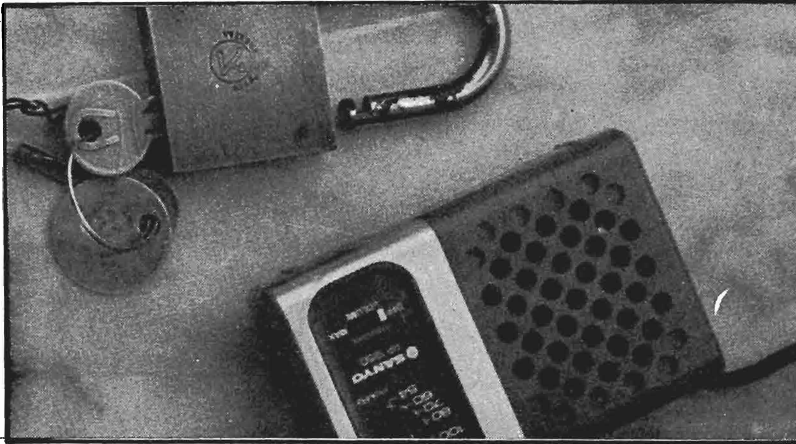
صلاح يحرص أن يكون خروجنا منتظما أيضا ، يدلل على روحية انصـــار المدرسة ، النضال والتراث والحضارة ، انصار الثورة في حركة الثورة العربيـة وتهبط الطائرة ونخرج بزينا الموحد ثياب الرياضة لنجد الصحافةبالانتظار مثلما وجدنا أبا اياد وأبا النوف وممثل المنظمة بالانتظار ، وجمال الصوراني رئيس



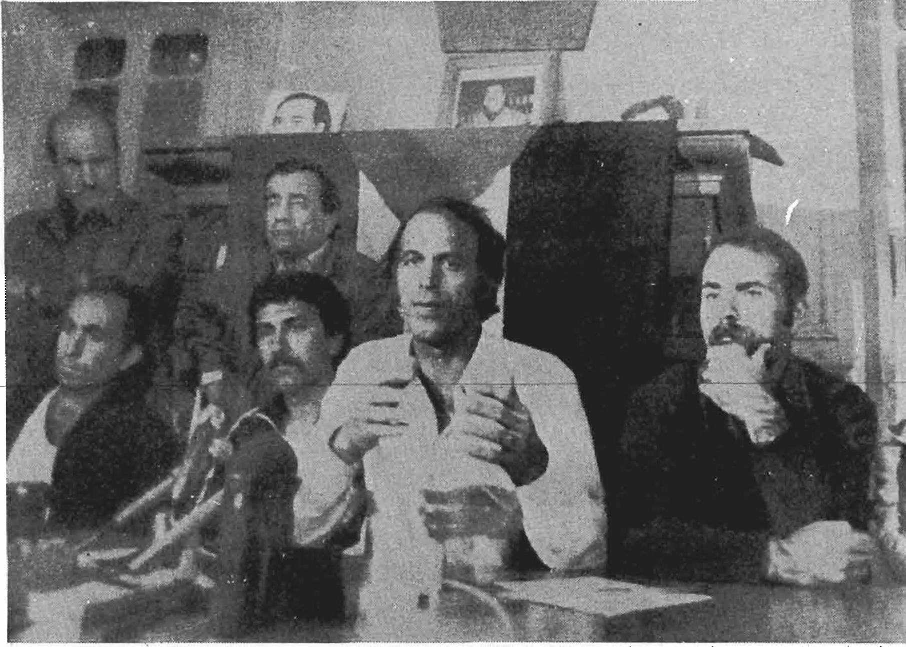
٧٥ ـ وكأنه قادم من عالم اخر !٠٠٠ محرر من انصار



٧٦ ـ تمسك بالقناعات ، وموعد مع العالم ، محررون في مطار ابو مدين الجزائري



٧٧ ـ عدة الاعتقال ، الراديو الذي كان بحوزة المؤلف وقفل معسكر ٢١ الذي أمر على حمله



٧٨ ـ لجنة الاسرى في مؤتمرها الصحفي في الجزائر في مكتب منظمة التحرير ، رقد بدا المؤلف بثياب التحرير الاول الى اليسار كما بدا في الطرف الاخر محـــرر ومحررة مـــن مسجوني الداخـــل

الوفد المفاوض ومندوبين عن حزب جبهة التحرير الجزائرية .

موسم انصار ، الملف المجهول ، موعده مع العالم كل العالم . في باحة المطار كان لنا موعد وفي الخروبة حيث اقامتنا مواعيد ومواعيد وفي مركز المنظمـــة المؤتمر الصحفي التقليدي ولتليها المواعيد في فندق « الاوارسي » والذكريات .

أيام عز بتاريخ عمرنا ، أيام سعادة كلها وقفات تقدير وتثمين زارنا محمـد شريف مساعديه الرجل الثاني في جزب جبهة التحرير ليعود فيما بعد مع الرجل الاول رئيس الجمهورية الشاذلي بن جديد ، وزارتنا الماجدة وسيلة باسم المجاهد الحبيب بو رقيبة ، كما زارنا لطفي الخولي باسم التجمع المصري موفدا مـــن أبي عمار في اخر أيامه في طرابلس .

وتدافع أعضاء اللجنة المركزية لمنظمـــة التحرير الواحد تلو الاخر مـــن عبدالرحيم أحمد الى جورج حبش ، ومن حق انصار كعبـــة النضال والتوهج القوي أن يزورها أو يتدافع اليها الكثيرون .

الاعلام كان على موعد ، العربي والعالمي من الـ « ب.ب.س » الاميركيـة الى التلفزيون القطري ، ون القبس الكويتية م، الى مجلة الطليعة العربية في باريس مثلما كنت بعد تلبية هذه المواعيد على استحقاق لي لـــدى السفـــارة اللبنانية التي زودتني بجواز سفر العودة الى لبنان .



٧٩ ـ انصار مدينة دارسة ، لم يبق لها أثر بعد نيسان ١٩٨٤

فهرســـت